



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الإمام الكامل

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) رحمه الله

الخطبة المنبرية

المنتبرية الجزء الأول - الجزء الثاني - الجزء الثالث
القول البيّن في خطبة الوالد الشيخ محمد نوري

اعتق به

د. توكي محمد حامد الناصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجزار الله الخرافي

المجلد الثالث

سلسلة جمع تراث علماء الكويت - ٩ -





الإمام الكاملين

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) رحمه الله





جَمْعِيَّةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ النَّوْرِيِّ خَيْرَاتٍ
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

تأسست عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بمكتبة الكويت الوطنية

ISBN: 978-9921-9721-7-7

البريد الإلكتروني (الإيميل)

Info@alnouri.org

هاتف: (٢٢٥٤٠٢٨٠)، (٢٢٥٤٠٢٧٠)، فاكس: (٢٢٥٤٠٢٦٠)

جَمْعِيَّةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ النَّوْرِيِّ خَيْرَاتٍ

جمعيّة كويتيّة خيريّة تُساهم في بناء المجتمعات وتنميتها

وتُكمل المسيرة الحَبيرة للمغفور له بإذن الله الشَّيْخ عبد الله النَّوْرِي رحمه الله



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) رحمه الله

الخطب المنبرية

المنبرية الجزء الأول - الجزء الثاني - الجزء الثالث
القول السائد في خطب الوالد الشيخ محمد نوري

اعتق به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي

المجلد الثالث

سلسلة جمع تراث علماء الكويت - ٢ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ٢٠١٩م) رحمه الله

الخطبة المنبرية

المنبرية الجزء الأول

اعتق به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي



﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

صدق الله العظيم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمته، وأشكره مُستزِيدًا من عظيم فضله، وأستعين به، وأستهديه، وأستغفره، وهو الغفور الرَّحِيم لا إله إلا هو، بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ ليُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ ظِلْمَاتِ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى، وَمِنْ ظِلْمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْمَعْرِفَةِ، وَمِنْ ظِلْمَاتِ الشُّرْكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَتَلَا عَلَى النَّاسِ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ، وَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا^(١)، وَأَنْطَقَ بِهِ أَلْسِنًا بِكَمَا، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ كَمَا دَعَاهُمْ، وَعَلَّمَهُمُ الْعِلْمَ كَمَا عَلَّمَهُمْ، وَنَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ،
وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَّيِّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

(١) قلوبًا غُلْفًا؛ أي: مُغَشَّاةٌ مُغَطَّاةٌ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَقَبُولِهِ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٧١/٩).





الإهداء

إلى كلِّ أخٍ مؤمنٍ بوحدانيَّةِ الله، ورسالةِ محمَّد بن عبد الله .
إلى كلِّ مسلمٍ كرهَ البِدعةَ وحاربها، وأحبَّ السُّنَّةَ واتَّبَعها، ودعا
المسلمين إليها .
إلى الدَّاعين إلى الله وكلمته، الأمرين بالمعروف والحكمة،
النَّاهين عن المنكر بالموعظةِ الحسنة .
إلى مَنْ استمعوا القولَ فاتَّبَعوا أحسنه .
إلى الأئمَّة والخطباء الذين عرفوا واجبهم فأدَّوه، ولم يخافوا في
الحقِّ لومةَ لائم، ولم يخشوا فيه أحدًا إلاَّ الله .
إلى كلِّ هؤلاء أهدي كتابي هذا، وأرجو دعاءهم لي بحسنِ
الخاتمة .





المقدمة

إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمَانِ مِنَ سَهَامِ الْإِسْلَامِ؛
 لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْإِسْلَامُ ثَمَانِيَةٌ أَسْهُمٌ: الْإِسْلَامُ سَهْمٌ، وَالصَّلَاةُ
 سَهْمٌ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ، وَحُجُّ الْبَيْتِ سَهْمٌ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ،
 وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَهْمٌ، وَقَدْ خَابَ مِنْ
 لَا سَهْمَ لَهُ»، رَوَاهُ الْبَزَّازُ عَنْ حَازِمِ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

وهو من أكد الواجبات على من وهبه الله معرفةً بدينه، بل أكدها
 بعد الصَّلَاةِ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:
 ١٠٤]؛ لأنَّ في إقامة هذا الرُّكنِ صلاحُ الأُمَّةِ وفلاحها، وفي تركه
 فشلها وهلاكها، غير أنَّ النَّاسَ في زمننا هذا قد «اتَّبَعُوا سُنَنَ مَنْ
 قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ»^(٢)، فتركوا النَّصِيحَةَ، فلا أبٌ يرعى ولده بإرشاده،
 ولا صديقٌ يتعهَّدُ صديقه بنصيحةٍ، وأولو الأمرِ اتَّكَلُوا على أولي
 العلمِ، وأولو العلمِ قَصَّروا في هذا الواجب؛ خوفًا على دنياهم،
 وغَضَبٍ غيرهم، وقد أدَّى المستعمرُ في ذلك دورًا نال فيه قصب
 السَّيْفِ فِي الْمِيدَانِ، وكان له ما أراد، وخَلَفَ بعد الصَّالِحِينَ خَلْفٌ

(١) رواه البزار، رقم: (٢٩٢٧).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٤٥٦)، بلفظ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا

بشبر...».

أضاعوا الصَّلَاةَ، ومنعوا الزَّكَاةَ، وتركوا المعروف، وعملوا المنكرات، واتبَعوا الشَّهَوَاتِ.

ولقد كانتِ المساجدُ في صدرِ الإسلامِ دُورَ إرشادٍ وتعليمٍ، تُفَقِّهُ النَّاسَ في الدِّينِ، أرشدَ فيها المرشدون، ودعا إلى الله فيها الواعظون، وكان من مقيمي الصَّلَاةِ فيها من يقبلُ نصيحةً أو يعملُ بسُنَّةٍ أو ينتهي عن بدعةٍ، ولكنَّا لم نرَ لهؤلاءِ الواعظين خلفًا إذا ماتوا، بل شاع الجهلُ في الدِّينِ، وقلَّ طَلَّابُ العلمِ به، وهذه هي الطَّامَّةُ^(١) الكبرى التي حذَّرَ منها الرَّسُولُ ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتِزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رِوَسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، رواه أحمد والشيخان عن ابن عمرو^(٢).

ومن المضحك المُبكي أن نرى جُهَّالًا يُؤْمِنُونَ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ شَيْئًا، ونرى وعَّاظًا لَا يَعْرِفُونَ مِمَّا يَقُولُونَ شَيْئًا، ويخلطون الغثَّ بالسَّمِينِ، فلا يعرفون ما البدعةُ، وما الحسنَةُ، اتَّخَذُوا مِنْ جَهْلِ الْمَأْمُومِينَ وَسِيلَةً لِرِوَاكِ بَضَاعَتِهِمْ، وَمِنْ الزَّيِّ الْخَاصِّ بِهِمْ خِدْعَةً لِلْجَاهِلِينَ حَقِيقَتَهُمْ، فَصَدَّرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْفَتْوَى، وَجَلَسُوا مِنَ النَّاسِ مَجَالِسَ الْوَعْظِ، أَقُولُ ذَلِكَ وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِمَّا

(١) الطَّامَّةُ: القيامة، وَقَالَ الرَّجَّاجُ: الطَّامَّةُ هِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي تَطْمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/٣٧٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٠٠)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٣)، وأحمد، رقم: (٦٥١١).



أقول، والعدوُّ الكافرُ السَّاهرُ يريد ذلك؛ لأنَّ فيه إضعافَ دينِ النَّاسِ، ومتى ضَعُفَ الدِّينُ ضَعُفَتِ الرَّابِطَةُ، وفي ضعفِ الرَّابِطَةِ فِشْلُ الأُمَّةِ، وذهابِ روحها.

واليوم بعد أن اتَّسعت رقعةُ الكويت، وكَثُرَت مساجدُها، وزادَ المهاجرون إليها؛ طلبًا للكسب، وابتغاءً للرِّزْق، كان فيمن هاجر إليها جماعةٌ جُهَّال، اتَّخذوا من لباسهم العِمامةَ والجَبَّةَ وسيلةً للدُّخولِ في سلكِ الأئمَّةِ والوعاظ، وقَبِلُوا على ما هم عليه من جهلٍ مُطَبَّقٍ، وسَلَّمَتْ إليهم الإمامةُ والوعظُ دون اختبارٍ أو امتحانٍ، وعلى كثرتهم قلَّ فيهم الصَّالِحون، وإن أحسن أكثرهم تلاوةَ الآية فلن يُحسنَ قراءةَ الحديث؛ لجهله بقواعدِ العربيَّةِ، فوعظوا على جهلٍ، وأفتوا على ضلالٍ، فضلُّوا وأضلُّوا.

وكان الواجبُ ألا يتولَّى إمامةَ الصَّلَاةِ - «والصَّلَاةُ عمادُ الدِّين»^(١) - إلا الحاذقُ بالدِّينِ، أو المتفقهُ بأركانه الأساسيّةِ على أقلِّ تقدير؛ لهذا كلُّه ولجهلِ هؤلاء الأئمَّةِ قلَّتِ النَّصيحةُ بالمساجدِ؛ لقلَّةِ الواعظين، وقلَّتِ رغبةُ النَّاسِ بصلاةِ الجماعةِ؛ لتأكُّدهم من جهلِ أئمَّتهم، وكُرهِ إمامتهم، وقد ترك النَّاسُ السُّؤالَ عن أمورِ دينهم؛ لأنَّهم عَلِمُوا أَنَّ هؤلاء المسؤولين ليسوا من أهلِ الذِّكرِ أو ليسوا بأعلمَ منهم، فازداد الجهلُ، وعمَّتِ البلوى، وتراكمتِ الظُّلمات؛ لهذا أتقدَّم بكتابي هذا إلى أولياء الأمر الذين منَّ اللهُ عليهم بنعمةٍ منه وفضلٍ، فصرفوا عشرات الملايين في إشادةِ المساجدِ وتعميرها،

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (١٩٥٨٢).



وإصلاح خرابها، وبذلوا مئات الألوف في فرشها وإنارتها، أتقدم إليهم راجياً إصلاح محاربيها ومنابرها بوعّاظ علماء، وأئمة فقهاء، يحسنون الإرشاد، ويأخذون بقلوب السّامعين فيقودونهم إلى حيث سعادتهم في الحياة الدُّنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وأعنهم على فعل الصّالحات، إنك سميعٌ مجيبٌ.



سبب نشر هذه الخطب

ولعتُ بالمنبر وكان والدي إمامًا وخطيبًا، وكان ينيبني أحيانًا، وعُيِّنتُ مكانه بعد وفاته سنة (١٣٤٥هـ)^(١) وكنت في أكثر الجُمع أقلِّده في خطبه، فأقرأ أو أختار ممَّا كتب، وفي أقلِّها أختار لنفسي ما أحسبه يليقُ بالزَّمان، ويحسُنُ وقعه على مسامع الحاضرين، ثمَّ تركتُ ما ثبتَ عليه الخطباء في الكويت من ترنيم أو تسجيل للخطبة، وكثيرًا ما جعلتُ خُطبة النِّعتِ متمِّمةً للخطبة الأولى أو نصيحةً طارئةً مرتجلة.

وقد زاولتُ^(٢) خطبة الجمعة سنين متفرِّقة، بدأتها في مسجد الخالد بعد وفاة والدي إلى سنة (١٣٥٢هـ)^(٣)، ثمَّ في مسجد دسمان من سنة (١٣٦٣هـ)^(٤) إلى سنة (١٣٦٩هـ)^(٥)، ثمَّ في مسجد بن بحر سنة (١٣٧٨هـ)^(٦).

وقد اخترت من خُطبي في هذه المدة هذه المجموعة، أقدمُها

(١) أي: سنة (١٩٢٦م).

(٢) زاول: عالج وحاول. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤٨/٢٩).

(٣) أي: سنة (١٩٣٣م).

(٤) أي: سنة (١٩٤٤م).

(٥) أي: سنة (١٩٤٩م).

(٦) أي: سنة (١٩٥٨م).

لإخواني المسلمين عملاً بنصيحة من أشاروا عليّ بطبعها، لعلَّ الله ينفع بها قارئها وسامعها.

وبذلتُ جهدي أن تكون عباراتها مفهومةً للسامعين، بمن فيهم: العالم والجاهل، والذكي والبليد؛ حتّى لا يتطرقَّ النَّاسُ إلى أحدٍ منهم، أو تشغلهم شواغلُ الفكر حين الموعظة.

أقدمُّها لا لثمنٍ أرتجيه من نسخها، فلم يكن من عادتي بيعُ مؤلَّفاتي، ولا أطلبُ من الخطباء أن يجهرُوا بها على منابرهم، فقد سمعها منِّي السَّامعون وكفى، وإنَّما أرجو أن ينسجَ الخطباءُ على منوالها ما يوافق الزَّمن الَّذي يخطبون فيه، والقوم الَّذين يسمعونهم.

وقد حاولتُ أن تكونَ هذه الحُطَبُ موافقةً للأحكام الشَّرعيَّةِ على مذهبِ الإمام أحمد، كما أنَّ الأحاديثَ التي استشهدتُ بها مخرَّجةٌ ومطابقةٌ لأصحِّ الروايات وأحسنها، وقد جعلتها قسمين: قسمٌ قيلَ في مناسباتٍ أذكرها مع عنوان الحُطَبِ إن شاء الله، وقسمٌ في وعظٍ ونصائح، وضمَّنتُ كثيراً منها فقراتٍ من حُطَبٍ مرَّرتُ عليها في مطالعاتي دواوينَ أو مجلَّاتٍ أو مقالاتٍ أو كتباً استحسنتها، سائلاً الرَّحمةَ والغفرانَ وجزيلَ الثَّوابِ من الرَّحمنِ الرَّحيمِ لكاتبِها وقائلِها، واللهُ أسألُ أن يجعلَها خالصةً لوجهه الكريم، خاليةً من الرِّياء والسُّمعة.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].



سوء الخلق يسبب الفرقة

«١»

الحمد لله على نعمه، والحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، بعث بشيراً ونذيراً ورحمةً للعالمين، اللهم صلِّ وسلِّم على
سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَأَطِيعُوهُ وَأَنِيبُوا إِلَيْهِ وَرَاقِبُوهُ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ
شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ، وَزِينَةُ الصَّالِحِينَ، وَوَصِيَّةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمَلَهَا
أَنْبِيَآؤُهُ لِيُبَلِّغُوهَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
أَقْصَاهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:
١٢٨]، وبعد:

فإنَّ الله تعالى لمَّا خلق الإنسان خلقه في أحسن تقويم، وخلق له
عقلاً فضَّله به على سائر الحيوان، ولمَّا تكاثرت نسله، وغلبت على
الجاهل جهله، ووجد دعاة الضلال قبولاً لضلالهم سادت الفوضى،
فلم يعرف النَّاس نظاماً للحياة الاجتماعية والعائلية، وقاسوا من ألوان
الحياة ﴿أَنكَالاً﴾^(١) وَحِيَمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ [المزمل:
١٢-١٣]، فأرسل الله لهم رُسلاً مبشِّرين ومنذرين، نظَّموا الحياة، فسُنُّوا

(١) النُّكْلُ: القيد الشَّدِيد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٣٣).

لهم قوانينها، وشرّعوا شرائعها، وجمعوا المتنافرين، وهذبوا نفوس المتوحّشين، وحدّدوا الحدود، وحفظوا الحقوق، وبنوا المجتمع الإنسانيّ على تعاليم رشيدة روحية بها مُدُنّت المدن، وعمّرت الديار، فاجتمع النَّاسُ بها بعد فُرقة، وتألّفوا بعد شتات، حتّى جاء الإسلام فكان دينَ عباداتٍ ومعاملات، وعِلْمٍ وعَمَلٍ، جمعَ الأُمَّة في نظامٍ واحدٍ، وسلّكهم في سِلْكٍ واحدٍ، فلا عصبية ولا قومية، وإنما الأُمَّة واحدة، والدين واحدٌ، وهو الله الواحد الأحد، وقد دعا الإسلامُ أمّته إلى اتّحادِ الكلمة، والاعتدادِ بِسَمَوِّ الأخلاق، والنزاهة في القصد، والإخلاص في العمل؛ لأنّ الأُمَّة لا تكون آخذةً مكانتها بين الأمم إلّا إذا اتّحدت كلمتها، وسما خُلُقها، وكان رائدها الإخلاص في عملها، لا تبتغي منه سوى محافظتها على قوميتها وعزّتها دون ميلٍ إلى منفعةٍ شخصيّةٍ، أو وصولٍ إلى جاهٍ، أو تطلّعٍ إلى بسط يدٍ، أو نفوذ كلمةٍ، أو حصولٍ على مادّةٍ، أو نيل سلطانٍ، هذا ما أرادَه اللهُ مِنّا، وهذا ما كان عليه السّابقون الأوّلون والتّابعون لهم بإحسانٍ وأرادوه لنا، وقد خلفَ من بعدهم خلفٌ تفرّقت كلمتهم، وامتدّ فسادُ الخُلُق في كلّ ناحيةٍ من نواحي حياتهم وتغلّغل في الصّميم من وجودهم، وصار للنّقائص الخُلُقيّة سلطانٌ على شبابهم وشوابهم، ولا أبالغ إن قلت: حتّى على كهولهم، فالفضائلُ فيهم ضعيفةٌ مقهورةٌ، والخير مطاردٌ مخذولٌ، وأصحابُ الرّذيلةِ سادةٌ، وأنصارُ الباطلِ عظماءُ، ودعاةُ السّوءِ كبراءُ، وأهلُ الشّرِّ سراةٌ^(١)، والأمرون بالمنكر

(١) السّري: الرّفيع. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٧٨/١٤).



معظمون، وأعداء المعروف مقدمون موقرون، ومن العجب العجاب أننا نسمع من الناس الشكوى المُرّة عن خبث الناس، وسوء عشرتهم، وفساد أخلاقهم، وشيوع الرذيلة فيهم، فهذا يشكو قطيعة الأخ لأخيه، وذلك يتألم من عقوق الولد لأبيه، وآخر يحكي عن إيذاء الجار لجاره أو خيانة الضيف لمضيفه أو مكر الرئيس بمرؤوسيه أو إهانة الموظف لمراجعيه، وبعض يشكو جور الظالمين، وخذلان المظلومين، ومساعدة الباغين، وتملق الضعفاء للأقوياء، والاستخفاف بالفقراء، وموت الضمائر، وفساد الذمم، ولؤم الطباع، وفقدان النزاهة، ونقض العهود، وخلف الوعود، ومقابلة الإحسان بالنكران، وإبدال الكفران بالشكر.

والأعجب من هذا أننا لو تعمقنا في البحث عن شؤوننا لوجدنا الحال أسوأ، والشر أشمل، والضرر أبلغ، فقد غالطنا أنفسنا فسمينا بعض السيئات بغير أسمائها، ووضعنا بعض الأمور في غير مواضعها، وقلدنا الأجانب في كثير من شؤوننا تقليداً أعمى، حتى أصبحت مجتمعاتنا اليوم لا تمت بصلة إلى عروبتنا إن ادعينا العروبة، ولا إلى إسلامنا إن ادعينا الإسلام.

عباد الله، كنا وما زلنا نعرف أن النفاق نفاق - وإن سميناها مجاملة -، وأن الحقد حقد - وإن سميناها حذراً -، وأن الشرور شرور - وإن جملنا أسماءها -، فإن الحسن بين والقبیح بين، وإن الخير واضح والشر واضح، والرذائل لا تكون فضائل، وإن سميت بغير أسمائها، وما علينا إلا أن نأخذ أنفسنا بالإقلاع عن النقائص،

والتخلي عن العيوب، وأن نُنشئ صغارنا على الفضيلة ومكارم الأخلاق، وأن نستمع نداء ربّ الأرباب إذ يقول لعباده المؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

[التحریم: ٦].

عباد الله، إن مساوىء الأخلاق تدعو إلى اختلاف الكلمة والتنازع، الذي يدعو إلى التفرقة، وعدم بلوغ القصد، وفي كل ذلك وهن الأمة وضعفها، وذهاب هيبتها من قلوب أعدائها والطامعين بها، فتضرب عليها الذلّة والمسكنة، ولا تستطيع أن تباشر إصلاح شأنها، وحفظ كيانها، فيطمع فيها الطامع وتعيش مغلوبة على أمرها، وهذا ما حذرنا منه نبينا ﷺ بقوله: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ: الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»، رواه أحمد عن الزبير^(١).

والأخلاق السّامية التي أثنى عليها القرآن الكريم كانت أخلاق النبي ﷺ، وعليها أراد النبي ﷺ أن يغيّر أخلاق أصحابه، وقد أعان الله نبيه فأصاب نجاحًا وفلاحًا في هذه النّاحية فكان أصحابه رضي الله عنهم عباد الرحمن الذين وصفهم في آخر سورة الفرقان، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

(١) رواه أحمد، رقم: (١٤١٢).



﴿٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال ﷺ في سورة فصلت أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣١]، ونسأل الله أن يوفّقنا للاقتداء بهم وسلوك سبيلهم.







الدِّينُ أَمْنٌ لِلْحَيَاةِ

«٢»

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، ولا معبود سواه، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله
الذي بعثه ربُّه هدىً ورحمةً للعالمين، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك
ورسولك سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، اتَّقُوا
اللهَ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨]،
أَمَّا بَعْدُ:

فقد مُنِّي^(١) الإسلامُ في جميع عصوره بشراذم^(٢) يدَّعون الإسلامَ
وما هم بمسلمين، وإنما هم وبأل^(٣) على المسلمين بإدخال الشُّبه
عليهم، وتضليل عقولهم بالتشويش على المؤمنين بقلب معاني الدين،
وتحريف الكَلِمِ عن مواضعه، شأنهم في ذلك شأنُ المضلِّين الذين
ضلُّوا وأضلُّوا.

(١) مُنِّي بكذا: ابتلي به. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥٥٩/٣٩).

(٢) الشُّرْذِمَةُ: القليلُ من النَّاسِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٦٤/٣٢).

(٣) الوَبَالُ: الشُّدَّةُ والثَّقَلُ والمَكْرُوه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦٤/٣١).

وقد كثر دعاةُ السُّوءِ في عصرنا هذا، ولعلَّ بعضهم نفخَ الشَّيطانُ في أنفه، ففكَّرَ وقَدَّرَ، ثُمَّ عَبَسَ وبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ واستكبر، وقال: إِنَّ الدِّينَ ذَهَبَ بِأَمْنِ الحَيَاةِ، وهذا بهتانٌ عظيمٌ على الَّذِينَ يريدون أن يُطْفِئُوا نورَ الله بأفواههم ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصَّف: ٨].

يا عباد الله، كان النَّاسُ قبل بعثةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يخافون الحَيَاةَ، وكانتِ الحروبُ بينهم طاحنة، والعداءُ بينهم مستحكماً، وكانوا في ظلماتٍ من الجهالة، فالجوعُ أضمرَ أجسامهم، والعريُّ أيبسَ أجسادهم، والخوفُ ملكَ قلوبهم، يأكل قلوبهم ضعيفهم، ويظلمُ غنيهم فقيرهم، لا جامعةٌ تجمعهم، ولا صلةٌ تربطهم، فجاءَ الإسلامُ بنوره الوهاج، فألَّفَ بين القلوب، وزكَّى النفوس، وأنار العقول، وأخرج النَّاسَ من ظلماتِ الجهالة إلى نور العلم، ومن الضلال إلى نور الهداية، ومن العبودية إلى نور الحرية، ومن العسر إلى سعة اليسر، وأطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف، وكوَّنَ منهم أُمَّةً هي خير أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تدعو إلى الخير، وتقيمُ العدل، وتأمُرُ بالبرِّ، وتأخذُ بيد الضَّالِّ إلى الصُّراطِ المستقيم.

إنَّه دينٌ مساواة، محا جميعَ الفروق والمميّزات، فقد قال النَّبِيُّ: «النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»^(١)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجْرَات: ١٠]، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجْرَات: ١٣]، ودعا الإسلامُ النَّاسَ إلى الحَيَاةِ والعمل، وطالبَ بالعمل كلَّ قادرٍ عليه، ولم يُحَرِّم من العمل إلا ما كان ضاراً بالعمل

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٩٥٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



أو ما تعدّى ضرره إلى غيره، وإنه دينُ عبادةٍ وسيادةٍ وحياةٍ ومصحفٍ وسيفٍ، فهو يقولُ للمسلمين: اعبدوا ربَّكم، وافعلوا الخير، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وهو دينُ عبادةٍ ومعاملةٍ؛ لأنَّه معك في المسجد والبيت والسوق، ولأنَّه يقول لكم أيُّها المسلمون: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧)

[التحل: ٩٧] .

إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ - أيُّها المسلمون - لم يكن يوماً من الأيام دينَ رهبنةٍ، ولا دينَ صومعةٍ، ولا أمرَ بالاعتزال، ولا دعا إلى الوحشية، ولا حرِّمَ بيعاً ولا شراءً، ولا حرِّمَ نعمةً، وإنَّما قال: ﴿قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فإنه أباح الطَّيِّبَاتِ أَكْلًا وشربًا وملبسًا وزينةً، ولم يحرم إلا ما كان ضارًّا.

والحياةُ في الإسلام هي الدين، والدين في الإسلام حياة، والإسلام قوَمَ حياةَ المسلم فجعل له نظامًا يسير عليه في كلِّ شأنٍ من شؤونهِ، ونظَّم علاقته بربِّهِ، فهو معه في صلاتِهِ وصيامِهِ وجميعِ عباداتِهِ، ونظَّم علاقته مع نفسه، فهو معه في مأكله ومشربه وملبسه ووحديته، وفي كلِّ شأنٍ يخصُّهُ، ونظَّم علاقته مع غيره من بني الإنسان، فهو معه في سوقه ومعامله، وحين يبيعه وشرائه، وهو معه عندما يكون مع أهله وولده، وفي وظيفته، وفي كلِّ شأنٍ من شؤونِ المجتمع.

إِنَّهُ دِينُ التَّعَاوُنِ، وَالتَّعَاوُنُ هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي شَيَّدَ الْإِسْلَامَ صَرَحَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وَالْإِسْلَامُ دِينُ الْمَدْنِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَالسَّعَادَةُ الْمُنشُودَةُ، وَمَا كَانَ يَوْمًا مِنْ الْأَيَّامِ دِينَ بَهْرَجَةٍ^(١) زَائِفَةٍ، أَوْ مَظْهَرًا بَرَّاقًا فَارِعًا، فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي يَصْلُحُ بِهِ الْفَرْدُ وَالْمَجْتَمَعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ: «النِّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ»^(٢)، وَهِيَ رَكْنُ الصَّحَّةِ الْأَوَّلِ، وَشَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ «عِمَادُ الدِّينِ»^(٣)، وَأَيُّ نِظَافَةٍ أَكْثَرُ مِنْ غَسْلِ الْأَعْضَاءِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْأَسْنَانِ الَّتِي أَثْبَتَ الطَّبُّ أَنَّهَا بَيْتُ الدَّاءِ، وَأَنَّ إِهْمَالَهَا مَصْدَرُ الْأَمْرَاضِ.

وَكَانَتِ الْعِنَايَةُ بِالْمَظْهَرِ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الدِّينُ، وَلِهَذَا كَانَ الْغَسْلُ وَزِينَةُ الْمَلْبَسِ فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ مِنْ أَحَبِّ مَا يُحِبُّهُ الْإِسْلَامُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئِ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَحْسِنُوا لِبَاسِكُمْ، وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى

(١) الْبَهْرَجُ: الْبَاطِلُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٣٢/٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٧٣١١).

(٣) سبق تخريجه.



تكونوا كأنكم شامة^(١) في الناس»، رواه الحاكم عن سهير بن الحنظليّة^(٢).

وأمر الإسلام بالاعتقاد وحثّ عليه ومدحه، فقال: ﴿وَلَا بُدْرَ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ومدح عباده الصالحين بأنهم: ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقد عجز عقلاء الغرب وأولو الرأي فيه أن ينظّموا اقتصادهم، وما زلنا نسمع بين الحين والآخر أخباراً عن دولة كثر فيها العاطلون، وثانية هددت بالإفلاس، وأخرى مهددة بالتضخم الماليّ أو بانحطاط قيمة العملة، ولو اتبعوا نظام الإسلام البسيط القويّ لأسعدوا البائسين، وشفوا جراح المحتاجين، ونفّسوا عن المكروبين، وأزاحوا عن صدور الفقراء كابوس ظلم الظالمين.

أيها المسلمون، إنّ الإسلام يريد من المسلم أن تكون له قوّة في دين، وحزم في لين، وقصد في غنى، وتجمّل في فاقة، وتحرج عن طمع، وكسب من حلال، وبرّ في استقامة، ونشاط في هدى، ونهي عن شهوة، ونبیّ الإسلام عليه الصّلاة والسّلام يريد من المسلم أن يكون في الزلازل وقوراً لا يخاف شدتها، ولا يجبن أمامها، وأن يكون في الرّخاء شكوراً؛ لا تطغيه نعمة، ولا تبطره ثروة، قانعاً بالذي له، لا يدعي ما ليس له، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده،

(١) الشّامة: الخال في الجسد معروفة، أراد: كونوا في أحسن زيّ وهيئة حتى تظهروا للناس وينظروا إليكم، كما تظهر الشّامة وينظر إليها دون باقي الجسد.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٣٦/٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، رقم: (٧٣٧١).

ويخالط الناس كي يعلم، ويناطقهم كي يفهم، وإن ظلم وبغى عليه صبر حتى ينتصر الرحمن له، هذه الصفات التي يريدها الإسلام للمسلم، وهذا هو المسلم الحق ذو خلقٍ عظيمٍ يعيش به سعيداً آمناً في مجتمعه.

فدين هذه صفة أهله، وهذه أوامره، هل يذهب بأمن الحياة؟! ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وإني أقسم بالله قسماً حقاً إنه لن يعود للعرب مجدٌ ما لم يتمسكوا بالدين، ولن يسعدوا بغيره، ولن تجتمع كلمتهم إلا على الدين؛ فعن ابن مالك رحمه الله قال: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»^(١)، وقد صلح أمر العرب في صدر الإسلام بالدين، ولن يصلح آخرهم إلا به، ومهما حاولوا ضجّةً ودعايةً فلن يعود إليهم مجدهم إلا بالدين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٨-١٠٩].



(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠/٣٧٥).



القرآن

«٣»

الحمد لله الذي أنزل الكتابَ وجعله هدىً للنَّاسِ، وشفاءً لما في الصُّدُورِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ .

عباد الله، اتَّقوا الله وأطيعوه، وأنيبوا إليه واستشعروا مراقبته، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨].

إخواني، كان النَّاسُ أمسٍ في عطلةٍ رسميَّةٍ يهنئُون بعضهم بعضاً بذكرى الإسراء والمعراج الشَّريفيْن اللَّذَيْن أرى بهما الله جلَّ جلاله محمَّداً ﷺ من آياته ما شَرَحَ به صدره، ورفع به في العالمين ذكره، وفضَّله على سائر الأنبياء بأن جعلَ رسالته عامَّةً للنَّاسِ، وجعله خاتمَ النَّبِيِّينَ، وإمامَ المرسلينَ، وأنزلَ عليه كتاباً باقياً أبداً الأبدِينِ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، هو نورٌ مُبينٌ، وذكُرٌ حكيمٌ، وصراطٌ مستقيمٌ، أنزله الله شفاءً لما في الصُّدُورِ، ورحمةً للمؤمنينَ، وهدايةً عظيماً للبشرِ، ودستوراً خالداً تطيب به الحياة، وإصلاحاً لما فسَدَ من أخلاق النَّاسِ، وتقويماً لما اعوجَّ من عاداتهم، وتكميلاً لإنسانيتهم، وتزكيةً لنفوسهم، ودعونا نتكلَّم في

يومنا هذا عن الكتاب الذي في أيدينا، وفي كل بيت من بيوتنا،
ولنساءل أنفسنا أولاً هل وعيناهُ وامتثلنا أمره وانتهينا عن نهيه؟
كلُّنا يعلمُ أنه لا علاجَ لأمرضنا الاجتماعيةِ إلاَّ به، ولا شفاءَ لنا
من أمراضنا الخُلقيَّةِ إلاَّ فيه، ولا حياةَ ولا عزَّةَ ولا مجدَ لنا إلاَّ به،
ولا خلاصَ لنا من التَّفَرُّقةِ والذَّلَّةِ إلاَّ به .

إنَّ نورَ القرآنِ بَرَّغَ على الأُمَّةِ وهي غارقةٌ في ظلماتٍ جهلٍ بعضها
فوق بعض، فما إن أبصروا نوره حتى نفذَ إلى أبصارهم فأجلاها،
وإلى أعماقِ قلوبهم فنزعَ عنها أفعالها التي أغلقتها عليها ضروب
البدع، وأنواعُ الضلالِ والأباطيل التي طالَ عليها العمر، وإذا بهذه
الأُمَّة تجتمع بعد شتات، وقد أبدلَ اللهُ ذلَّهم عِزًّا وجهلهم علمًا
وضلالهم هدىً، وعدمهم غنىً، وقَلَبَ أوضاعهم، وغيرَ طباعهم،
وحوَّلهم من حالٍ إلى حال، علِمُوا أنَّ التَّفَرُّقَ والشِّقاقَ لا يبني دولةً،
وأنَّ الانحلالَ والفسادَ لا يُحيي أُمَّةً، ولا يدفعُ ضرًّا، ولا يجلبُ
نفعًا، وعرفوا أنَّ صلاحهم في امثالِ أوامره فامتثلوها، وأنَّ خيرهم
في اجتنابِ نواهيهِ فاجتنبوها، وأنَّ عزَّهم في تنفيذِ أحكامه فأخلصوا
في تنفيذها .

وقد بيَّن القرآنُ أنَّ سعادةَ الأُمم ورقِيَّها وهناءَ حياتها منوطَةٌ^(١)
بصلاحِ أخلاقها، وتعاونِ أفرادها، وأنَّ شقاءها وهلاكها مقرونٌ
بفسادها، ويؤكدُ اللهُ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١]، فلن يغيِّرَ اللهُ ما بقومٍ من سعادةٍ ونجاحٍ إلاَّ إذا

(١) منوطٌ به؛ أي: مُعلَّقٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥٩/٢٠).



غَيَّرُوا مَا بِهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَصَلِحٍ، وَلَنْ يَغَيِّرَ مَا بِأُمَّةٍ مِنْ ذِلَّةٍ وَشِقَاءٍ حَتَّى تُغَيِّرَ مَا بِهَا مِنْ شَرٍّ وَفَسَادٍ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) [هُود: ١١٧].

آمن سلفنا الصَّالِحِ بذلك، فاستقبلوا بعزائمهم القويَّة كلَّ ما فيه من أمر، وعملوا على تحقيق مراميه واستماتوا في الدَّودِ^(١) عنه، واستعذبوا العذاب في نُصرتِه، ثقةً منهم بأنَّ لا عزَّ لهم إلَّا إذا أعزَّوه، ولا كرامة لهم إلَّا إذا نفَّذوا أحكامه، فجاهدوا في سبيل الدَّعوة إليه، وباعوا أرواحهم لله في سبيله، فلمَّوا الجمع ورأبوا^(٢) الصَّدع، وتناسوا شخصيَّاتهم في سبيل الخير لمجموع الأُمَّة التي أراد الله لها أن تكون خير أُمَّةٍ، فعزُّوا وأعزُّوا، واستفادوا وأفادوا.

يا عباد الله، إنَّ كتابَ الله حقٌّ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، لا يضعفُ مع الضَّعيف بل يقوى به الضَّعيفُ المؤمن، ولا يقوى مع القويِّ؛ لأنَّه قوَّةٌ يزدادُ بها المؤمن القويُّ قوَّةً، ولا تختلف فيه الأنظارُ، ولا تتضارب فيه المذاهب، وإنَّ آداب القرآن وتعاليمه عقيدةٌ تملك زمام المؤمن وعقله وعاطفته، وإذا حلَّت في قلبِ مُسلمٍ كانت له وازعًا من باطنه، ومُرشدًا من ضميره، ودليلاً إلى الهداية من نفسه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ

(١) الدَّود: الطَّردُ والدَّفْعُ، وَرَجُلٌ ذَائِدٌ؛ أَي: حامي الحقيقة دَفَاع. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/١٦٩).

(٢) رأب: أصلح. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/٤٥٦).

كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٤]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الْجُمُعَةَ: ٢].

والقرآن - أيها المسلمون - هو الدين فإن جعلناه دستوراً لحياتنا كان نوراً لعقولنا وقلوبنا، ونوراً في أبصارنا وأسماعنا وجميع حواسنا وجوارحنا، وكان مع العامل في عمله، ومع الموظف في وظيفته، ومع المدرس في مدرسته، ومع التاجر في سوقه وتجارته، وكان معنا في خلواتنا ومجتمعاتنا، ووازعاً لنا عن الخطايا، وحارساً لنا من الوقوع في السيئات.

عباد الله، مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ إِمَامَهُ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْقَفَ حَيَاتَهُ لَهُ عَاشَ آمِنًا بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَيَأْمَلُ أَنْ يَأْمَنَ بِهِ فِي مَا بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَإِنَّ مِثْلَ هَذَا يَخْشَى اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْشَى خَلْقَهُ؛ لِأَنَّ مَكَانَةَ الدِّينِ عِنْدَهُ أَكْبَرُ، وَسَيَطِرْتَهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ.

يا عباد الله، نَسْمَعُ كُلَّ يَوْمٍ أَخْبَارًا عَنْ مَوْتِمِرَاتٍ تُعْقَدُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ بَيْنَ دَوْلٍ كَبْرِيٍّ أَوْ دَوْلٍ صَغْرِيٍّ، أَوْ بَيْنَ دَوْلٍ صَغْرِيٍّ وَكَبْرِيٍّ تَنْشُدُ السَّلَامَ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِبْعَادِ شَبْحِ الْحَرْبِ عَنْهَا، وَحَلِّ الْمَشْكَالَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَإِزَالَةِ سُوءِ التَّفَاهِمِ فِيهَا بَيْنَهَا، مَعَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ حَلًّا لِكُلِّ الْعُقْدِ، وَسَلَامًا مِنْ جَمِيعِ الْمَشْكَالَاتِ، وَسِيَأْتِي الْيَوْمُ الَّذِي تَقْصِدُ فِيهِ الْأُمَّمُ كِتَابَ اللَّهِ؛ لِتَقْتَبِسَ مِنْ ضَوْئِهِ الظَّاهِرِ - كَلَّمَا أَلَمَّتْ بِهَا الْفِتْنُ الْمَدْلَهْمَةُ^(١) - ضَوْءًا يُنِيرُ لَهَا السَّبِيلَ، وَيَمَهِّدُ لَهَا الطَّرِيقَ، وَتَجْعَلُ مِنْ

(١) مُدْلَهْمَةٌ: مُظْلِمَةٌ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٠٦/١٢).



تعاليمه وآدابه دستوراً يؤلف بين الشعوب على أساس من المحبة
والمودة، فتعيش الإنسانية في صفاء، وتنعم في سلام ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

ويقول في الثانية:

يا عباد الله، بالأمس احتفلنا واحتفل العالم الإسلامي كله معنا
بذكرى الإسراء والمعراج، وقلنا: إن القرآن هو الذي جمع شملنا في
عالمنا الفسيح، فلولاه لَمَا فَهَمَ المغربيُّ كلامَ المشرقيِّ، ولَمَا اتَّصَحَ
للشَّاميِّ قِصْدُ اليمينيِّ، ولَفَرَّقَتْنَا اللّهجاتُ إلى أمم، كما فرقت قبلنا
أُمَّماً قَسَمَتَهَا لهجاتُها إلى أمم وشعوب، لا تعارفَ بينها، ولا تفاهم.

وقد شاء لنا أعداؤنا - أيها المسلمون - أن نكون أممَ أقاليم لا
تجمعنا جامعة، ولا تصلنا صلةٌ حتَّى لا تقومَ لنا قائمة، لكنَّ الله أرادَ
لنا غيرَ ما أرادَه بنا أعداؤنا، فجعلَ لنا لغةً يفنى الدهرُ ولا تفنى،
أكسبها الله الخلودَ، وكلَّما أرادَ العدوُّ لها محوًا زادت نورًا وإشراقًا،
فبها نتعارفُ ونتفاهمُ ويتصلُ بعضنا ببعض، وعليها نجتمعُ، إنَّها اللُّغةُ
العربيَّةُ، لغةُ القرآن التي حفظها الله بالقرآن.

يا عبادَ الله، إنَّ القرآنَ هو النِّعمةُ التي أَلَّفَ اللهُ بها قلوبَ السَّلفِ،
وحفِظَ بها اللُّغةَ الكريمةَ التي جمعَ عليها شتاتَ الخلفِ، فاشكروا
اللهَ - أيها المسلمون - على هذه النِّعمةِ، واسألوا الله أن يزيدكم من
فضله وصلِّوا على نبيِّكم مُحَمَّدٍ ﷺ الذي أنزلَ عليه القرآنَ، وادعوا
اللهَ مخلصين له الدين.



اللَّهُمَّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء همومنا، وشفاء
أسقامنا، ونوراً لأبصارنا، وبركةً في أرزاقنا، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩-١٠].





التَّعَاوُن

«٤»

الحمد لله هدى إلى طريق الصَّوابِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَمَرَنَا بِطَاعَتِهِ وَنَهَانَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غَافِر: ٣].

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ربُّ الأرباب، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، بعثه بالنور الوهَّاج، ومحا به الظلام، وفتح به الآذان الصَّمَّ، والأعين العُمي، والقلوب الغُلف، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه والتَّابعين إلى يوم الدين.

عباد الله، عليكم بتقوى الله بالسِّرِّ والعلْن، وتباعدوا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتعاونوا على ما ينفعُ الأُمَّة والوطن، وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصَّبْر، واستعينوا بالله، وأحسنوا إلى خلق الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥].

عباد الله، نهى الإسلامُ أمَّته عن التَّنَازَعِ وتفَرُّقِ الكلمة؛ لأنَّ التَّنَازَعَ سبيلُ الفشل، وأمرَ بالتَّعاونِ على البرِّ والتَّقوى، ونهى عن التَّعاونِ على الإثمِ والعدوان، فالتَّعاونُ على البرِّ والتَّقوى ركنُ اجتماعيِّ، وهو الأساس الَّذي بُنِيَ عليه أركانُ هذا الدِّين، اقرأ معي

قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، وقوله: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وأمر بالتواصي بالحق وبالصبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والإصلاح بين الناس؛ وكل ذلك تعاون على البر والتقوى.

وما الزكاة في الإسلام إلا مثل واضح للتعاون، فالإسلام يقول: «إِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ»^(١)، والأغنياء مستخلفون من قبل الله جل جلاله على ماله الذي آتاهم، فمن أدى الأمانة أمن عذاب الله، ومن خان الأمانة أذاقه الله الوبال والعذاب الشديد، إن عاجلاً وإن آجلاً.

والإسلام - أيها المسلمون - أوجب التعاون على المسلمين؛ ليكونوا أمةً يذوب أفرادها بعضهم في بعض فيصيروا كالجسد الواحد، تدفع اليد عن الوجه، ويحمي الصدر الظهر، و«إِذَا تَأَلَّمَ عَضُوٌّ مِنْهُ تَأَلَّمَ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ»^(٢)، و«إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» [الأنبياء: ٩٢].

ونبي الإسلام ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٩٦٣٦).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٦)، بلفظ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».



بعضًا»^(١)، والتَّعَاوُن الَّذِي أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِهِ أُمَّتَهُ رَسُولُ سَلَامٍ بَيْنَ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ تَتَكَوَّنُ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ، وَبِهِ تَسْعَدُ حَيَاتُهُمْ، وَيَهْنَأُ عَيْشُهُمْ، وَتَأْتَلِفُ قُلُوبُهُمْ، وَيَأْمَنُونَ عِدْوَانَ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا تَعَاوُنُ الصَّحَابَةِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ فِي مُحَارَبَةِ الْمُرْتَدِّينَ لَمَّا عَرَفْنَا الْإِسْلَامَ الْيَوْمَ، وَلَوْلَا مَعُونَةُ الْمُسْلِمِينَ لِصَلَاحِ الدِّينِ فِي حَرْبِ الصَّلِيبِيِّينَ لَمَّا كَانَ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ وَطَنٌ عَرَبِيٌّ أَوْ إِسْلَامِيٌّ، وَلَوْلَا تَعَاوُنُ الشُّعُوبِ مَعَ الرُّعَمَاءِ الْمَصْلِحِينَ لَمَّا بَقِيَتْ شُعُوبٌ عَلَى وَجْهِ الْمَعْمُورَةِ، وَبِالتَّعَاوُنِ نَصَنَعَ تَارِيخَ الْأُمَّةِ وَالْفَرْدِ وَحَدَهُ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِرَادَةُ اللَّهِ غَالِبَةٌ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٠].

والإسلام - أيها المسلمون - يريد منّا مجتمعًا يرتبط أفرادُه برباطِ التَّعَاوُنِ وَالتَّضَامَنِ، فَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْأُمَّةِ، مَطَالِبٌ بِعَمَلٍ يَفِيدُهَا، وَمَسْئُولٌ أَمَامَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عَضْوِيَّتِهِ فِيهَا، فَالسَّيِّدُ وَالْمَسُودُ، وَالْأَمْرُ وَالْمَأْمُورُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْأَبُ وَالْإِبْنُ، وَالْمَخْدُومُ وَالْخَادِمُ، كُلُّهُمْ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَمَامَ الْمَجْتَمَعِ فِيمَا وُجِّهَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَنَافِعَ لَا بُدَّ مِنَ التَّعَاوُنِ لِبَلُوغِهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢).

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٨١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٨٩٣)، ومسلم، رقم: (١٨٢٩) بلفظٍ مُقَارِبٍ.

هذا هو نظامُ الإسلام في التَّعاونِ أيُّها المسلمون، والشَّعبُ إذا تعاونَ أفرادُه أَمِنَ من الخوفِ، واطمأنَّ إلى الرَّاحةِ، وحسنتَ حالُه، وزال فقره، واجتمع شملُه، وساد السَّلام في أفرادِه، ومتى ساد السَّلام في شعبٍ وجدَ حلاوةَ الوطنيَّةِ الَّتِي تُكوِّنُ الوطنَ، وأحبَّ الوطنَ، وإذا فُقدَ التَّعاونُ في أُمَّةٍ انفرطَ عقْدُها، وأوذِيَ أهلُها، وذللَّ شعبُها، وتشتَّتَ شملُها، ولم يبقَ لأفرادِها وطنٌ ولا وطنيَّةٌ، وإنَّما يكونُ وطنُهم حيثُ يعيشون، ويأمنون، وإذا فُقدَ التَّعاونُ في أُمَّةٍ حلَّتْ محلُّه الأنانيَّةُ، وحبُّ الذاتِ، وهوى النَّفسِ، والنُّفوسُ أمَّارةٌ بالسُّوءِ، تميلُ إلى الظُّلمِ، وقهر غيرِها، والغلبةُ على المنافعِ ولو بالباطلِ، وهذا هو الاستعباد والاستبداد.

ومن التَّعاونِ الَّذِي أمرَ به الإسلامُ برُّ الوالدينِ، وتربية البنينِ، وصلة الأرحامِ، ورعاية الجارِ والضعفاءِ، وكفالة اليتيمِ وحمايته، والإحسانِ إلى الفقراءِ والمساكينِ، ومعاونة أبناء السَّبيلِ، وإطعام الطَّعامِ وإفشاء السَّلامِ.

ومن التَّعاونِ الَّذِي أمرَ به الإسلامُ صلاةُ الجُمُعِ والجماعاتِ، وإيتاء الصَّدقاتِ، والتَّيسيرِ على المعسرينِ ولو بالقرضِ، والتَّنْفيسِ عن المكروبينِ، من ذلك قول سيِّد المرسلينِ ﷺ: «من يسَّرَ على معسرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة»^(١)، وقوله ﷺ: «من يكن في حاجة أخيه يكن اللهُ في حاجته»^(٢)، ومن التَّعاونِ الَّذِي أمرَ به

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٤١٧).

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٤٣٠٥٣).



الإسلام تحريم الرِّبَا، والاحتكار والرَّشوة، والغيبة والنَّميمة، وكلُّها سببٌ للعداوة والبغضاء، وهما مانعتان للتَّعاون، ومسببتان للتَّفرقة وتشتيت الشَّمْل.

والتَّعاون في الأُمَّة رابطةٌ يلتقي عندها الجميعُ فيحسُّون بالوحدة التي تجمعهم، وبالألفة التي تربطهم، وبالسَّعادة التي تحفُّ بهم، وبالنعمة التي تغمرهم ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولا شكَّ أنَّ التَّعاون هو الذي قام عليه بناءُ أركانِ الإسلام، والذي سيقومُ عليه في المستقبل بناءُ السَّلام العالميِّ، ولا سلامٌ بغيرِ تعاون، ولا تعاونٌ مع مطامع، ولا هناء في هذه الدُّنيا بغيرِ سلام.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول في الثانية:

اعلموا أنَّكم «لن تسعوا النَّاسَ بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»^(١)، وأنَّ أقرب النَّاسِ منزلةً من رسول الله ﷺ هم أحسنُ النَّاسِ أخلاقًا، وهذا ما أخبرنا به الرِّسول ﷺ بقوله: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ

(١) رواه البزار، رقم: (٨٥٤٤).

أَخْلَاقًا»^(١)، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ يَقُولُهَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ تُكْتَبُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ صَدَقَةٌ، فَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»^(٢)، وَأَنَّ «تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣)، وَكَمَا قَالَ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ»^(٤).

وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ لِحِكْمَةٍ لَا يُدْرِكُهَا مَخْلُوقٌ، وَإِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يَصَلُّونَ كَمَا نَصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلُ أَمْوَالِ يَحْجُجُونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيَجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، فَقَالَ ﷺ: أَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تَدْرِكُونَ بِهِ مِنْ سَبَقِكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَمَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تَسْبِّحُونَ، وَتُحَمِّدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ رَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ ﷺ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(٥).

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه أحمد، رقم: (٨١٨٣).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (١٩٥٦).

(٤) رواه مسلم، رقم: (٢٦٢٦).

(٥) رواه البخاري، رقم (٨٤٣)، ومسلم، رقم: (٥٩٥).



يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشرِّ، فإنَّها له صدقة»^(١)، وكما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

[العصر: ١-٣].

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مِنْ دِينِنَا مَا جَهِلْنَا، وَوَقِّفْنَا اللَّهُمَّ لِلْعَمَلِ بِمَا عَلَّمْنَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى دِينِنَا بِالدُّنْيَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي فِيهِ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا.



(١) رواه البخاري، رقم: (١٤٤٥).





الدُّنْبُ يُغْضِبُ الرَّبَّ

«٥»

الحمد لله الواهبِ الكريمِ القديمِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، ينتقمُ ممَّن خالفه بالعذابِ الأليمِ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، دعانا إلى الصِّراطِ المستقيمِ بأمرِ العليمِ الحكيمِ، فأرشدَ من ضلَّ وعلمَّ من جهلَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يومِ الدِّينِ.

عباد الله، أوصيكمُ بتقوى الله، فاتَّقوه - أيُّها المؤمنون - لعلَّكم تفلحون، أمَّا بعد:

فقد قضت إرادةُ الله في الأزل أن يُسعدَ حياةَ أُمَّةٍ عملتِ الصَّالِحَاتِ، ويشقى عيشةَ قومٍ فسَّتْ فيهم المنكراتِ، وانتشرتْ بينهم السَّيِّئَاتِ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [التَّحَلُّ: ٩٧]، ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، ونحن قد أكثرنا الشَّكوى من جورِ الزَّمانِ وظلمه، والزَّمان لا يظلمُ ولا يجور، ولكننا نحن الظَّالمون، ظلمنا أنفسنا، ﴿وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَسِرِينَ ﴿ [الأعراف: ٢٣] .

نبهتنا الحوادث فلم ننتبه، ووعظتنا الكوارث فلم نتعظ، قلوبٌ كالحجارة لا تلين، ونفوسٌ بالسوء أمارة، وعيونٌ عميت إلا عن النظر إلى الآثام، وأذانٌ صمّت إلا عن سماع الحرام، مع انتشار الكذب والبهتان والزور والربا والقمار والخمور والفحشاء والنفاق والرياء، والمجتمعات اليوم تجتمع على شرور، وتفترق على فجور، وتعيش في غشٍّ وحقدٍ وغدرٍ وحسدٍ وعداءٍ ومكرٍ، وتبرجٍ وخلاعةٍ ومظاهر خداعةٍ، وجورٍ وعقوقٍ وإضاعة حقوقٍ، وأمنٍ من مكر الله وسوء ظنٍّ به ويأسٍ من رحمته واستخفافٍ بأوامره وتكذيبٍ بقدره، وتقربٍ من أعدائه، وبغضٍ لأوليائه ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التحل: ٣٣]، فالويل لنا إن لم يرحمنا الربُّ الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كان الناس فيما مضى يتنافسون بصالح الأعمال، ويتسابقون لِمَا ينفع الوطن والأمة في الحال والمآل، يفخرون بعملٍ ما يعود نفعه على العامة، يرجون بذلك كشف الغمّة، ودفع النّعمة، ودوام النّعمة، وإذا ابتلي أحدُهم بذنْبٍ تسرّ، وإذا وقع فيه حزنٌ تكدّر، واستغفر وأناب إلى ربّه نادماً تائباً، لا يهنأ له بالٌ حتّى يوقن أنّ الله قد غفر له وعفا عنه.

أمّا أهلُ زمننا هذا فأصبح أمرُهم على عكس ما كان عليه سلفُهم، فالصّالحات لا تخطر لهم على بالٍ، ومصالحُ الأمة قولٌ يقال، فالناس يقولون ولا يفعلون، ويعدون ولا يوفون، ولا ينصحون ولا



ينتصحون، وبالمنكرات يجاهرون ولا يستتروا، وربّما يفتخرون بفعلها ولا يستحيون ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، تساوى في ذلك الوجيه والوضيع، والداني والرّفع.

أيها المسلمون، ضرب الله لنا مثلاً في كتابه العزيز أنّ: ﴿قَرِيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ومثلاً آخر: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَمَّا مَسَكْنُوهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصاص: ٥٨]

وها نحن - أيها المسلمون - في وضع نخشى منه عذاب الله وعقابه، فقد منّ الله علينا بأن فتح لنا باب خيرٍ عظيم^(١)، وفضلٍ عظيم، همع^(٢) وبله^(٣)، وفاض سيّله حتى عمّ البعيد والقريب، وشاركنا في ورده الغريب والقريب، ونحن في أوطاننا آمنون مطمئنون، يأتينا رزقنا رغداً من كل مكان، فإنّ آمنّا بالله واتّقيناه، وآمنّا برسوله وأطعناه، وشكرنا الله على نعمه وحمدناه، زادنا خيراً على خير؛ لأنّه وعد، وهو لا يخلف الميعاد ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(١) عميم: تامّ وكامل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥٥/٣٣).

(٢) همع: سأل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤١٠/٢٢).

(٣) الوبل: المطر الشّديد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦٢/٣١).

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَالْفَسَادُ قَدْ عَمَّ سَيْلَهُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا الْمُنْكَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَادْفَعُوا السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَامْحُوا الذَّنْبَ بِالتَّوْبَةِ، وَأَقِيمُوا الدِّينَ لِلَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ وَلَا يُهْمِلُ، اسْتَمْعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (١).

يَا عِبَادَ اللَّهِ، احْذَرُوا غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَتَجَنَّبُوا السَّيِّئَاتِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَفَعَلِ الْحَسَنَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ، تَأْمِنُوا الْخُسْرَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْحَيَاةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَكُتَابُهُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِمْسْتَقْبَلِهَا، فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ قَرِيبٌ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ مِنْ أَمْرِ الْمُسْتَقْبَلِ شَيْئًا، كُلُّ نَفْسٍ تَعْلَمُ عَنْ مَاضِيهَا وَعَنْ حَاضِرِهَا، لَكِنَّهَا لَا تَعْلَمُ عَنْ مُسْتَقْبَلِهَا شَيْئًا، وَالْمُسْتَقْبَلُ هَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَكُلُّنَا لَهُ صَائِرُونَ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ فِيهِ النِّجَاةَ، فَكَمْ مِنْ نَفْسٍ عَمِلَتْ عَمَلًا صَالِحًا حَتَّى إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَجْلِ شَيْءٌ عَمِلَتْ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَخُتِمَ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ، رَقْمٌ: (١٧١٣٣).



لها بسوءٍ! وكم من نفسٍ عَمِلَتْ سوءًا حتَّى إذا قَرَّبَ أَجْلُهَا عَمِلَتْ خَيْرًا فكانت من أهل الرِّضوان! وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(١)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقد قال ﷺ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشَدَّةِ الْمَوْتِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ»، رواه ابن ماجه^(٢).

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١٨] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [١٩] لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [٢٠] [الحشر: ١٨-٢٠].

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٤٥٤).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٠١٩).

ويقول في الثانية:

اتَّقُوا اللَّهَ وَتُوبُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاحذَرُوا التَّقْصِيرَ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

﴿١٧٨﴾ [التحل: ١٢٨].

يا عباد الله، «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١)، وهو حبيبٌ لله، فكما يقول ربُّكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٢].

يا من وهبه الله الصِّحَّةَ، ومنَّ عليه بالقوَّةَ، لا تُسْرِفِ فيما منَّ الله به عليك، ولا تعطلَّ به على غيرك، اعملْ لِدُنْيَاكَ، وازرع لآخِرَتِكَ، وتجنَّبْ ما يوصلك إلى الهلاك، ولا تُفَرِّطْ، فَالتَّفْرِيطُ خَسَارَةٌ، وَلَا تَغْفُلْ فَالغفلةُ بوارٌ^(٢)، و«عليك بحسن الخلق»^(٣)؛ ليرضى عنك الله، ويرضى عنك النَّاسُ، فَإِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّ عَبْدٍ، هَلْ تَدْرِي مَنْ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا؟ قَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا»^(٤)، وارضم الضُّعْفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ، واعطفْ عليهم؛ يرحمك ربُّ السَّمَاءِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥٠).

(٢) البور: الأرض التي لا تصلح للزَّرع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠/٢٥٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٢٩٥).

(٤) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٥٢١٩).



السَّمَاء»، رواه أحمد عن ابن عمر^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].



(١) رواه أحمد، رقم: (٦٤٩٤).





المرأة في الإسلام

«٦»

الحمد لله الذي خلق، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿٢﴾ [العلق: ٢]،
 و﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾
 [النساء: ١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿يَهَبُ لِمَنْ
 يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ
 مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً ﴿[الشورى: ٤٩-٥٠]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
 دعا إلى العدل الخلق كافة، فهم في الحق سواء، «لا فضل لأحد
 على أحد إلا بالتقوى»^(١)، وذلك عند الله، اللهم صل وسلم على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

عباد الله، اتقوا الله، وابتغوا إليه الوسيلة، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التحل: ١٢٨]، وبعد:

فإن مما يثير الدهشة ما نسمعه من بعض المتكلمين، أو نقرؤه في
 بعض الصحف عن المطالبة بحقوق المرأة تارة برفع مكانتها
 الاجتماعية، وتارة بمساواتها مع الرجل، وتارة بإعطائها الحرية
 الكاملة أو ممارستها أعمال الرجال إلى غير ذلك من ألفاظ وتعابير
 تُقال أو تُكتب.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٥٤٧).

فيا أيها المسلمون إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ قد هَيَّأَ للمرأةَ بنظامِهِ العادل، ودستوره الخالد مكانةً تساوي مكانةَ الرَّجُلِ في جميع الحقوق والواجبات، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨]؛ لأنَّ الرَّجَالَ ما زالوا حَمَالِي الأعباء الثِّقال، والحُماة المدافعون عن الكيان، وهم وحدهم الَّذِينَ يوجِّهون التَّاريخ إلى المستقبل المرسوم.

وكانت المرأةُ قبل الإسلام تُورَثُ كما يورَثُ المال، فجاء الإسلامُ ورفعها إلى المكان اللَّائق بها، فهي أُمٌّ وأختٌ وزوجةٌ و بنت، لها في قلوبنا المكانة السَّامية، ولها مِنَّا التَّوقير والاحترام إن كانت أُمًّا، ولها في جوانحنا الحُبُّ والحنان والرَّفق إن كانت غير ذلك، والمرأةُ في الإسلام شريكةُ الرَّجُلِ في حياته المنزليَّة، والمسكين في دين مُحَمَّدٍ ﷺ هو ذاك الرَّجُلِ الَّذِي لا زوجةَ له، والأنثى التي لا زوجَ لها، فنرى ديننا القويم لم يهمل هذه النَّاحية، فقد جعلَ للمرأةَ حقوقًا، وجعلَ عليها واجبات، كما جعلَ للرَّجُلِ حقوقًا، وجعلَ عليه واجباتٍ، وأوجبَ التَّعاونَ بين المرأة والرَّجُلِ في سائرِ شؤونِ الحياة، فهما متضامنان في الخير، ينشدان مصلحةَهما الخاصَّةَ ومصلحةَ العائلة لتكون حياتهما سعيدة، ومع هذا فهما مطالبان بمصلحةِ المجتمع.

أيُّها المسلمون، إنَّ المرأةَ نصفُ الأُمَّة، ولولا المرأةُ لما وُجِدَ الرَّجَالُ، ولو قُدِّرَ للمرأةُ أن تهلكَ لهلكَ الرَّجَالُ حتمًا، والإسلامُ ربطَ بين هذين النِّصفيين برباطٍ مُحكمٍ متينٍ، يضمنُ تماسكَ المجتمعِ



الإسلامي وبقائه، فلا ينهار كما انهارت الأمم التي ميّزت بين بنيها وبناتها، أو كما انهار مجتمعنا حين تركنا ديننا، وغفلنا عن كتاب ربنا، وعدنا إلى الجاهلية الأولى، وفضلنا الذكور على الإناث، فكان أحدنا إذا بُشّر بالأنثى فكأنما بُشّر بكارثة، اكفهر^(١) وجهه، وساء خلقه، وزاد غضبه، ونسي ربه الذي يقول: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، نعم إنه يغضب إذا وهبه الله العليُّ الأعلى أنثى، ويفرح إذا وهب له أحد المخلوقين شيئاً من حطام الدنيا، ويتقبله بقبول حسن، ويقدر واهبه، ويعترف بفضله، ويطلق لسانه بمدحه، والثناء عليه!

أيها المسلمون، إن البنت هبة من الله، كما أن الذكر هبة من الله والله أعلم بالصالح، وكم من ذكر كان شقاءً في حياة والديه، وكم من أنثى كانت هناءً وسعادةً لوالديها، نفعتهما ببرها في حياتهما، وبالذعاء الصالح لهما بعد وفاتهما.

والإسلام لم يُفضل رجلاً على امرأة، ولا امرأة على رجل، بل قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والفضل لمن عمل عملاً كان له أثر في رفعة الإسلام، وعز المسلمين.

ورب امرأة مسلمة أفضل من ألوف الرجال من المسلمين؛ لأنها أرقى منه عقلاً، وأسمى خلقاً، وأظهر ضميراً، وأكمل إيماناً، فخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، كانت أفضل من أمّة بسبقها إلى الإسلام، ودفاعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفانيها في سبيل الدعوة إلى الله،

(١) اكفهر الرجل: عبس. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤/٦٥).

وإنفاقها جميع مالها في سبيل الدين والدعوة إليه، وعائشة رضي الله عنها فضّلت على كثير من الرجال بعلمها وحكمتها، وأم سلمة رضي الله عنها فضّلت برأيها وحنكتها؛ لأنها أنقذت جيشاً مسلماً كاملاً من هلاكٍ كاد أن يقع فيه.

وخولة بنت الأزور رضي الله عنها فضّلت بشجاعتها، وقوة بأسها؛ لأنها فعلت في اليرموك أفعالاً عجزَ عن فعلها شجعان الرجال، وما حديثُ نسبة الأنصاريّة بمجهول^(١)، إنّها نسبة بنت كعب بن النّجار الأنصاريّة، تلك التي حضرت مع أختها العقبة الثانية، وبايعتا رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجت مع زوجها زيد بن عاصم رضي الله عنه في غزوة أحد، وكان معها سقاء ماء تسقي منه المجاهدين، ولما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تقاتلَ دونه بالسيف حتى جرحَتْ في عاتقها، وشهدت بيعة الرضوان، وبايعت من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله على الموت، وشهدت حروب اليمامة مع ابنها حبيب، وحاربت مع المسلمين مُسيلمة الكذاب، وقُتِلَ ابنها وقُطعت يدها، وجرحَتْ اثني عشر جرحاً، وهكذا كان كثيرٌ من نساء الصّدر الأوّل في الإسلام.

أيها المسلم، لا تجد ظالماً أظلم من ذلك الذي ينسبُ لديننا العادل الحنيف هوانَ منزلة المرأة، ولا من الذي يقول: إنّ الإسلام قد غصبَ حرّية المرأة، وبخس حقّها، وهدر كرامتها، ويستدلُّ على

(١) انظر: الإصابة في تمييز أخبار الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٤٤٢/٨)، وقد ذكر الحديث بلفظ: «ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني».



ذلك بالحديث الشريف الذي يقول رسول الله ﷺ فيه: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب لبَّ الرجل الحازم من إحداكن»^(١)، ولا يخفى معنى هذا الحديث على من له عقلٌ ودينٌ حتى من النساء، فالتقصُّ العقليُّ في المرأة هو في عاطفتها، فإذا أحببت أسرفت، وإذا كرهت أسرفت، وأما التقصُّ الدينيُّ فإن للمرأة أحوالاً تسقط بها عنها الصلاة والصيام، وهذا ما قاله علماء الصدر الأوّل من الإسلام في تفسير هذا الحديث.

أما أولئك الذين لا عقلَ لهم ولا دينَ فإنهم يفسّرونه حسب أغراضهم، يريدون أن يشوهوا بذلك معنى الإسلام، ويطفئوا نورَه، وقد قال الله في ذلك: ﴿وَيَأْتِكُمْ اللَّهُ إِلَآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وقال أيضاً: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّيِّ يَمْنَى﴾ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

ويقول في الثانية:

أيها المسلمون، كان الناسُ في عهد الجاهلية ينقسمون قسمين في نظرتهم إلى المرأة: قسمٌ غالى في حبّها حتى عبدها، وشبهه لها من الأصنام العزى، وإساف، ونائلة، ومناة، وقسمٌ غالى في كرهها حتى وأدها أو ورثها كما يورث المال.

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٠٤).

واليوم عادَ النَّاسُ إلى تلکم الجاهلیَّة، وأصبحوا بین ثائرٍ علی المرأة یریدُ حرمانها من العلم، وحبسها فی الدُّور، وقسمٌ یطالب بخروجها عن التَّقالید والدِّین، ولو رجعنا إلى الدِّین الحنیف لاسترحنا من الخصام بین هؤلاء وهؤلاء.

إنَّ الدِّینَ الإسلامیَّ لزمَ فی ابنة آدَمَ الوسط، أوجب تعلیمها كما أوجب تعلیم الرِّجال وفرض علیها العبادة كما فرضها علی الرِّجال وطالبها بالعمل كما طالب به الرِّجال، فهي نصف الأُمَّة بل هي النِّصف الأهمُّ، هي الأمُّ، وأُمَّةٌ لا تَصْلُحُ أمُّها أُمَّةٌ هالكةٌ، والطفَّل الَّذی تربَّیه أمٌّ صالحَةٌ یكون عضوًا صالحًا فی أمته، والطفَّل الَّذی تربَّیه أمٌّ جاهلةٌ یكون وبالًا علی أمته إن لم یکن عالَةً علیها، فکما یقول حافظ إبراهیم:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعبًا طیبَ الأعراق^(١)
فاتَّقوا الله - أيها المسلمون - فی النساء، واتَّقوا الله فی بناتکم
علموهنَّ وأعدوا منهنَّ نساءً مسلماتٍ وبناتٍ راشداتٍ، وزوجاتٍ
حافظاتٍ، وأمَّهاتٍ صالحاتٍ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

[التَّحْرِيمُ: ٦].



(١) انظر: جواهر الأدب، للهاشمي (٢/٢٤٩).



دسائس الاستعمار

«٧»

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الربُّ الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بالمؤمنين رؤوف رحيم، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله حقَّ تقاته، واعلموا أن الله سُبْحَانَهُ وَعَدَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ
بِالنَّصْرِ وَالْخِلَافَةِ إِنْ هِيَ آمَنَتْ وَعَمِلَتْ صَالِحًا، وَأَوْعَدَهَا بِالذَّلَّةِ
وَالصَّغَارِ إِنْ خَالَفت نبيَّها وَعَصَتْ أَمْرَ رَبِّهَا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النُّور: ٥٥].

وقد كنَّا - كما أرادَ لنا ربُّنا - خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أمرنا
بالمعروف ونهينا عن المنكر وحكمنَّا بالعدل ودعونا إلى الهدى
وعلمنا الجاهل وأخذنا على يد الظالمين وناصرنا المظلومين وجاهدنا
في الله حقَّ جهاده وهدينا إلى سواء السبيل، ثمَّ طَالَ الأمدُ وجاءنا
زمانٌ كان أهله قد ضَعُفَ إيمانهم فعصوا ربَّهم، وخالفوا أمرَ نبيِّهم

وَاتَّبَعُوا دَاعِيَ الشَّيْطَانِ فَقَسَتْ قُلُوبَهُمْ وَاخْتَلَفَتْ وَجْهَاتُهُمْ وَأَصْبَحَ
 ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا﴾ [الحشر: ١٤]، تنازعوا ففشلوا وذهبت
 ريحهم، وتفرقت كلمتهم ووضعت قوتهم واستغل عدوهم هذا
 الضعف فيهم وقد نزع الله هيبتهم من قلوب أفرادهم «يوشك أن تداعى
 عليكم الأمم كما تداعى القوم على قصعتهم»^(١).

جاء هذا العدو بخيله وخيلائه، بعددِه وعددِه، بحوله وحيله، بفتنه
 ودسائسه، ولم يكفه أن احتل بلادنا بل شاءت له سياسته أن يحتل
 عقولنا وعقائدنا حتى يقضي على ديننا الذي فيه عزتنا وسلامتنا،
 والذي فيه نجاتنا في حياتنا وآخرتنا.

قال لنا هذا العدو: إِنَّ الدِّينَ شَيْءٌ وَالدُّنْيَا شَيْءٌ آخَرَ، يريد أن
 يجعل منا رهباناً في صوامع، وأمواتاً في زوايا وقبور، قال ذلك؛
 لأنّه عَلِمَ أَنَّ دِينَنَا لَا يَنْفَصِلُ عَن دِينَانَا كَمَا لَا يَنْفَصِلُ دِينَانَا عَن دِينِنَا،
 وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا رَهْبَانًا لَيْلٍ وَفَرَسَانًا نَهَارًا، وَكَانَ فِيهِمْ
 الْحَاكِمُ وَالتَّاجِرُ وَالْعَامِلُ وَالزَّارِعُ وَالْمُعَلِّمُ وَالْوَاعِظُ، وَكَانُوا كَمَا
 وَصَفَهُمْ رَبُّهُمْ: ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران:

١٠٤].

وقال لنا هذا العدو بعد كلمته الأولى: إِنَّ الدِّينَ قَيْدٌ وَلَا يُمْكِنُ
 لِلأُمَّةِ أَنْ تَتَقَدَّمَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ، فَلَوْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ
 عَلَوْتُمْ وَصَرْتُمْ فِي مِصَافِ الأُمَّمِ الرَّاقِيَةِ، أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُدْخَلَ فِي
 أَفْكَارِ الْجَاهِلِينَ أَنَّ الدِّينَ سَبَبُ جَهَالَتِنَا وَخِيبتِنَا وَذَلَّتِنَا وَانْحِطَاتِنَا،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٩٨٨٧).



وصدّقه كثيرون، وقال قائلٌ منهم قولةً السُّوء، وتبرّؤوا من دينهم، ولو عرفوا ما الإسلام لعلموا أنه ليس دين قيود؛ وإنما هو دين حرّيةٍ وعدالةٍ وأخوّةٍ ومساواةٍ وعزّةٍ وكرامةٍ ودفاع، وأنه لا نجاة لنا ممّا نحن فيه من عبوديّةٍ وتفاضلٍ وعداءٍ وذلّةٍ وخورٍ وتنافرٍ إلا أن نتمسك بديننا لنعرف الحقّ من الباطل، والضلال من الهدى، والنور من الظلمة، والسعادة من الشقاء، والعزّة من الذلّة، والنجاة من الهلاك.

وما من دينٍ كدين الإسلام يدعو أمته إلى القوّة والرّجولة والكفاح والإصلاح، ويدعو إلى تعليم الجاهلين وإرشاد الضالّين والأخذ على يد الظالمين وإنقاذ المظلومين وتحرير المستعبدين.

وقال لنا العدو الكافر: إنّ الدّينَ نتيجةٌ لانتفاضةٍ عربيّةٍ، وأنكروا النّبوةَ وقالوا بالقوميّة العربيّة، فدعوا إليها ضعاف العقول؛ ليفرّقوا بين صفوف المسلمين في مختلف بلاد الله الواسعة.

أيّها المسلمون إنّ الدّين الإسلاميّ عربيّ، بعث الله به نبيّه العربيّ، وأنزل به كتاباً عربيّاً مبيناً، حفّظ الله به لغة العرب ووحد به صفوفهم في مختلف بلادهم، ولولا الإسلام لَمَا عُرِفَت العربيّة في مصر وبلاد المغرب العربيّ، وقد دخلت العربيّة بلاد فارسَ يومَ كانت دولة الإسلام قائمةً ولم تدخل بها الحميّة القوميّة، الخلافات الطائفية، وشاءت سياسة العدوان أن تُفرّق بين العروبة والإسلام - أيّها المسلمون - إنّ الله جعل في عزّ العرب عزّ الإسلام، وقال نبيّنا ﷺ: «إذا ذلّت العرب ذلّ الإسلام»^(١)، رواه أبو يعلى عن جابر.

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (٢٣٢).

ولا إسلام بلا عربيّة، ولا عربيّة بلا إسلام، والعربيّة لغة تُقَرَّب، فقد علّمنا نبينا ﷺ أن: «العربيّة لسانٌ فمن تكلم العربيّة فهو عربيٌّ»^(١)، و«الصّلاة عماد الدّين»^(٢)، و«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٣)، فهل انفصلت اللّغة عن الدّين؟! ولَمَّا أيسَ العدو من ذلك جاءنا بدسيسة رابعة هي: القوانين، فأدخلها المحاكم؛ لكي يمحوا منها أحكام القرآن، ونسينا ما قاله لنا ربُّنا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٦٥]، نسينا هذا وأطعنا عدونا وحكمنا بقانونه، وبعد ذلك حكّمناه فينا فضللنا، فلا ديناً حفظنا، ولا خيراً نلنا، ولا مجدداً بنينا، ولا عزّاً أبقينا، فأصبحنا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

[المائدة: ٤٤] .

وتعدّدت دسائس العدو وتنوّعت، وكان آخر ما رمانا به تحبيذه هذه المناهج التّعليميّة في مدارس النّاشئة؛ النّاشئة الغضّة، أطفال اليوم ورجال الغد، حيث جعلها عربيّة صرفة، فترى النّاشئ المتعلّم يحفظ من سير رجال الغرب الشّيء الكثير بينما لا يعرف عن رجال دينه وأمتّه إلا القليل! فتراه يعرف عن وقائع الغرب وحروبه ما لا يعرف عن حروب الإسلام وأيام العرب، ويعرف عن بلاد الغرب

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٣٣٩٣٦).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري، رقم: (٧٥٦)، ومسلم، رقم: (٣٩٤).



أكثر ممَّا يعرفه عن بلاد العرب، ويقرأ تأليف الغربيين ومن على شاكلتهم ويترك كتب بني جلدته من العرب والمسلمين!

أيُّها المسلمون، لو سأل سائلٌ كيفَ الخلاصُ من هذا العذاب الواقع فينا وهل له من دافع؟ هل نتواكل فنبقى هكذا أم نعمل ولا قوَّة لنا ولا حولَ ولا حيلة؟ هل الخلاص بيدِ الأقوياء وأصحاب النُّفوذ وهم هكذا بلا دين أم بيدِ الزُّعماء؟ وكلُّهم يحتاجون إلى مرشدين ومنذرين يدلُّونهم على الطَّريق وينصحونهم لله وفي سبيل الله، ثمَّ أين هم المرشدون والمنذرون وليس فيهم إلاَّ من يبحث عن مصلحته ويسعى إلى تخمةٍ ولا يهتُمُّ أهلكت الأُمَّة أم نجحت؟!

أيُّها المسلم، يقول الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنَّه لا يصلح آخر هذه الأُمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلها»^(١)، ومن هنا نوقن أنَّ الصَّلاح آتٍ لا بُدَّ منه، وأنَّه سيكون بالقرآن فأبشر به وإن طال بك العمر، ويقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء»^(٢)، قال أصحابه: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ من بعدي من سُنَّتِي»^(٣)، وهذه أيضاً بشارة منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنَّ رجالاً من أُمَّته يصلحون ما أفسده النَّاسُ، وإنَّ هذا الإسلام سيعود كما بدأ.

أيُّها المسلمون قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٤٥).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسن.

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

وإنَّ يومَ هَوْلَاءِ قَرِيبٌ، فقد دالت دولٌ وقامت دولٌ، وشعر النَّاسُ وعرفوا النَّافِعَ وَالضَّارَّ، وميَّزوا بين العدوِّ والصِّديقِ، وانهارت عروشُ البغيِ وَالظُّلمِ، وهُدِّمت بيوتُ الفسادِ ولا بُدَّ من يومٍ آتٍ قَرِيبٍ يرفعُ فيه أنصارُ الحَقِّ أعلامَهُم، ويُنَادِي المُنَادِي بأعلى صوته: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩١﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاٰخِرُ دَعْوَانَهُمْ اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩-١٠].

ويقول في الثانية:

إنَّ عدوَّكم لكم بالمرصاد، ولا تنأمُّ له عينٌ ما عرف أنَّ في العالمِ شيءٌ اسمه الإسلامُ وكتابُ اسمه القرآنُ يدعو لوحدةٍ، ويحثُّ على تآلفٍ، وينادي لحريةٍ، وإصلاحِ مجتمعٍ ورأبٍ^(١) صدعٍ، وجمعِ شتاتٍ.

لقد حارب العدوُّ ديننا - كما بيَّنا - وكتابنا ولغة كتابنا التي يجتمع بها شملنا ويلتئم بها صدعنا، وأبى الله إلا أن تكون هذه اللُّغة هي الرابطة التي تربط ما بين الأُمَّة العربيَّة في شرقها وغربها وشمالها وجنوبها.

(١) رأب: أصلح. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/٤٥٦).



والعدوُّ كان وما زال يحارب هذه الرابطة بأساليبه السَّياسية، وحيله الإجرامية، ودسائسه الجهنمية، وما اجتمع الشرق بالغرب ولا اجتمعت الشيوعية بالرأسمالية إلا لمحاربه هذه الرابطة والقضاء عليها، واليوم - أيها المسلمون - يدسُّ العدوُّ في بعض أوطاننا دسائس الشيوعية الإلحادية الإباحية الاستعمارية الظالمة، تلك الشيوعية التي تحكم الأفراد في الجماعات، وتبيح سفك الدماء وهتك الأعراض، واستباحة الأموال، وحتى قتل النساء والأطفال، والتي لا أمن فيها على حياة ولا على عرض، وقد سمعنا وعلمنا ما فعلته الشيوعية الظالمة من جرائم في بلاد تنفذت بها، وبما أشاعته من فوضى في أوطان تحكمت فيها، ورأينا البأس والبؤس في البلاد التي سيطرت عليها، إنها والله ظلمات وظلم وضلال وشؤم وإرهاب وقتل وفوضى وهتك ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقد قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «اشتدَّ غضب الله على من ظلم ولا يجد ناصرًا غير الله» رواه الدَّيْلَمِيُّ عن عليٍّ^(١)، و«إنَّ الله يملِي للظالم حتى إذا أخذه لم يفتله»^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠١﴾﴾ [هُود: ١٠٢].



(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، رقم: (٨٠٨٠).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٣).





الدِّينُ عِمَادُ الْمَدِينَةِ

«٨»

الحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه، والحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، والحمد لله ملء سماواته وأرضه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه وجبروته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نصر الله به الحق وأزهد الباطل، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمداً وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، واعلموا أنه قد قال قائلٌ من النَّاسِ مَمَّنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي الدِّينِ: إِنَّ تَخَلُّفَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ رُكْبِ الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ نَتِيجَةٌ لِمَسْكُوحَتِهِمْ بِدِينِهِمْ، يَمْنَعُهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْحَيَاةِ وَزِينَتِهَا، وَيَعْوِقُهُمْ عَنِ اللُّحُوقِ بِرُكْبِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي مَيَادِينِ رَقِيَّتِهَا وَحَضَارَتِهَا.

لقد شوَّهوا معنى الإسلام وجعلوه دين وحشيَّةً وتقشُّفٌ، ورهبنة وحرمان، هذا بعض ما قاله دعاة السُّوء والشرِّ عن الدِّين الذي أشرق في بطاح مكَّة فأضاء بنوره العالم بأجمعه، وبدد عن العالم دياجير الجهل والضلال، والذي رفع علم الحرِّيَّة في جميع أنحاء المعمورة يوم لا حرِّيَّة تعرف في العالم، ودعا للأخوَّة والعدالة والمساواة يوم لا إخاء ولا مساواة بين مختلف طبقات البشر.

والحقُّ أقولُ: إنَّه لم يتخلَّف المسلمون عن رُكْبِ الْحَضَارَةِ

العالمية إلا يوم تركوا دينهم وتجاهلوه، وسمحوا للحضارات الأجنبية عنهم أن تدخل ديارهم ودورهم وللدسائس الغربية أن تحتل أذهانهم وعقولهم، لم يتخلف المسلمون إلا يوم تساهلوا في تطبيق أحكام دينهم ويوم تغافلوا أوامرهم وتجاهلوا نواهيهم.

وها إننا وصلنا إلى زمنٍ تجاهلنا فيه الإسلام، فليس لنا من عقول المسلمين حظ، ولا في قلوب المسلمين نصيب، نغضب إذا نسبنا لغير الإسلام وليس لنا في الإسلام سوى الاسم، صار الإسلام لنا شعبية وإن شئت - أيها السامع - فقل جنسية ولم نجعله ديناً، لماذا؛ لأن الدين أوامر ونواهٍ، وحلالٌ وحرامٌ، وعقيدةٌ وعملٌ، فأمرٌ عملناه؟ وأيُّ نهيٍ تجنّبناه؟ وأيُّ حلالٍ كسبناه؟ وأيُّ حرامٍ عفناه؟ والله لم يتخلف المسلمون إلا يوم تساهلوا في أمر دينهم، ولن يسعدوا ولن تحسن أوضاعهم ولن تحلّ مشكلاتهم إلا إذا رجعوا إلى دينهم فإنّ فيه الحلول السّميحة لمشكلاتهم، وإنّ فيه المناهج القويمة التي تريحهم من متاعبهم.

فليعلم دعاة الشرّ أنّ الله ﷻ أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون والكافرون ومن نطق أو قال بقولهم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢] رضوا أو لم يرضوا.

إنّ هذا الدين يقول لأتباعه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ



أَلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ [المائدة: ٨٧]، وترك الدنيا في نظر الإسلام معصية؛ لأنَّ المسلم الَّذي يقعد عن شؤون دنياه وهو قادرٌ على العمل فيها، منتظرًا من الآخرين أن يكفوه شؤونها وهمومها، ويحموه جهودها ومتاعبها رجلٌ لا حظَّ له في الحياة ولا قيمة له مع الرجال، فهو ضعيفٌ تافهٌ متسوّلٌ حقيرٌ، والإسلام يأبى لأتباعه الحقارة، ولا يرضى لهم الرهبانيّة، وأيّةُ عبادةٍ يتقرَّبُ بها مَنْ هذا شأنه إلى الله يُرمى بها في وجهه، اللهمَّ إلّا من كان عاجزًا لعاهةٍ أو مرضٍ فإنّه ليس على الأعمى حرجٌ، ولا على الأعرج حرجٌ، ولا على المريض حرجٌ، ولا على أشباه هؤلاء كالمستضعفين من النساء والولدان.

والمسلم العاجز الجهول بشؤون دنياه، وشؤون مقاومة أعدائه هو أمل الأعداء، يطمئنون إليه ويطمعون بأشكاله من المتواكلين الَّذين يرضون بالهوان والضّعة معتمدين على غيرهم.

أمّا المسلم الحقُّ فهو المسلم الَّذي لم تشغله دنياه عن دينه، ولا أشغله دينه عن دنياه، تجنَّب الدنّايا والخرافات، وتباعد عن المحرّمات، وأدّى الواجبات واتّقى الشُّبهات وأدرك صلته بربه حين قيامه بعمله فأمن بأنّه معه، ووثق بنفسه فقويت عزيمته وهابه عدوّه، واستنار عقله فدلّه على الخير، وكسب حِدَّةً في بصيرته، وحاسةً دقيقةً ميّز بهما بين الخبيث والطّيب، والنّافع والضّارّ، والله يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وقال: ﴿وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطَّلَاق: ٢-٣]﴾
 وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً
 طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا رسول الله ﷺ قد أمره ربه بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ
 رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح: ٧-٨]؛ أي: إذا فرغت من عبادتك فاتعب
 لحياتك ولا تُنْسِكِ الدُّنْيَا رَبِّكَ، وكذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ
 وكذلك كان الَّذِينَ اسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ، وَاتَّبَعُوا طَرِيقَهُ وَطَرِيقَ صَحَابَتِهِ.

يا عباد الله، إِنَّا فِي عَصْرِ كُلِّهِ فَتْنٌ، قُوَّتُهُ يَتَرَبَّصُ فِيهِ لضعيفه،
 ووضع الأمم فيه غيرُ مستقرٍّ، يخافه الغربيُّ كما يخافه الشرقيُّ،
 والقويُّ يزداد عتوًّا على عتوِّ ولا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ إِسَاءَتِهِ إِنْ أَسَاءَ؛ لِأَنَّ
 الْحَقَّ فِيهِ لَهُ، إِلَّا إِذَا قَامَ ضِدُّهُ قَوِيًّا مِثْلَهُ، وَالضَّعِيفُ فِيهِ مَسِيءٌ وَإِنْ
 أَحْسَنَ، إِلَّا إِذَا نَاصَرَهُ قَوِيٌّ يَهَابُ جَانِبَهُ وَيُخْشَىٰ كَيْدَهُ، وَنَحْنُ فِيهِ بَيْنَ
 كَفَّتِي مِيزَانٍ، وَلَا مَخْرَجَ لَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ سِوَى الدِّينِ؛ دِينِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ، إِنَّهُ يَدْعُونَا لِأَن نَّكُونَ أَقْوِيَاءَ حَتَّىٰ نَتَخَلَّصَ مِنْ شُرُورِ
 الْأَقْوِيَاءِ، وَلَنْ نَّكُونَ أَقْوِيَاءَ إِلَّا إِذَا أَصْلَحْنَا دُنْيَانَا، وَاعْتَمَدْنَا عَلَىٰ
 أَنْفُسِنَا، وَلَمْ نَعْتَمِدْ عَلَىٰ سِوَانَا.

بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - تَأَمَّلُوا مَعِيَ قَوْلَ رَبِّكُم الَّذِي نَزَلَ
 عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ
 اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
 وَعَدُّوا لَهُمْ مَّا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
 وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ



فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ
 لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
 حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٥٨-٦٣].

هذا هو ديننا - أيها الإخوان - يأمرنا أن نكون أقوياء عِدَّةً وعدداً
 وأن نكون حذرين يرخص عندنا المال في سبيل حياة الأمة حتى
 يهاب جانبنا ويخشى بأسنا، وينهانا أن نعتدي على من لم يبدأ
 العدوان، هذا هو ديننا يدعو إلى الحق بالقوة ويدعو إلى القوة
 بالحق، دينٌ لم يضعف بجيوشه وعدده وقواه أمام الباطل في الجزيرة
 العربية متحدياً سافراً حتى هزمه، ووقف أمام الباطل باليرموك متحدياً
 سافراً حتى هزمه، ووقف أمام الباطل بالقادسية حتى هزمه و﴿جَاءَ
 الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، واليوم نرى
 الباطل فينا قد وثقنا به وركنا إليه وها هو يدخل آمناً مطمئناً في بيوتنا
 ومدارسنا وأسواقنا ونوادينا ومحاكمنا، نجامله ونعتقد أنه باطل ولن
 نتخلص من هذا الباطل ولن يزهق إلا إذا رجعنا إلى الحق وإلى الدين
 الصحيح، والإمام مالك رضي الله عنه يقول: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما
 صلح به أولها»^(١).

وقد خاب من ظن أنه لا حل لمشكلاتنا إلا عند أعدائنا أو عند

(١) سبق تخريجه .



وجهاً بعيدةً عنّا، أولئك والله هم المتخاذلون، وهم المرّجفون^(١) خائرو العزائم ضعفاء اليقين، فاتّقوا الله - عباد الله - واحذروا دعاة الباطل وأنصار السوء، احذروا أولئك الذين يريدون أن يُطفئوا نور الإسلام فيشوّهوا من حقيقته بأفواههم وزيف أقوالهم.

ووالله لا يُصلحُ عالمكم - أيها المسلمون -، ولا يقضي على فتنه إلا الإسلام، ولا يحلُّ مشكلاته إلا تعاليم الإسلام، ولا تكون النهضة الحقيقيّة إلا بالإسلام رَضِيَ بذلك أعداء الإسلام أم لم يرضوا، فتفهّموا - أيها المسلمون - دينكم لتكونوا حملةً دعوته، وأسأل الله لي ولكم التّوفيق.



(١) أرجف القوم: إذا خاضوا في أخبار الفتن ونحوها من الأخبار السيئة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢٥/٢٣).



الإسلام أمة وهو للأمة دنيا ودين

«٩»

الحمد لله الذي أراد لهذه الأمة أن تكون خير أمة أُخْرِجَتْ للنَّاسِ، فضَّلها على سائر الأمم بأن جعلها شاهدةً على من قبلها، وجعل نبيِّها ﷺ شاهداً عليها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يجازي المُحْسِنَ على إحسانه والمسيء على إساءته، فيقول: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [النِّسَاء: ١٢٣-١٢٤]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله علَّمنا أن من عَمِلَ نَجْحَ وَأَفْلَحَ، ومن عَجَزَ فَلَيْسَ لَهُ مَعَ الْعَامِلِينَ نَصِيبٌ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَلَا تَشْغَلْكُمْ دُنْيَاكُمْ عَنْ آخِرَتِكُمْ، وَلَا تَضَعُوهَا بِيَدِ غَيْرِكُمْ، يَكْفُونَكُمْ شُؤْنَهَا، وَيُدْفَعُونَ عَنْكُمْ هُمُومَهَا، وَيَحْمُونَكُمْ مِنْ جَهْدِهَا وَعَوَادِيهَا، وَيَجْنُونَ خَيْرَاتَهَا وَثَمَرَاتَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا تَارِكُونَ، وَإِنَّ أُمَّةً تَكِلُ أَمْرَ دُنْيَاهَا لِغَيْرِهَا، أُمَّةٌ ضَعِيفَةٌ تَافَهُةٌ، لَا حِظَّ لَهَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَا شَأْنَ لَهَا بَيْنَ الْأُمَمِ،

وإنَّ أُمَّةً هَذَا شأنها هي أَمَلُ أعداء المسلمين، بها يطمعون، ولأمثالها ينظرون، وعلى أشباهها يسيطرون؛ ليجعلوا أبناءها عبيدًا مسخرين لهم، ومن خيرات بلادها مادة عيشهم وثرائهم.

ومن الغريب أنَّ المسلمين في عصورهم الأخيرة جَهِلُوا الدُّنْيَا بمعناها الصَّحِيحَ وأقبلوا عليها بالمعنى الَّذِي لا يرضاه لهم دينهم، بل حذرهم منه نبيُّهم، فخسروا عزَّتْهم وحرَّيتهم وبلادهم، وسلَّط اللهُ عليهم من لا يخافه فيهم ولا يرحمهم، ولو أنَّهم رجعوا لدينهم لسَلِمُوا من كلِّ شيءٍ أحاط بهم، وَلَحَلَّتْ مشكلاتهم، ويقول اللهُ في ذلك: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

يا عباد الله، هذه الدُّنْيَا الَّتِي نعيش فيها لا يريدُها الإسلامُ لأُمَّته، ولا يرضى لهم أن يعيشوا فيها، فالإسلام لا يريدُ دنيا تُلهي عن الواجبات، ويجري أهلها وراء المَلذَّاتِ والشَّهوات، ولا يريدُ لأُمَّته دنيا تُشغِلُ عن ذكر الله والآخرة والصَّلَاة، ولا يريدُ دنيا يتعلَّقُ بها البخلَاءُ، ويبذرُها السُّفهاءُ، ولا يُبذَلُ منها لمعروفٍ، ولا يُعَاثُ بها ملهوفٌ، ولا يُؤدَّى منها واجبٌ، ولا يُقَهَّرُ بها ظالمٌ، ولا يُردُّ معتدٍ، ولا يُنصَرُ مظلومٌ، ولا يريدُ لأُمَّته دنيا يتعشَّقُها المغرورون الَّذين لا يميِّزون بين حقٍّ وباطلٍ، ولا يعرفون إلا أن يقدمهم النَّاسُ لأنَّهم أغنياء، وأن يحترمهم لأنَّهم وجهاء، ولا يلتفتون لِمَا عليهم من حقٍّ ولو هَلَكَ كلُّ الخَلْقِ.



والإسلام لا يريد لأُمَّته دنيا ينحصر طُلَّاب المادَّة في مآربها ومطالبها، فلا يعلمون شيئاً غيرها ولا يطلبون شيئاً سواها، ولا يريد لأُمَّته هذه الدُّنيا الَّتِي تَمْلِكُ أهلها، فيصبحون عبيداً لها، أذِلَّةً أمام مادَّتها، ضِعْفَاء عند نعيمها ورغدها، جنباء عند بأسها وبأسائها.

يا عباد الله، الإسلام يريدنا أن نملك الدُّنيا لا أن تملكنا، ويريدنا أن نكون أحراراً في هذه الحياة لا أن نكون عبيداً مستعمرين لعدوِّ بعيدٍ عنَّا في دينه وقوميتِه ولغته، ويريدنا أن نعمل ونعمل حتَّى لا نحتاج لعدوِّنا في طعامنا ولباسنا وجميع مقوِّمات حياتنا، ويريد لنا يدًا عُليا لا تَعْلُو عليها يدٌ، ويريدنا أن نكون أُمَّةً واحدةً قويةً لا تخشى الأمم، ويدًا واحدةً في جميع أمورنا يعطف غنينا على فقيرنا، ويعين قويُّنا ضعيفنا، ويرحم كبيرنا صغيرنا، ويوقِّر صغيرنا كبيرنا.

يريدنا الإسلام أن نكون دعاة حقٍّ نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، ونحكم بالعدل ونهدي إلى البرِّ وندعو إلى المساواة، لا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلاَّ بالعمل الصَّالح النَّافع المُنتج، ويريدنا أن نعيش في هذه الدُّنيا أقوياء ندافع عن كياننا ونشأر لِمَا لَحَقَّ بديننا وعروبتنا من عدوِّنا، وندافع عن نساتنا ووطننا، ونقضي على الخونة والمفسدين فينا، وأن نتباعد عن هذه الحياة المائعة؛ حياة التُّرف والبذخ، حياة الدُّعة^(١) والسَّكينة، وأن نكون رجالَ بأسٍ ونضالٍ، على استعدادٍ متواصلٍ وحذرٍ دائمٍ وأُهبَّةٍ يقظةٍ؛ لأننا ما زلنا أمام العدوِّ الكافر يتربَّص بنا الدَّوائر، فلا نخرج معه من دائرةٍ إلاَّ وندخل

(١) الدُّعة: الخفض. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/١٤٥).

في أخرى أولى بالحذر من الأولى، وأحرى بالبذل في سبيل السلامة منها.

يا عباد الله، علمنا النبي ﷺ أن الاستسلام إلى الشهوات سقوط بالهمة، وخور في العزيمة، وضعف في اليقين، وانصياع مع الشيطان.

إن الدين الإسلامي لم يحرم علينا زينة الدنيا وملاذها ومُتَعَّها، وإنما حرم علينا الانغماس في شهواتها، وحرم علينا ما يشغلنا عن الواجب والحق، وما يفسد أجسادنا عن القيام بما فرض علينا، وقد قال لنا نبينا محمد ﷺ: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى»^(١).

عباد الله، ها نحن في حالٍ لا نحسد عليه، ولا يرضاه لنا الدين القويم ولا العقل الصحيح، ترف أفسد أجسادنا عن تحمّل الكوارث، وأناقته اشترك فيها ذكورنا وإناثنا، وميوعة ظهرت على رجالنا ونسائنا، وشبعت البطون، وسمنت الأبدان، وجمحت^(٢) الشهوات، وخارت القوى، وضعفت القلوب، فألهتنا الكماليات التافهة عن الأمور النافعة، وأشغلتنا المظاهر الجوفاء عن التفكير في مستقبل أمورنا، فالشُّحُّ ملك حواسنا واستحوذ على مشاعرنا، والقطيعة فرقت بين صفوفنا وأفرادنا، وأصبح كلُّ فردٍ منا لا يرى إلا

(١) رواه البزار، رقم: (٣٨٤٤).

(٢) جمح: أسرع إسراعاً لا يرده شيء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/٤٢٧).



مصلحته، فلم نفتح بابًا لإشباع جائع أو إعطاء محروم أو مواسة منكوبٍ أو إطعام مسكينٍ أو إيواء مُشردٍّ أو إغاثة ملهوفٍ.

يا عباد الله، إننا في زمنٍ الفوزُ فيه لمن تيقَّظَ، والخيبةُ فيه للغافلين، وإنَّ في دينِ الله حلولا لمشكلاتنا، وخلاصا لنا من متاعبنا، فإنَّ حَسَنًا أوضاعنا على نحو ما جاء به ديننا نجونا وحَسُنَت أحوالنا وإلا فالويل لنا والعاقبة للمتقين، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «تَعَسَّ عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة»^(١)، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخَطَ، تَعَسَّ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ، طوبى لعبدٍ آخِذٍ بعنان فرسه في سبيلِ الله، أشعثُ^(٢) رأسُهُ، مغبرةُ قدمَاهُ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقَةِ^(٣) كان في السَّاقَةِ، إن استأذَنَ لم يُؤذَنَ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعَ»^(٤).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هُود: ١٥-١٦]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ [السَّجْدَةِ: ١٨].

(١) الخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ أَسْوَدٌ مَرَبَّعٌ لَهُ عِلْمَانٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧/٥٦٦).

(٢) الشَّعْتُ: المُعْبَرُ الرَّأْسُ، المُتَنَتِفُ الشَّعْرُ، الحافُّ الَّذِي لم يَدَّهَنَ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٦٠/٢).

(٣) السَّاقَةُ: جَمْعُ سَائِقٍ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسُوقُونَ الْجَيْشَ الْغَزَاةَ وَيَكُونُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ يَحْفَظُونَهُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٥/٤٧٤).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٢٨٨٧).

ويقول في الثانية:

أما بعد:

عباد الله، اتَّقُوا اللهَ واشكروه على نعمه، فإنَّ كلَّ خيرٍ نعمةٌ، وكلَّ
لذَّةٍ نعمةٌ، وكلَّ سعادةٍ نعمةٌ، والنَّعمة الكُبرى هي الإيمان الَّذي ننال
به السَّعادة الباقية في جنَّات التَّعيم ولا ننال ذلك إلاَّ بأنْ نشكره
ونذُكره، ولا يفيدنا شكر اللِّسان إذا كنَّا مُصِرِّين على العصيان نبذِّر
نعمَ الدُّنيا في المنكرات ونصرفُ قوانا في المحرَّمات .

أخي في الله، احمد الله بلسانك، وصدِّق قولك بفعلك، وليكن
لك من نفسك زاجراً عن الذَّنْب، وأطع ربَّك في سرِّك وعلانيَّتكَ،
وطهَّر باطنك كما طهَّرت ظاهرَكَ، وكن مع الله يكنُ الله معك، ﴿إِنَّ
اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨] .

وقد سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رجلاً يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النُّعْمَةِ
فقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام له: «هل تعلم ما تمام النُّعْمَة؟ قال
الرَّجُل: لا، قال: تمام النُّعْمَة دخول الجنَّة»^(١) .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢] .



(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٢٧)، وقال: حديث حسن .



مكارم الأخلاق

« ١٠ »

الحمد لله أمر بمكارم الأخلاق؛ ليعيش الناس إخوةً متحابين في الله، والحمد لله من على عباده المسلمين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويطهرهم من دنيا العادات ورتائل الأخلاق، والحمد لله الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليجعل من أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع صراطهم المستقيم، اتقوا الله عباد الله، اتقوه حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، فإن الله بعث محمداً بالإسلام لينقذ الناس من الرذائل، ويطهر ألسنتهم من سوء القول، ونفوسهم من سوء الخلق، وقلوبهم من سوء الظنِّ والغلِّ والحقد والحسد.

والإنسان متى عاش سليم القلب مبراً من وساوس النفس، وثورة

الحقد وغلbian الحسد عاش قرير العين مرتاح الضمير، فإذا رأى نعمةً من نعم الله تنساق إلى أخيه رضي بها وأحس فضل الله فيها وسأل الله له وللمسلمين عامة المزيد منها، وإذا رأى مصيبةً بأحدٍ من خلق الله رثى ودعا له الله تعالى أن يُفَرِّجَ عن هذا المصاب كربه، ويغفر له ذنبه، وأن يقيه وجميع المسلمين شرَّ المصائب وضررها.

هذا المؤمن - أيها الإخوان - يكون ناصع الصَّحيفة طاهر السَّريرة راضيًا عن الله وعن الحياة، مستريح النَّفس من حقدٍ تعمى به بصيرته أو حسدٍ يحترق به قلبه.

والإسلام - أيها المسلمون - لا ينظر إلى الصُّور والأعمال، ولا إلى الملابس والقشور وإنما ينظر إلى القلوب، والقلب إذا كان أسود أفسد الأعمال الصَّالحة، وطمس بهجتها، وعكَّر صفوها، والقلب المغشوش لا يحفظ الإيمان، فهو يتسرَّب منه كما يتسرَّب الماء من الإناء المثلوم^(١)، والقلب المُشْرِق يبارك الله في قلبه، وصاحبه به سعيد؛ لأنَّه اتقى الله وتجنَّب محارمه فوفَّقه الله، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، ومن تزكَّى فإنَّما يتزكَّى لنفسه وإلى الله المصير، وإصلاح القلب يفتح باب الأمل لمن تورَّط في الإثم وقارف الذَّنْب؛ ليغيِّر حياته إلى حياة أفضل، وينفي عنه اليأس بإصلاح نفسه ثقة برَّبه تعالى إذ يقول: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الرُّم: ٥٣]، وإذا أيقن العبد أن له ربًّا

(١) ثلم الإناء: كسر حرفه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧٨/١٢)



يغفر الذنب لمن تاب، استغفر ربّه وندم على ما فرط فيه وأناب، والمؤمن - يا عباد الله - لا يخضع إلا لأمر الله، ولا يرضى إلا بحكم الله، فقد طهر الإيمان قلبه، ودفعه إلى الخير وسما به عن الدنيا، فهو عف اللسان، طاهر السريرة، إن قال فقله كريماً، وإن عمل فعمله كريماً، وإن عاشر فمعشره كريماً، وإن صادق فهو كريماً وخلقه عظيم.

والمؤمن عاقل يتبصر في الأمور وينظر إلى العواقب، لا يدع فرصة يستطيع فيها كسب مال أو جاه أو علم إلا انتهبها، ولا ينسى ربّه عند مباشرة الأسباب؛ لأن العوائق جمّة، وهو في حاجة إلى مدد الله فإن لم يستعن بالله خاب.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده^(١) فهو إذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [المائدة: ٥] يقولها لسانه ويصدقها قلبه، والمؤمن لا ييأس من الوصول إلى غرضه، فتراه قد طرح عنه الكسل جانباً، ونفى عنه الخمول ظهرياً^(٢)، فقويت عزيمته، وصدق يقينه، وآمن بالله، ووثق بعونه بعد الاتكال عليه، وجدّ في مباشرة عمله ولم يتوان ولم يتمن.

والمؤمن يعمل دائماً بنصيحة رسول الله ﷺ في قوله: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن

(١) انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري. (٤٤٤/١).

(٢) اتخذ حاجته ظهرياً: استهان بها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٨٧/١٢).

لو تفتح عمل الشيطان»^(١).

أيها المسلمون، إنَّ الإيمان طهارةٌ للنفس كما هو طهارةٌ للبدن، والإيمان عيشٌ مُيسَّر، ونصرٌ مؤزَّر، وصلته بالله دائمة، وصلته بخلق الله عامرة.

والإيمان - أيها المسلمون - ثقةٌ وطاعةٌ لأمر الله ورضاءٌ بقدره، ورابطةٌ بين العبد وربِّه يمدُّه بهداها ورضاهها وأنسها وعافيتها، والإيمان بعد ذلك كلُّه يدَّخر للعبد في آخرته خيرَ مثوى وأكرم مصير.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧].



(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٧٩).



بالعمل الصّالح نسلم

« ١١ »

الحمد لله الواحد القهّار، هيّاً لمن أطاعه جنّات تجري من تحتها الأنهار، وأعدّ لمن عصاه سوء المنقلب وبئس القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العزيز الجبار، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله المصطفى المختار رغبنا بالعمل الصّالح لنفوز بالنّعيم في دار القرار، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه السّادة الأخيار، اتّقوا الله يا عباد الله، اتّقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، واعلموا أن العمل الصّالح طريق النّجاح، وسبيل الفوز والفلاح، بعث الله به الرّسل، وأنزل له الكتب، وجاهد في سبيله المصلحون، به يحيا الإنسان الحياة الطّيبة، ويفوز المرء في الآخرة بالنّعيم المقيم.

يا عباد الله، خلّق الله بني الإنسان من ذكرٍ وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل، وبيّن لنا نبيّه ﷺ أنه «لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالعمل الصّالح والتّقوى»^(١)؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلا يَلِيْقُ بالبشريّة وهذه الأُمَّة خاصّة أن يستعبد قوّتها ضعيفها، أو يُحقّر غنيّها فقيرها، أو يتناول خواصّها

(١) سبق تخريجه .

على عوامها، أو يتعالى سادتها على سوقتها؛ لأن الأب واحد، و«الناس بنو آدم وادم من تراب»^(١)، والخالق الرّازق هو وحده الحقيق بأن يُعبد ويُحمد، وهذا سيّدنا محمّد رسول الله ﷺ يقول لأهله وعشيرته: «لن ينجي أحدًا منكم عمّله»^(٢)، وقال: «اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عبّاس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمّة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمّد سليني ما شئت من مالي لا أُغني عنك من الله شيئًا»^(٣)؛ لأنّ الأنساب الكريمة، والأحساب الرّفيعة لا ترفع من وضع عمله الخبيث، والأحساب والأنساب الوضيعة لا تصع من رفعه إيمانه وتقواه وعمله الصّالح، وهذا نبيّ الله سيّدنا نوح ﷺ حرص كلّ الحرص على تخليص ابنه من عذاب الله فدعاه إليه وناداه أن يركب معه في سفينته لينجو مع النّاجين، ولكن هذا الابن كان ممّن سبق عليه الكتاب أن يكون من المغضوب عليهم، فلم يؤمن بدعوة أبيه نوح ولم يصدّق رسالته، فأبى أن يركب السفينة مع الرّاكبين، وقال: ﴿قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمْنَا وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ [هُود: ٤٣]، وذهبت نفس الأب الرّحيم على ابنه حسرات، وأدركته العاطفة

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٤٦٣).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٢٧٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٠٦).



الحانية الرقيقة، عاطفة الأبوة البارّة فتوجّه إلى ربّه يسأل وعده له في نجاة أهله، وقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [هُود: ٤٥] فأجابه العليّ العظيم العليم الحكيم: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هُود: ٤٦]، وغير الصالح لا يكون مع الصالحين.

وهذا نبيّ الله سيّدنا إبراهيم عليه السلام جاهد أباه ليدخل في دينه وقال له: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٦﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٧﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٨﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٢-٤٥]، ولكن الأب لم يكن من الصالحين، بل كان من الضالّين المضلّين، وكان من أولياء الشيطان المخلصين، وقال لابنه البارّ إبراهيم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] فحاول إبراهيم أن يستغفر الله لأبيه، ويدعو له، ولكن لما تبين له أنّه عدوّ الله تبرّأ منه، والقرآن يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، والدين الإسلامي لم يرفع أحداً لحسبه، ولا وضع أحداً لضعة نسبه، ونبيّ الإسلام عليه الصلوة والسّلام يقول: «ليس لعربيّ على عجميّ فضلٌ، ولا لأبيض على أسود فضلٌ إلاّ بالتقوى»^(١).

ولم تنفع الأنساب والأحساب أحداً يومَ كان أمرُ المسلمين بيد

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٦).

أبي بكرٍ وعمر بن الخطّاب وأشباههم من أمراء المؤمنين، وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب في الدُّخول عليه بلائاً الحبشيّ وسلمان الفارسيّ، قدّمهما على أبي سفيان وسهيل بن عمر العربيّين القرشيّين، فغضبَ أبو سفيان لذلك غضباً شديداً فقال له سهيل: «سبقونا بالإيمان فسبقونا بالدُّخول، إن كنت غاضباً فاغضب على نفسك لقد دعينا جميعاً إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا فكيف بنا إذا دعوا يوم القيامة وتركنا»^(١).

يا عباد الله، يقول عمر بن الخطّاب: «لئن أتى الأعاجم بالعمل الصّالح وجئنا نحن من غير عمل كانوا هم أولى بحمدنا»^(٢).

والعمل الصّالح - أيّها الإخوان - يقرب المرء من ربه ويقربه من النّاس، فالإيمان بالله وخشيته وذكره وشكره والتّوكل عليه وامتنال أوامره واجتناب نواهيه والإخلاص له في العبادة والدُّعاء ممّا يتقرب به العبد من ربه، وإصلاح النّفس بالأخلاق الكريمة؛ بالصدق والعفو عند المقدرة والأمر بالمعروف والإصلاح بين النّاس وحسن معاملتهم ومعاشرتهم والإحسان إليهم والتّعاون معهم وبذل المعروف في سبيل صالحهم والنّصيحة لهم تُقرب الإنسان من النّاس، وترفع مقامه فيهم، وتُحبّبه إليهم، والعمل الصّالح - يا عباد الله - سبيل النّجاح في الدُّنيا، وسبيل النّجاة في الآخرة؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا

(١) أورده المراغي في تفسيره (٢٩/١٥).

(٢) لم أقف عليه ولم أجده فيما لدي من مصادر.



بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣]، وقال ﷺ: «من أكل طيبًا، وعَمِلَ في سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسَ بِوَأْتِقِهِ»^(١) دخل الجنة»^(٢)، وقال ﷺ: «أفشوا السَّلامَ، وصَلُّوا الأرحامَ، وأطعمُوا الطَّعامَ، وصلُّوا بالليل والنَّاسَ نيامَ، تدخلوا الجنةَ بِسَلامٍ»^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾
[التحل: ٩٧].



(١) البوائق: الظلم والشر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠٦/٢٥).
(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٥٢٠)، وقال: حديث غريب.
(٣) رواه ابن ماجه، رقم: (١٣٣٤).





طريق النَّجَاح وطريق الخيبة

«١٢»

الحمد لله الَّذِي لَا مُعَوَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ، مَفْرَجِ الْكَرُوبِ عَمَّنِ التَّجَاؤِ
إِلَيْهِ، وَبِرَحْمَتِهِ يَتَرَا حِمَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَهَدَايَتِهِ يَهْتَدِي
الضَّالُّونَ، يَعْلَمُ الْمُصْلِحَ مِنَ الْمُفْسِدِ، وَيَجَازِي كَلًّا بِمَا كَسَبَ، وَ﴿هَلْ
تُجَزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الْأَمِينَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَظْهَرَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ رَغْمَ أَنْوْفِ
الْمُلْحِدِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُرْشِدِينَ، وَمَنْ أَتَّبَعَ سُنَّتَهُمْ فَنَصَرَ هَذَا الدِّينَ ﷺ
أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَاضِحٌ بَيِّنٌ، وَطَرِيقَ الشَّرِّ ظَاهِرٌ مُظْلَمٌ، وَالْإِنْسَانُ
مَرهُونٌ بِالطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُهُ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْخَيْرِ فَلَهُ النِّجَاةُ
وَالْفَلَاحُ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الشَّرِّ فَالْخَيْبَةُ وَالْهَلَاكُ.

فَانظُرُوا - أَيُّهَا الْإِخْوَانُ - أَيَّ الطَّرِيقَيْنِ تَسْلُكُونَ، وَأَيَّ الْبَابَيْنِ
تَدْخُلُونَ، إِنَّ طَرِيقَ الْخَيْبَةِ وَالْهَلَاكِ مَفْتُوحٌ لِمَنْ أَغْضَبَ اللَّهُ رَبَّ
الْعَالَمِينَ، وَرَغِبَ عَنِ آدَاءِ أَوْامِرِ هَذَا الدِّينِ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ سُنَّةِ
سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَلِمَنْ عَدَلَ عَنِ صَحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وَمَالَ إِلَى الْمُفْسِدِينَ

والسُّفهاء والأشرار، وانهمك في اللذات، وجنح إلى السيئات،
وخان الله ورسوله فخان شعبه ووطنه، ومال إلى أعداء أمته ومن
والاهم من الأذنب والخونة ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، أمّا طريق النجاة والفلاح فهو مُعَبَّدٌ
مفتوحٌ لمن أحيا شعائر دينه بإخلاص، فأقام الصلاة وأدى الزكاة،
وسلك سبيل الصالحين، وأحيا سنة سيّد المرسلين، ولمن أمر
بالمعروف وأتمر، ونهى عن المنكر وانتهى، ولبي داعي الخير إذا
دعاه إلى الخير، يسعى إلى النفع العام، ويبذل في سبيل صالح الأمة
كلّ ما يملك من جاهٍ وحطام، يجاهد في سبيل الله وإعلاء كلمته،
ويناضل في سبيل إسعاد وطنه وأمته، ويكافح عدوّهم بجهد وطاقته،
فهو المواطن الصالح إذا عُدّد الصالحون، وهو المجاهد المخلص إذا
عُدّد المخلصون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[المجادلة: ٢٢] •

يا عباد الله، اتّقوا الله وكونوا ممّن اختارهم الله لسلوك طريق
النجاة والفلاح، واعلموا أنّكم إن نصرتم الله نصركم، وإن أعزّتم
دينه أعزّكم، وإن أخلصتم العمل له ربحتم، وإن تعاونتم وتكاتفتم
واتّحدتم غلبتم وانتصرتم، وإن اتّبعتم أوامر الله رفع الله عنكم كلّ شرّ
وأنزل عليكم من خزائن رحمته كلّ خير ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ
اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾
إِنَّهُمْ هُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]،
وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سنة لعنتهم،
وكلُّ نبيٍّ مُجَاب: الزائد في كتاب الله، والمُكذّب بقدر الله،



والمستحلُّ محارم الله والمستحلُّ من عِترتي ما حَرَّمَ الله، والتَّارِكُ
السُّنَّةِ»، رواه الطَّبْرَانِيُّ^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتَهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩-

• [١٠]

ويقول في الثانية:

اتَّقُوا اللهَ واسألوه الرَّحْمَةَ، ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولا تغفلوا عمَّا يدور
حولكم، فليست الغفلة من صفات المؤمنين، وهذه الحوادث تدور
حولنا، ونسمع أخبارها كلَّ يوم من قريبٍ وبعيدٍ، تهيب بنا أن تنبِّهوا
يا مسلمون إنَّ العدوَّ يكيد بكم ويريد الشرَّ لكم، فلا تستسلموا له ولا
توالوه، وإنَّ له أعواناً يوالونه ويعملون لصالحه فلا تناصروهم، وإنَّهم
يدعُونَ الإخْلَاصَ لكم فلا تصدِّقوهم، فإنَّ في نفوسهم مرضَ الخِسةِ
والخيانة، وهو مرضٌ يجب الاحتراس منه، فتجنَّبوهم وتجنَّبوا عدوى
مرضهم، ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]•

إنَّهم أنانيُّون نفعيُّون، همُّهم ملءُ جيوبهم وإن افتقر غيرهم، ولا
يسعون إلاَّ لإشباع نهمهم وإن جاع غيرهم، فمن أخلص لهم فهو

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٢٨٨٣).



منهم، ومن صدقهم لكذبهم حلت عليه لعنة الله التي أنزلت عليهم،
ومن أعانهم فهو مثلهم، إنهم يقولون ما لا يفعلون، ويعدون ولا
يوفون، ويعاهدون ويغدرون، ويحلفون وهم كاذبون ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ
لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

﴿٩٦﴾ [التوبة: ٩٦].





المسلم بين المعصية والطاعة

« ١٣ »

الحمد لله هدى من شاء إلى الصراط المستقيم، وأعد لمن عصاه العذاب الأليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بالمؤمنين رؤوف رحيم، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه دعاة الحق الذين ﷺ وأرضاهم ففازوا في الدنيا بالذكر الكريم، وفي الآخرة بالنعيم المقيم.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أن التَّماذي في المعصية إصرارٌ عليها، والإصرارُ على المعصية هلاك، ومتى تعود الإنسان على عصيان ربه أشغله عن ذكر الله، وإذا انشغل العبد عن ذكر ربه صرفه ذلك عن طاعته حتى ينطمس إيمان قلبه، ولقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٤] كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٤-١٦]»^(١).

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٤٤).

والذُّنُوبُ تُعَرِّضُ عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا تُعَرِّضُ السَّلْعُ عَلَى الزَّبَائِنِ،
فَأَيُّ قَلْبٍ قَبْلَ مَعْصِيَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي نَكَّتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ، وَأَيُّ
قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءَ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ
أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ؛ فَالْقَلْبُ الْأَسْوَدُ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي فَهُوَ فِي
مَحِيطِهَا غَارِقٌ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مَنَكِرًا، وَلَا يُحِلُّ حَلَالًا
وَلَا يُحَرِّمُ حَرَامًا، وَرَبَّمَا اسْتَحْكَمَ فِيهِ مَرَضُ الْمَعَاصِي حَتَّى يَعْتَقِدَ
الْمَعْرُوفَ مَنَكِرًا وَالْمَنَكِرَ مَعْرُوفًا.

أَمَّا الْقَلْبُ الْأَبْيَضُ فَقَدْ أَشْرَقَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ، فَإِذَا عَرَضَتْ عَلَيْهِ
الْمَعَاصِي رَفَضَهَا، وَإِذَا رَأَى الْفِتْنَةَ أَنْكَرَهَا، رَضِيَ عَنِ اللَّهِ وَامْتَثَلَ
أَوْامِرَهُ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتَعَانَ بِاللَّهِ عَلَى طَاعَاتِهِ فَأَعَانَهُ، فَفِي قَلْبِهِ
مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَفِي عَقْلِهِ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَهُوَ أَيْنَمَا حَلَّ فَلِنُورِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ
إِشْرَاقٌ.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا
يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ
الَّذِي عَمِلُوا وَبِجَزَائِهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزُّمَرُ:

٣٣-٣٥].

وهناك قلبٌ ثالثٌ؛ قلبٌ يميلُ إلى المعصية ويخاف منها ويهفو
إليها ويكرهها، فإن أخطأ ووقع فيها تاب^(١) إلى رشده فأنكر على
نفسه ما فعل، وإذا عصى ربّه راجع تفكيره، وإذا زلّت قدمه وسقط
نهض من سقطته إلى توبةٍ واستغفارٍ، فهو في صراعٍ دائمٍ بين نفسٍ

(١) تاب: رجع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠٣/٢).



أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَضَمِيرٍ حَيٍّ يِقَاوِمُ هَذِهِ النَّفْسَ، وَقِرَاعٍ^(١) دَائِمٍ بَيْنَ مَعْصِيَةٍ وَتَوْبَةٍ، وَهُوَ دَائِمًا بَيْنَ سَيِّئَاتٍ وَحَسَنَاتٍ.

فَإِنْ انْتَصَرَ ضَمِيرُهُ الْحَيُّ عَلَى نَفْسِهِ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ فَقَدْ نَجَحَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وَإِنْ غَلَبَتْ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ ضَمِيرُهُ الْحَيُّ فَقَدْ تَعَدَّى الْحُدُودَ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رُوحِهِ، وَلَا تَنْسُوا فَضْلَهُ، فَإِنَّهُ يَنَادِيكُمْ فَيَقُولُ: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(٢)، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فَاتَّقِ اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - وَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فِي الْخَيْرِ نَزَاعًا إِلَى التَّوْبَةِ مَسْرَعًا إِلَيْهَا وَلَا تَبَارِزْ رَبَّكَ بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنْ زَلَّتْ قَدَمُكَ فَوَقَعْتَ - وَابْنَ آدَمَ خَطَّاءً - فَبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ

(١) القِرَاعُ: الْمُجَالِدَةُ بِالسُّيُوفِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥٥٢/٢١).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧).



قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتْ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُبْتُ لَكَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النِّسَاء: ١٧-١٨].





الإلحاد والملحدون

« ١٤ »

الحمد لله الرَّبِّ العَظِيمِ، الواحد الكَرِيمِ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ
الظَّالِمُونَ، وَتَقَدَّسَ عَمَّا تَفَوَّهَ بِهِ المَلْحَدُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَنْزَّهَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّدِّ^(١) وَالْمِمَاطِلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَظْهَرَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَتْمَّةِ المُرْشِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا المَسْلُمُونَ فَقَدْ تَوَالَتِ الفِتَنُ، وَأَظْهَرَ كُلُّ مُنَافِقٍ مَا بَطْنُ، وَدَعَا
دَعَاةَ البَاطِلِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، صَدَعَ المَلْحَدُ بِالإِحَادِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَادِعًا،
وَجَهَرَ المَفْسَدُ بِإِفْسَادِهِ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مَانِعٌ؛ وَأَصْبَحَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ مَعْيَبًا
وَلَمْ نَشَاهِدْ عَلَيَّ المُنْكَرِ رَقِيبًا، وَلَا أُدْرِي أَهِيَ غَفْلَةٌ أَمْ عَدَمُ اِهْتِمَامٍ أَمْ
خَوْفٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ الأَوْلَى بِنَا أَنْ نَخَافَ رَبَّ النَّاسِ، لَقَدْ أَشْغَلْتَنَا
الدُّنْيَا عَنِ دِينِنَا وَيَا لَيْتَهَا دُنْيَا تَرْفَعُ مِنَّا أَقْدَارِنَا وَتُعَلِّي مِنَّا شَأْنِنَا بَيْنَ
أَصْدِقَائِنَا وَأَعْدَائِنَا، وَلَكِنَّهَا جَشَعُ دَرْهَمٍ وَدِينَارٍ وَتَكْدِيسُ فَضَّةٍ عَلَيَّ

(١) النَّدُّ: الضُّدُّ والشُّبُهَةُ، وَنَدُّ الشَّيْءِ مِثْلُهُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/

نُصار^(١)، واستكثارٌ من المال المنقول والعقار، وانشغالٌ فيما لا يَجْلِبُ العِزَّةَ أو يُعْلِي المِكانةَ أو يدفع عن الأُمَّة العار.

أيُّها المسلمون، أيُّها المؤمنون، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ يا مُدَّعي الإسلام إنَّ تيارَ الإلحاد جارِفٌ، وقد جهر مناصروه بفسادهم، وأعلنوا على المَلَأِ كلماتهم، وأصغى السَّامعون لدعاتهم، إنَّهم يريدون أن يُطْفِئُوا بضلالهم نور الإسلام، وأن يحطُّوا من أقدار الرُّسل الكرام، جهرُوا بباطلهم فلم يُنكَرَ عليهم ناكِرٌ، دعوا لضلالهم فلم يزرهم زاجرٌ، ولم تأخذ السَّامعين حميَّةً على دينهم، ولم ينطق أحدهم بكلمة دفاع عن نبيِّهم؛ لأنَّ منزلة الدِّين في القلوب تدهورت، ومكانته في النُّفوس قد ذهبت، شغلوا بما لا يسعدهم، وتركوا للظُّروف مستقبلهم، وأهملوا تربية بنيِّهم وبناتهم، وهكذا صار النَّاس لا يهتمُّون بحالٍ ولا يابهون بمستقبل.

يا عباد الله، أقسم بالله حقًّا إن لم يتدارك المسلمون أمرهم ليصبحنَّ المصلِّي مهزلةً، والمزكِّي أضحوكةً، ويكون «القباض على دينه كالقباض على الجمر»^(٢).

يا عباد الله، لا يذهبنَّ بنا الإلحاد كما ذهب بغيرنا من الأمم، فهؤلاء دعاة جهنم قيام على أبوابها، يريدون أن يضربوا دين مُحَمَّدٍ ﷺ بسهامهم المسمومة، وقد فعلوا فلم يصلوا إليه، ولكنهم قتلوا

(١) النُّصار: الجوهرُ الخالِص من التُّبَّر وغيره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤/٢٣٨).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٢٦٠)، وقال: حديث غريب.



الدِّينِ فِي نَفُوسِكُمْ وَنَفُوسِ أَبْنَائِكُمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ جَهْلِكُمْ
بِدِينِكُمْ وَإِهْمَالِكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ، وَإِنَّكُمْ إِنْ تَرَكْتُمْ الدِّينَ وَتَرَكْتُمْ الدُّعَاةَ
الْمُفْسِدِينَ؛ فَسَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، يُظْهِرُ اللَّهُ بِهِمْ دِينَهُ
وَيُعَلِّمِي بِهِمْ كَلِمَتَهُ وَيُؤَيِّدُ بِهِمْ دَعْوَتَهُ ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ
لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: ٣٨] .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُتَّقَى، اتَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يَطْغَى
الشَّرُّ ثُمَّ لَا يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا أَبَدًا، اتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَكُنْ أَصْوَاتَ
دُعَاةِ الْحَقِّ فِيكُمْ كَصُرْحَةٍ فِي وَادٍ أَوْ نَفْحَةٍ فِي رِمَادٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ
لَكُمْ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التَّحْرِيمُ: ٦]، فَخَافُوا
اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣١-١٣٢] .

وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون في آخر
الزَّمان ناس من أمّتي يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم،
فإياكم وإياهم»^(١)، وقال أيضًا ﷺ: «يخرج في آخر الزَّمان قوم
أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن بألسنتهم لا يتجاوز
تراقبهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق
السهم من الرمية»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(١) رواه مسلم، رقم: (٦).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٠٥٧) ومسلم، رقم: (١٠٦٦).

﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ
يَنْقُوتُونَ ﴿٦٩﴾ [الأنعام: ٦٨-٦٩].

ويقول في الثانية:

أما بعد:

عباد الله، اتقوا الله الذي أكمل دينكم وأتم عليكم نعمته ورضي لكم الإسلام ديناً، فتمسكوا بهذا الدين الذي رضي الله لكم، فهو دين لا يعرف الذلة إلا لله؛ لأن الذلة لغير الله إشراك وكفر، وهو دين يستشعر رقابة في كل عمل؛ لأن الإحسان فيه «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١)، وهو كما يقول نبينا ﷺ لأصحابه: «الدين النصيحة» فقالوا: لمن؟، فقال: «الله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢)، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو دين يعيش به المرء حياته لغاية تخدم أمته ومجتمعه، فما قيمة الفرد إن كان بمعزل عن مجتمعه؟!!

وهو دين طهارة؛ لأنه يطهر العقول من دنس المادية والطغيان، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ولكننا غفلنا عن كل هذا، واستغوانا الشيطان فأضلنا عن الصراط المستقيم، ولما رأى العدو غفلتنا انتهز فرصة جهلنا بديننا فجاء يطعن به أمامنا، ويسفّه أحلام علمائه على مسمع منا، ويندّد بنبيّه وأصحابه، ويلعب بعقولنا، ونحن مع هذا كله غافلون، فمتى

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٠).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٥٥).



نصحو يا مسلمون؟!

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المُلْك : ٢٢] .







اعملوا وكلُّ ميسرٍ لما خلق له

« ١٥ »

الحمد لله الذي لا ينقطع معرفه أبداً، ولا يُحصى عدداً، خلق فهدى، ولم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يترك شيئاً سدىً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه العالمين العاملين الذين أتمَّ الله بهم هذا الدين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، فاتَّقوا الله حقَّ تقواه، واعملوا صالحاً لعلَّكم تفلحون، إنَّ دينكم أمركم بالعمل ونهاكم عن التَّقاعد والكسل، وإنَّ الله أودع في هذه الأرض كنوز الخيرات، وأنزل فيها عظيم البركات ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ثمَّ إِنَّهُ ﷻ أمر الإنسان بالسَّعي لطلبها وليعمل عمله الذي ينال رزقه المقسوم له منها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المسك: ١٥]، إنَّ أبواب الرِّزق كثيرة، فمن أغلق دونه باب فليطرق الباب الآخر، فقد أنزل الله على نبيه موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «يا عبدي حرِّك يدك أفتح لك باباً من الرِّزق»^(١).

(١) انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري (٤٥٩/٣)

والله خلق هذه الأرض ذلولاً لا تميد ولا تضرب، وسلك فيها السُّبُلَ، وأودع فيها من النِّعمِ الشَّيءِ الكثير، فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردّدوا في أرجائها لأنواع المكاسب والتّجارات، أو احرقوها وازرعوها بما شئتم من أنواع النّبات، أو استخراجوا ما كنز فيها من مختلف المخبّئات، وتوكلوا على الله في عملكم واسألوه التّوفيق في سعيكم، فقد قال نبيُّكم عليه أفضل الصّلاة والسّلام: «لو أنّكم توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطّير؛ تغدو خماصاً^(١) وتروح بطاناً»^(٢)، فهذه الطّيور - يا عباد الله - خلقها الله وألهمها السّعي لطلب الرّزق، فهي تغدو مبكّرةً في الصّباح، ومسبّحةً بذكر الله فالتق الإصباح، حتّى إذا أمسى المساء راحت إلى أعشاشها مُغرّدةً بحمد الله على أن يسّر لها رزقها وأشبعها وأرواها.

وقد مرّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بقوم قعود في المسجد لا يعملون فقال لهم: «من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتكلّون، إنّما المتوكل على الله رجلٌ ألقى حبةً في بطن الأرض وتوكل على الله وَعَلَى»^(٣).

وخطب رضي الله عنه فقال: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرّزق وهو يقول: اللهمّ ارزقني، وقد علم أنّ السّماء لا تُمطر ذهباً ولا فضّة»^(٤) وإنّما

(١) خمص: الخُمصانُ والخُمصانُ: الجائعُ الضامرُ البطن، وجمّعها خِماص.

انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٩/٧).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١٦٢).

(٤) انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه (٣٤٢/٢).



يرزق الله النَّاسَ بعضهم من بعض ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾

[الجمعة: ١٠].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ الكسبِ أفضل؟ قال صلى الله عليه وسلم: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ»^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾

[النساء: ٢٩].

ويقول في الثانية:

أما بعد:

فأتقوا الله - عباد الله - فيما أمرَ واجتنبوا ما نهى عنه وزجرَ، واعملوا لمستقبلكم لعلكم تفلحون، واعلموا أنَّ الشَّراهةَ في الدُّنيا والكَدَّ فيها بلا قناعةٍ ولا اجتنابٍ للحرامِ ولا تحرُّمٍ للحلالِ يُبعدُ عن رحمة الله ويُقرَّبُ من غضبه ومن وساوسِ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وإنَّ السَّاعي في طلبِ رزقه إذا اتَّقى الله وطلب الحلالِ واجتنب الحرامِ ونَصَحَ في عمله كان كالمجاهدِ في سبيلِ الله، وإنَّ التَّعبَ في العملِ الحلالِ وفي طلبِ الرِّزقِ الحلالِ يكفِّرُ الذُّنوبَ ويمحو الخطايا ويجلب غفرانَ الله وإحسانه، وإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أمسى

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٣٩٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١٨١).

كألاً من عمل يديه أمسى مغفوراً له»^(١)، هذا إذا كان في عمله طالباً
لرزقه ولم يكن مكاثراً أو مفاخرًا أو مرأياً أو مباحياً.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا
سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]

• [١٩]



(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، رقم: (١٢٢٦٣).

مكارم الأخلاق

«١٦»

الحمد لله نرجوه التّوفيق لمكارم الأخلاق، ونعوذُ به من الشُّقاق^(١) والنِّفاق، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرشدنا بكتابه إلى الأخلاق الزّكيّة، ونشهد أن محمّداً عبده ورسوله مثال الكمالات النّفسية، والسّرائر الطّاهرة النّقيّة.

اللّهم صلِّ وسلِّم على هذا النّبِيِّ الكريم سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه الذين اتّبعوا طريقه وسلّكوا سبيله، فعاشوا عيشةً راضيةً، وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وكانوا يتّقون، أمّا بعد:

فإنّ كرم الأخلاق أساس هذه الشّريعة وعمادها وغايتها وغرضها، فإنّه: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢)؛ ولهذا ندبنا الله تعالى بالقرآن الكريم إلى الأخلاق الفاضلة، والسّجايا الكاملة، والشّيم العالية، والفضائل السّامية، ونهانا عن دنيا الأخلاق، وفاحش القول وسيئ الطّباع، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وأمرنا بصلة الأرحام وبذل الخير للإخوان،

(١) الشُّقاق: العدواة بين فریقین والخلاف بين اثنين. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/١٨٣).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (١٢٦٩٠).

وحسن الجوار للجيران، وبالعدل في الأحكام، وحفظ الأمانات، والإعراض عن الجاهلين، وبالصبر على الشدائد، وأن «نقول الحقَّ أينما كنَّا، لا نخاف في الله لومة لائم»^(١)، أمرنا بكظم الغيظ، والعفو عند المقدرة، والشَّفقة بخلق الله، وبحبِّ الوطن وبذل النَّفع للمواطنين، والأخذ على يد الظَّالمين المعتدين، والظَّالمين والمجرمين والمفسدين، كما أمرنا بإقامة الصَّلَاة وإيتاء الزَّكاة، والقصد في الأمور في جميع الأوقات، أمرنا برحمة الصَّغير وتوقير الكبير، وذلك في قوله ﷺ: «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا»^(٢)، والعطف على الأرملة واليتيم والمسكين، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان، وأخبرنا أنَّ عاقبة «الظُّلم ظلمات»^(٣)، وأنَّ الله اشتدَّ غضبه على الظَّالمين، و«إنَّ الله ليملي للظَّالم حتَّى إذا أخذه لم يفله»^(٤)، ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّيكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وأخبرنا الرسول ﷺ: «أتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»^(٥)، ونهانا عن قول الزُّور وشهادته وعن موالاته المبطل وإعانتة، ونهانا عن التماس إرضاء النَّاس بما يُسخطُ الله، فعن عائشة رضي الله عنها: «من التمس رضا الله عنه بسخط النَّاس رضي الله عنه، وأرضى

(١) رواه البخاري، رقم: (٧١٩٩)، ومسلم، رقم: (١٧٠٩).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (١٩١٩)، وقال: هذا حديث غريب.

(٣) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٧٨).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٤٦٨٦).

(٥) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٨)، ومسلم، رقم: (١٩).



عنه النَّاسُ، ومن التمس رضا النَّاسِ بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النَّاسُ»^(١)، وأخبرنا أنَّ: «الزُّنَا يُورِثُ الْفَقْرَ»^(٢)، وأخبرنا أيضًا: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرَّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»^(٣)، وَإِنَّ قَوْمًا فشا فيهم الربا لا بُدَّ أَنْ ينتشر فيهم الفقر، وأخبرنا أَنَّ التَّكْبُرَ ذُلٌّ وَإِهَانَةٌ، والغيبة جريمةٌ وخيانةٌ، وأخبرنا أَنَّ: «ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءُ بوجه وهَوْلَاءُ بوجه»^(٤) لا يكون عند الله وجيهاً، ونهانا عن الحقد والحسد، فهما داءٌ في جسم الأمة لا يزيله إِلَّا السَّلَامُ، يقول ﷺ: «أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٥)، وأخبرنا أَنَّ «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّارُ الحطبَ»^(٦).

يا عباد الله، قام هذا الدِّين على مكارم الأخلاق، وعليها سار السَّلف الصَّالح من المسلمين، فأتت لهم الدُّنيا صاغرةً وانقادت لهم الأمم خاضعةً، وبمُثْلِهَا العليا امتدَّ سلطان الإسلام في الغرب والشرق وأصبحت كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة الكفر هي السُّفلى، وعلى مُثْلِهَا الكاملة أقبل النَّاس يدخلون في دين الله أفواجًا، ويأتونه أتباعًا، ويسرعون إلى مبادئه إسراعًا.

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٥٩٦٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٥٠٣٤).

(٣) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٧٩).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٦٠٥٨)، ومسلم، رقم: (٢٥٢٦).

(٥) رواه مسلم، رقم: (٥٤).

(٦) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٠٣).

أيُّها المسلمون، لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنةً في أخلاقه وأعماله وأقواله، وقد قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وأخبرنا عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢)، وقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا»^(٣).

وقد جاء في الحديث عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ»^(٤).

أيُّها الإخوان، تمسَّكنا بديننا ونشرنا فضائله، ودعونا له فنصرنا الله وأعاننا، ولمَّا تركناه وأعرضنا عن كتابه، وهدمنا قائم أمره وولَّت الدنيا عنَّا هاربةً، وتشتَّت منَّا الشَّمْلُ، وحالفنا الذُّلَّ، وقطع الله عنَّا عونهُ ومددَهُ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

أيُّها المسلم، اتَّقِ اللَّهَ وَتَحَلَّ بِالْفُضَيْلَةِ، وَكُنْ مَعَ الْحَقِّ وَاعْمَلِ الْخَيْرَ وَكُلِّ الْحَلَالَ وَمُرَّ بِالْمَعْرُوفِ وَافْعَلِ الْحَسَنَى، اتَّقِ اللَّهَ وَتَخَلَّ عَنْ الرَّذِيلَةِ، وَقِفْ فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ، وَتَبَاعِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاجْتَنِبِ الْحَرَامَ،

(١) رواه أحمد، رقم: (٨٩٥٢).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٤٧٩٩).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢١٨).



وأنه عن المنكر وتجنب القبيح، اتق الله وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تطع إذا استغيت ولا تبغ الفساد في الأرض إذا وليت أو توظفت، ودُر مع الحق حيث دار، وكن معه في سعادتك وشقائك، وعسرك ويسرك، وشبابك وهرمك، وصحتك ومرضك، وفراغك وشغلك.

رُوي في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»^(١).

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

ويقول في الثانية:

كتاب الله يأمرك - أيها المسلم - أن تُقيم العدل مع نفسك؛ لتكسب صحتك وطيب عيشتك، وتقيمه مع أهلك وولدك؛ لتحيا حياة طيبة، ومع من حولك؛ لتحيا أميناً على نفسك ومالك، وتقيمه في معاملاتك؛ لتربح الثقة من الناس، ومع ربك؛ لتكسب الحياة الدنيا والآخرة، والعدل من مكارم الأخلاق التي جاء بها هذا الدين وبُعث بها نبيه الأمين، ومن تمسك بها هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل

عمران: ١٠٢].



(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.



الوظيفة أمانة

« ١٧ »

الحمد لله نحمده ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونسأله المزيد من توفيقه والعون على ما يُقربنا إليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود سواه، نشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة الله لعباده، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد الذي أدَّى الأمانة ونصح الأمة، وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين كافةً ومن تبعهم إلى يوم الدين، أمّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله حقَّ تقواه، وتقرَّبوا إليه بما تنالون به رضاه، ولا تتَّبِعوا خطوات الشَّيطان، فإنَّه يأمر بالفحشاء والمنكر، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يأمر بالفحشاء، وإنَّما يأمركم ﴿بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [التحل: ٩٠]، ويأمركم بمكارم الأخلاق وأن تُصان الحقوق.

ومن ثمَّ أوجب الله على عبده المسلم أن يكون أميناً، وأوجب عليه أن يصونَ حقوقَ ربِّه وحقوقَ إخوانه من بني الإنسان.

عباد الله، يقول الإسلام للمسلمين: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له»^(١)،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٠٤٥).

ويقول لهم: «كلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، الرَّجُلُ راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم راعٍ في بيت سيده ومسؤولٌ عن رعيته، والولد راعٍ في مال أبيه ومسؤولٌ عن رعيته»^(١).

والأمانة صفةٌ جلييلةٌ فضَّل اللهُ بها أنبياءه ورسله وميَّزهم بها على كثيرٍ من خلقه، تفضيلاً لهم وتعظيماً لشأنهم، فقد كان نبينا ﷺ أميناً قبل البعثة وبعدها، فكان قبل البعثة يُسمَّى الأمين، وبعد البعثة بلغ الرِّسالة وأدى الأمانة، ونصح الأُمَّة فكان أميناً بالتبليغ وأميناً بالنُّصح، وموسى ﷺ كان القويُّ الأمين، وكان يوسف الحفيظ العليم، والحفيظُ هو الأمين.

ولا عَرَوْ^(٢) فرُسُلُ اللهُ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يختارهم اللهُ من أشرف عباده طبعاً وأذكاهم معادن، والنَّفْسُ الَّتِي تَظَلُّ معتصمةً بالفضيلة هي نفس الرَّجُلِ القويِّ الأمين، والمحافظة على أداء حقوق الله وحقوق العباد تتطلَّبُ حُلُقاً فاضلاً، فهي لا تتغيَّرُ باختلاف الأيام وتقلُّبِ الأحوال، فهي في شقاوة الفاقة كما هي في هناءة العسرة، وهي في وحشة الغربة كما هي في راحة البال، لا تبطرها نعمة ولا تُدِلُّها نقمة، وذلكم هو جوهر الأمانة.

عباد الله، إنَّ الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، ونهاكم أن تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم، وبين لكم أنَّ المالَ زهرةٌ

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٦٩٧٥).

(٢) لا عَرَوْ: لا عَجَبَ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥٦/٣٩).



ولكنه فتنة، وأن الولد نعمة ورحمة ولكنه فتنة، فلا يفتنكم المال بزهرته فتخونوا الأمانة، ولا تبعدكم رحمة الولد عن رحمة الله بما تتمنونه له من مستقبل رغيد، وحياة سعيدة فتخونوا الأمانة؛ لأن الأمانة يوم القيامة خزي وندامة، إلا لمن أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، وإن معاني الأمانة أن يحرص الرجل على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي أسند إليه، وأن يستنفذ جهده في إبلاغه تمام الإحسان، وتلك الأمانة التي يمجدها الإسلام أن يُخلص الموظف لشغله وأن يعتني بإجاده وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت في يديه، فإن استهانة الفرد بما كُلف به - وإن كان تافهاً - وسيلة لشيوع التفريط في حياة الأمة ثم انتشار الفساد فيها ثم فسو الرشوة والاستهانة بحقوق الناس، وفي ذلك ما فيه من تداعي كيانها وانحلالها خُلقيًا واجتماعيًا.

وليس أعظم ذنبًا ولا أسوأ خيانة من رجلٍ تولّى أمور الناس فتغافل عنهم وتنكر لهم أو نام عن عمله هذا أو تشاغل عنه فعطل مجرى أعمال الأمة، وليس أكبر خيانة من رجلٍ تولّى منصبًا؛ وظيفة أو رياسة أو نيابة فاستغل منصبه الذي عُين فيه لجر منفعته إلى شخصه أو قرابته، قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عملٍ فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غُلُولٌ»^(١)؛ ومعنى الغلول: الخيانة والاختلاس، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

(١) رواه أبو داود، رقم: (٢٩٤٣).

عباد الله، إنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَلْتَزِمُ حُدُودَ اللَّهِ فِي عَمَلِهِ وَوُضُوفِهِ، وَيُؤَدِّي حَقُوقَ النَّاسِ الَّذِينَ تَوَلَّى أَمْرَهُمْ أَوْ وَلَّوْهُ أُمُورَهُمْ، وَيُسَيِّرُ أَعْمَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَأْجِيلٍ وَلَا أُنَاةٍ، وَيَأْنَفُ مِنْ خِيَانَةِ الْوَاجِبِ الَّذِي طَوَّقَهُ فَهُوَ الَّذِي يَشْرَفُ الْوُضُوفَةَ وَيَرْفَعُ مَكَانَتَهَا فِي عَيُونِ النَّاسِ.

أَمَّا ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي تَشْرَفُهُ الْوُضُوفَةُ وَتَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ فَلَيْسَ هُوَ بِرَجُلٍ بَلْ وَلَا شَبَهَ رَجُلٍ؛ لِأَنَّ الشَّرْفَ لِلْكَرْسِيِّ الَّذِي تَرَبَّعَ عَلَيْهِ وَمَتَى سُحِبَ مِنْ تَحْتِهِ أَوْ أُزِيلَ أَوْ عُزِلَ عَنْهُ ذَهَبَ شَرْفُهُ مَعَهُ فَلَا خَيْرَ فِي شَرْفٍ مُؤَقَّتٍ.

وَالْمَوْظَفُ الَّذِي يُؤَدِّي الْوَاجِبَ مَا دَامَ يُؤَدِّي وَاجِبَهُ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ وَكَانَ لَهُ بِعَمَلِهِ هَذَا أَجْرٌ مِنْ قَاتِلِ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَامِلُ إِذَا اسْتَعْمَلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ لَمْ يَزَلْ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»^(١).

فَطُوبَى لِأَوْلَئِكَ الْمَوْظَفِينَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِوَأَجِبِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَا يُؤَخَّرُونَ عَمَلَ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ، وَلَا يَهِينُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَلَا يَعْطَلُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَهُمْ عِنْدَهُمْ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، لَا فَضْلَ لَغَنِيِّ عَلَى فَقِيرٍ، وَلَا لِشَرِيفٍ عَلَى سَوْقَةٍ، نَعْمَ وَاللَّهُ طُوبَى لَهُمْ بِهَذِهِ الْبَشَارَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَاهِدُونَ وَلَهُمْ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ سَاعَةِ خُرُوجِهِمْ إِلَى عَمَلِهِمْ حَتَّى عَوَدَتِهِمْ إِلَى بَيْوتِهِمْ.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٢٨١).



يا عباد الله، إنَّ الأمانةَ فضيلةٌ ضخمةٌ لا يستطيع حملها الرجالُ المهازيلُ ضعافُ الهممِ والنُّفوسِ، فقد أثقلت كاهلَ الوجودِ وأبت السماوات والأرض والجبال أن تحملها، فلا ينبغي للإنسان أن يستهينَ بها أو يفرطَ في حقِّها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ويقول في الثانية:

عباد الله، ورد في حديث البخاريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً جاء يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متى تقوم الساعة فقال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فانتظرِ السَّاعَةَ» فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فانتظرِ السَّاعَةَ»^(١)؛ أي: إذا أُسِنِدَ المنصب إلى غير صاحبه الجدير به أو أُعْطِيَ العمل إلى من ليس كُفئاً فقد ضيِّعتِ الأمانة فانتظرِ السَّاعَةَ، ولا تقتصر الأمانة على ما ذكرناه فقط؛ فحقوق الله - أيها المسلم - عندك أمانة، والصَّلاةُ والزَّكاةُ والصَّومُ والحجُّ والوضوءُ كُلُّها أمانةٌ، وكذلك المجالس، فلا تدع لسانك يُفشي أسرارها، ولا يكن منك تجسُّسٌ إلَّا على ثلاثة مجالسٍ: مجلسِ سفكِ دمٍ حرامٍ أو هتكِ عرضٍ حرامٍ أو استحلالِ مالٍ بغيرِ حقٍّ.

والعلاقات الزوجية والحقوق بين الزوجين أمانة، ولهذه العلاقات قدسيَّتها ومكانتها دينياً واجتماعياً، والأولادُ - أيها الأب - عندك أمانةٌ فربِّهم وأدبهم كما أمرك الله ورسوله، ولا تفرط في حقِّهم،

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٤٩٦).

ووالداك إذا بَلَغَا عندك الكِبَرَ أمانةً في عنقِكَ فأحسن إليهما،
 ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ
 مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، وادع لهما جزاءً لِمَا أسديا إليك من عطفٍ
 وإحسانٍ.

والوزن والكيل والذرع والعمل بسائر أصنافه وسائر المعاملات
 أمانةٌ عندك، و«إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ
 يُتَّقِنَهُ»^(١).

والوديعة التي تدفع إليك - أيها المسلم - لتحفظها حيناً ثم تردّها
 إلى صاحبها هي أيضاً أمانةٌ، وحواسُّك عندك أمانةٌ، والسَّمع والبصر
 والفؤاد وكلُّ جارحةٍ من جوارحك أنت مسؤولٌ عنها.

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا
 أَمْثَلَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].



(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٩٢٩).



الإسلام حسن الخلق

« ١٨ »

الحمد لله على نواله، ونشكره على جميع أفضاله، ونسأله دفع
نقمه والمزيد من نعمه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
بيده الملك وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
البشير النذير اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد
أكمل النَّاس خُلُقًا، وأفصحهم منطِقًا وأبرَّهم بخُلُقِ الله، وعلى آله
وصحبه ومن به يؤمنون، أمَّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله وآمنوا برسوله، ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ
الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، ثُمَّ
اعلموا أن الله بعث محمداً ﷺ بمكارم الأخلاق؛ لينقذ النَّاس من
الغِيِّ إلى الرُّشد، ومن الضَّلَال إلى الهدى، ومن الجفاء إلى
الإحسان، ومن الرَّذائل إلى الفضائل، وليتمَّ مكارم الأخلاق، فقد
قال الله تعالى في كتابه العزيز مُمْتَنًا على العرب في بعثة المصطفى
صلوات الله عليه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢]، فالله ﷻ بعث محمداً ﷺ في العرب الأميين؛
لينقذهم من الدُّنَايا فيزكِّيهم، ومن الجهالة والامية فيعلمهم الكتاب،

وينور عقولهم فيعلمهم الحكمة، ويكرمهم ويرفع مكانتهم في الأمم .
والعبادات التي شرعها الإسلام لم تكن طقوساً مبهمَةً، وإنما هي
وسيلةٌ لتطهير النفس وتزكيتها، فالصلاة ناهيةٌ عن الفحشاء والمنكر،
كما يقول نبينا ﷺ: «من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد
من الله إلا بُعداً»^(١)، والزكاة لا تؤخذ من المال كضريبة، وإنما هي
عبادةٌ تطهر المال والنفس من أدرانها، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ:
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، والصيام
وسيلةٌ للتمسك بمكارم الأخلاق و«من لم يدع قول الزور والعمل به
فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢)، وأما الحجُّ فلا يقتصر
على أداء مناسك معينة، أو أنه رحلةٌ تكتسب فيها المعاني الأخلاقية
وحسب، بل هو درسٌ للعمر بأكمله يزكي بها الحاجُّ قلبه، وينقي لُبَّهُ،
ويهدبُ بالله والناسِ صلته، ومصدق ذلك قولُ النبي ﷺ: «من حجَّ
فلم يرُفثٌ»^(٣) ولم يفسق رجَع كيوم ولدته أمُّه»^(٤).

فالصلاة والزكاة والصوم والحجُّ مدارجٌ يصلُ الإنسان بريقها إلى
الكمال، وجميع التعاليم التي فرضها أو حبَّذ فعلها مطهَّراتٌ تزكِّي
النفس، وتصون الحياة، وتُعلي شأن الفرد في الأمة وشأن الأمة في
الأمم، فمن تحلَّى بهذه السجايا أُعطي المنزلة الكبرى في دين الله إذ

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١١٠٢٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٣).

(٣) الرَّفْتُ: الفُحْشُ من القول، وهو أيضاً: الجِماع. انظر: تاج العروس، للزبيدي
(٢٦٣/٥).

(٤) رواه البخاري، رقم: (١٥٢١)، ومسلم، رقم: (١٣٥٠).



«لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»^(١)،
 ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [٧٥] طه:

• [٧٥]

والنَّاسَ كُلُّهُمْ فِي خَسْرٍ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
 بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، ولهذا كان أحسن النَّاسِ خُلُقًا
 يوم القيامة هم أقرب النَّاسِ مجلسًا من رسول الله ﷺ، فقد قال لنا
 ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ
 أَخْلَاقًا»^(٢).

على أن بعض المنتسبين إلى الإسلام قد يستسهلون أداء العبادات
 المطلوبة ويظهرون في المجتمع العام بالحرص على إقامتها، وهم في
 الوقت نفسه يرتكبون من الأعمال ما ياباه الخلق الكريم والإيمان
 الحق.

والنَّبِيُّ المصطفى ﷺ توعد هؤلاء وحذر أمته منهم، وقال إنَّ:
 «الْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ»^(٣)، ووصف لنا
 المفلس، فقال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا
 درهم له ولا متاع، فقال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ
 هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٠٧٧٧).

من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»^(١)، ذلك هو المفلس - أيها المؤمنون - إنه تاجرٌ ملاً محللاته بأنواع السلع ممّا يُقدَّر بالألوف لكنّه مدينٌ بأضعاف ما لديه فهل يكون هذا التاجر غنياً؟ وهل من يلازم المساجد ويصوم النوافل ويتصدق بالكثير والقليل ويكثر رحلاته إلى بيت الله الحرام ولكنّه بادي الشرّ كالحُ الوجه قريبُ العدوان فاجرُ اللسان، فهل يكون تقيّاً بهذه الصفات؟!

لقد قال رسولُ الله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» فتعجب السامعون أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: خاب وخسر، من هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٢)؛ أي: شرّه وأذاه.

والنبي ﷺ دعا الناس إلى عباداتٍ كثيرة، بل إنَّ كلَّ عملٍ في الإسلام ينوي به المرء طاعة ربّه فهو مثابٌ عليه، حتّى ما يضعه الإنسان في فم زوجته وولده، فقال ﷺ: «إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها، حتّى ما تجعل في فم امرأتك»^(٣)، ويخبرنا صلوات الله عليه أنّ أرجح ما في ميزان المرء يوم القيامة الخلق الحسن، فقد قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٤).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨١).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٠١٦)، ومسلم، رقم: (٤٦).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٥٦)، ومسلم، رقم: (١٦٢٨).

(٤) رواه الترمذي، رقم: (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



يا عباد الله، إننا اليوم بين سكينين قاطعتين تنازعتنا سلخنا من ديننا وخلقنا ونحن غافلون.

يا عباد الله، إن الشُّيوعِيَّةَ في إباحتها وإلحادها والرَّأسماليَّةَ في خلاعتها واستهتارها لم تتَّفَقَا في شيءٍ مثل اتِّفاقهما في تضليل المجتمع الإسلاميِّ واجتثاث جذور العقيدة السَّليمة من صدور أبنائه والخلق السَّليم من صفاتهم؛ حتَّى لا تنجح لهم نهضة ولا تبقى فيهم ذرَّةٌ من إيمانٍ ولا خلقٍ كريمٍ.

يا عباد الله، إنَّ الكفر مِلَّةٌ واحدةٌ، وهو عند الكتلة الشَّرقيَّةِ مثله في الكتلة الغربيَّةِ، ولن يجتمع الكفرُ مع الإسلام لا في الصُّدور ولا المفاهيم، ولا همَّ للكفرة إلا زلزلةُ العقائد في الصُّدور فأوحوا بتضليلهم إلى بعضنا أنَّ الدِّين شيءٌ والدُّنيا شيءٌ آخر، فَفَصَلْنَا الدِّينَ عن الدُّنيا، والإيمان عن العمل وأصبحنا لا نبالي بما كسبنا؛ أكلنا أم لبسنا، أخذنا أم أعطينا، حلالًا كان أم حرامًا.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا نَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩].

وها نحن وقد انخدع أكثرنا بدسائس هؤلاء، وأُعجبنا بالمزيَّف من أقوالهم وأعمالهم ومظاهر حياتهم واندفعنا في تقليدهم من غير تبصرةٍ ولا بصيرةٍ، ويا ليتنا قلَّدناهم بالنَّافع المفيد، بل قلَّدناهم بالأنافة والتَّبَرُّج والميوعة وصقل الوجوه والشُّعور ووَشْر^(١) الأسنان

(١) الوشر: تحديد المرأة أطراف أسنانها وترقيقها. انظر: تاج العروس، للزبيدي

والأظفار، وعَدَدْنَا هذه هي المدنيّة والكمال والرّفعة والأخلاق، مع أنّ ديننا نهانا عن التّشبه بهم ويأمرنا بمخالفتهم، ثمّ إنّ وضعنا الحاضر يطالبنا بأن نكون أشدّاء أقوياء؛ لأنّنا أمام صولاتٍ وجولاتٍ، ولأنّنا في دفاع عن النّفس والأمة والوطن، وأيّامنا المقبلة أشدّ خشونةً من أيّامنا الماضية، والمترف لا يصول، والمائع لا يجول، والمنافق لا يناضل، والكلُّ تدميه الخشونة ويجهد العمل.

ولقد استسلم المسلمون لهذه الدّعائيات واستجابوا لها وأطاعوا من أشار بها أو حبّدها، ووقع الشرُّ فعزلوا الثقافة العامّة عن أيّ ثقافة دينيّة، وأصبح الشّابُّ فينا سواء كان متعلّمًا أو غير متعلّم لا يعرف من أمر دينه إلّا أنّه مسلم، فإذا سُئل عن الإسلام قال: لا أدري، وإنّما كان أبواي مسلمين! فمتى نستجيب لأمر الله وهو ينادينا بقوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩]؟!!

وأدهى من ذلك وأمرُّ أن يستعمل هذا العدوُّ الألدُّ من كلا الكتلتين سماسةً له يُرَجِّحُ كلُّ فريقٍ منهم كفةً أسياده، يحبّذون سياسته ويعملون بنشاطٍ لإخماد الحركات الوطنيّة، وإشاعة أقصى ما يمكن إشاعته من تفرقةٍ وفتنٍ وكذبٍ ونفاقٍ وأراجيف^(١) حتّى لا يكون لنا خلق ولا دين، ولا تقوم لنا قائمةٌ ولا تدبُّ فينا حياةٌ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ

(١) الأراجيف: الأخبار. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢٦/٢٣).



مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿المائدة: ٥١﴾ .

فالأولى بنا - أيها المسلمون - أن نصحو من رقادنا، ونتيقظ من غفوتنا، ونعقل ما يفيدنا وما لا يفيدنا؛ حتى لا يكون غدنا كأمسنا، فإن العدو سواء كان من الكتلة الشريفة أو الغربية لا يريد لنا خيراً؛ لأن خيرنا يضره ولا ينفعه، وإنما يريدنا أن نكون عبيداً له وعمالاً لمصلحته وفداءً لأبنائه وجنداً ضد خصومه وهدفاً لسلاح أعدائه.

فما أحسن الاعتماد على الله والاستقلال بالنفس، وما أحسن عدم الانحياز إلى أي جهة أقوى منا أو أضعف.

يقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ (١)

﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَتُرِيْدُوْنَ

اَنْ يَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤].

ويقول في الثانية:

اتَّقُوا الله عباد الله، ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوْنُ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]، ﴿اِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ الْاِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَنْ

يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران: ٨٥].

فما لقوم بيننا قد هجروا دينهم فلا عقيدة ولا صلاة ولا صيام ولا

زكاة، أيريدون أن يطفئوا نور الله ﴿وَيَاْبٰى اللّٰهُ اِلَّا اَنْ يُتِمَّ نُوْرَهُ﴾

(١) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، للأنباري (١/٢٨٥).

[التَّوْبَةِ: ٣٢]؟! أم يريدون نصر الباطل وخذلان الحقّ ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]؟! أم أنهم انساقوا مع تيارات الغرب المتدافعة وتأثروا بنصائحهم المسمومة؟! فقالوا كما أوحى إليهم دعواته: إن تقوى الله رجعية، وإن الوقوف عند حدود الله جمود، أعوذ بالله! أي إهانة لحقت بالمسلمين أشد من هذه؟ وأي لعنة تنصب على قائلها أعظم من لعنة الله؟

وقد صنع الغرب من هؤلاء الممسوخين دعاة لكفرهم فينا، وهم منا، وحملة معاوله ثم شتتهم في بلادنا؛ ليهدم بهم مجدنا، ويقضي على مستقبلنا ويشفي غليله على ديننا، وظنوا أننا لا نعرفهم، ولكنهم مع نفاقهم ظاهرون، فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا من إيمانكم سلاحاً لكم تدافعون به عن دينكم، وعلى العلماء عدم التراخي في إبلاغ رسالة الله، فإن الإيمان ما يزال غرساً في طباع أبنائنا، ولا تزال جذوره غائرة في قلوبهم.

فتعاهدوا - يا رجال الله - هذه الغرسة قبل أن تيبس فتموت، «ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حُمراً النعم»^(١)، واسمعوا أمر الله عليكم: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].



(١) رواه البخاري، رقم: (٣٠٠٩)، ومسلم، رقم: (٢٤٠٦).



صنائع المعروف دليل الشُّكر

« ١٩ »

الحمد لله الَّذي أفاض على جميع عباده نعمته، وأوسع جميع خلقه رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مالك الملك يوّتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء، ويعزّز من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله اصطفاه واختاره وأرسله إلى كافّة خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؛ لينقذ به النّاس من الظلمات إلى النّور ويهديهم إلى الصّراط المستقيم، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، اللَّهُمَّ صلِّ على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه خير النّاس هدايةً للخلق ونصراً للحقّ، أمّا بعد:

عباد الله، فاتّقوا الله وتزوّدوا التّقوى فإنّها خير زادٍ، وسارعوا إلى الأعمال الصّالحة فلا نجاة غيرها يوم المعاد، وتجمّلوا بمكارم الأخلاق فإنّها صفة المرسلين وزينة الصّالحين، ولا يلهينكم العاجل عن الآجل، ولا يشغلنكم عن الحقّ باطل، ولا عن الباقي زائل، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، ولا كالَّذين

شغلهم عن ذكر الله مالهم وولدهم، بل كونوا كما قال لكم نبيكم ﷺ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا»^(١).

عباد الله، «اعملوا وكلُّ ميسرٍ لما خُلقَ له»^(٢)، ﴿اعْمَلُوا فسيرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٥]، اعملوا لديناكم تربحوا الحياة واعمَلوا لآخرتكم تربحوا الجنَّة، وإنَّ الله تعالى جعل الأرض لعباده ذلولاً، وقال لهم: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [المُلْك: ١٥]، وجعل المال فيها زهرة ناضرة محببة للإنسان، وجعل العمل به والتَّقَرُّبُ إلى الله وعباده عن طريقه وسيلة للفوز بالرِّضوان، وقال لعباده: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القَصَص: ٧٧]، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البَقَرَةَ: ٢٤٥]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البَقَرَةَ:

٢٦١].

عباد الله، خير الأعمال التي يتقرب الإنسان بها إلى ربِّه ما عمَّ نفعها وجرى ثوابها لفاعلها بعد موته، وهي كما قال رسول الله ﷺ: «صدقةٌ جارية أو علمٌ يُنتفعُ به أو ولدٌ صالحٌ يدعو له»^(٣)، ثلاثةٌ يتفرَّع منها كثير، ويدخل في محصورها عدَّة أمورٍ، وفضل الله على عباده لا يحصيه حاسب، ولا يحصره حاصر، فالموفق من زرع في دار الفناء

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٤٦٧). ومسلم، رقم: (٢٨١٨).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٤٩٤٩)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٩).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (١٣٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



ليحصد في دار البقاء، وقدّم من يُسرّه لعسرهِ، وعَمِلَ لِأُمَّتِهِ وَلِوَطْنِهِ
عَمَلًا يَعْمُ نَفْعَهُ وَيَبْقَى ذَكَرَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الْقَصَص: ٧٧]، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ وَرَزَقَكَ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ، وَأَغْنَاكَ عَنِ الْحَاجَاتِ، وَصَانَ وَجْهَكَ عَنِ مَذَلَّةِ السُّؤَالِ فَقَدْ
وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تُظَهِّرَ لِلنَّاسِ مَا مَنَحَكَ بِهِ وَأَوْلَاكَ، وَأَنْ تُشْكِرَهُ عَلَى
مَا أَعَزَّكَ بِهِ فَأَغْنَاكَ، فَإِنَّ الْمُسْتَفِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَنَا: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى
أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»^(١)، وَبِذَلِكَ أَيْضًا يَحْفَظُ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ وَيَزِيدُكَ مِنْهَا
كَمَا وَعَدَكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٧]، وَلَيْسَ الشُّكْرُ أَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَبِيدِكَ
مَمْسُوكَةً عَنِ الْبِرِّ، وَقَلْبَكَ شَاحِجٌ عَلَى الْخَيْرَاتِ، إِنَّمَا الشُّكْرُ أَنْ تُكْثِرَ
مِنَ صِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنَاعِ الْمَعْرُوفِ تَقِي
مِصَارِعَ السُّوءِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ
أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ صِنَاعِ الْمَعْرُوفِ تَحْفَظُ فَاعِلَهَا مِنَ الْمَحْنِ
وَالْبَلَايَا، وَتُكْسِبُ فَاعِلَهَا رِضَاءَ اللَّهِ، وَإِنَّ خَيْرَ مَا يَنْعَمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى
عَبْدِهِ رِضَاهُ، وَتُحِبُّ صَانِعَهَا إِلَى عِبَادِهِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ اللَّهِ
لِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيْلُ: إِنَّي قَدْ أَحْبَبْتُ
فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي الْأَرْضِ فَذَلِكَ

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٨١٩)، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٧٧٠٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [مَرِيَمَ: ٩٦]، وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إنني أبغضت فلاناً فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض»^(١)، فالمحسوب بين عباد الله محبوبٌ عند الله والمكروه فيهم مكروه عنده، والسعيد من ذكره الناس بالخير؛ لأنَّ السنة الخلق أقلامُ الحقِّ.

إنَّ صنائع المعروف لا تكلفكم من المال إلا اليسير، ولا تطالبكم إلا بالشيء القليل، فهناك من ينفق في كمالياته كثيراً، وإنَّ الغنيَّ يُضيِّع في وليمةٍ لصديقٍ أو سهرةٍ عرسٍ أو إكرامٍ قادمٍ أو لهو ساعةٍ ما لا وفيراً يكفي البائس المُعدم دهرًا طويلاً، ويُنْفِقُ في نزهة ربيعٍ أو رحلة اصطيفٍ ما يكفي من المال عائلةً مستورة الحال عمراً مديداً، فاصنعوا المعروف - أيها المسلمون - وأحسنوا فوالله ما استعبد الإنسان شيئاً كالإحسان.

إخواني، والكويت بلدٌ أنعم الله عليه بوافر خيره، واجتمع فيها من البلاد المجاورة وغير المجاورة خَلْقٌ كثيرٌ فعمل فيها العامل، وتاجر فيها التَّاجر وصنع فيها الصَّانع واكتسب الكلُّ وشبع الجميع والحمد لله على نعمه، وحكومة الكويت - أرشد الله رجالها - لم تُقَصِّر في نشر الخير، فعمَّرت المدارس للنَّاشئة، وفتحت العيادات والمستشفيات للمرضى، وأتاحت الأعمال للعاملين، وأعانت الضُّعفاء والمحتاجين، ورتَّبت دائرة الشُّؤون للمعدمين رواتب تقيهم

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (٢٧١٧).



غائلة^(١) البؤس وذلة الحاجة، ولكن - أيها الإخوان - لا تنسوا سنة الله في خلقه، فإنَّ الله سننًا لا مُبدلَ لها! فأينما وجد اليسر كان العسر معه، وحيثما وجد الشُّبُع وجد الجوع معه، وبلد المنعمين لا يخلو من بائسين ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وصانع المعروف لا يعدم دليلًا، فتفقدوهم وأعينوهم.

عباد الله، أطمعوا الجائعين وواسوا البائسين وأكسبوا المعدمين وأعينوا المعسرين و﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، وقد قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق»^(٢)، وقال: «إنَّ الله يُحِبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده»^(٣).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسُنِّسِرُهُ لِّلْغِسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسُنِّسِرُهُ لِّلْغِسْرَى﴾ ١٠ ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ١١ ﴿ [الليل: ٥-١١].



(١) العوائل: الدواهي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠/١٣٠).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (١٩٦٢)، وقال: حديث غريب.

(٣) سبق تخريجه.





بالتعاون تسعد الشعوب

«٢٠»

الحمد لله الذي أمرنا بالتعاونِ على البرِّ والتقوى، وحثنا على معونة الضُّعفاء والفقراء سبحانه من إله جعل المنفعة العامة قوامَ العمران، وسبيلاً لنظام اجتماع بني الإنسان، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا بالعدل والإحسان، لنعيش في وئام وسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، علّمنا أن طريقَ المحبّة: «أفسوا السّلام بينكم»^(١)، اللهم صلِّ وسلّم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه الذين سلكوا طريقته واتّبعوا سنّته فعاشوا حياتهم صالحين وفازوا في الدُّنيا بالألفة والسّعادة والسّيادة، وفي الآخرة برضا ربِّ العالمين.

عباد الله، اتّقوا الله ولا تغرّبكم الأهواء فتكونوا من الخاسرين، ولا تتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، واذكروا نعمة الله عليكم إذ هداكم للإيمان، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ [هُود: ١١٣]، ولا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء؛ لأنّ الله وحده هو وليُّ الذين آمنوا، وما للمؤمنين من دون الله من وليٍّ ولا

(١) سبق تخريجه.

نصير، وإن أعداء ربكم لا يريدون بكم الخير إنما يريدون أن يفرقوكم ويطفئوا نوركم حتى إذا ضعفتم أكلوكم أو استعبدوكم.

عباد الله، إن الدنيا أعمارٌ محدودةٌ، وأنفاسٌ معدودةٌ، ولذاتٌ زائلةٌ، وأموالٌ فانيةٌ، ثم هو ذكرٌ فمن نفعَ أحبَّه الناسُ وذكروه بخيرٍ، ومن أضرَّ ولم ينفعَ كرهه الناسُ وذكروه بشرٍّ، فقد قيل: السنة الخلقِ أقلامُ الحقِّ، ثم بعد ذلك كله نعيمٌ مقيمٌ أو عذابٌ أليمٌ، ولن ينفعك - يا أخي - إلا عملك الصالح، فقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [٤٦] [فُصِّلَتْ: ٤٦].

وإن الأمم لا تسعد بسعادة بعض أفرادها، ولا تنعم بنعيم خواصها، ولا يرفعها بين الأمم هناة سادة أو زعماء، ولا ثروة شرذمة أغنياء محظوظين، وإنما تسعد إذا تكاتف أفرادها وعملوا، كما أخبرنا بذلك سيّد المرسلين صلوات الله عليه عندما قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١)، ولقد كان هذا شأن النبي وأصحابه الذين انتصحوا بنصائحه وأتبعوا أوامره، وإن الله قد بين لنا في كتابه العزيز أنه أعدَّ نعيمه الباقي لمن أفاد وأحسن وبذل لغيره، فقال ﷺ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٤] [آل

عمران: ١٣٣-١٣٤].

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٠١١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٦).



عباد الله، إن من جعل غايته مصلحته الخاصة حُبًا لنفسه؛ ثارت فيه الشرور لتحقيق مصلحته فغشَّ وغَدَرَ وتحكَّم الشُّحَّ عنده لمنفعته فاستحلَّ ما حرَّم الله، بخلاف من جعل صفته الأثرة على نفسه حُبًا بالمنفعة العامة، وسيرًا وراء بثِّ الخير، وقد قال رسولنا ﷺ: «كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه»^(٢)، ولو أننا سرنا في الطريق الذي نهجه لنا نبينا ﷺ، وآثرنا هناء العموم على هوائنا، وفضلنا سعادة المجموع على سعادتنا كما تعاقبت علينا صروف الدهر ونوائبه، ولما انتشرت فينا الرذائل والأمراض الاجتماعية المشتتة للشَّمْل المذهبة للريح التي منها: اختلاف المقاصد وتنافي المبادئ والقصور عن الأعمال النَّافعة، والتَّهاون بالأُمور الخطيرة، وخوف ذوي الوجاهة من إظهار النصيحة لله ورسوله وأولي الأمر والمؤمنين، وظهور الأحزاب في بعض البلاد ومجاهرتهم في كلِّ ما يُغضب الله ورسوله وصالح المؤمنين، ويُسِّتت شمل الشعب، ويُفرِّق بين المواطنين حتى ضَعُفَ الشُّعور بالمسؤولية ومات الوجدان وفسدت

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).

الأخلاق وانتشرت فينا المبادئ الهدامة والانحلالية المدمرة.

عباد الله، كان الأنصار أصحاب رسول الله ﷺ قبل هجرة المهاجرين إلى المدينة، وأشربت قلوبهم حب الإيمان قبل هجرة الرسول إليهم، وقد مدحهم ربهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]، فهم يحبون من هاجر إليهم فاراً بدينه تاركاً داره وأمواله وأهله، وبأنهم لا يطمحون إلى خير يناله المهاجرون، ولا يحسدونهم على نفع يصل إليهم، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم نفع غيرهم ولو كانوا في حاجة إلى هذا النفع؛ لأنهم يتلذذون بتقديم خيرهم لسواهم من أبناء دينهم برأ بهم وإيثاراً لهم عليهم، أتاهم المهاجرون وهم آمنون في بلادهم سالمون على أموالهم لكنهم محبون لنبيهم وأصحابه، وقد رأوا حاجة المهاجرين وفقيرهم وجوعهم وعراهم فأشركوهم في أموالهم وأسكنوهم في دورهم وأطعموهم من طعامهم وشرابهم، إنهم قوم أحبوا بذل النفع والإيثار على النفس، سمعوا قول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، فبذلوا النفع وأحبوه لإخوانهم حتى نالوا مراتب الإيمان العليا ودرجاته الرفيعة.

إخواني، وفي الحديث الذي رواه الحاكم: أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا المعروف من رحماء

(١) سبق تخريجه.



أمّتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنّ اللّعة تنزل عليهم، ثمّ قال لي: يا عليّ إنّ الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهله فحبّبه إليهم وحبّب إليهم فعاله ووجّه إليهم طلابه كما وجّه الماء في الأرض الجذبة لتحيا به ويحيا به أهلها، يا عليّ إنّ أهل المعروف في الدّنيا هم أهل المعروف في الآخرة»^(١).

عباد الله، إنّ الله أمركم بأن تتعاونوا لا أن تتخاذلوا، فأمركم بأن تتعاونوا على البرّ والتّقوى، وأن تتألف قلوبكم، وأن تزيحوا الغلّ من صدوركم، وأن تتواصوا بالحقّ والصّبر، ونهاكم عن التّحسّس والتّجسّس وعن التّحاسد والتّباغض وسوء الظّنّ، يقول ﷺ: «إياكم والظّنّ، فإنّ الظّنّ أكذب الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»^(٢)، نهاكم عن كلّ ذلك وعن كلّ ما يفسد هذا التّعاون؛ لتكوّنوا وحدةً تكونون بها خير أمةٍ أُخرجت للنّاس، وإنّ الله يأمركم أن تهجروا أعداءكم وأعداء دينكم، فلا تتخذوا منهم أمناء ولا حلفاء ولا أصدقاء ولا أولياء ولا أنصار فإنّهم والله يتمنّون أن تكونوا كفّاراً مثلهم، وإنّ أعلى أمانيّهم وأغلاها عندهم أن يردّوكم إلى دينهم أو ينزعوكم من دينكم.

عباد الله، إنّها لذكرى والذّكرى تنفع المؤمنين وفّقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا جميعاً ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) رواه الحاكم، رقم: (٧٩٠٨). بلفظٍ مقارب.

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٠٦٦).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) [المائدة: ٣٥].

ويقول في الثانية:

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أن السعيد من وعظ فأتعظ، ونبه فاستيقظ، والشقي من تمادى في سيئ أفعاله ولم يتباعد عن غيه ولم يرتدع عن ضلاله.

عباد الله، لقد أمرنا بالإخلاص فما أخلصنا، وبنزع الأحقاد من صدورنا فما امتثلنا، وأن نتعاون على ما يسعدنا فما تعاوننا، وأن نتواصى بالحق والصبر فما تواصينا. عباد الله، ما أحرنا ومن قبلنا عما كان عليه سلفنا إلا إهمالنا أمر ديننا، فقد أهملنا أوامره التي تحيا بها نفوسنا وترضي ربنا عنا، ونكصنا^(١) عن عمل الصالحات، وتابعنا الشهوات، ونافقنا في المقابلات، وغدرنا في العقود، ونقضنا العهود، واشتغلنا بالملهيات، وغششنا في المعاملات، فإلى متى ونحن غارقون بهذه السيئات؟ أما لنا دينٌ يردعنا عن هذه المنكرات! أليس لنا شرفٌ ينهانا أو ضميرٌ يزجرنا عن ارتكاب الموبقات؟ تالله إننا لفي جاهلية أشد ظلمة من جاهليتنا الأولى، وإننا لعلى جرفٍ هارٍ سينهار بنا إلى أسفل الدركات إن لم يتداركنا الله برحمته فنصحو من هذه الغفلات المهلكات، فتداركوا عباد الله ما فرطتم بالتوبة فإنها رأس مال الفائزين، والتائب حبيب الله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ

(١) النُّكُوصُ: الإحجامُ والانقداغُ عن الشيء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠١/٧).



يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الرُّم: ٥٣]، كما قال النَّبِيُّ
 ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١).

اللَّهُمَّ اشْرِبْ قُلُوبَنَا الْإِيمَانَ، واحفظ أعمالنا من الرياء، وحبِّبْ
 لنا الإيمان وزين به ضمائرنا، و﴿اغفر لنا ولاخوانتنا الَّذِينَ سَبَقُونَا
 بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠].



(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥٠).





ما هو الإسلام؟

« ٢١ »

الحمد لله حمداً كثيراً يكافئ نعمه، والحمد لله حمداً دائماً يدفع عنا نقمه، وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الكريم الجزيل النعم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الأمم؛ ليخرجهم من شدة الظلم، وينقذهم من ويلات الألم، ويحييهم من فناء وعدم فأخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات العبودية إلى نور الحرية، ومن ظلمات الجهالة إلى نور العلم، ومن ظلمات الظلم إلى نور العدل، ومن ظلمات البغي إلى نور الرفق، ومن ظلمات الفرقة إلى نور الوحدة والإخاء، اللهم صلِّ وسلِّم على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين كان لهم فيه أسوة حسنة لما تابعوه في سيرته، واقتفوا أثره في سنته، فحرروا الناس من العبودية وعلموهم من جهلٍ وخلصوهم من فقرٍ، وآمنوهم من خوفٍ، وأشبعوهم من جوعٍ، وأسلموهم من بغي وعدوان، وكانوا خير أمةٍ أخرجت للناس، وكانوا خير الناس للناس؛ خدمةً وحكماً وهدايةً وإرشاداً ﷺ وأرضاهم أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، فإن الله كرم الإنسان، فبعث له أنبياء من بني جنسه يدعونه إلى الحقيقة العليا بأن لا إله إلا الله ولا ربُّ سواه؛ ليحرره من العبودية حتى لا يكون عبداً لغيره، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الَّذِينَ حُنَفَاءَ ﴿البَيْتَةُ: ٥﴾، وبذلك تكريمٌ له؛ لئلاَّ ينحطَّ لعبادة ما هو أخطُّ منه، وتحريرٌ لفكره؛ لئلاَّ يتقيَّد بعبادة الأشخاص، وأساسٌ للعمران؛ لإحساس الإنسان بكرامته وسعيه إلى رفعة شأنه، وتعميمٌ للخير وتحقيقٌ للسَّعادة؛ لشعوره بالحرِّيَّة، حتَّى جاء سيِّدنا رسول الله ﷺ فأفاد أن التَّوحيد كلمةٌ جامعةٌ، وأنها جوهرُ الإصلاح، وسرُّ النَّجاح في الإسلام، فهي توحيدُ الله وتوحيدُ العقيدة والغاية والحكم والمجتمع والدين والدُّنيا والتَّشريع والرَّأي والدَّعوة إلى كلِّ ذلك، وإنه متى نقص شيءٌ من ذلك فلن يكون التَّوحيد كاملاً؛ فاقروا معي إن شئتم قول الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] وهذا توحيدُ الله، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُنْهِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٥] وهذا توحيدُ العقيدة، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ٦٥] وهذا توحيدُ الحكم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهذا توحيدُ المجتمع، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤] وهذا توحيدُ الدَّعوة.

وهكذا كان التَّوحيد في الدِّين الإسلاميِّ، الَّذي دعا محمَّدٌ ﷺ إليه على أساس المساواة والحرِّيَّة والسَّلام، فالمساواة سبيلُ العدل وغايتها الأخوة والتَّعاون، والحرِّيَّة سبيلٌ إلى الكرامة وغايتها عزَّة النَّفس والشُّعور بالحياة، والسَّلام سبيلٌ إلى الرِّخاء وغايته سعادة المجتمع ورغد الحياة، وهذه الغايات الثلاثة هي الغايات التي تسعى إليها الأمم وما تزال، فعقدت لها عصابة الأمم فيما مضى وعقد لها مجلس الأمن بعد الحرب الثَّانيَّة، وما تزال تُعقد لها المؤتمرات



والمجتمعات، وتضجُّ بها الصُّحف والإذاعات، وتحلم بها الإنسانيَّة منذ أن انتشرت المدنيَّة، ولن تتحقَّق إلَّا باتِّباع هذا الدِّين الَّذي حقَّقها منذ ألف وثلاثمئة عام في بقعةٍ من الأرض تقع بين الصِّين والمحيط الأطلسيِّ، ولا تزال هذه الغايات الثلاث أمنيَّة العالم في مستقبل الأيام حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها.

أيُّها المسلمون، آمن بمحمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام قليلٌ من النَّاس ضعفاء، استضعفهم الأقوياء وأذوهم فصبروا وصابروا، إذ عَلِمُوا أَنَّ دينهم يدعوهم إلى إحياءٍ شاملٍ وعدلٍ كاملٍ، لا تدخل فيه الفروق الجنسيَّة ولا الفوارق اللّونيَّة، و«لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لأبيض على أسودٍ إلَّا بالتَّقوى»^(١)، وهو بعيدٌ كلَّ البعد عن التَّحيز إلى العصبية، لا يعرف الطَّائفيَّة ولا القوميَّة وإنما دعوته إنسانيَّة تدعو إلى السَّلَام بين بني الإنسان، عَرَفَ أصحاب سيِّدنا محمَّد ذلك وآمنوا به وصدَّقوه، فأيدهم الله ومكَّن لهم في الأرض، فإذا بخمولهم قد استحال إلى شهرةٍ، وإذا بغموضهم قد صار نباهةً، وإذا بضعتهم أصبحت رفعةً، وإذا بضعفهم قد صار قوَّةً، وإذا بدينهم نورٌ وسِعَ الأرجاء، وإذا هو ضوءٌ عمَّ سائر الأنحاء، وإذا بالعرب قد صاروا وحدةً بعد تفرقةٍ، وإذا برعاة الإبل والغنم قد صاروا رعاة الأمم، وكلمة دينهم يدوي صداها في الهند والصِّين، ويرتفع بها صوت المؤذِّن من منائر^(٢) فاس وتطوان: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلَّا الله،

(١) سبق تخريجه.

(٢) المنارة: التي يؤذِّن عليها، وهي المئذنة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤/

محمد رسول الله .

أيها المسلمون، «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»^(١)، وقد أصلح أولها العمل بكتاب الله والحكم به، ولن يصلح آخرها إلا الحكم بكتاب الله والعمل به، وصلح أولها بالمستضعفين من المؤمنين الذين صبروا وصابروا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله، ومكّن لهم في الأرض، وسيصلح آخرها إن شاء الله بالمستضعفين من المؤمنين متى صبروا وصابروا ونصروا دينهم وكانوا مع ربهم، ومن كان مع الله كان الله معه، فاتّقوا الله ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، إنكم والله ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنِيبَ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فآمنوا بالله ونصره وكتابه ووعده ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨]، ويحقق لكم وعده، إذ قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التور: ٥٥] .

روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله ﷻ: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني»^(٢) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٥) .



ويقول في الثانية:

أمّا بعد:

أيها المسلمون، فاتقوا الله حقّ تقواه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أنّ آية الإيمان المحافظة على الصّلاة، كما قال ربّكم: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١]، وكما قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْفُوتًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٣]، إنّ الصّلاة - أيّها الإخوان - ركنٌ هذا الدّين الرّكين، وعماده القويّ المتين، ومن أقامها أقام دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع، فقد قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أنّ نهراً باب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال ﷺ: «فكذلك مثل الصّلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا»^(١)، رواه البخاري ومسلم، وقال أيضاً ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصّلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»^(٢). يا عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٣٨].



(١) رواه البخاري، رقم: (٥٢٨)، ومسلم، رقم: (٦٦٧).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٤١٣)، وقال: حديث حسن غريب.





الشُّكْر

« ٢٢ »

الحمد لله ولا محمود بحقِّ سواه، أجزل علينا نعمه وأمرنا بشكرها وجعل الشُّكر سبباً لازديادها وبقائها، فالحمد لله على نعمه ونسأله المزيد من فضله، ونعوذ به من نقمه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم الكريم، ونشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله الدَّالَّ على الصُّراط المستقيم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد خير الشَّاكرين وعلى آله المطهَّرين وأصحابه الرَّاشدين المرشدين الَّذِينَ أيقظوا الهمم ورعوا الذَّمم، فكانوا صالحين ومصلحين، أمَّا بعد:

فإنَّ الله أنعم علينا بنعم لا تُعدُّ، وبخيراتٍ لا تُحدُّ، فأعطانا العقل واللِّسان، وميَّزنا بهما على سائر الحيوان، وأرسل لنا رسلاً منَّا ليرشدونا إلى معرفته، ويدلُّونا على طريق عبادته، وخلق لنا عيوناً ناظرة وأذاناً سامعة وقلوباً نابضة، وهدانا بها إلى معرفة النَّافع والضَّارِّ، وسخَّر لنا جميع ما في الأرض؛ فذلَّل لنا خيراتها، وفجَّر عيونها وآبارها، وأجرى لنا أنهارها، وأنبت بها أنواع الأشجار، وأطعمنا فيها من مُختلف الثَّمار، وأخرج لنا معادنها، وأظهر لنا كنوزها، وخلق لنا أيدياً نبطش بها ونعمل، وأرجلاً نمشي بها، وجعل هذه الأرض ذلولاً؛ لنستثمر من ثمارها وننتفع بخيراتها، وخلق الشَّمس والقمر

والنجوم لتمدنا بالحرارة والضياء، وتمتتنا بالجمال والبهاء، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أيها الناس، ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، إنه أنعم عليكم بأنواع النعم وهو غني عنكم، ووهبكم الخير وهو غير محتاج لكم، ووعدكم بالمزيد إن شكرتم، وأنذركم بالعذاب إن كفرتم، وقال لكم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فأين أعمالنا من شكر المنعم؟ لقد أنعم الله علينا بالمال وأوجب فيه الحق للسائل والمحروم، وجعله وسيلة لصلة الأرحام، وإسعاد البائسين، وإغاثة الملهوفين وتعليم الجاهلين، وصيانة الأمة والوطن من كيد الكائدين وإرجاف المرجفين وفتن المفتنين، فهل فعلنا ما به أمرنا؟ أم بخلنا به على الصالحات وصرفناه في المنكرات فخرسنا الحسنات وربحنا السيئات فلم يستفد منه محتاج لقضاء حاجته، ولا أفدنا منه بائساً لتفريج كربته، وربما كنزه بعضنا ليحاسب على منعه بعد مماته، ويرثه غيره فينعم بخيراته أو يصرفه في ملذاته.

والصحة والشباب والقوة نعمة، فهل قام المنعم عليهم بواجبها أم أتلفوها بالسهر والمجون وإيذاء البسطاء والاستهزاء بالفقراء وارتكاب المحرمات والجهر بالمنكرات؟

والقلوب في الصدور نعمة، فهل آمنت بالله وأحسنت الظن بالمؤمنين من عباد الله أم أنها أساءت الظن وغلب عليها الغل والحسد؟ والألسنة نعمة، فهل دعونا بها إلى كلمة الله؟ وهل أمرنا بمعروفٍ



ونهيها بها عن منكرٍ؟ وهل ذكرنا بها مع الذاكرين وأرشدنا بها مع المرشدين أم جعلناها آلة غيبةٍ وشتمٍ ووسيلةً للسَّبِّ والذَّمِّ؟

والمأكولات والمشروبات على اختلاف أنواعها نعمةٌ، فهل أكلناها طيبةً كما أمرنا الله؟ هل أطعمنا منها البائس والفقير؟ هل وصلنا بها أرحامنا وأتحفنا منها جيراننا أم بذرنا وأسرفنا، فلا المسكين أطعمنا ولا السائل أعطينا، فرمينا على المزابل بالفضلات، وألقيناها في النجاسات، وعلى قوارع الطُّرقات، وكان الأولى بها أن تُصان، لا أن تُداس وتهان، فلا ينتفع بها إنسان، ولا يأكلها حيوان، وهذا غاية التَّبذير، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

يا عباد الله، إِنَّ الشُّكْرَ شعار الصَّالحين وعلامة اليقين وسمة المتقين وسراج المؤمنين، وهو أن يعلم الإنسان أن النِّعم من الله ما كثر منها وما قلَّ، وما دقَّ منها وما جلَّ، وما ظهر منها وما خفي، فالله هو المنعم الحقُّ ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ط﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ط﴾ [إبراهيم: ٣٤].

يا عباد الله، لقد امتدح الله رسوله إبراهيم بأنه كان شاكرًا لأنعمه، وأثنى على رسوله نوح بأنه كان عبدًا شكورًا، وجعل الشُّكْرَ من أسمائه الحسنی وصفاته العلیّة، فقال جلَّ جلاله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، فإذا قلَّ فينا الحامدون لله، وكثر فينا الشَّاكون والجُهَّال، وماتت القناعة، وانعدم الرِّضا، فإنَّ ذلك دليل الهلاك، وسبب لنزول البلاء؛ لأنَّ الله أنذرنا بقوله: ﴿وَلَكِن كَفَرْتُمْ إِن عَدَايَ لِشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فأين شكرنا من شكر أسلافنا الصّالحين؟ وأين حالنا من حال أولئك المتّقين؟ لقد كان أحدهم والله إذا أمسى آمنًا فكأنما ملك الدّنيا، كما قال ﷺ:

«من أصبح منكم آمنًا في سربه مُعافًى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدّنيا»^(١)، أمّا غيرهم فقد ملك الدّنيا فضّتها وزهّبها، ولكنّ الجشع ملك عقله، وكلّما جاءته الألوف قال: هل من مزيد!

يا عباد الله، كلُّ قوم جحدوا نعم الله وكفروا فضله لا بدّ أن يذلّوا بعد عزّ، ويهونوا بعد رفعة، ولن يفيدهم الشّرف والزّخرف، ولن يسعدهم الجاه والمال إلّا إذا رجعوا إلى الكريم المتعال، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، فاتّقوا الله عباد الله، واشكروا نعم الله عليكم، ولا تقابلوها بالجحود والكفران، وحافظوا عليها بالطّاعات، وارعوها بفعل الصّالحات، فإنّ المعاصي تزيل النّعم وتنزل النّقم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشّربة فيحمده عليها»^(٢)، وروى الطّبراني أنّ رسول الله ﷺ قال: «أول من يدعى إلى الجنّة الحمّادون؛ الذين يحمدون الله على السّراء والضّراء»^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (١٨١٦)، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٢٣٤٥).



فِيئْتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [الزُّمَر: ٧].

ويقول في الثانية:

أما بعد:

عباد الله، فاتقوا الله وأطيعوه وأطيعوا إليه وراقبوه؛ فإن من كان مع الله كان الله معه، ومن ترك اللذات أمن من الآفات، ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣] وقد قال لنا نبينا ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»^(١)، و«إن الكلمة الطيبة صدقة»^(٢)، و«تبسّمك في وجه أخيك صدقة»^(٣)، وإن أقرب الناس منزلة يوم القيامة من رسول الله ﷺ هم: «أحاسنكم أخلاقًا»^(٤)، وإن الأخلاق الكريمة إذا انتشرت في أمة حلّ فيها التآلف والإخاء.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣].



(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .



الكسب

« ٢٣ »

الحمد لله ربّ العالمين خير الرّازقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرحم الرّاحمين، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله سيّد المرسلين، نهى عن الغشّ والضّلال، ودعا إلى كسب الحلال، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكمال، أمّا بعد:

عباد الله، فالعمل في سبيل العيش طبيعيّة فطر الله الأحياء عليها، وكلُّ حيٍّ مدفوع بالغريزة إلى المحافظة على نفسه، والحرص على وجوده فلا غنى لإنسان - مهما كانت قوّته - عن الأكل والشّرب ليصون جسمه من الهلاك، ولا بدّ له من ملابس تقيه البرد وتردّ عنه الحرّ، ومن سكنٍ يسكنه يمنع عنه شرّ الاعتداء عليه، ومن زوجةٍ تأويه ونسلٍ يحيي ذكره، ولهذا كان الرّجل هو المسؤول والمكلّف بالسّعي على نفسه وعياله، فاحترف الحرف، وتاجر وتقلّد الأعمال والوظائف، وقسم الله تعالى الأرزاق ويسّر كلّاً لِمَا خُلِقَ له، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الرّحرف: ٣٢]، فالسّعي - أيها المسلمون - وراء العيش

واجبٌ، والتَّكْسِبُ فرضٌ لازمٌ، والعملُ سرُّ النَّجَاحِ، وميزانُ الأُمَّةِ بينَ الأممِ أعمالُها وإنتاجُها، واللهُ ﷻ «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾» [المُلْك: ١٥]، وقد قال ﷺ: «أَفْضَلُ الْكَسْبِ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ»^(١).

والإسلام لم يتركنا هملاً نكتسب كيف ما تهيأ لنا الكسب، وإنَّما أوضح لنا طرق الكسب المشروعة، وبَيَّن لنا سبله المباحة، وإنَّ الكسب الحلال هو ما أخذته أجرًا لعملٍ مباح، أو ربحته في صناعة، أو في تجارةٍ بحقٍّ، أو ورثته بأمر الله، أو وُهبَ لك عن طريقٍ صحيحٍ، وإنَّ الكسب الحرام هو ما اغتصبته من صاحبه أو وصل إليك من ربا أو قمار أو أخذته بغير حقٍّ أو حصلت عليه من طريقٍ غير مشروع، والرَّسول ﷺ يقول لنا: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»^(٢).

عباد الله، إنَّ التَّكْسِبَ واجبٌ على كلِّ من وهبه الله قدرةً على الكسب، وإنَّ المالَ الَّذِي تَكْسِبُهُ ليس خيرًا بذاته وإنَّما خيره في الاستغناء به عن النَّاسِ والإنفاق منه على العيال ومساعدة المحتاجين والبؤساء وإغاثة الملهوفين من المسلمين وصلة الأرحام، وإنَّه ليس شرًّا لذاته، بل شرُّه في الشُّحِّ به والبخل فيه وتكديس بعضه على

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٢).



بعض، وشره في منع زكاته وإخراج ما أوجب الله علينا فيه، والطغيان والغرور به، وإنفاقه في الفسق والفجور والباطل والزور.

عباد الله، قد يكون المال مباركاً إذا فتح لصاحبه أبواب النعم، وقد يكون شؤماً إذا فتح لصاحبه أبواب الجحيم، وإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قسم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»^(١)، وإذا جمع الله بين الدين والدنيا لعبده كان ذلك من أكبر الأدلة على رضا الله عليه.

عباد الله، إن الله حرم على عباده الكسل والقعود عن طلب الرزق وأخبرنا الرسول ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المكفي الفارغ»^(٢)؛ والمكفي: هو الذي يأكل من كسب غيره، والفارغ: هو الذي لا عمل له، وإن شر أنواع الكسل هو الترفع عن صغير الأعمال النافعة طمعاً في نيل ما هو أشرف، فيضيع على المرء وقته، ويطول قعوده، وتزداد حاجته، وينتهي به الحال إلى الذلة أو الرذيلة، وإن العمل مهما كان متواضعاً فهو أفضل من البطالة أو إراقة ماء الوجه بسؤال كريم أو لئيم من ذوي المال، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني عن الناس؛ خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه»^(٣)،

(١) رواه أحمد، رقم: (٣٦٧٢).

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير، رقم: (١٨٧٨).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٤٧٠).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يعملون في نخيلهم ومزارعهم وأسواقهم، وكفى بهم قدوة للمؤمنين، ولا بد للإنسان من حركة تُسبب له رزقه، ووسيلة يكسب بها عيشه، ويعول أسرته، ويحفظ بها كرامته، وبذلك يعيش كريماً عزيزاً.

عباد الله، في هذا الزَّمن فَتَرَتِ الهمم وخربت الذُّمم، يحلف التَّاجر لترويج تجارته، والعامل يُخادع في عمله ويخلف وعده، والموظف يهمل وظيفته، والوكيل يخون من وُكَّله، وكلُّ هذا غشٌّ وخيانةٌ سببه جشعنا وطمعنا وشُحُّنا وحرصنا على المال، فلا نبالي من أين أتى، وإهمالنا أوامر الشرع وعدم التَّمسُّك بالدين ونبذنا أدب الإسلام وراء ظهورنا، وقد قال رسول الله ﷺ: «من غشَّنا فليس منا»^(١)، ويقول ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جعلَ اللهُ غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعلَ اللهُ فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له»^(٢).

عباد الله، إنَّ الكسب الحرام قبيحٌ بالفقير وهو بالغنيِّ أقبح، ولا يبيح الفقر المحرَّمات من الرِّزق، وإنَّ التَّعَفُّفَ عن الحرام خيرٌ من التَّنَعُّم به، ولن يكشف اللهُ غمَّنا ولن يستجيب دعاءنا إذا كان مطعمنا وملبسنا حراماً، وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعثٌ أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب، ومطعمه

(١) رواه مسلم، رقم: (١٠١).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٦٥).



حرام، ومشربه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ»^(١)، فَاتَّقُوا
الله عباد الله واعملوا بأوامر دينكم وانتهوا عن منهيّاته لعلّكم تفلحون،
وَاتَّقُوا الله واجعلوا لكم من نبيّكم أسوةً كما أمركم ربّكم، ومن
صحابته قدوة، وتزوّدوا لآخرتكم من صالح العمل فإنّ خير الزّاد
التّقوى، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل:]

• [١٢٨]



(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٩٨٩)، وقال: حديث حسن غريب.





شهادة الزور

« ٢٤ »

الحمد لله لا تخفى عليه خافية، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، أمر بالعدل والإحسان، وجعلهما آية
الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله الحكيم العدل، المنزه عن الظلم،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه رحمةً للناس بشيراً ونذيراً
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فنشر العدل
والأمان، وحفظ به كرامة الإنسان، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك
ورسولك سيِّدنا محمد الذي شرح الله صدره، ورفع في العالمين ذكره
وعلى آله وأصحابه الذين طهَّر الله قلوبهم بالإيمان فرضي عنهم
ورضوا عنه فسادوا في الدنيا ونجوا في الآخرة، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾ [الأنعام: ١٦٩]
[الإسراء: ١٩]، أمَّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله حقَّ تقواه، فإنَّ في التَّقوى النَّجاة، ولا تَتَّبِعُوا
خطواتِ الشَّيْطَانِ، فإنَّ فيها الهلاك والخسران، وإنَّ الله قد اختار
لكم الإسلام ديناً، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل
عمران: ٨٥] فإن امتثلتم أمره وتواصيتم به عشتم في نعيم وسلِّمتم في
الآخرة من العذاب الأليم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [التحل: ٩٧]، فالمسلمون الآن ذُلُّوا وَعُزِّ غيرهم، هانوا وارتفع سواهم، ضعفوا وقوي عدوُّهم، أهم قلَّةٌ في العدد؟ أم فقراء في المال؟ كَلَّا والله! وإنَّما نبذوا أوامر دينهم، فرفضوا آدابه وسلكوا غير سبيله، ورفضوا محاسنه، وليتهم بعد هذا عاشوا على فطرتهم التي فطرهم عليها ربُّهم، لكنَّهم عمدوا إلى المحارم فاستباحوها وإلى المنكرات فارتكبوها، ولم يحرزوا من الإسلام إلا اسمه ولم يبقَ منه لديهم إلا رسمه، وإنَّ شرَّ المنكرات شهادة الزور، فهي آفة اجتماعية ومرضٌ وبيلٌ متى حلَّ في أُمَّةٍ فقدت الهناء والاستقرار ونزل بها البلاء والدَّمار، وإنَّ أبغض العصاة إلى الله شاهد الزور؛ الذي أساء إلى نفسه وإلى غيره، وباع آخرته بدنيا لا تُسْمِنُ ولا تُغني من جوع، فعاش في هوانٍ؛ لأنَّه فقد الثِّقة بين النَّاس، وفقد كرامته وأوضاع مروءته، ومات في هوانٍ؛ لأنَّه خالف أمر ربِّ العالمين، ويكون بذلك خاسراً كما وصفه الله في كتابه: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، كما أنَّ شاهد الزور أساء إلى من شهد له؛ لأنَّه أعانه على الظلم في وقت هو أحوج فيه إلى من يرده عن الظلم، وأوقعه في الإثم وأخجله يوم الفزع الأكبر، يوم يعضُّ الظالم على يديه من الحسرة ويعرض على الله الذي يعلم السرَّ وأخفى، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥٢].

وشاهد الزور أساء إلى القاضي فأضلَّه عن طريق الهدى ولولاه لكان من المهتدين، وأساء إلى الأُمَّة فقد أفقدها نعمة العدل وهناء



الأمن ولذة الاستقرار، وأساء إلى دينه فخالف أمر ربّه وأساء إلى نبيّه وأعرض عن هديه، وشاهد الزور كاذبٌ، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وهو فاجرٌ؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفَجْرِ وَالْفَجْرِ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١)، ولست أدري ما الذي أوقع شاهد الزور بالإثم؟ أطمعًا في المال؟ وقد باع جنّة عرضها السّموات والأرض بدراهم زائلة لا تمنع فقرًا ولا تدفع ضرًا، أتصديقه لمن شهد؟ وقد جلب على نفسه العار، فأغضب الملك الجبار، وأسقط اسمه من سِجِلِّ الأبرار و«شَرُّ النَّاسِ مَنْ ظَلَمَ نَاسًا لِنَاسٍ»^(٢)، أم خوفًا ممّن شهد له؟ وكان عليه أن يخاف ربّ الجميع؛ لأنّ «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسَخَطَهُ فِي رِضَاهِ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ»، الطبراني عن ابن عباس^(٣).

عباد الله، اتّقوا الله واجتنبوا قول الزور وأدّوا الشّهادة كما رأيتم أو كما سمعتم، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقولوا الحقّ والتزموا الصّدق، فقد روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصّدق

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٨٩).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٧٠٥٦)، بلفظ: «من أظلم الناس؟ قال: من ظلم لغيره».

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١١٦٩٦).

فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا»^(١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَمْنَعُكُمْ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ حُبُّ الْوَالِدِينَ وَمَوَدَّةُ الْأَقْرَبِينَ، قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ أَبْنَائِكُمْ أَوْ إِخْوَانِكُمْ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ وَرَاعُوا فِيهَا أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا تَحُورُوا^(٢) فِيهَا مِيلاً لِقَرِيبٍ أَوْ تَرْحَمًا لِفَقِيرٍ أَوْ خَوْفًا مِنْ ظَالِمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ فَأَدُّوْهَا كَمَا أَمَرَ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨]، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، قَالَهَا ثَلَاثًا: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قَلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٣)، وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ تَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يَوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ»، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ^(٤).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٨] وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ [المائدة: ٨-٩].

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٠٧).

(٢) يحور: يفسد الأمر بعد إصلاحه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢١٧/٤).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٢٦٥٤)، ومسلم، رقم: (٨٧).

(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٣٧٣).



ويقول في الثانية:

أمَّا بعد:

عباد الله، فلا يليق بنا؛ أي: المسلمين، أن نترك السنن ونرتكب البدع التي يابها العقل ويحرمها الدين، فإنَّ ديننا - أيها المسلمون - صراطٌ مستقيمٌ وسبيلٌ معبَّدٌ، فمن أعرض عنه وقع في المهالك، ومن سلك سبيله كان من الناجين، وهو عبادةٌ وتقوى وهدايةٌ وصلاخٌ وبرٌ واستقامةٌ وأخلاقٌ وعملٌ وقوَّةٌ وحزمٌ وصدقٌ وأمانةٌ جاءنا بها رسول الله ﷺ فبلَّغها للناس وأوضحها لهم لكيلا يكون للناس على الله حجةٌ وقت المحاسبة، وقال ﷺ: «لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١)، وقال ﷺ: «ما أحدث قومٌ بدعةً إلاَّ رُفِعَ مثلها من السنَّة، فتمسَّكُ بسُنَّةٍ خيرٌ من إحداثِ بدعةٍ»، رواه أحمد عن غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ الثُّمَالِيِّ^(٢)، فمن أطاع هذا الرَّسُولَ نجا وحسنت دنياه وأخراه، ومن خالف أمره خسرَ أولاه وعقباه، وألقى نفسه في العذاب، واستحقَّ شديد العقاب، فاتَّقوا الله عباد الله ولا تكوننَّ من الخاسرين، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].



(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٦٩٧٠).





غربة الإسلام

« ٢٥ »

الحمد لله ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ ﴿ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ﴾ ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَانَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزه الذي لا يُرام، ومُلكه الذي لا يُضام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، به أيقظ البشرية من رقادها وأصلحها من فسادها، وأخرجها من جهالتها وظلماتها، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على سُننه القويمة وسلكوا نهجه المستقيم، فأنعم الله عليهم وأغناهم بعد فقرٍ وأعزهم بعد ذلٍّ وعلمهم بعد جهلٍ وهداهم بعد ضلالةٍ وصدق لهم وعده؛ فمكّن لهم في الأرض واستخلفهم في الخلق، فكانوا خير أمة أُخرجت للناس؛ برّاً بالخلق ونشراً للعدل ونصراً للحق، أمّا بعد:

عباد الله، فاتّقوا الله الذي خلقكم ورزقكم، وبفضله شملكم، وأتمّ نعمته عليكم ورضي لكم الإسلام ديناً، فقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ثمّ قال: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿ ٨٥ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وإنّ المنتسبين إلى الإسلام بلغ عددهم اليوم مئات الملايين، وقد ملؤوا

البلاد شرقًا وغربًا، فهل عرفوا حقيقة دينهم وما يدعوهم إليه؟ إنَّ الإسلام - أيُّها المسلمون - جاءنا بالتَّوحيد في كلِّ أمرٍ ودعانا إليه، فالرَّبُّ واحدٌ والرَّسولُ واحدٌ، والكتابُ واحدٌ والقبلة واحدةٌ، والتَّشريع واحدٌ والسُّنَّةُ واحدةٌ، والمبدأ واحدٌ والغاية واحدةٌ، والخليفة واحدٌ وأُمَّة الإسلام أُمَّةٌ واحدةٌ، كما أراد الله ذلك لها بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) [الأنبياء: ٩٢]، فهل عرف المسلمون ذلك؟ إنَّنا لو نظرنا إلى بلاد الإسلام وإلى من يدعون الانتساب إلى الإسلام لوجدناه غريبًا في بلاده وبين أهله والنَّاس، فهذه الحكومات تقول: إنَّ دينَ الدَّولةِ الإسلامُ، وكلُّ ما فيها يخالف حقيقة الإسلام؛ فلا المحاكم تحكم بحكم الإسلام، ولا المعاملات تجري على شرعه، ولا الأخلاق تنهج نهجه، والشُّباب والشُّيَّب والإناث والذُّكور لم يسيروا على الطَّرِيق الَّذِي سَنَّهُ الإسلامُ لهم، وحدوده الَّتِي حَدَّهَا للمسلمين أُغْفِلت، والحرَمات الَّتِي حَرَّمَهَا عليهم انْتَهَكَت، ولو جئت أيَّ بلدٍ من بلاد المسلمين لتوهَّمت أنَّك في بلدٍ غير مسلم، فلم يُعرف الإسلام في بلاده بحالٍ كهذه، وها هي المجتمعات تقول: إنَّها مسلمةٌ ولكنَّ الإسلام منها براء؛ لأنَّها مجتمعاتٌ لا تجتمع إلَّا على حرام، ولا تَنْفُضُ إلَّا عن حرام، فالمنكر فيهم مألوف، والمعروف فيهم غير معروف، وأفراد النَّاس يقولون إنَّهم مسلمون والحقيقة تخالف ذلك؛ إذ «يُوشِكُ أَنْ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ»^(١)، وقال

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٧٦٥).



تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، والإسلام غريبٌ بين الناس، فهذه الحروب التي تُشنُّ في المغرب والمشرق، وهذه المؤامرات التي تُحاك خيوطها في الشَّمال والجنوب، وتنعقدُ بين الأقطاب والأذنان، وغيرها كتب ومنشورات ومجالات تُضللُّ العقول وتطعن في الدِّين وفي سيِّد المرسلين، وتُباعُ في الأسواق ويقرأها الخواصُّ والعوامُّ والكبار والصِّغار، وهذه دعاياتُ تُغري الشَّباب وتدعوهم إلى نزع الحياء وإلى غير ما يدعوهم الله إليه، وانتهاكُ لحرَمات الله بين سمع النَّاس وبصرهم، وحروب نارٍ وأعصابٍ قامت ضدَّ المسلمين مئآت السنين، فنصر الله المسلمين فيها يوم كانوا يلجؤون إلى ربِّهم في شدَّتهم وبأسهم، ويأتَمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه، وها نحن اليوم تُغتصبُ منَّا فلسطين، أقول: تُغتصبُ، والحقيقةُ أنَّها سلَّمت لأشدَّ النَّاس عداوةً للَّذين آمنوا؛ لليهود أعداء الله ورسوله والمؤمنين، والمسلمون ينظرون وليس فيهم إلا متألِّم ولكن هل عملوا؟ لا؛ لأنَّهم مقيِّدون، وفي الحقيقة خائفون والمؤمن يجب ألا يخاف، وها هي اليوم حربٌ في الجزائر، وقتلٌ في عمان، واعتداءٌ على اليمن، وتشتيتٌ في كشمير، ومؤامرات ومؤتمرات ضدَّ وحدة مصر وسوريا، ونصرٌ لليهود وسكوتٌ على اعتداءاتهم على حدودنا، وتأييدٌ لإسرائيل بالمال والسَّلاح، وضحايا في كلِّ مكانٍ، وحربٌ حارَّةٌ وحربٌ باردةٌ وحربٌ اقتصاديةٌ ضدَّ المجاهدين، وها هي الضَّمائر تُشترى وتُباع بمختلف الأسعار، ومنافقون كانوا بالأمس لنا ثمَّ انقلبوا علينا؛ لأنَّ الثَّمَن الَّذي دُفِعَ لهم كان أكثر إغراءً، كلُّ ذلك ضدَّ الإسلام لماذا؛ لأنَّ

الإسلام غريبٌ بين النَّاسِ، والغريب يُخشى منه.

أيُّهَا النَّاسِ، قد قلنا إنَّ الدِّينَ يأمر بالتَّوْحِيدِ في كلِّ أمرٍ يدعو إلى توحيد الكلمة فهل نحن موحدون كما أراد لنا الدِّين؟ هل غايتنا واحدة؟ هل مبدؤنا واحد؟ هل أممتنا واحدة كما أراد الله؟ لا، لقد أراد لنا العدوُّ أن نكون أمم أقاليم لا أمَّة عربٍ أو إسلام؛ فضيَّق حدودنا، وفرَّق جنسيَّاتنا، وصرنا كما أراد، فهل إذا نظرنا إلى بلادنا ومجتمعاتنا وبيوتنا نجد أثر الإسلام فيها؟ لا؛ لأننا نريد أن نتحرَّر، والدِّين قيدٌ وعبوديَّةٌ ورجعيَّةٌ إلى الوراء، هذا ما قاله لنا عدوُّنا ونحن نقول كما قال، لقد قصَّرتنا في حقِّ ديننا فلم نحسن إليه، وفرَّطنا في واجباته فلم نوَدِّه حقَّه، وما أصابنا من شقاءٍ وبلاءٍ فإنه حصاد تفريطنا وثمر تقصيرنا، ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

أيُّهَا الإخوان، إنَّ ديننا - والله الحمد - جمع بين الدِّين والدُّنيا وأراد لأهله العبادة والعمل وزينة الحياة، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا»^(١)، وكتاب الله تعالى أثنى على أولئك الذين كان دعاؤهم: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٥١١٠).



أيُّها الإخوان، عرف السَّابِقُونَ الأوَّلُونَ نعمة الإسلام فتمسَّكوا بها، وعرفوا مقاصدها وغايتها، وشكروا الله عليها وأدَّوا واجبها ودعوا إليها، وافتخروا بها وبشرف الانتساب إليها، فحقَّقت لهم سعادتهم وحلَّت مشكلاتهم وأذهبت آلامهم، فسعد بهم البائس، وتعلَّم منهم الجاهل، واهتدى بهم الضَّالُّ، ثمَّ أخذ النَّاس ينظرون إليهم نظر المسود إلى السَّيِّد، والنَّاقص إلى الكامل، ثمَّ قلَّدوهم، ثمَّ دخلوا في دينهم أفواجًا، أمَّا اليوم فإنَّ الوضع تغيَّر فقد خَلَفَ من بعد أولئك الأسلاف خلفٌ أضاعوا الصَّلَاةَ ومنعوا الزَّكَاةَ واتبَعوا الشَّهوات، وآمنوا بالخالق الرِّزَّاق لكن لم يأتَمروا بأمره ولم ينتهوا عن نهيه، ولم يتناهوا عن منكرٍ فعلوه، وآمنوا بالقرآن - كتاب الله - ولم يقفوا عند حدوده ولم يمتثلوا نصائحه وزواجره، آمنوا بمحمَّدٍ رسول الله لكنَّهم ما اتَّبَعُوا سنَّته، ولا تأسَّوا بسيرته ولا سلَكُوا تلك الطَّرِيق التي عبَّدها لهم، بل سلَكُوا أسوأها غير مباليين بالمشقَّات، والمهالك القاتلات، فهل هؤلاء مسلمون؟

يا عباد الله، لقد طال الأمد على المسلمين، فقست قلوبهم وطغت عليهم الدنيا فألهتهم عن ذكر ربِّهم، وأشغلتهم الشَّهوات فعظَّلوا دينهم، وفرَّقتهم الأهواء فأذهبت ريحهم، ووالوا أعداءهم فكسروا شوكتهم، وأهمَلوا حقوق ربِّهم فوَكَّل أمرهم إلى غيرهم، واستنصروا بعدوِّهم على أخيهم فسَلَطَ الله عليهم عدوِّهم وأخذ ما في أيديهم، ولن يصلح أمرهم ويعود مجدهم حتَّى يعودوا إلى ربِّهم ويتمسَّكوا بأوامر دينهم، ووالله «لن يصلح آخر هذه الأُمَّة إلَّا بما صلح به أوَّلها»^(١).

(١) سبق تخريجه .

عباد الله، إن الله وعد - وهو لا يخلف وعده - أنه سيعزُّ دينه إذا تركتموه، وسيعلي كلمته إذا غفلتم عنها، وسيأتي بمن يُجدد لهذا الدين مجده ويحيي مآثره إذا تخاذلتم فيه وتقاستم عنه، فقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمَّد: ٣٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»، قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(١).

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [١٣] ﴿الشورى: ١٣﴾، ﴿يَتَّيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَيْنِكُمْ عَنِ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٥٤] ﴿المائدة: ٥٤﴾.

ويقول في الثانية:

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أن إيمان المرء لا يتم إلا إذا آمن بستة أمور: أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، واليوم الآخر لا بد منه وهو الساعة التي ذكرها الله في كتابه بقوله صلى الله عليه وآله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [٤٢] ﴿الأنعام: ٤٢﴾.

(١) رواه أحمد، رقم: (١٦٦٩٠).



[التَّزَعَاتُ: ٤٢]، وللسَّاعة علامات وأشراط بيَّنها لنا الَّذي لا ينطقُ عن الهوى نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ عندما قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ»^(١)، وقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُومُونَ سَاعَةً، لَا يَحِدُّونَ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ»^(٢)، وقال: «يَأْتِي النَّاسُ زَمَانٌ الْقَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(٣)، وقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ فِيهِ الْمُؤْمِنُ أَدْلَّ مِنْ شَاتِهِ»^(٤)، وقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَا يُبَالِي الرَّجُلُ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ»^(٥)، وها نحن اليوم كما أخبرنا رسول الله؛ فقد التُّمِسَ الْعِلْمُ عِنْدَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَتَدَافِعُ أَهْلَ الْمَسْجِدِ إِذَا غَابَ إِمَامُهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُ أَدْلَّ مِنْ شَاتِهِ وَلَمْ يُبَالِ الرَّجُلُ بِمَا اكْتَسَبَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ! وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

﴿٨﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨]•



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٩٠٨).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٩٨٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٣٠٩٣٦).

(٥) رواه النسائي، رقم: (٥٩٩٨).





إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

«٢٦»

الحمد لله على كلِّ حالٍ والحمد لله في كلِّ حالٍ، والحمد لله حمداً يليق بعظمة ذي الجلال، والحمد لله حمداً نرجو به الهداية إلى الكمال، وجميل الخصال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي علّمنا أن الدين حسن الخلق، وأنه لا يكمل إيمان المرء «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١)، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»^(٢)، وعلى آله وصحبه الذين تعاونوا على المكارم ودعوا إلى المحامد وهدوا إلى الإرشاد رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، أمّا بعد:

أيُّها المسلمون، فاتَّقوا الله حقَّ التَّقوى وتمسَّكوا منها بالسَّببِ الأَقوى، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ﴿اللَّهُ ابْتِغَاءَ لِيُغَيِّرَ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فإنَّ غَيِّروها لخيرٍ نالوا خيراً وإنَّ غَيِّروها لشرٍّ فلا بدَّ من الشرِّ، وها نحن في حالٍ لا نحسد عليها في الشُّعوب، الشرُّ محيطٌ بنا ونحن واقعون به، سعيٌّ وراء الشَّهوات

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٣٦٤٦).

وترويحٌ للمنكرات، وبدعٌ وسيئات، وتعامٍ عن المهلكات، وتغافلٌ عن الصّالحات، لا معروف به يؤمر، ولا يعاب فينا على منكر، هم الناس في الدنيا وزهرتها، وحياتهم للعيش وزخرفه، لا بالتقوى الزكّية نعمل، ولا القلوب المبصرة تخجل، فمرأى المنكر ألفوه، وسماع القبيح عرفوه، ومرتكب المعاصي قدّموه، ومرّوجها شرّفوه.

أيها المسلمون، ليس الخير أن نلبس أنعم الملابس أو نأكل أطيب المأكّل أو نركب أفخم المراكب أو نجمع أكثر الأموال، ألا إنّ الأموال فانية واللذات زائلة والأنفس هالكة، ولا ينفع إلا العمل الصّالح والخير كلّهُ فيه، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]، ثمّ هو عذابٌ أليمٌ أو نعيمٌ مقيمٌ، فما لكم ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حَيًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٩-٢٠]، ما لكم تعاميتم عن صراط الله المستقيم، وتصاممتم عن أوامر دينه القويم؟ ما لكم نسيتم موهب النعم، جزيل العطاء عظيم الكرم؟ ما لكم نسيتم ربًّا لو قطع عنكم مدده لذكرتموه؟ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣]، وما لكم إذا دعيتم إلى الحقّ أعرضتم وإذا سمعتم اللغو أصغيتم؟ وما لهذا خلقتم ولا بهذا أمرتم، أمركم ربُّكم بأن تنصروا دينكم وأن ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنفْسُلُوا وَنَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأمركم بالتعاون على البرّ والتقوى لتجتمع قلوبكم ويأتلف مجموعكم، وأن ينصر قوئكم ضعيفكم، وأن يُعلّم عالمكم جاهلكم، وأن يُرشد مهتديكم ضالّكم، وأن «يُحبّ الفرد منكم لأخيه ما يُحبّ لنفسه»^(١)، و«أن تكونوا

(١) سبق تخريجه، بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيه ما يُحبّ لنفسه».



كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضكم اشتكى كلُّكم»^(١)، وأن تكونوا كالبنيان في وحدتكم وقوتكم، وقد أمرنا الله بمحو ما يُسبب الفُرقة بين المسلمين، وأن نصلح بين المتخاصمين ونقضي على المفسدين ونناصر المظلومين ونزجر الظالمين، ونهلك المنافقين ونهجر الفجرة والفساقين، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّسَاء: ١١٤].

إخواني المسلمون، سلك السلف الصالح طريق الحق، وأطاعوا خالق الخلق، فوصلوا إلى جنان الألفة والمحبة وقطفوا منها ثمار العز والسودد، أمّا نحن فأهملنا وخسرنا، ولن نربح ما دمنا في عصيان، أعرضنا عن أوامر ربنا فماتت نفوسنا، وأغضبنا إلهنا وخسرنا ديانا وآخرتنا، وفضلنا مصالحنا الفردية على مصلحة المجموع فخسرنا حالنا ومستقبلنا، وأهلكنا ذريتنا بإهمالنا، ساعدنا عدونا أملاً بأنه سيفيدنا فأهلكنا وأكلنا، قربنا الأجنبي عنا حسداً من عند أنفسنا للقريب منا فزحزحنا عن بلادنا، وإن دام حالنا هكذا فنصبح غرباء في أوطاننا، استبدلنا بأخلاقنا الإسلامية أخلاقاً غريبة عنا ليست من ديننا ولا من عرفنا وسميناها بأسماء يحسن وقعها على مسامعنا، فسمينا النفاق مجاملةً فنافقنا، والشح اقتصاداً فبخلنا، وسوء الظن حزمًا فخنا، والكبرياء إباء فتكبرنا، والحق حذرًا فحقدنا، والكذب سياسة فكذبنا، والمكر داء فغدرنا، وصارت الغيبة

(١) سبق تخريجه، بلفظ: «كالجسد الواحد إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسَّهر والحمى».

قائمة في كلِّ مجالسنا، والنِّفاق أفضل سجايانا، والكذب رأس مالنا والمكر عادةً لنا، فاتَّقوا الله - أيُّها المسلمون - وتمسَّكوا بأخلاق دينكم واجعلوا لكم من نبيِّكم أسوة حسنة لكم في أقوالكم وأفعالكم وامثلوا أمره إذ يقول لكم: «الفضل في أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»^(١).

اتَّقوا الله ربَّكم ما دام في الحال متَّسعٌ قبل أن يستفحل الأمر عليكم، ويتَّسع الخرق على الرِّاقع ويأكلكم الغريب الطَّامع؛ الغريب عنكم في دينكم وجنسيَّتكم ولغتككم ووطنكم، وعندها يصدق مضروب المثل فيكم: فلا الخبر حصَّلتكم ولا حالكم سلمتم، اتَّقوا الله وغيرُوا ما بكم لطاعته يكن الله معكم، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٠].

أخرج البخاريُّ عن النُّعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ منه تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى»^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨-٦٩].



(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٦٩٣٤).

(٢) سبق تخريجه.



وكذلك حَقَّتْ كلمةُ ربِّك على الَّذِينَ فسقوا

«٢٧»

الحمد لله على نعمته، حمدٌ مؤمنٍ بقدرته، مُقرٌّ بخطيئته، طالبٍ لرحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في وحدانيته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى كافة بريته؛ لينقذهم من ظلمات الجهل وشقاوته إلى نور العرفان وسعادته، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى كافة آله وصحابه، أمّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله فإنَّ الله مع الَّذِينَ اتَّقوا وَالَّذِينَ هم محسنون، واعلموا أنَّ الله ﷻ بعث محمداً وكان النَّاسُ في لَجَجٍ من الظُّلمات، في جهالةٍ جهلاء، وضلالةٍ عمياء، وبغيٍّ وبغاء، وحروبٍ ودماء، وأعراضٍ تُهتِكُ ونفوسٍ تهلك، وأصنامٍ تعبد، وبناتٍ توأد، فقام فيهم بأمر الله داعياً إلى عبادة الله وإلى مكارم الأخلاق، وقال: يا أيُّها النَّاس، إنِّي رسول الله إليكم لأنقذكم من الدَّمار فإنَّكم في ضلال وراءه بوار^(١)، فاتَّبِعوني تَرْبِحوا، وآمنوا بالله واعتصموا بحبله، وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى، وتواصوا بالحقِّ والصَّبْر تفلحوا وتنجحوا، وقد سبق إلى إجابته قومٌ فازوا بالرضوان، واتَّبِعهم من نعموا بالإحسان، ثمَّ أوصانا هذا النَّبِيُّ الكَرِيم عند دنو أجله بوصية

(١) البوار: الهلاك. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨٦/٤).

شملت أكثر أحكام الدِّين، وقال فيها: «تركتُ فيكم أمرين ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي كتاب الله وسنتي»^(١)، فتمسَّك بهما الصِّدر الأوَّل للإسلام فكانوا مرشدي الأمم وقادتهم، وتبعهم التَّابعون لهم بإحسانٍ فكانوا هداة النَّاس وسادتهم، ثمَّ خلف من بعدهم خلفٌ تركوا الكتاب فتركوا، وهجروا السُّنَّة فهلكوا، وسلَّط الله عليهم رؤوسًا لا همَّ لهم إلَّا إشباع الشَّهوات، والانغماس في اللُّهو والملذَّات، وحدثنا الرِّسول ﷺ أَنَّهُ: «كما تكونوا يولِّي عليكم»^(٢)، وهكذا كنَّا حتَّى فقدنا العزَّة والحياة، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَّجْرِمِينَ لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

عباد الله، ما لنا إذا دعانا داعي الهدى تصاممنا، وإذا دلَّنا على الرِّشاد تعامينا، وإذا استنهضنا للصَّالحات تغافلنا، وإذا أرشدنا إلى الحقِّ خالفنا، وإذا دعانا داعي الشَّيطان أقبلنا أو سمعنا منادي الهوى سارعنا؟ ألهدنا خلقتنا أم بهذا أمرنا؟ يا حسرةً على العباد ويا خجلتكم من دعاة الرِّشاد، ويا خسارتهم يوم التَّنَاد، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

أيُّها المسلمون، إلى متى ونحن نيامٌ كالأموات؟ وإلى متى والنَّوائب تُحيط بنا من كلِّ الجهات؟ أما أنت لنا يقظةٌ من هذا السُّبات؟ أما أنت لنا انتباهةٌ للحياة؟ لقد طمع بنا الطَّامعون الغزاة

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (٢٠٣٣٧).

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير، رقم: (٩٧٥٨).



فاغتصبوا من أيدينا الطَّيِّبَاتِ، واستثمروا من بلادنا الثَّمَرَاتِ، وأكلوا الخيرات، وتنعَّموا بالصَّادراتِ والوارداتِ، وصرنا معهم كالسَّائِمَةِ^(١) الهائمة في الفلوات، تُسَيِّرُنَا كيف شاءت الرُّعَاةُ، وحفاتنا ما داموا حفاة، وعراتنا لا يزالون عرَاة، ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يُونُس: ٣٣]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، هذا الكتاب الذي تركه لنا رسول الله، وأمرنا أن نتمسك به حتَّى لا نُضِلَّ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وإنَّه يُنادينا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦]، فأين السَّامعون والعاملون والمهتدون؟ ولقد أعطى بعضنا لأعدائنا القيادة فجعلوهم سادة لهم ومكَّنوهم من أنفسهم وأموالهم، إنَّنا والله لو انتبهنا لديننا وعملنا بكتاب الله وتأسَّينا بسنَّة نبيِّنا، وقرأنا تاريخنا، واقتدينا بالصَّالحين من سلفنا لَمَا حَلَّتْ بنا التَّكْبَاتِ، ولنَجونا ممَّا أحاط بنا من النَّائِبَاتِ ولخرجنا منها بفلاحٍ ونجاحٍ ونجاةٍ.

إخواني، لا يقولنَّ قائلنا: ذهب الدِّين أو مصاب الدِّين أليم، أو تقهقر^(٢) الإسلام، كلاً! إنَّ الدِّين لم يذهب، فقد أنزله الرَّحْمَنُ، وتعهَّد بحفظه في القرآن، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

(١) السَّائِمَةُ: الماشية والغنم ترعى. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٣١/٣٢).

(٢) تقهقر: رَجَعَ إلى خلف من غير أن يُعيد وَجْهه إلى جِهَة مَشِيه. انظر: المعجم

الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٧٦٤/٢).

﴿٩﴾ [الحجر: ٩]، لقد أصيب المسلمون وأهلكتهم التفرقة؛ لأنهم تركوا العمل بالدين وتمسكوا باسمه وما هم منه في شيء قليل ولا كثير، وما هي بعض البلاد الإسلامية نرى شبابها قد مرق من الدين فلا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا صلة أرحام، وحرمان ترتكب، وأعراض تنتهك، وخلاعة وتهتك، ومفاسد تلعن، وبدع تُنشر وتؤيد، ومعاهد الدين فيها خالية، وبيوته على عروشها خاوية، وفي بعضها المساجد مهجورة خاوية، نعم والله لم يُصب الدين بالمصاب الأليم، ولكن أُصيب أهله بذل عظيم وخسران مبین؛ لأنهم تعدوا حدود الله التي حدّها لهم وخالفوا أمر الله عليهم وارتكبوا مناهيه، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ظلموا أنفسهم فأحاط بهم العذاب من كل الجهات وحلّت بهم النَّائبات، ونزلت فيهم النَّكبات المهلكات؛ لأنّ الإسلام «أصبح غريباً كما بدأ»^(١)، والتقي صار فيهم طريداً مشرداً.

إنّ دين الله لم يتقهقر، وما كان الله تعالى ليقهر دينه ولا أن يذلّه، وإنّما بعث الله رسوله ﷺ بالدين لإسعاد النَّاس، فمن نصر الله نصره، ومن ترك دين الله أذله، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُم وَيُنِيبَ أَقْدَامَكُمْ﴾ [٧] وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ [محمّد: ٧-٩]، وتلك سنّة الله في خلقه ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، روى الإمام أحمد في

(١) سبق تخريجه.



«مسنده» والطبراني والبيهقي عن عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما يُحِبُّ وهو مقيم على معصيته فإن ذلك منه استدراج»^(١)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [٢٠] كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

ويقول في الثانية:

أما بعد:

عباد الله، اتَّقُوا الله حقَّ تقواه وأنبيوا إليه واستغفروه، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وأن «شرَّ الأمور مُحدثاتها وكلُّ مُحدثَةٍ بدعة»^(٢)، والدين الإسلامي - أيها المؤمنون - بعث الله به محمدًا ﷺ إلى النَّاسِ كَافَّةً؛ لينظِّمَ علاقة الإنسان بخالقه في عقيدته وعبادته، وعلاقته بنفسه في أخلاقه ومعيشتة، وعلاقته بغيره في معاملاته، فكما أن الدين أمر بالعبادات والعقائد، وعرف محاسن الأخلاق وأنكر مساوئها، فكذلك حدَّد المطعوم والملبوس، فحلَّلَ منه ما حلَّلَ وحرَّم منه ما حرَّم، وكذلك

(١) رواه أحمد، رقم: (١٧٣١١)، والطبراني، رقم: (٩١٣)، والبيهقي، رقم: (٤٢٢٠).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٤٦٠٧)، بلفظ: «إيَّاكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثَةٍ بدعة».

المعاملات؛ فما وافق الشَّرْع من كلِّ ذلك فهو الحقُّ، وما خالفه فهو بدعة، و«كلُّ بدعةٍ ضلالة»^(١)، فعليكم عباد الله بتحريِّ الحقِّ في جميع أعمالكم، فإنَّها مُسَيَّرَةٌ بأوامر الله ونواهيه، ومتى سيرَّ الإنسان أعماله باتِّباع ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، أدرك صلته بربه حين يقوم بعمله، ومتى أدرك المرء ذلك، كان سعيداً في حياته آمناً في آخرته، ويُقال له فيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿ [الفجر: ٢٧-٣٠].



(١) رواه مسلم، رقم: (٨٦٧).

الغيبة

« ٢٨ »

الحمد لله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال عبده في سرّه وجهره، نحمده على ما يجري به القدر خيره وشره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنعم على العاصي بستره، ونشهد أن محمّداً عبده ورسوله الداعي إلى الدين أهل برّه وبحره، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه الذين أدلّوا الشّرك وسعوا في قهره ﷺ وأرضاهم أجمعين، أمّا بعد:

أيّها المسلمون، فاتّقوا الله وأطيعوه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا تستصغروا ذنوبكم؛ فإنّ من استصغر الذّنوب وقع فيه، واشتغلوا بعيوبكم عن عيوب غيركم، وأصلحوا ما فسد من أموركم قبل أن تُحاسبوا عليها ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فإنّ المرء لا يكون مسلمًا حتّى يسلم النّاس من شرّه، ويمنع نفسه من ضرر جيرانه وأذى إخوانه، ويكفّها عن المعاصي قبل أن يأتي يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشّعراء: ٨٩].

أيّها المسلم، اعلم أنّ الخوض في أعراض الخلق إثمٌ كبير وأنّ المغتاب في ضلال وعاقبته إلى هلاك، ولن يتوب الله عليه حتّى

يسامحه صاحبه، فأئثم أكبر من نهش أعراض الخلق؟ وأي جرم أكبر من ستر محاسن المحسنين؟ وأي ذنب أعظم من هتك حرمت المؤمنين؟! وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الغيبة، ما هي؟ قال ﷺ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال ﷺ: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته»؛ يعني: كذبت عليه وظلمته، رواه مسلم عن أبي هريرة^(١)، فاعلم أن من ذكر أخاه بما ليس فيه كان عليه وزران؛ ووزر الاغتياب ووزر الكذب.

عباد الله، ما بالنا أصبحنا لا نرى إلا قبيحًا ولا نشم إلا كريهًا؟! استبدلنا بمكارم ديننا الرذائل، وبمحاسنه القبائح، حتى صار المنكر معروفًا والذنب مألوفًا، والغيبة أصبحت حديث الخاص والعام، وجرت في مجالسنا مجرى النكت والملح، لا تفتح الأحاديث إلا عليها، ولا تجتمع المجامع إلا إليها، ولا يأنس الأصحاب إلا بها، ولا يتزاور الزوّار إلا من أجلها، وصارت محور النديم في نطقه، وحديث المتكلم في كذبه وصدقه، ونسوا قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فطوبى لمن ترك الغيبة وكف لسانه عن ذكر ما يسيء إلى صحبه وإخوانه، فإن الغيبة والله شر العيوب ومفتاح الكروب، وهي والله مجلبة المصائب والمحن وبسببها حلت بنا

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٩).



النَّوَابِ، وبها سلَّطَ اللهُ علينا العِدَى وأوقعنا في الرَّدَى، وإنَّ اللهُ أمرنا بالتَّآخِي والتَّآلَفِ، والمَغْتَابِ يريد تمزيق هذه الأَخَوَّةِ بما يبثُّ لسانه من سمومٍ، وما يقذف فمه من شرورٍ، فإنَّ اللهُ يريد للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ منعةً وقوَّةً، والمَغْتَابِ يسعى لهتك هذه القوَّةُ، ألا تَبَّتْ يد المغتاب ما أعظم إثمُه وما أكبر جرمه!

عباد الله، إنَّ اعتداء اللُّسَانِ أعظم من اعتداء غيره من الجوارح، فكم من كلمةٍ ذهبت بها رقاب! وكم من كلمةٍ أوقعت صاحبها في المهالك وهو لا يدري! وكم من كلمةٍ هوى بها صاحبها في نار جهنم، كما قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: «كُفَّ عليك هذا» وأشار إلى لسانه، فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّم به يا رسول الله؟ قال الرسول ﷺ: «وهل يكبُّ النَّاسُ في النَّارِ على وجوههم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟»^(١)، حمانا الله وإياكم من عثرات اللُّسَانِ، ونجَّانا من شرور المخالفة والعصيان.

عباد الله، من عاب مسلماً في لبسه أو مصرفه أو مشيته، أو قال عن الأعمى أنه أعمى يقصد بذلك عيباً فيه لا تعريفاً به، فقد اغتابه وأكل لحمه وهو ميِّت؛ لأنَّه اغتابه دون أن يدري، وقد روى الطبرانيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قام من عند النَّبِيِّ ﷺ فرأوا في قيامه عجزاً، فقالوا: ما أعجز فلاناً، فقال رسول الله ﷺ: «أكلتم أخاكم واغتبتموه»^(٢)، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بجيفة

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٦١٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٤٥٨).

حمارٍ شائلٍ^(١) برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ فقالوا: نحن ذا يا رسول الله، فقال لهما: «كُلا من جيفة هذا الحمار»، فقالوا: يا رسول الله - غفر الله لك - من يأكل من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما نلتما من عرض هذا الرجل أنفاً أشد من أكل هذه الجيفة»^(٢)، وقد ورد في الحديث: «إنَّ الغيبة أشد من الزنا؛ لأنَّ الرَّجُلَ يزني ثمَّ يتوب فيتوب الله عليه، وإنَّ المغتاب لا يغفر له حتَّى يغفر له صاحبه»^(٣)، فاتَّقوا الله عباد الله، واحفظوا ألسنتكم من الغيبة والبهتان، ورطبوها بذكر الله الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وأصلحوا بين النَّاسِ، فإنَّ الله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّسَاءُ: ١١٤]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].



(١) شائل: تقال للإبل التي شالت بذنبها، والناقة الشائل هي اللاح التي تسول بذنبها؛ أي ترفعه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠١/٢٩).
 (٢) رواه النسائي، رقم: (٧١٢٧).
 (٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٦٣١٥).



السُّنَّةُ السَّيِّئَةُ وَالسُّنَّةُ الْحَسَنَةُ

« ٢٩ »

الحمد لله، يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، يرفع المخلصين إلى الدرجات العالية، ويأخذ بالمنافقين إلى الدركات السَّافِلَةِ، و﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطُّور: ٢١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع للنَّاس ما فيه مصلحتهم، وأمرهم بما ينفع خاصَّتْهم وعامتْهم، ونهاهم عن فعل ما يضرُّ مفردهم ومجموعتْهم، و﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله أرشدنا إلى سبيل الخير، ونهانا عن سبيل الشرِّ، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على هذا النَّبِيِّ الكَرِيمِ عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه والتَّابعين إلى يوم الدِّين ﷺ أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ الله تعالى خلق الخلق وهو غنيٌّ عن طاعتهم، آمنٌ من شرور معصيتهم، لا تنفعه طاعةٌ من أطاعه، ولا تضرُّه معصيةٌ من عصاه، وقد فاز بطاعته المتَّقون، وتحلَّى بحلالها المؤمنون، فاز بها أولئك الذين إن نطقوا فنطقهم الصَّواب، وإن اعتزُّوا فعزُّهم التَّواضع، وإن شرفوا فشرفهم الاستقامة، وإن كرموا فكرامتهم الإخلاص، خيرهم أولئك الذين عملوا لدينهم فدعوا إليه ودافعوا عنه، وعملوا لأمتهم

فَنصَحُوا وَأَرْشَدُوا وَأَفَادُوا، أَوْلَيْكَ هُمُ الْمَهْتَدُونَ الَّذِينَ فَازُوا بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ وَمَحَبَّةِ عِبَادِ اللَّهِ لَهُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جَبْرِيْلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيَحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، فَيُنَادِي جَبْرِيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

إِخْوَانِي، إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ جَاءَ بِتَعَالِيمٍ وَأَدَابٍ، لَوْ اتَّبَعَهَا الْمُسْلِمُ لَكَانَ إِنْسَانًا فَاضِلًا، وَمِثَالًا كَامِلًا، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يُونُس: ٩]، فَالْمُسْلِمُ يَهْدِيهِ رَبُّهُ بِإِيمَانِهِ إِلَى سُلُوكِ السَّبِيلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ، وَيَهْدِيهِ إِلَى الْعِلْمِ فَيَسْتَنِيرُ عَقْلَهُ، وَإِلَى الْإِدْرَاكِ فَيَدْرِكُ الْحَقَائِقَ، فَيَزِيدُهُ هُدًى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وَالْفُرْقَانُ: هُوَ النُّورُ الْعَقْلِيُّ وَالْعِلْمُ النَّافِعُ - كَمَا فَسَّرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ - الَّذِي يَهْبِهُ اللَّهُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ فَيَمَيِّزُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْهُدَايَةَ مِنَ الضَّلَالِ^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ سَعَادَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْ يَكُونُوا بِدِينِهِمْ عَامِلِينَ، وَلِأَمْرِ رَبِّهِمْ مَتَمِّثِينَ وَلِنَبِيِّهِمْ مَتَّبِعِينَ، وَبِسُنَّتِهِ مَقْتَدِينَ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٣)، فَإِنَّ سَعَادَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْ يَدْعُوا

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٩)، ومسلم، رقم: (٢٦٣٧).

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن، للشنقيطي (٥٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.



إلى طريق الله بعد أن يسلكوه، ويرشدوا إليه بعد أن يتبعوه، ويأمروا بالمعروف ويأثمروا به، وينهوا عن المنكر وينتهوا عنه، وَيُعَلِّمُوا الجاهلين، ويرشدوا الضَّالِّين، وَيُعِينُوا المحتاجين، وَيُصَلِّحُوا بين المتخاصمين، وَيَنْفُسُوا عن المكروبيين، وَيَتَّبِعُوا سُنَنَ من قبلهم من الصَّالِحِينَ الَّذِينَ كَانُوا إِذَا دُعُوا إِلَى الْحَكْمِ عَدَلُوا، وَإِنْ دُعُوا إِلَى الشَّهَادَةِ صَدَقُوا وَلَمْ يَنْكُرُوا وَلَمْ يَزُورُوا، لَا يَمْنَعُهُمْ عَنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ جُورَ ظَالِمٍ، وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنْ قَوْلِ الصِّدْقِ هَيْبَةُ غَاشِمٍ^(١)، وَلَا تَأْخِذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، نَصَحُوا اللَّهَ وَلرَسُولَهُ وَلأَدْنَى إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْلَاهُمْ وَلأَبْعَدَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ، مَتَّبِعِينَ بِذَلِكَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ»، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «لِلَّهِ وَلرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢)، أَوْلَيْكَ وَاللَّهِ نَالُوا أَجْرَ مَا عَمَلُوا وَمِثْلَ أَجْرٍ مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ، أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وَلَكِنْ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا صَوَابَهُمْ، وَأَهْمَلُوا كِتَابَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الْبِدْعِ دِينًا، وَمَنْ الْخِرَافَاتِ مَبْدَأً، وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ يَتَّقِ بِأَيِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الْكُلُّ فِي ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - حَقًّا تَقْوَاهُ، وَاحْمَدُوهُ حَقًّا حَمْدَهُ عَلَى أَنْ جَعَلَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ

(١) الْعَشْمُ: الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٣٧/١٢).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٥٥).

يجعلكم من المغضوب عليه أو الضالين ، اتَّقُوا اللَّهَ واسألوه التَّوْفِيقَ إلى كلِّ خيرٍ واسألوه النَّجَاةَ من كلِّ شرٍّ ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨] ، روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عملَ بها من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ ، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عملَ بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»^(١) ، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

ويقول في الثانية:

أما بعد :

عباد الله ، اتَّقُوا اللَّهَ واحمدوه على أن وفَّقكم لتوحيده ورضي لكم الإسلام دينًا ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، إخواني ، إنَّ دين الإسلام دين توحيد يقول لمتبعية : إنَّ ربَّكم أحدٌ صمدٌ ليس له كفؤٌ ولا مثل ، ولا ولد ولا والد ، فمن سأل الخير من غير الله أو طلب دفع الشرِّ من غيره فقد أشرك ، ومن علَّق تميمه أو ودَّعه^(٢) أو حجابًا أو خرقة أو فيروزة أو عظمة أو شعرة أو غيرها

(١) رواه مسلم ، رقم : (١٠١٧) .

(٢) الودَّعة : خرزٌ بيضٌ تخرُجُ من البحر تتفاوتُ في الصَّغر والكِبَر ، تُعلَّقُ لدفع =



رجاءٍ دفع عين حاسدٍ فقد أشرك، ومن نذر لغير الله أو شدَّ الرِّحال إلى غير بيت الله ومسجد رسول الله أو المسجد الأقصى فقد أشرك و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

عباد الله، أخبرنا رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ»^(١)، ويقول لنا ﷺ: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وأعيدكم بالله أيُّها الإخوان أن تسألوا من غير الله دفع شرٍّ وجلب خيرٍ، وأعيدكم أن تتوسَّلوا إلى الله بأحدٍ من خلقه؛ فإنَّ ذلك فعل المشركين الذين يقولون: إنَّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

عباد الله، لا مانع لما أعطاه الله ولا معطي لما منع، فالله وحده له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويمرضُ ويشفي ويسعدُ ويشقي ويمنع ويعطي ويفقِرُ ويغني وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فإذا عرفت أيُّها المسلم ذلك فتحت لنفسك باب العلم، وأوَّل العلم معرفة الله.



= العين. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٢٩٤).

(١) رواه النسائي، رقم: (٤٣٣٣).



الرِّياء والنُّفاق

« ٣٠ »

الحمد لله الَّذي ميَّز الإنسان بالعقل واللِّسان، وشرفه بهما على سائر الحيوان، وجعل العقل وسيلةً يعرف بها العبدُ ربَّه بالكمال ونفسه بالنُّقصان، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له هو الحيُّ لا إله إلاَّ هو فادعوه مخلصين له الدِّين، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله رفع الله به الأُمَّة بعد الضُّعة، وأعزَّها بعد الذُّلة، وجمعها بعد الفُرقة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ذوي الأخلاق الفاضلة والمزايا الكاملة والأحكام العادلة، وأرضاهم أجمعين، أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، فاتَّقوا الله واعلموا أنَّ أساس دينكم توحيد ربِّكم في عبادتكم وفي جميع شؤونكم وأعمالكم، ولهذا كان أوَّل ما جاء به نبيُّكم ﷺ: «شهادة أن لا إله إلاَّ الله»^(١)، و﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، و﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [التيساء: ٣٦]، وكما أنَّه لا بناء بلا أساس فكذلك لا إسلام بلا توحيد ولا إسلام مع الشُّرك، فالشُّرك قسمان؛ ظاهرٌ وهو أن تجعل لله ندًّا وقد

(١) رواه البخاري، رقم: (٨)، ومسلم، رقم: (١٦).

خلقت ورزقك، وشركٌ خفيٌّ هو الرياء، وهو من أعظم الكبائر وأخبث السرائر، هادمٌ للإيمان، معطلٌ لصالح الأعمال، ماحٍ لمكارم الأخلاق، ينفر منه العقل السليم، ويأباه ذو الخلق الكريم، ندد به القرآن وحذر منه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء»^(١)، وقال أيضًا ﷺ: «مَنْ يُرَاءِ يُرَاءِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُسْمَعُ يُسْمَعُ اللَّهُ بِهِ»^(٢)، سمع به؛ أي: فضحه يوم القيامة، ويراء به: يظهر سريره للملأ وعلى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فمن عبد الله ليُقَالَ عنه عابِدٌ، أو أعطى ليُقَالَ عنه كَرِيمٌ، أو قرأ القرآن ليُقَالَ عنه قَارِئٌ، أو تجنَّب الشُّبُهَاتِ ليُقَالَ عنه نَزِيهٌ أو وَرَعٌ، فقد أشرك مع الله عباده، والله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، فقد روى مسلمٌ في «صحيحه» عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ»^(٣)، وشُرُّ المرائين أولئك الذين يُظهرون من العبادة والطَّاعة غاية الاستطاعة ليؤتمنوا على الودائع أو يفوزوا بالوصايا، أو أولئك الذين يطلبون علم الدين لا عملاً به ولكن ابتغاء المنزلة عند النَّاسِ وحرصًا على الجاه وعزَّة الجانِبِ أو طمعًا في الوظيفة والاستكثار من الدُّنيا أو قرب الولاة، وأولئك الذين يوهمون النَّاسَ

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٤٣٠١).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٠٧).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٩٨٥).



بالسَّهْرِ لقيام اللَّيْلِ وعَمَلِ الصَّالِحَاتِ بما يظهرون أمامهم من تراخٍ وغلبة نعاسٍ، والَّذِينَ يَنْفِقُونَ طَمَعًا فِي اسْمٍ يُعْلَنُ فِي إِذَاعَةٍ أَوْ ذِكْرٍ يُنَشَرُ فِي صَحِيفَةٍ أَوْ خَبْرٍ يُشَهَّرُ فِي نَادٍ، وَمِمَّا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ عِلْمًا مِمَّا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصْبَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ^(١) الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، أَمَّا النِّفَاقُ - وَكَفَى بِاسْمِ هَذِهِ الصِّفَةِ دَنَاءَةً فِي الْمَعْنَى وَثِقَلًا عَلَى اللِّسَانِ وَسُوءَ وَقَعٍ عَلَى الْمَسَامِعِ - فَهُوَ شَرُّ الْخِصَالِ وَأَبْعَدُهَا عَنِ رِضَا ذِي الْجَلَالِ، وَهُوَ مُخَالَفَةُ الْبَاطِنِ الظَّاهِرِ، وَقَدْ عَرَّفَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنَافِقَ بِقَوْلِهِ: «وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينَ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَأَ بِوَجْهٍِ وَهُوَ لَأَ بِوَجْهٍِ»^(٣)، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنَ النَّارِ»^(٤).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، يَقُولُ لَكَ الْعَقْلُ: إِنَّ مِنْ نَافِقٍ مَعَكَ عَلَى غَيْرِكَ نَافِقٌ مَعَ غَيْرِكَ عَلَيْكَ، فَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ مَعَكَ بِمَا تُحِبُّ وَأَنْتَ قَوِيٌّ حَارِبُكَ بِمَا يُحِبُّهُ عَدُوُّكَ وَأَنْتَ ضَعِيفٌ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَصِفُ لَنَا الْمُنَافِقَ بِقَوْلِهِ: «أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا؛ إِذَا أَيْتَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، رَوَاهُ

(١) عَرَفَ الْجَنَّةَ: رِيحُهَا الطَّيِّبَةُ. انظُرْ: النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ (٢١٧/٣).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، رَقْمٌ: (٣٦٦٤).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، رَقْمٌ: (٦٠٥٨)، وَمُسْلِمٌ، رَقْمٌ: (٢٥٢٦).

(٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، رَقْمٌ: (٤٨٧٣).

الشيخان^(١)؛ لأنَّ المنافق يُظهر غير ما يبطن، فهو كاذبٌ بمظهره، والمحدّث بخلاف الواقع كاذب، والمخلف للوعد والخائن والفاجر أيضًا كاذب، ولكنَّ النِّفاق جامعٌ للكذب كلّه؛ لأنّه خيانةٌ مستورةٌ تتجدّد كلّ يوم ويستمرُّ فسادها حينًا من الدَّهر حتّى يفضحها الله على رؤوس العالمين.

أيُّها المسلم، حذارٍ من قوم حبّذوا معاشرَةَ النَّاس بهذا الخلق الشَّائن والوصف المذموم، ولظفّوا اسمه فسّمّوه مجاملةً، والواقع خلاف ذلك؛ فليس النِّفاقُ مجاملةً، إنّما النِّفاق أن تلاقي بوجه وتغتاب بغيره، والمجاملة حسن المقابلة والمحادثة مع من لم يجاهر بسوء خلق وارتكاب منكر.

أيُّها المسلم، لا يكون المسلم مسلمًا حقًّا حتّى يسلم النَّاس من لسانه ويده، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حتّى يأمن النَّاس شرّه وأذاه، ولا يكون التَّقِي تقيًا حقًّا حتّى تكون تقواه وقايةً لغيره من سوء أعماله، ولا يكون المخلص مخلصًا حقًّا حتّى يخلص من شوائب الخيانة والنِّفاق، فاتَّقِ الله - أيُّها المسلم -، وابتغِ إليه الوسيلة بفعل ما أمرك به دينك، فإنَّ دينك دينُ عبادةٍ في جميع شأنك، فاتَّبِعْ بكلِّ أعمالك وجه ربِّك تكن مسلمًا حقًّا، اتَّقُوا الله أيُّها المسلمون ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨]، واذكروا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٤٢] مُذَبِّدِينَ

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٤)، ومسلم، رقم: (٥٨).



بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا

﴿١٤٣﴾ [النِّسَاء: ١٤٢-١٤٣].







التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَبِالصَّبْرِ

« ٣١ »

الحمد لله يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ ولو كره المجرمون، جعل الحقَّ من صفاته فنشر به الأديان، وعمَّر به الأكوان، وأسعد به الأوطان والإنسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحقُّ المبين، زلزل الباطل بالحقِّ فإذا هو زاهقٌ، ونصر الإيمان بالحقِّ فإذا هو ظاهرٌ، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله وعبدته، أرسله بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فمَنَحَهُمُ اللهُ الْفَلَاحَ وَالتَّسْديدَ، وَأَتَاهُمُ النِّصْرَ وَالتَّأيِيدَ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

عباد الله، اتَّقُوا اللهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَاسْعُوا فِي مَرْضَاتِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْقُرْآنِ، كِتَابٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]؛ لِيَهْدِيَ بِهِ الْبَشَرَ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ وَمِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهَدَايَةِ، وَمِنَ الظُّلْمِ إِلَى الْعَدْلِ، وَمِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْإِحْسَانِ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ - تَعَالَى اسْمُهُ - فِي هَذَا الْكِتَابِ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي خِسْرَانٍ إِلَّا مَنْ شَعَّ

قلبه بنور الإيمان، واتَّصَفَ بالعمل الصَّالِح في دنياه وأخراه وتواصى بالحقِّ الَّذي أضَاء الكون بنوره، وتواصى بالصَّبر في كلِّ شؤونه وأموره، وإنَّ الحقَّ - يا عباد الله - نورٌ يضيء السَّبيل، ونارٌ تحرق الأباطيل، وما تمسَّك بالحقِّ إنسانٌ إلَّا نجح في دينه أو دنياه.

أيُّها المسلم، يجب أن يكون الحقُّ معك في بيعك وشرائك، في حُبِّك وبغضك، في سلمك وحربك، في عشرتك مع أهلِكَ وتربيتك لولدك، في معاملتك لأخيك وخدامك، في رواحك ومجيئك، في سعيك وكدِّك، يجب أن يكون الحقُّ مع العامل في عمله، والمقاول في معاملته، والموظَّف في مكتبه، والقاضي في محكمته، والوالي في ولايته، والحاكم في حكمه، والتَّاجر في دكَّانه، ومتى كان الحقُّ في وطن من الأوطان سعد به السُّكَّان ودرَّ عليهم الخير، وحالفهم العزُّ وسار في ركابهم النَّصر، وأثنت عليهم ألسنة الخلق، وفُتِحَت أبواب السَّماء لهم بالبركات، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٩٧].

أيُّها المسلم، وصِّ الشَّاهد أن يقول الحقَّ في شهادته؛ لأنَّ الله يقول: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وقل له: إنَّ الَّذي يكتُم الشَّهادة آثم، وإنَّ المبطل خاسر، وإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «من كتم شهادةً دُعيَ إليها كان كمن شهدَ بالزُّور»^(١)، وصِّ بالحقِّ من له

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، رقم: (١٢٥٨٤).



دعوى يقيمها ضدَّ آخر، وقل له: إِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَإِنَّ فِي الْبَاطِلِ هَلَاكًا وَخَسْرَانًا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، أُوَامِرُ الدِّينَ حَقًّا، فَمَنْ أَدَّاهَا فَقَدْ طَبَّقَ الْحَقَّ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِزَوْجِكَ وَلِأَوْلَادِكَ وَلِجِيرَانِكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلَكَ عَلَى كُلِّ مَنْ ذَكَرْنَا حَقًّا، فَامْتَنِ تَوَّاصِي الْجَمِيعِ بِالْحَقِّ، وَأَدِّ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ سَعْدِ الْمَجْتَمَعِ وَفَازِ الْكُلَّ بِالرِّضْوَانِ وَابْتَعِدُوا عَنِ الْخَسْرَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، عِبَادَ اللَّهِ، وَعَدَّ اللَّهُ الصَّابِرِينَ بِأَنَّهُ مَعَهُمْ يَمُدُّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَيُثَبِّتُهُمْ بِقُوَّتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، إِنَّ الشَّدَائِدَ تَمَيِّزُ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ الْمُنَافِقِ، وَتَرْبِي الْمَرْءَ وَتَهْدِيهِ وَتَزِيدُهُ دَرَايَةً وَخَبْرَةً وَقُوَّةً عَلَى النَّكَبَاتِ وَقَدْرَةً كَالنَّارِ تَزِيدُ الذَّهَبَ نِقَاءً وَصَفَاءً ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ [المُتَّقِينَ: ٧٥]، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ^(٢) وَلَا مِنْ وَصَبٍ^(٣) وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ

(١) رواه مسلم، رقم: (١٣٧).

(٢) النَّصَبُ: التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٣٤٣).

(٣) الْوَصَبُ: الْمَرَضُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٣٤٣).

يشاكها إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا خَطَايَاهُ»^(١)، وَإِنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ نَجَاحٌ، وَالنَّجَاحُ لَا يَنَالُهُ الْعَبْدُ إِلَّا إِذَا أُيْقِنَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الْوَاهِبُ الْمَانِعُ وَالضَّارُّ النَّافِعُ، وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، مِنْهُ الْإِيجَادُ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَعَادُ، فَلِمَ الْجَزَعُ مَا دَامَ قِضَاؤُهُ نَافِذًا؟ وَلِمَ الْهَلَعُ مَا دَامَ أَمْرُهُ وَاقِعًا؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الرُّم: ١٠]، وَمِنَ الصَّبْرِ امْتِثَالُ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَأَدَاءُ الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، جَمِيعَهَا أُمُورٌ تَحْتَاجُ الصَّبْرَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»^(٢)، وَ«الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»^(٣)، وَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ صَابِرًا إِلَّا إِذَا أَدَّى هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ وَغَيْرَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤)، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْمٍ صَامُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمْأُ، وَقَامُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ قِيَامِهِمْ إِلَّا التَّعَبُ وَالسَّهَرُ؟ إِنَّهُمْ صَامُوا عَنِ الطَّعَامِ، وَأَشْغَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالزُّورِ وَفَحَشَ الْكَلَامِ، وَامْتَنَعُوا عَنِ الشَّرَابِ، وَلَمْ يَمْتَنَعُوا عَنِ السَّبِّ وَالْإِغْتِيَابِ، إِنَّهُمْ صَلَّوْا التَّرَاوِيحَ، وَنَطَقُوا بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ، لَكِنَّهُمْ قَالُوا الزُّورَ وَفَعَلُوا الْقَبِيحَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ نَبِيِّهِمْ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٦٤١)، ومسلم، رقم: (٢٥٧٢).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٥١٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٩٢٦٦).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٣٧)، ومسلم، رقم: (٧٦٠).



وشرابه»^(١)، فاتَّقوا الله عباد الله واعملوا الطَّاعات، ولا تَتَّبِعُوا
 الأهواء والشَّهوات، فإنَّها مهلكات، وعليكم بكتاب الله؛ أَحِلُّوا
 حلاله وحرِّموا حرامه وتأسُّوا بنبيِّكم ﷺ في أقواله وأفعاله، فإنَّه
 الأُسوة الحسنة ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
 [الأحراب: ٢١]، واجتنبوا البدع والخرافات فإنَّ الله أكمل لكم الدِّين،
 واسألوا أهل الذِّكر إن كنتم لا تعلمون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ويقول في الثَّانية:

الحمد لله اللطيف المنان، الكبير الدَّيان، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله
 القويُّ السُّلطان، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المؤيَّد بأوضح
 البيان، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله
 وصحبه ومن تبعهم بإحسان، عباد الله، إنَّ في الشَّهر بقيَّة فصَّحَّحوا
 فيما بقي الفروض والنَّوافل، وعليكم فيه بتلاوة القرآن، وتدبُّر آياته
 بإمعان، فإنَّه حبل الله المتين ودينه القويم، ومن اعتصم به هُدي إلى
 صراطٍ مستقيم، قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاَّ في اثنتين؛ رجلٌ
 آتاه القرآن فهو يقوم به آناء اللَّيل وآناء النَّهار ورجلٌ آتاه الله مالًا فهو
 يُنفقُ منه آناء اللَّيل وآناء النَّهار»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ
 رجلٍ دخل عليه شهر رمضان ثمَّ انسلخ قبل أن يُغفرَ له»^(٣)، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ

(١) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٠٢٥)، ومسلم، رقم: (٨١٥).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٤٥)، وقال: حديث حسن غريب.



أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ
تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الرُّمَر: ٢٣].





نجاحك تمسكك بدينك

« ٣٢ »

الحمد لله الذي منّ على عباده المؤمنين، ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، [الجمعة: ٢]، فهذب بهذا الكتاب أخلاقهم، ونور به حياتهم، وأصلح به أعمالهم، وهداهم به إلى سبل الفلاح والنجاح في هذه الحياة، وعيش هنيء ورضوانٍ ونعيم سرمدٍ بعد الممات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب رحمته للمتقين، وجعل نصره للعاملين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه رحمة للعالمين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تفانوا في نصره دينهم ومحبة نبيهم ﷺ أجمعين، أمّا بعد:

أيها المسلمون، فإن الله بعث محمداً ﷺ بالنور الوهاج، بكتابٍ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، بين لنا فيه مصالحنا في ديننا ودنيانا، وأوضح لنا فيه منهاجاً نسير عليه في معاملاتنا لخاصتنا وعامتنا، وشرح لنا فيه قانوناً يحكم به ولاتنا في خصوماتنا وتدبير أمورنا، وقال لنا: هذا هداي لكم فمن اتبعه فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإنه يعيش معيشةً ضنكاً^(١)

(١) الضنك: الضيق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٧/٢٥٨).

﴿وَحَشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] جزاء إعراضه عن هذا الذكر الكريم، والصراط السوي المستقيم.

تمسك بهذا الكتاب أسلافنا وعملوا به فكان الله معهم، وخذوا ربهم فصحت عقائدهم، ووحدوا رأيهم فصلحت أعمالهم وكرمت أخلاقهم وحسنت معاملاتهم وعاداتهم، ووحدوا مجتمعهم فكانوا يداً واحدةً ضدَّ عدوِّ الله وعدوِّهم، وكان نصر الله معهم في دينهم ودنياهم، ووحدوا هدفهم فبلغوا غاية الرقي في علومهم وآدابهم، وكانوا جميعاً على المفسدين وضدَّ المنافقين، وقوة متماسكة على المبتدعين أعداء الدين، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] من عمل صالح أسعدت به الناس فكانت به ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] عزيزة الجانب قوية الشوكة جليلة الشأن مهيبة السلطان، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩] ظنوا الخلاعة حريةً وتقليد الأجانب رقيًا، ونبذ الدين مدنيةً، ومخالفة السنة والعادات حضارةً والتقيّد بها رجعيةً، وعبادة المال عزّةً، جهلوا أمر دينهم ودنياهم، وساءت معاملاتهم وتدهورت أخلاقهم وفسدت أعمالهم، فتنوا بزخارف الحضارة الكاذبة وأخذوا بزينة المدنية الزائفة، فسار مترفوهم وراء أهوائهم، وجرى شبابهم وراء شهواتهم، وسكت علماؤهم وعقلاؤهم وشيوخهم خوف إغصابهم وحباً بالسلامة من شرهم، وكنا مثل بني إسرائيل الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانت النتيجة أن تغيّر أمرهم وتبدّل حالهم، ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].



أيُّها المسلم، أقسم بالله قسمًا حقًّا إنَّه لا نجاحَ للمسلمين ما داموا في غفلتهم، ولا رقيٍّ لهم إلا أن يتمسَّكوا بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، وليس التَّمسُّكُ بالدين كلمةً يقولها اللسان ولا تعمل بها القلوب والأبدان، بل أن تُقيمَ الصَّلَاةَ ما دمت مكلفًا وتؤدِّي الزَّكَاةَ ما دمت مالِكًا، وتحجَّ البيت إن كنت مستطيعًا، وتصومَ الشَّهر إن كنت قادرًا، وتعمل بكتاب الله وسنَّة رسوله في عملك إن كنت عاملاً، وفي أهلك إن كنت زوجًا، وفي صنعتك إن كنت صانعًا، وفي معاملاتك إن كنت تاجرًا، وفي وظيفتك إن كنت موظَّفًا، وفي رعيَّتكَ إن كنت راعيًا، وفي محكمتك إن كنت قاضيًا، وفي أولادك إن كنت أبًا، وفي مرؤوسيك وخدمك إن كنت رئيسًا أو سيِّدًا.

يا عباد الله، ليس من الدين أن تكون محتالًا أو مختالًا أو مرائيًا أو منافقًا أو نمامًا أو مغتابًا أو لعانًا أو سببًا، أو ناقضًا لعهدك، مخلفًا لوعدك، كاذبًا في قولك لأمانتك، جبارًا في حكمك، عنيدًا عند رأيك، مماطلًا في حقوق غيرك، متكبرًا على إخوانك وبني جنسك، مهملاً تربية أولادك، عاقًا لوالديك، قاطعًا لأرحامك، مُسيئًا لزوجتك وأهلك، مؤذيا لجيرانك، وليس من الدين أن يكون المسلم قاسي القلب لا يرحم يتيماً ولا مسكينًا، ولا يرقّ لذي عاهة ولا يعطف على أرملةٍ أو فقيرٍ معدم، إنَّما «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١)، و«إنَّ شرَّ النَّاس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه النَّاس اتِّقاءً فُحْشِهِ»^(٢)، فاتَّقوا الله عباد الله فإنَّ الله

(١) رواه البخاري، رقم: (١٠)، ومسلم، رقم: (٤١).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦١٣١)، ومسلم، رقم: (٢٥٩١).

مع الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ كَمَا أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ، وَاعْمَلُوا بِأَمْرِهِ وَأَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ وَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ»^(١)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧] .



(١) سبق تخريجه .



الدِّينُ يَرِيدُ الرِّجَالَ

مقتبسة من مجلة لواء الإسلام، بتصرف

«٣٣»

الحمد لله فضل دين محمد على كل دين، ونصره برجاله المخلصين، أصلح فساد الأمم بإخلاصهم، وحقق وعده بعزائمهم، واستخلفهم في الأرض بصالح عملهم، فكانوا صالحين مصلحين، راشدين مرشدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عنت^(١) الوجوه لعظمته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد الرجال وصفوته من خليقته، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحابه وأهل محبته الذين أحبوا الله فأحبهم ونصر برجولتهم دينه وأظهر بشجاعتهم كلمته وأيد بهمّتهم دعوته فكانوا خير أمة أخرجت للناس ﷺ وأرضاهم أجمعين، عباد الله إن الله بعث محمداً ﷺ لتكون كلمة من آمنوا به هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، بعث محمداً ﷺ لتكون أمته خير أمة أخرجت للناس، ونصره برجال آمنوا به وصدقوا برسالته وتفانوا في نشر دعوته ونصر كلمته، فهم ﴿أَشْدَاءُ

(١) عَنَوْتُ لِلْحَقِّ: خَضَعْتُ وَأَطَعْتُ، وقيل: هو وضع الجبهة والركبة واليد في الرّكوع والسّجود. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١١٥/٣٩).

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴿ [الْفَتْح: ٢٩] ، وكانوا في اللَّيْلِ رَهَبَانًا وَفِي النَّهَارِ
فِرْسَانًا ، آمنوا برَّبِّهِمْ وَنَصَرُوا نَبِيَّهُمْ ، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ : ﴿ رِجَالٌ لَا
نُلَّهِمِهِمْ تِجْرَةً وَلَا بَيْعَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ [النُّور: ٣٧] ،
وَقَدْ ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، و﴿ يُحِبُّونَ أَنْ
يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حِبًّا ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

عباد الله، إِنَّ الرَّجُولَةَ إِذَا اكْتَمَلَتْ فِي أُمَّةٍ فَبَشَّرَهَا بِالْخَيْرِ وَتَمَامِ
النِّعْمَةِ ، وَإِنَّهَا إِذَا انْتَشَرَتْ فِي شَعْبٍ نَالَ حَقَّهُ الْمَغْصُوبُ ، وَأَصْبَحَ ذَا
جَانِبٍ مَرْهُوبٍ ، وَإِنَّ مَعَانِي الرَّجُولَةِ إِذَا سَرَتْ فِي مَجْتَمَعٍ عَاشِ عَالِي
الْهَمَّةِ مَرْفُوعِ الرَّأْسِ وَأَصْبَحَ ذَا قُوَّةٍ وَبَأْسٍ ، فَبِالرَّجُولَةِ تَقَاسُ قِيَمَةُ الْأُمَّةِ
بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَعَلَى قَدْرِ وَزْنِهَا تَوَزَنَ فِيهَا الْأُمُورُ ، يَا عِبَادَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ
الرِّجَالُ الَّذِينَ يَرِيدُهُمُ الْإِسْلَامَ لِنَصْرَتِهِ؟ وَمَنْ هُمُ الرِّجَالُ الَّذِينَ
يُنْشِدُهُمْ لِنَشْرِ دَعْوَتِهِ؟ أَهْمُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ فَيُكْثِرُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسْرِفُونَ؟
أَهْمُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَطْيَبَ الْمَأْكَلِ وَيَشْرَبُونَ أَلَذَّ الْمَشَارِبِ وَيَرْكَبُونَ
أَفْخَمَ الْمَرَاقِبِ وَيَطُؤُونَ أَوْطَاءَ الْمَفَارِشِ؟ أَهْمُ الَّذِينَ ضَخِمَتْ
أَجْسَامُهُمْ وَامْتَدَّتْ قَامَاتُهُمْ وَمَلَأُوا أَعْيُنَ النَّاطِرِينَ بِمَلَاخَةِ وَجُوهِهِمْ
وَقُوَّةَ أَجْسَادِهِمْ؟ أَهْمُ الَّذِينَ أَشَادُوا الْقُصُورَ ، وَبَنَوْا أَفْخَمَ الدُّورِ ،
وَجَمَعُوا أَنْفُسَ التُّحَفِ وَأَغْلَاهَا؟ أَهْمُ الَّذِينَ قَعَدُوا عَن أَسْمَى الْغَايَاتِ
وَعَرَقُوا فِي بَحَارِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَطَعُوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِي الْمَلذَّاتِ؟ أَهْمُ
الَّذِينَ أُتْخِمَتْ خَزَائِنُهُمْ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَصْنَافِ النُّقُودِ
وَالْمَجُوهَرَاتِ؟ أَهْمُ أَصْحَابِ الْمَتَاجِرِ وَالْأَمْوَالِ؟ أَمْ هُمْ أَصْحَابُ
الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ؟ أَمْ هُمُ الْجَهْلَةُ وَالْمَتَغَطَّرُسُونَ^(١)؟ أَمْ هُمْ أَوْلَئِكَ

(١) تَعَطَّرَسَ: تَعَضَّبَ وَتَطَاوَلَ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠٨/١٦).



الَّذِينَ يفسدون ولا يصلحون؟ كَلَّا يا عباد الله، كلُّ هؤلاء ليسوا
برجال ولا أشباه الرجال، فلا يريدهم الدِّين لنصرته إلا إذا تآدَّبوا
بآدابه وتقيَّدوا بدعوته، إنَّ الدِّين يريد أولئك الَّذِينَ يخدمون أمَّتهم
بإخلاص ويقودونها إلى طريق الخلاص، إنَّ الدِّين يريد الصَّادقين في
أقوالهم الموفين بعهودهم، البعيدين من العبث والهزل، المبرِّئين من
الهديان واللَّهو، الَّذِينَ لا يغرُّهم ثناء شاكرٍ ولا إطراءٍ مادحٍ، إنَّ
الدِّين يريد رجالاً يغضبون لله ولا تأخذهم فيه لومة لائمٍ، يريد من
تثور في دمائهم غريزة العناد والكفاح في سبيله، ويريد لنصرته عباد
الله الَّذِينَ وصفهم في كتابه الكريم بأنَّهم: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، أولئك
الَّذِينَ وصفهم الله جلَّ جلاله بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٧]
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

يا عباد الله، إنَّ دين الإسلام هو دين الرُّجولة الذي صنع بتعاليمه
الرُّجال، ونبِيُّ الإسلام ﷺ هو الَّذي ربَّى الأبطال وعلمهم سياسة
الأمم وقيادة الشُّعوب وتربية الهمم، فكانوا خير قادة ملكوا زمام

السِّيَادَةَ، وَطُبِعُوا عَلَى جِدِّ الْحَيَاةِ وَحُبِّ إِلَيْهِمْ عَمَلِهَا، وَبُغِضَ إِلَيْهِمْ لَهْوُهَا وَهَزَلُهَا، مُرِنُوا عَلَى الشَّدَائِدِ فَلَانَتْ لَهُمْ، وَتَعَوَّدُوا الصَّعَابَ فَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا، وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً صَنَعَتْ أُمَّمًا، وَعَدَلَتْ فِي حُكْمِهَا، وَعَلَّمَتْ مِنَ الْجَهْلِ، وَهَدَّتْ مِنَ الضَّلَالِ، وَأَرْشَدَتْ مِنَ غَوَايَةِهَا، وَأَمَّنَّتْ مِنَ خَوْفِهَا، وَجَمَعَتْ بَعْدَ تَفْرِقَةٍ، وَأَسْعَدَتْ بَعْدَ شِقَاقٍ.

يا عباد الله، قد تخرَّج في مدرسة الإسلام طبقةً ممتازةً من الرجال الذين لا يحصيهم حساب حاسب، ولا نستطيع حصر محاسن بعضهم - ومن عدَّ موج البحر عدًّا طويلًا -، وقد أخرجت مدرسة النبوة منهم رجالاً كأبي بكرٍ في إخلاصه ومحَبَّته، وعمر في عدله ورجولته، وعثمان في سخائه وسماحته، وعليٌّ في فتوَّته وشجاعته، وخالد في إقدامه وكياسته، وأبي عبيدة في وفائه وأمانته، وابن عبَّاس في فقهه ودرأيته، وابن عمر في علمه وعبادته، وصهيب في صدقه ونزاهته، والصَّفوة الأبرار غير هؤلاء كثيرون من الصَّحابة الأوَّلِينَ، ومن التَّابِعِينَ، ومن تابعي التَّابِعِينَ، تَأَدَّبُوا بِآدَابِ الْإِسْلَامِ، وَعَمَلُوا بِأَمْرِهِ وَأَنْتَهَوْا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَتَأَسَّوْا بِسِيرَةِ نَبِيِّهِمْ فَكَانُوا سَادَةً وَقَادَةً، وَخَيْرَ قَدْوَةٍ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ، الدِّينِ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ يَرِيدُ مَنَّا رِجَالًا كَهَؤُلَاءِ، فِيمَا سَدْنَا بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ، وَإِمَّا فَقَدْنَا مَعَهُمُ الْحَيَاةَ، وَأُمَّةٌ تَرِيدُ الْحَيَاةَ لَا بَدَّ أَنْ تُوَهَّبَ لَهَا، يَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ، وَاعْمَلُوا بِكِتَابِكُمْ، وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ وَبِأَصْحَابِهِ، وَكُونُوا رِجَالًا كَمَا أَرَادَ لَكُمْ ذَلِكَ رَبُّكُمْ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْصُرَ بِكُمْ دِينَكُمْ، وَيُعَلِّيَ بِكُمْ كَلِمَتَكُمْ، وَيُعِيدَ إِلَيْكُمْ مَجْدَكُمْ، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ



رسول الله ﷺ أحسن النَّاسِ، وأجود النَّاسِ، وأشجع النَّاسِ، ولقد
 فزع أهل المدينة ليلاً فركب فرساً لأبي طلحة عرياً فخرج النَّاسُ فإذا
 هم برسول الله ﷺ قد سبقهم إلى الصَّوتِ، وقد استبرأ الخبير وهو
 يقول: لن تراعوا^(١)، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤].



(١) رواه البخاري، رقم: (٢٨٢٠)، مسلم، رقم: (٢٣٠٧).

العمل الصالح نجاح

« ٣٤ »

الحمد لله بجميع محامده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هدى من شاء لطاعته وأتباع أوامره، وقضى على من شاء بضلاله وارتكاب موبقاته وزواجره، فمن عصمه عن المعاصي فليشكره لعصمته إيّاه، ومن وفقه لطاعته فليحمده فإنّه لا محمود إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير الأمة صلى الله عليهم وأرضاهم أجمعين، أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله حقّ تقاته، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، واعرفوا ربكم بما يليق بعظمته فإن معرفة الله رأس الإيمان، فهو الذي أعطى ومنع، وأضرّ ونفع، وأمات وأحيا، وأضلّ وهدى، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ضالّ لمن هدى ولا هادي لمن أضلّ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واعرفوا أنفسكم بأنّها فقيرة إلى كلّ شيء، وناقصة في كلّ شيء، مبدؤها عدم، وحياتها تعب وندم، وآخرها عدم، وهي فيما بين



العدمين في ضياع بين شهوة غالبية، ونزوة جامحة، وهوى مطاع، لا تبالي بما نقص من دينها إذا حسنت دنيها، ولا يهتمها إذا نعمت بالحياة ومتاعها أن تضلّ هداها.

إخواني، لا دوام للحياة ومتاعها، فأنتم عنها لا بُدّ راحلون، فانتبهوا لما أنتم عليه قادمون، إنكم اليوم في دار عمل لا حساب فيها، وستأتون إلى دار حساب لا عمل فيها، ينقسم الناس فيها ثلاثة أقسام:

السابقون المقربون الذين لهم بعد الموت راحةٌ ونعيمٌ، ورحمةٌ رحيم، وإحسانٌ عظيم، ورزقٌ كريم لا يستطيع الواصفون وصفه ولا الحاسبون عدّه، وأصحاب اليمين الذين لهم تحياتٌ وسلامٌ وخيراتٌ وأنعامٌ، هم الذين يدخل الملائكة عليهم من كلّ باب ليقولوا لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، فنعمة المقام! وأصحاب الشمال الذين لهم عذابٌ عظيمٌ في نار جهنّم، ولهم طعام الأثيم، وماء المهل يغلي في البطون كغلي الحميم لا يُفترّ عنهم العذاب وهم فيه خالدون.

عباد الله، إنّ السُّعداء من حاسبوا أنفسهم قبل أن يُحاسبوا، وتخيّروا لها خير الدّرجات، وسألوا الله التّوفيق إلى فعل الطّاعات والحسنات، وجاهدوا أنفسهم في مجانبة المعاصي والسيّئات، وتابوا إلى ربّهم وأنابوا قبل الممات، وعلموا أنّهم إلى ربّهم راجعون وعن أعمالهم مسؤولون وعليها محاسبون.

أيُّها الإنسان، إنَّكَ محتاجٌ إلى ربِّكَ في كلِّ شيءٍ، فقيرٌ إليه بكلِّ شيءٍ، جاهلٌ بكلِّ شيءٍ، ناقصٌ في كلِّ شيءٍ، تؤلِّمك الشُّوكَّة الحقيرة، وتزعجك الحشرة الصَّغيرة، وتسعدك النِّعمة، وتشقيك النِّقمة، وترفعك فوق كلِّ ذلك رحمة الله، فمتى عرفت ذلك عَلِمْتَ بأنَّ الله غنيٌّ عنك في كلِّ شيءٍ، عالمٌ بكلِّ شيءٍ كاملٌ في كلِّ شيءٍ، لا تضرُّه معاصيك ولا تنفعه طاعتك، فالعاقل من لم يهمل نفسه ما دام في أجله مهلة وبإمكانه عمل ما ينفعه ويقرِّبه من رضا الله، واحترز لنفسه ليكون من النَّاجين من عذاب ربِّه إن لم يستطع أن يكون من السَّابِقين المقرَّبين، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقْبَلُ يَوْمًا جَدِيدًا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ يَوْمٍ ذَاهِبٍ مِنْ أَجَلِهِ.

عباد الله، إنَّه لا قوِيَّ أقوى من الخالق، ولا ضعيفٍ أضعف من المخلوق، ولا مهربٍ من الله إِلَّا إليه، وقد عَلِمْنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي خَسْرَانٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَفَّلْ لِأَحَدٍ بِمَغْفِرَتِهِ كَمَا تَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَإِنَّمَا مَغْفِرَتُهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَأَطَاعَ رَسُولَهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فاجتهدوا رحمكم الله في أن تكونوا صالحين في أنفسكم مُصلحين لغيركم، هداةً مهتدين راشدين مرشدين عاملين لديناكم وآخرتكم، عاملين لخير أمتكم ووطنكم، فإنَّ ثواب العمل لصالِح المجموع أعظم بكثيرٍ من صالح العمل للنِّفع الخاصِّ، وكلُّما عمَّ نفعه عظم ثوابه، واجتهدوا - رحمكم الله - في أن تكونوا غانمين لثواب الله، ظافرين برضا الله وبالذِّكر الحسن من خلقه، وبالذُّعاء من عباده



الصّالحين، وبشهادة من عند الله تقرّبكم من إحدى الدرّجتين؛ درجة السّابقين أو درجة أصحاب اليمين، وتبعدكم عن غضب ذي الجلال ودرجة أصحاب الشّمال، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتِنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصّافات: ١٧١-١٧٣]، روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرّحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(١).



(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٥٤).





من هو المسلم الحق؟

«٣٥»

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكَانِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ١-٣]، بيّن هذا
الكتاب لعباده ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات، وأمرهم
فيه بالإخلاص في العبادات، وشرع لهم فيه نظم العيش ونظم
المعاملات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان، أمّا بعد:

عباد الله، فاتقوا الله حقَّ تقاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]،
واعلموا أن الله ﷻ أنزل القرآن على نبيِّنا محمد ﷺ وأمره أن يبلغنا
ما فيه، فإنَّ الله ﷻ شرع في هذا الكتاب حقوقًا وأوجب واجبات،
فكلُّ امرئٍ منا عليه واجبات لربه ولنفسه وللناس؛ عليه لربه العبادة
بإخلاص، ولنفسه التزكية والحفظ من الهلكة، وللناس المعاملة
الصّادقة والخلق الكريم، فالإسلام جاء بعبادات تُطهِّر القلوب،

وتنهى عن الفحشاء والذنوب، وتبعث في النفس الخشية والرَّهبة من
 علام الغيوب، وجاء الإسلام بمعاملات تنتظم بها أمور العباد،
 وتستقيم شؤونهم فتسعد البلاد، وتأمين من عوامل الشرِّ والفساد،
 فتموت في نفوس النَّاس المطامع والأنانيَّة وحبُّ الذات، وتحلُّ
 محلها المروءة والمحبة والإيثار على النَّفس وتعيش الأمة متمسكةً
 بحبل الله متآلفةً كما أمر الله يرفرف عليها علم الأخوة والاتِّحاد، فمن
 أدَّى حقَّ الله وحقَّ عباده فقد برَّأ ذمَّته وحفظ أمانته، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّا حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عباد الله، بهؤلاء يعلو الدين وتشرق شمسُه على العالمين وبهؤلاء
 يمكِّن الله دينه الذي ارتضى لعباده ويستخلفهم في الأرض كما
 استخلف الذين من قبلهم ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً، وبهؤلاء يسعد
 العاملون ويذلُّ المنافقون ويهلك المبطلون ويخسأ المفسدون، ﴿وَلَقَدْ
 سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ
 ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وأمَّا من أضاع حقوق الله وحقوق النَّاس
 فلم يؤدِّ العبادات ولم يرعَ المعاملات، فقد خسر دنياه وحرم ذكراه
 وأفلس في أخراه وكان من حزب الشيطان، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، ومن النَّاس من يجتهد في العبادات،
 ويحافظ على الصَّلوات، ويقوم ويصوم وربَّما عدَّد أسفاره إلى الحجِّ،
 ولكنه ضيَّع الحقوق والواجبات، وأساء في المعاملات فلم يصن
 أمانةً، ولم يخجل من خيانة، ولم يحفظ وعداً، ولم يرعَ عهداً،
 وربَّما غشَّ ومكر وأساء وفجر، ولعلَّه تابع الوسواس الخناس،
 وأسرع في الأذى والإضرار بالنَّاس، فهل تنجي هذا صلاته؟ وهل



يغفر له صومه وزكاته؟ وهل يشفع له حجّه وعباداته؟ كلاً، ثمّ كلاً، إنَّ الله ﷻ يذهب بصلاة هذا وصيامه، لإضراره بعباد الله وإجرامه، ثمّ يساق لعذابٍ يَصَلّاهُ جزاء ما قدّمته يداه؛ مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيءٍ فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»، روى هذا الحديث البخاريُّ في «صحيحه»^(١)، فوا عجباً لقوم يعبدون الله ويؤذون عباده، فمجالسهم ذمٌّ واغتيابٌ، وأحاديثهم تشهيرٌ وسبابٌ، وأفعالهم نصبٌ واغتصابٌ، ومؤمراتٌ ضدّ الأقرباء والأصحاب، وقسوةٌ وظلمٌ وإرهابٌ، وقولهم نهشٌ للأعراض وقذفٌ في المحصنات، وكلامهم تشويهٌ للحقائق وهتكٌ للكرامات، يبنون عباداتهم على غير أساس ثمّ يهدمونها بالسيئات، بغدرهم وإضرارهم بغيرهم، كمن يجمع ثروةً، ثمّ يثقلها بالديون، فيعلن إفلاسه ويبقى مع المعدمين، وقد روى الإمام مسلمٌ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال ﷺ: «إنَّ المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثمّ طرح في النار»^(٢)، وقال أيضاً ﷺ: «من

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٩).

(٢) سبق تخريجه.

لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً»^(١).

عباد الله، إنَّ المسلم لا يقاس بصلاته إن لم تنهه عن الآثام، ولا يوزن بصيامه إن لم يدع الإجرام، ولا يُقَيِّم بركاته إن لم يرد بها وجه الله، ولا يُقدَّر بحجِّه إن لم يترك نفسه، وإنَّما يوزن بخلقه ويقدر بمعاملته وذلك؛ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٢)، وأخبرنا في حديث آخر: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومَنْ يا رسول الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»^(٣)، وقد بلينا في هذا الزَّمن بقوم تركوا أمر الله وضيعوا حقَّه وهجروا عبادته وإذا عدلهم العاذل أو نصحهم النَّاصح قالوا: ماذا تريدون منَّا أكثر من قولٍ كريمٍ وخلقٍ كريمٍ وفعلٍ حميدٍ ومعاملةٍ حسنةٍ؟ ولكن الله يقول لهم: ﴿أَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٣]، ويقول أيضًا: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأَحْزَابُ: ٣٧].

عباد الله، إنَّ من ضيَّع حقَّ الله فهو لحقوق عبادته أضيع، ومن طلب الهدى من غير طريق الله ضلَّ، ومن طلب السَّعادة من غير معونة الله شقي، ومن طلب العزَّة في غير دين الله ذلَّ، ومن استشفى بغير شفاء الله زاده الله مرضًا، والله ﷻ بعث محمَّدًا ﷺ بالقرآن ليكون شفاءً لما في الصُّدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين، فلا غنى للنَّاس

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري، رقم: (٦٠١٦)، ومسلم، رقم: (٤٦)، واللفظ للبخاري.



عن أداء حقِّ الله وحقِّ النَّاسِ، ولا يسقط أحدهما الآخر، ولا ينفع هذا بغير ذلك ولا ذاك بغير هذا، أولئك قوم خدموا مصالحهم وحرصوا على منافعهم فجمالهم زائف وحسنهم كاذب ولا أجر لهم وإن أحسنوا، ولا ثواب لهم وإن صدقوا، والله العالمُ بخائنة الأعين وما تخفي الصدور لا ينظر إلى حُسنِ الصُّورة ولا إلى جمال المظهر ولا إلى رقة القول، وإنما ينظر إلى الضمائر والقلوب، فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التَّقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات «بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»^(١).

من كلِّ ما مرَّ نفهم أنَّ الإسلام عقيدةٌ وعبادةٌ ومعاملاتٌ، ولن يكون المسلم مسلماً إلا بها، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ٩-١٠].



(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٢)، ومسلم، رقم: (٢٥٦٤)، واللفظ لمسلم.





كُلُّ شَأْنِ الْمُسْلِمِ دِينٌ وَجِهَادٌ

«٣٦»

الحمد لله رضي الإسلام لنا ديناً، ووعدنا إن عملنا به أن يَهَبَنَا عِزَّةً وَتَمَكِينًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَلَّ عَنْ الْأَبْوَةِ وَالْبَنُوَّةِ، أَوْرَثَ أَسْلَافَنَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ مَنَعَةً وَعِزَّةً وَقُوَّةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ لِلنَّاسِ هِدَايَةً وَدَعْوَةً، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ دَاعِيِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ قَادَةِ الْأُمَّمِ بِالرَّفْقِ وَهُمْ السَّادَةُ الصَّفْوَةُ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَهَبَ الْإِنْسَانَ عَقْلاً يَمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ حَسَنِ الْأَشْيَاءِ وَقَبِيحِهَا، وَضَارِّهَا وَنَافِعِهَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْعَقْلَ يَحْتَاجُ إِلَى صَقْلٍ وَتَهْذِيبٍ؛ لِهَذَا بَعَثَ اللَّهُ لِلنَّاسِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ، وَيَعْلَمُونَ النَّاسَ مَا يُنَوِّرُ تِلْكَ الْعُقُولَ وَيَهْدِيهَا وَيُرِييُهَا، حَتَّى بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَبَدَأَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ وَفِيهِمْ، وَكَانَ فِي بَدْءِ بَعَثِهِ يَحْكُمُ الْعَقْلَ فِيمَا جَاءَ بِهِ بِأَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ أَبَدِيٌّ أَزَلِيٌّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ مِنْ جَمَادٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ إِنْسَانٍ لَا قِيَمَةَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَخُو الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ لِلْحَيَاةِ قِيَمَتَهَا الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى لِحِفْظِهَا، لَكِنْ حَيَاةُ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ؛ لِهَذَا أَوْجِبُ بَذْلَ حَيَاةِ الْوَاحِدِ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ الْمَجْمُوعِ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

ولمَّا تَمَّتْ رسالته هذه أنزل الله عليه تكليفاً شرعياً، وقانوناً سماوياً، أمر المسلمين أن ينقادوا لأحكامه ويعملوا بأوامره، وينتهوا عن زواجره، حتَّى لا تختلف آراؤهم، ولا تلعب بعقولهم أعداؤهم.

ذلك هو دينكم - أيها المسلمون -، إنه دينٌ حَكَمَ فَعَدَلَ، وَسَوَّى بين الحاكم والمحكوم، والسَّيِّدِ والمسود، «فلا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا للونٍ على لونٍ إلَّا بالعمل الصَّالح والتَّقوى»^(١)، دينٌ حكم فأرشد، وقال للحاكم: ارحم، وقال للمحكوم: انصَح، وقد ورد في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السَّمع والطَّاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحقَّ أينما كنَّا لا نخاف في الله لومة لائم»^(٢)، ودينكم - أيها المسلمون - يوضِّح لكم أن السَّمع والطَّاعة لهما شروطٌ وقيودٌ تُلخِّصها كلمة النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق»^(٣)، ثمَّ يرشدنا بأنَّ «الدين النَّصيحة، وأنَّها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٤)، فإنَّ دينكم أيها المسلمون حَكَمَ فقيِّد، وجعل أساس حكمه الشُّورى، فقال: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: ٣٨]، وقال لنبيِّه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «أشيروا عليَّ»^(٥)، فهو دينٌ حميدٌ بأخلاقه، عظيمٌ بقانونه، حكيمٌ بدساتيره، عادلٌ في نظامه،

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري، رقم: (٧١٩٩)، ومسلم، رقم: (١٧٠٩).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٨١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه البخاري، رقم: (٤٧٥٧)، ومسلم: (١٣٣٣).



أتى بالرحمة، والسيادة العالية، والقيادة الحكيمة، والمساواة الواجبة، وحفظ الأمن العام بما سنّه من حدودٍ وقصاصٍ قيدها بقيودٍ وشروطٍ ليلزم الفرد حده فلا يتعدّاه، وكلُّ شأنك - أيُّها المسلم - دينٌ، فمحافظة حياتك على حياتك وصِحَّتكَ دينٌ، كما أنَّ بَدَلَكَ حياتك في سبيل الصالح العام وإسعاد المجموع، وإنقاذ الوطن من استعباد العدو دينٌ، وإنَّ تربيته أو لادك على العلم والدين دينٌ، وبيعك وشراءك لحفظ ماء وجهك عن الحاجة لغيرك دينٌ، وحسن معاملتك لزوجك وأهلك وخدمك دينٌ، وعملك في ميدان العمل للإنفاق على نفسك وعيالك جهادٌ ودينٌ، ورفق الحاكم برعيته وعدله فيهم دينٌ، ونصح الرعية لحاكمهم دينٌ، وطاعتهم له إن عدل فيهم دينٌ، والعلم والصناعة والحرف دينٌ، وعمران البلاد وتوسيع مرافقها والعمل لإسعادها دينٌ، وحبُّ الوطن والأمة إيمانٌ ودينٌ، وعمل ما يرفع من شأن الوطن والأمة يقوي شوكتها ويعزز مجدها، ولكلٌّ من هذه الأمور منهجٌ سنّه الدين يسير عليه الناس في أعمالهم حسب درجاتهم، واتباع هذا المنهج وحمل الناس عليه أمرٌ يدعوكم إليه الدين، وملاك جميع ذلك الأمانة وحسن الخلق، وقد قال النبيُّ محمدٌ ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا خلق له»^(١)، إخواني يقول ابن مالك رحمته الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»^(٢)، وقد صلح أولها بالسَّير على المنهاج المستقيم

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

الَّذِي سَنَّهُ لَهَا نَبِيِّهَا أَوْ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَسَاسُ هَذَا الْمَنْهَاجِ الْوَحْدَةَ؛ وَحِدَةُ الْمَبْدَأِ وَالْوَجْهَةِ وَالرَّأْيِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وَقَدْ دَعَاكُمْ الْقُرْآنُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى هَذِهِ الْوَحْدَةِ وَحَدَّرَ مِنْ عَوَاقِبِ تَرْكِهَا، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَمِنْ تِلْكَ الْوَحْدَةِ السَّمَاوِيَّةِ ظَهَرَتْ أُمَّةُ الْعَرَبِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي كَانَتْ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠]، بَعْدَلِهَا وَإِيمَانِهَا وَشَجَاعَتِهَا وَنَزَاهَتِهَا وَرَحْمَتِهَا وَقَوَّتِهَا الرُّوحِيَّةِ، فَكَانُوا أَشَدَّاءَ عَلَى الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ رَحْمَاءَ بَيْنَهُمْ، وَكَانُوا «كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(١).

يَا أَبْنَاءَ الْعَرَبِ يَا أَبْنَاءَ الْإِسْلَامِ، صَلِحْ أَوْلَكُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ وَلَنْ يَصْلِحَ آخِرُكُمْ إِلَّا بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ يَصْلِحَ اللَّهُ أَحْوَالَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَتَكُونُوا - كَمَا كُنْتُمْ - ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠]، وَإِلَّا فَلَنْ تَكُونُوا أَحْسَنَ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْآنَ، وَسَيَكُونُ يَوْمَكُمْ خَيْرًا مِنْ غَدِكُمْ، ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَلَا زُرَّةٌ وَلَا نُزْرٌ وَلَا زُرٌّ أُخْرَى﴾ ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [الإسراء: ١٥-١٦].



(١) رواه البخاري، رقم: (٦٠١١).



جهلنا بديننا سبب فشلنا

«٣٧»

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على
عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله حقَّ التَّقوى، واسألوه التَّوفيق لما يسعد في
الأولى والأخرى، واعلموا أن الله خلق الخلق ولم يتركهم سدى،
فهو أبرُّ وأرحمُ من أن يدعهم بلا شرع يُسيرُ لهم الحياة أو أن يشرع
لهم العنت والعسر أو الكبت والقهر، فبعثَ جلَّ جلاله الأنبياء يتلو
بعضهم بعضاً ليحرِّروا العقول من قيود الخرافات وأغلال الوثنيَّات،
وليربطوا بينها وبين الإيمان حتَّى تكون العقائد صحيحةً، وتكون
حقائقها ثابتةً؛ لينتظم عيش الإنسان في ميدان الحياة، ويستقيم سيره
ويتجمل بالتَّقوى، وختم رسالة رسله عليهم الصَّلَاة والسَّلَام برسالة
محمدٍ ﷺ إذ جعلها مداداً لقوى الخير، صالحةً للارتقاء، جديرةً بكلِّ
مكانٍ وزمانٍ، باقيةً بقاء الإنسان، وأنزل معه كتاباً يخاطب به أولي
الألباب فتفتِّحُ له مغاليق نفوسهم، ويحيا به موات أفكارهم، فيعرفون
عظمة خالقهم عن طريق البحث والملاحظة ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [يونس: ١٠١]، «أولم ينفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق» [الرُّوم: ٨]، «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بينها وزينها وما لها من فروج» ﴿٦﴾ [ق: ٦]، لكن المسلمين أهملوا دينهم هذا وتباعدوا عنه، فليس له في قلوبهم مكان، ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»^(١)، وها هو الإسلام في أوطانه وبين أهله غريب؛ لأنه غير معروف للمسلمين حق المعرفة، جهلوه فلم يعلموا ما هو ولا إلى أي خير يدعو، ولا عن أي شر ينهي، فشيؤنا وعجائزنا أمرضت الخرافات عقولهم واستحوذت الجهالة على البقية فيها، والشباب من بنين وبنات لا تربطهم بالدين إلا رابطة نسب الوالدين فهو أو هي ولد لأبوين مسلمين، والمترفون وأولوا النعمة طغوا وأهملوا كل شيء يوصلهم بالدين وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٦-٧]، وسياسة المستعمر وجدت من هذا الحال ميداناً صالحاً لحربها فجهزت جيوشها بالسِّر والعلن في المعاهد التعليمية ابتدائية أو ثانوية أو جامعية، وهناك يدعون العلم يقرؤون القرآن ولا يعون من آياته إلا قليلاً قد لا يعرفون من معناها شيئاً وسميائهم قراء، وهناك أناس يدعون الفقه ولا يفقهون من سنة الرسول وأحاديثه سميائهم فقهاء أو علماء، ولجهلنا بديننا قدمناهم وجعلناهم أئمة في صلاتنا ومرشدين لجهالنا، وسألناهم فأبوا أن

(١) سبق تخريجه.



يتجاهلوا حتى لا يوصفوا بالجهل فأفتوا عن جهلٍ فضلُوا وأضلُّوا،
 وصدق المصطفى الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى عندما قال ﷺ:
 «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ
 بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهًّا لًا،
 فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١)، هذا هو شأننا اليوم وهذه
 حالنا، جهالةٌ طال أمدها فينا وأعادتنا إلى جاهليتنا الأولى وربِّما إلى
 أضلِّ منها، والنَّاس لا يهتمُّهم أمر دينهم فهم مقبلون على دنياهم
 بنهم، كلما أضيف إلى خزائن أحدهم الألوْف تطلَّع إلى غيرها،
 وقال: هل من مزيد؟ يغضب لماله أن يُمسَّس، ولعرضه أن يهتك،
 ولشخصه أن يهان، ولا يغضب لدينه أن يعاب، ولا لنبئه أن يُسبَّ،
 والعلماء في مختلف الأقطار الإسلاميَّة ساكنون، نعم، العلماء الذين
 كلَّفهم ربُّهم بحراسة دينه، وأمرهم بالدَّعوة إلى الخير والأمر
 بالمعروف والنَّهي عن المنكر، العلماء الذين أمرهم ربُّهم ﴿وَلِيُنذِرُوا
 قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٢]، هؤلاء العلماء
 عقد النَّوم أجفانهم وكمَّم العدوُّ أفواههم بوظائف أسندها إليهم،
 فنعموا في ظلِّها بالنَّعمة والنَّعيم وأخلدوا إلى السَّكينة ورضوا بالذلَّة
 وأحبُّوا الحياة، وخافوا أن يقولوا كلمة الحقِّ فيفقدوا هذا العيش
 الرَّغيد.

أيُّها المسلمون كان النَّاس في صدر الإسلام يقدِّرون الحقَّ
 ويعظِّمون قائله، أمَّا اليوم فصرنا نثق بالقوَّة فقط ونقدِّر القويَّ، ومهما

(١) سبق تخريجه .

قال القويُّ فقوله الحقُّ، وهذا خلاف ما جاء به الإسلام؛ لأنَّ الإسلام لا يرضى للمسلم أن يقيّد حرّيّة فكره وإرادته، والديّن الإسلاميّ يريد من المسلمين أن يقولوا كلمة الحقِّ وينصروه، ولقد سئلَ رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد فقال: «كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ»^(١)، إنَّ الإسلام في حاجةٍ إلى رجالٍ يقولون الحقَّ ويحبُّونه ويجاهدون في سبيله، ولا يهابون في الحقِّ جورَ غاشمٍ ولا بطشَ ظالمٍ.

وإنَّ الإسلام في حاجةٍ إلى رجالٍ يصلحون ما بينهم وبين ربِّهم، ويستقيمون على سنن دينهم القويم السَّمح الرَّحيم، وإلى رجالٍ يرضون الله بأعمالهم ويتباعدون بأخلاقهم عن السُّوء، ويصلحون الدُّنيا بالدين ويصلحون الدين بالدُّنيا ويصلحون ما أفسده النَّاس من دينهم ودنياهم، وإنَّ الدين الإسلاميّ في حاجةٍ إلى مؤمنين بدينهم واثقين بقوتهم يفيض في نواحي نفوسهم الأمل واليقين، يتحمَّلون المكاره في سبيل مبدئهم، وإلى من ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

يا عباد الله، ما زال المسلمون في مراكز حرجة تقع بهم المآسي وتلاحقهم الإهانات وهذه الإذاعات نسمع منها أخبار الجزائر وعمان وجنوب الجزيرة العربيّة، وعملاء الأعداء ما زالوا يدسُّون أَلغام الفتن ليوقعوا بين المسلمين نار الحروب وليشغلوهم عن مقاومة أعدائهم، وذلك لا نكاية بأشخاص المسلمين، ولكن لمقاومة دين المسلمين

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢١٧٤)، وقال: حديث حسن غريب.



وللقضاء على البقية الباقية في قلوبهم، وإنِّي لا أذكر هذه المتاعب قنوطًا أو يأسًا، كلاً، فإنَّه لا يقنط من روح الله، ولا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون أو الكافرون، والاستسلام لا يرضاه لنا ديننا ولا ترضاه لنا عروبتنا، وإنما أذكره استنهاضاً لهمم الرجال لعلَّ ﴿الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٥]، وممَّا يقصُّه التَّارِيخُ أَنَّ المغول هزموا جيوش الإسلام وسفكوا دماء المسلمين وحاولوا أن يبعدهم من دينهم، ولكنهم صمدوا له وتمسكوا جهدهم به، وإذا بجنود التتر الغالبيين يدخلون في دين الإسلام ويصيرون جنوداً في جيش الإسلام يدافعون عنه ويذبُّون^(١) عن حماه، فما بالنا اليوم وقد تحوَّل الأمر، وصرنا سلاحاً للعدوِّ ضدَّ ديننا، وأصبح ديننا الَّذي أَرَعِبَت جيوشه المشرق والمغرب لا أثر له في قلوبنا، وصار أهله مستضعفين في الأرض يتخطفهم النَّاسُ؟ ألسنا أبناء أولئك الَّذين حوَّلوا جيوش المغول إلى صفوف المسلمين؟ فلماذا تحوَّلنا إلى صفوف المستعمرين وتخلَّقتنا بأخلاقهم وقلنا أقوالهم وطعننا في ديننا وعبناه؟ كلُّ ذلك سبب جهلنا، وقد استغلَّ العدوُّ جهلنا هذا فاتَّخذه سلاحاً ضدَّنا وضدَّ ديننا، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرَّعْد: ١١] ولن يتغيَّر حالنا إلا إذا علمنا العلم الصَّحيح؛ ما هو ديننا؟ وبماذا يأمرنا؟ وعن ماذا ينهانا؟ وما هو تاريخنا وكيف كنَّا؟ وكيف بنينا مجدنا؟ وما أسباب نجاحنا؟ وما أسباب فشلنا؟ وإنَّ الله لا ينظر إلى

(١) ذبَّ عنه: دفع ومنع، والذبُّ: الطرد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/



صورنا وأموالنا وترفنا ونعمتنا ودورنا ومراكبنا وأشكالنا وهيئاتنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، فاعملوا - يا عباد الله - وأخلصوا النية «وكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له»^(١)، ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

﴿٥٣﴾ [الرَّؤْم: ٥٣] .



(١) سبق تخريجه .



العروبة والإسلام

«٣٨»

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾
 [الكهف: ١]، نزل به الرُّوح الأمين بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ على عبده ورسوله
 مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ﷺ ليكون من المنذرين، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ
 رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
 قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]، أشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله اصطفاه ربُّه من كافة
 الخلق ليكون للعالمين نذيرًا، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك
 سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه الَّذِينَ أوقفوا أعمالهم لله فكان الله
 معهم ﷺ وأرضاهم أجمعين.

عباد الله، اتَّقوا الله وآمنوا برسوله وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم
 مؤمنين، عباد الله إنَّ الله جعل من الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّةً واحدةً تعبد ربًّا
 واحدًا وتؤمن بكتاب واحد هو القرآن الَّذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] هذا الكتاب الَّذي أُنزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
 مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعْرَاء: ١٩٥] حفظ لغة العرب، وربط بين أُمَّة العرب منذ
 أكثر من ألفٍ وأربعمئة عامٍّ على سعة بلادهم، وتباعد أقطارهم،
 واختلاف لهجاتهم، بينما تفرَّقت كلُّ أُمَّةٍ من غير العرب إلى أممٍ

شَتَّى، لكلِّ أُمَّةٍ اسمها ولكلِّ أُمَّةٍ لغتها، ولقد آلم ذلك أعداء الإسلام فحاولوا التَّفَرُّقَةَ بين المسلمين، والعرب خاصَّةً، وبذلوا في سبيل ذلك شَتَّى الوسائل وأخبت الأعراض، ولكنَّهم لم يصلوا إلى غرضهم الخبيث، حاكوا المؤامرات خفيةً وعلنيَّةً، وعقدوا الاتِّفاقات سرًّا وجهرًا؛ كي يحقِّقوا بعض مآربهم فخاب فألهم وفشل سعيهم وردُّوا على أعقابهم خاسرين، وأخيرًا قال قائلهم: لا قضاء على المسلمين إلَّا بالقضاء على اللُّغة العربيَّة ولا قضاء على اللُّغة العربيَّة إلَّا بالقضاء على القرآن، ويحاولون ويأبى الله ذلك؛ لأنَّ الله قد تعهَّد بحفظ كتابه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، حاولوا منع النَّاشئة من قراءة القرآن فمنعوا تدريسه في المدارس إلَّا آيات قليلة تضمَّنت دروسًا في الأخلاق ليُضلُّوا بها على عقول الجاهلين، شَجَّعوا من لا دين لهم من المتعلِّمين، فأعطوهم المناصب العالية والرُّتب الرِّفِيعَة، وولَّوهم شؤون الحلِّ والعقد في الأمم؛ لكي يطفئوا نور الإسلام في النُّواحي الاجتماعيَّة ونواحي الحياة العامَّة، منعوا قراءة تاريخ العرب والإسلام ودراسة ما كان لصدر الإسلام من فتوح وتوسُّع ومجد، منعوا ذلك عن ناشئتنا إلَّا من شيءٍ قليل ليموِّهوا به علينا، فترى ناشئتنا تعرف من تاريخهم ما لا تعرف عن تاريخنا، وتحفظ من سير رجالهم ما لا تحفظ من سير رجالنا، استعملوا منَّا صنائع لهم لاقتراف الخيانات العامَّة ليمزِّقوا صفوفنا ويهدموا ماضي مجدنا ويمحوا آثار ذكره فينا، جعلوا من لغاتهم لغات السِّياسة والتِّجارة، وجعلوا لمن يتعلَّمها المكانتين العظيمتين في السِّياسة والاقتصاد، ولن ينال هاتين المكانتين إلَّا من



أجاد تلك اللغات، وإن فهم من لغة العرب فقهها وأسرارها.

حذروا الوعي العربيّ من انسجامه مع أعداء العرب ويتطوّر وفق مناهجهم فلا يناهضهم ولا يكايدهم، ألبسوا بعض عملائهم أزياء العروبة، ولقّنوهم كلمات يتشدّقون بها على المنابر في المجتمعات أو في الإذاعات، فيمجّدون الإسلام ورابطة الإسلام، وإنّهم في خدمة الإسلام، بينما هم برآء من الإسلام؛ لأنّ عملهم خلاف ما أمر به الإسلام؛ ولأنّهم ساعون لهدم الإسلام لبنة لبنة، فيا أمّة النّبِيِّ العربيّ، اعلّموا أنّ الله حَفِظَ لغتكم بكتابه وألّفكم بها، فبها تتفاهمون وبواسطتها تتعارفون، ولولا كتاب الله الذي به حفظ لغتكم لكان لكلّ قطرٍ من بلاد العرب لغةٌ لا يفهمها أهل القطر الآخر، فالقرآن هو الذي ربط بين المراكشيّ في أقصى المغرب العربيّ وبين العراقيّ في أقصى المشرق العربيّ، يا أمّة القرآن، لقد أخبرنا محمّد ﷺ أنّ العربيّة ليست باب أحد ولا أمّة، وإنّما هي «لغة فمن تكلم العربيّة فهو عربيّ»^(١)، ومن خدم الدّين الإسلاميّ ولغته فهو عربيّ، واللّغة هي الرّابطة بين القوم في أوطانهم، ولقد خدم الدّين الإسلاميّ واللّغة العربيّة قومٌ ما كان آباؤهم عرباً، لكنّ الدّين الإسلاميّ سجّل خدمتهم هذه في سجّله الخالد فكانوا فيه من الخالدين، ولقد أسلم خلقٌ لا يحصون من أجناس العالم حسّنت عقائدهم وأعمالهم، وتكلّموا اللّغة العربيّة فكان لهم في خدمة العروبة والإسلام المواقف المشرّفة والآثار الخالدة والمكانة العالية والذّكر الطيّب في نفوس الأجيال

(١) سبق تخريجه.

المتعاقبة، ولا يزال ذكرهم باقياً بقاء الإسلام ولغته.

يا أمة الإسلام، «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ»^(١)، ولا بُدَّ من يوم يظهر فيه الإسلام على مشرق الأرض ومغربها كما ظهر عليها في سالف عهده وسينصر الله دينه رضي العدوُّ أم كره، ﴿وَاللَّهُ مِتُّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصَّف: ٨]، وهذه بوادر النَّصر لاحت لذوي البصائر والأبصار، فعسى أن يعرف ولاة الأمور أن في عزِّ العرب عزُّ الإسلام، وأنَّ العرب هي أمة الإسلام ولن تقوم قائمتهم إلاَّ بالإسلام، ولغتهم لغة القرآن، والقرآن كتاب الإسلام، فكونوا عباد الله أنصارَ الإسلام وأنصارَ لغته وكتابه، ولا تتقاعسوا ولا تخاذلوا ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦] وصابروا، فالإسلام حقٌّ والعمل في هذه الحياة حقٌّ، ووعد الله بنصر الإسلام وأمته متى عملوا الحقَّ، فإمَّا عِزَّةٌ للإسلام وأمته ينعم بها المسلمون في حياتهم، وإمَّا شهادةٌ في سبيل الله ليفرحوا بلقاء ربِّهم.

يا عباد الله، العربيُّ بطبيعته التي فطره الله عليها يأبى الضَّيم ويكره الدَّنيَّة، ويرخص دمه في سبيل شرفه وكرامته ودينه وعروبته، على خلاف الأمم غير العربيَّة التي لا يهْمُّها شرفٌ ولا دينٌ ولا كرامةٌ، ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا ذَلَّتْ الْعَرَبُ ذَلَّ الْإِسْلَامُ»^(٢)، والعربيُّ يموت ولا يذل، ويهلك ولا يستكين، والله ﷻ أبى الذَّلَّةَ لعباده المؤمنين فقال لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.



مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴿آلِ عِمْرَانَ: ١٣٩﴾ ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾ [مَحَمَّد: ٣٥]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْحَظَفَكُمْ النَّاسُ فَكَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٦].

الثانية

اتَّقُوا اللَّهَ - يا عباد الله - واعلموا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ
جُحْرًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ
الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿٧٦﴾ [طه: ٧٤-٧٦]؛ ذلك لأن الإيمان
قوة تعصم صاحبها من الدنایا وتدفعه بقوة إلى الفضائل والمكرمات،
والله ﷻ إذا حذر عباده من شرٍّ أو رذيلةٍ وإذا دعاهم إلى خيرٍ أو عبادةٍ
أو مكرمةٍ ناداهم بأحبِّ الصفات إليهم؛ صفة الإيمان، فمثلاً يقول
لهم ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:
١٣]، ويقول جلَّ جلاله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة:
١١٩]، والذي يقترب الجرائم ولا يتباعد عن الرذائل ليس بمؤمن؛
لقول الرسول ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رُفِعَ أحدهما
رُفِعَ الآخر»^(١)، والذي يؤذي جيرانه وجماعته ويسيء إليهم ليس

(١) رواه الطبراني في شعب الإيمان، رقم: (٧٣٣١).

بمؤمنٍ؛ لقول الرسول ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١)، والرجل الذي لا يصل خيره لأُمَّته ولمواطنيه ولا يُحِبُّ لهم العزّة والكرامة والخير ليس بمؤمنٍ؛ لقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»^(٢).

يا عباد الله، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٣)، هكذا علّمنا نبينا ﷺ كيف نُعرِضُ عن لغو الحديث، ونتباعد عن الهذر في المجالس، وأنّ الدّين عقيدةٌ في القلب، وعملٌ في الجوارح، ومعاملةٌ مع النّاس لا يغني بعضها عن بعض، فمن حسنت عقيدته وعبادته وحسنت للنّاس معاملته فذلك هو المؤمن الحقّ، ومن نقصت عنده واحدة من هذه الثّلاثة فهو ناقص الإيمان وأمره إلى الله، فاتّقوا الله أيّها المسلمون، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التّحل: ١٢٨].



(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .



أركان الإسلام والعمل بها

« ٣٩ »

الحمد لله الواحد الأحد، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص: ٣-٤]، الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سننهم، اتقوا الله عباد الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

يا عباد الله، بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالإسلام، وأول ما جاء به كلمة لا إله إلا الله، فكانت بشارة بتحرير الإنسانية من عبودية الأوثان وحداً فاصلاً للجور والطغيان، ودليلاً بأنه لا سلطان لإنسان على إنسان، وفي البشر غني وفقير، عالم وجاهل، صحيح وسقيم، عزيز وذليل، قوي وضعيف، كلهم فقير إلى الله محتاج إلى رحمته، وكلهم متساوون أمام شريعة الواحد الديان، وكلهم في الحقوق والواجبات سواء، ولكنهم في الأعمال والدرجات متفاوتون، «لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»^(١)، فلقد قال الله تعالى لعباده على لسان نبيه

(١) سبق تخريجه .

ﷺ: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»^(١).

يا عباد الله، ما كان الإسلام يوماً ما دين أمانيّ أو أوهام، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١٣٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(١٣٤) [النساء: ١٢٣-١٢٤]، إنما الدين الإسلامي إيمان صالح مقرون بعمل صالح، وقد وضع الإسلام لهذا العمل سنناً مدونة في القرآن وفي السنة المحكمة، من اتبعها نجا ومن حاد عنها ضلّ وشقى، قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»^(٢)، وإنّ الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته من الخضوع والانقياد لأمره؛ لأنّ أصل العبادة أفراد الله بالمحبة، ومحبة الله هي حقيقة عبوديته، ولا تتحقق هذه العبودية أو هذه المحبة إلا باتّباع أمر الله واجتناب نهيه، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والله العليم بمصالح عباده الخبير بمنافعهم، فرض فرائض يجب أن تؤدّى كما أمر، فرض على المؤمنين من عباده خمس صلوات باليوم والليلة ليعلمهم بها الطاعة ويعودهم بها النظام وليصلهم برحمته الشاملة، وجعل هذه الصلاة آية الإيمان، وواسطة اتّصال بينه وبين عباده، فهي عماد الدين ودليل اليقين وسبيل المؤمنين

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧).

(٢) سبق تخريجه.



إلى سعادة الدنيا والآخرة، يؤدّيها الإنسان وهو نظيفٌ طاهرٌ في بدنه وثوبه، ويخرج منها وقد تطهّر باطنه وصفت نفسه؛ لأنّ الصّلاة التي يؤدّيها صاحبها عبوديّة الله توصل صاحبها بالله وتنهيه عن الفحشاء والمنكر، «ومن لم تنهه صلّاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً»^(١).

أيّها المسلمون، قد فرض الله على عباده الزّكاة؛ تطهيراً لأنفسهم من الشُّحّ والبخل، وتدعيماً لأواصر المحبّة بين الغنيّ والفقير؛ ليكون المجتمع الإسلاميّ سليم الأركان قويّ البنيان ثابت الدّعائم راسي الأساس، والفقير والبطالة إن لم يوجد ما يقاومهما أفسدا النّفوس وأذهبا الدّين، ولا نعمة في الأوطان مثل الدّين وحبّ المال، وصرّفه في غير طرقه المشروعة يدهور الأخلاق، ولا صيانة للهيئة الاجتماعيّة من هذا وذاك إلاّ بالزّكاة وهي الحقّ المعلوم في أموال الأغنياء لإخوانهم الفقراء، ولهذا قال الله تعالى لنبيّه الكريم ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التّوبه: ١٠٣].

وفرض الصّوم أيّاماً معدودات كلّ عام؛ ليخرجهم من عبوديّة العادة إلى حرّيّة الإرادة، فلا يكون المؤمن عبداً لعاداته ولا مملوكاً لشهواته أو نزواته، والشّهوات إذا تحكّمت في المجتمع أضعفت الهمم، وأذهبت رجولة الرّجال، وأتلفت الصّحّة، والشّهوات إذا استبدّت بالشُّعوب أفقدتها أمنها وراحتها وسلبت عزّتها وعظمتها وقضت على أخلاقها، وإنّما الأمم بالأخلاق، ولا حارس لأخلاق

(١) سبق تخريجه.

الأمم مثل الدين .

وفرض الله على عباده الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، والحج نوع من الجهاد يخرج فيه الإنسان عن ماله وأهله ووطنه في سبيل طاعة ربه؛ ليتعارف مع بني دينه ويتشاور مع إخوانه في مصالح مجتمعهم، فإن التعارف سبيل التعاون، والتعاون أساس نظام الحياة، وعليه تقوم دعائم أمة قوية الأركان.

يا عباد الله، العبودية لازمة للمؤمن لا تنفك عنه حتى الموت، والله أمر بها نبيه بقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وشرط العبودية الطاعة والانقياد لما أمر الله ورسوله فيما بينه القرآن والسنة المطهرة، ولا تتم عبادة الله ومحبته إلا بطاعة رسوله ومحبته، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ولذة الإيمان وحلاوته لا يعرفها إلا من أحب الله ورسوله، ولم يكن عنده شيء أحب إليه منهما.

يا عباد الله، وسيلة التقرب إلى الله طاعته، ولا تكون الطاعة إلا بالتزام أمره واجتناب نهيه، ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمَّهْدُونَ﴾ [الرؤم: ٤٤]، وبالعمل الصالح نجاح الحياة، وهذه الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ولن يرثها إلا الصالحون من عباده، العاملون بأوامره الممتنون عن نواهيه.

إخواني، إن الأقوال لا تبني مجداً، والكلام لا يصنع عزاً، والدعايات الفارغة لا تقيم دولاً، وإنما هو العمل والعمل وحده،



﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٣]،
 ووالله لن يعود للإسلام مجده، ولا للمسلمين عزُّهم وكرامتهم
 وحرِّيَّتهم إلَّا إذا عادوا إلى ربِّهم وعملوا بكتابه وسُنَّة نبيِّه وساروا سير
 السَّلف الصَّالح؛ فخلعوا ربِّقَةً^(١) الإلحاد من أعناقهم، وخرجوا من
 شهواتهم ونزواتهم، وعبدوا ربِّهم بإخلاص نيَّة وصدق عقيدة، «ولا
 يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»^(٢).

أيُّها المسلمون، من استعان بالله هداة، ومن طلب رضاه بالعمل
 الصَّالح أسعده الله وأنجاه، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ
 لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فليكن شعاركم: العمل لله
 والاستعانة به، والتَّقرُّب بهما إلى الله، فإنَّ من كان مع الله كان الله
 معه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].



(١) الرُّبُّ: حَبْل فيه عدة عُرى. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢٩/٢٥).

(٢) سبق تخريجه.





التَّقْلِيدُ الْأَعْمَى

« ٤٠ »

الحمد لله نحمده ونستعينه وهو المستعان وحده، ونعوذ به من
الفتن والشدة ونستهديه إلى ما يرضيه، ونسأله المزيد من فضله،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرشدنا بالإسلام إلى
مكارم الأخلاق وكريم العادات، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه
نوراً يبدد الظلمات، ومبشراً بالخيرات، وداعياً إلى الفضائل
والمكرمات، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك بالحقِّ وعلى آله
وصحبه صفوة الخلق ﷺ، أجمعين، اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ﴿وَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وبعد:

فلقد غزانا الكافر الغربيُّ بجنده وعتاده، واحتلَّ أراضينا بخيله
ورجله، وأضعف قوانا باستعماراه واستعباده، وأهلكننا بكفره
وإلحاده، وأفسد أخلاقنا بتهتكه واستهتاره، وأضلنا عن سواء السبيل
بخلاعه وفجوره ومجونه، وإنَّ ما يؤلم ويُحزن أن نرى شبابنا
وشوابنا، قد اندفعوا وراء هذا الغربيِّ يقلدونه تقليدًا أعمى بالكفر
والإلحاد، والخلاعة والفساد، وأخيرًا قللناه بأن تركنا أحكام الله
ووضعنا قانوناً لا يحفظ لنا فضيلةً ولا يصون لنا عرضاً، لا من جهة

الدين ولا من جهة التقاليد والعادات .

يا عباد الله، إن لنا ديناً قويمًا بعث به الله نبيّه محمّدًا ﷺ ليتمّ به مكارم الأخلاق، فهو دين المكارم والمحامد، وأمّته أمّة الفضائل والمحاسن، فوالله عارٌ علينا أن نغفل عن مكارم ديننا ومحامده، ونهجر فضائل أمّتنا ومحاسنها ونقلد أجنيبًا في مساوئ أخلاقه وقبيح تقاليدِه وسيّء عاداته .

أيّها المسلمون، لقد جلب علينا تقليدنا للأجانب شرًّا له عواقب لا تنتهي، فقد هدمنا بهذا التقليد بناء ديننا، وقضينا على تقاليد أمّتنا، فعبنا ما ورثه لنا أجدادنا من عادات وآداب، ومحونا معالمها التي اعتزوا بها، ونالوا بها المكانة العليا بين العالمين، ومع كل هذا الاندفاع في تقليد العدو المغتصب ما زال القوم يدعون العروبة ويفخرون بتمسّكهم بالقوميّة العربيّة، وما القوميّة العربيّة إلّا لغة يتفاهم بها، وتقاليد وعادات يعمل بها، وها هي اللّغة ينطقون بها فأين التّقاليد والعادات؟ لقد سلّبتنا تقليدنا الغربيّ فضائلنا، وقطع الصّلة بين ماضيّنا وحاضرنا، وجنينا به على أنفسنا وأهلينا وأمّتنا، ويا ليتنا قلّدناهم بالنّافع المفيد، والمشاريع النّافعة والمخترعات المفيدة، وصناعاتهم ووفرة إنتاجهم، يا ليتنا قلّدناهم بتعاونهم على ما يرفع شأن الوطن ويعلي مكانة الأمّة بين الأمم، أسفي والله لمن أضيع الفرصة فلم ينتهزها، وفرّط فيها فلم يغتنمها، تالله لقد ألقى الزّمن علينا دروسًا لم نحفظ بمعانيها، دروسًا لو كان لسامعيها عقولٌ لوَعَتْهَا، وما زال الزّمن بلياليه وأيامه يرينا من عبرها ما عُميت البصائر عن تبصّرها .



إِنَّ فِي تَحْوُلِنَا عَنْ مَاضِيِنَا لِحَاضِرِنَا ذِكْرَى وَعِظَةً وَدَرْسٌ، وَفِي إِقَامَةِ الْعَدُوِّ بَيْنَنَا دَرْسٌ وَمَوْعِظَةٌ، فَلَا نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِمَاضِيِنَا، وَلَا اتَّعَظْنَا مِنْ حَاضِرِنَا، أَقَامَ الْعَدُوُّ بَيْنَنَا عَشْرَاتِ السَّنِيْنَ، وَعَرَفْنَا فِيهِ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ وَالتَّضَامْنَ، وَخَبَرْنَا فِيهِ الشَّدَّةَ وَالْمَنْعَةَ وَالتَّعَاوْنَ، وَمَعَ هَذَا رَأَيْنَا فِيهِ إِلْحَادًا وَاسْتَهْتَارًا وَمِوَعَةً، فَلَمْ نَقْلُدْهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَلَمْ نَسْتَفِدْ عِبْرَةً مِنْ شِدَّتِهِ وَمَنْعَتِهِ، وَلَا تَضَامِنًا كِتَضَامِنِهِ، وَلَا تَعَاوُنًا كِتَعَاوُنِهِ، وَلَا تَفَانِيْنَا فِي خِدْمَةِ قَوْمِنَا وَوِطْنِنَا كِتَفَانِيهِ فِي خِدْمَةِ قَوْمِهِ وَوِطْنِهِ، بَلْ قَلَّدْنَاهُ بِسَيِّئَاتِهِ وَحَجَبْنَا بِصَائِرِنَا وَأَبْصَارِنَا عَنْ حَسَنَاتِهِ، فَكَفَرْنَا كَمَا كَفَرَ وَاسْتَهْتَرْنَا مِثْلَمَا اسْتَهْتَرَ، وَزَدْنَا عَلَيْهِ بِأَنْ بَدَّرْنَا أَمْوَالِنَا فِي الْمَتَعِ وَالْمَلَذَّاتِ، وَأَضَعْنَا أَوْقَاتِنَا فِي الْمَلْهِيَاتِ، وَأَضَعْنَا عَقُولِنَا وَدِينِنَا، هَذَا شَبَابِنَا لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا الْقَيْلُ وَالْقَالُ، وَتَبْذِيرُ الْأَمْوَالِ فِي اقْتِنَاصِ الْمَتَعِ، وَاقْتِنَاءُ الثَّمِيْنِ مِنَ الرِّيَاشِ وَالنَّفِيْسِ مِنَ السَّلْعِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ هَذِهِ الْحَالَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، عَقَلْتُ قُلُوبَهُمْ وَسَائِلَ اللَّهْوِ وَلَمْ تَعْقِلْ غَيْرَهَا، وَتَفَتَّحَتْ أَبْصَارَهُمْ لِلْمَجْوْنِ وَكَفَّتْ عَنِ النَّظْرِ إِلَى الصَّالِحِ وَسَمِعَتْ آذَانُهُمُ اللَّهْوَ، وَلَكِنَّهَا صَمَّتْ عَنِ سَمَاعِ النَّصَائِحِ، وَهَذِهِ بِنَاتِنَا وَنَسَاؤُنَا قَدْ طَرَحْنَ ثِيَابَ الْوَقَارِ وَخَلَعْنَ سِتْرَ الْحَيَاءِ، لَا هَمَّ لَهُنَّ إِلَّا اقْتِنَاءُ الثَّمِيْنِ مِنَ الْمَلَابِسِ، وَالتَّحَدُّثُ عَنِ الْأَزْيَاءِ، فَلَا هُنَّ كَاسِيَاتٌ بَلْ عَارِيَاتٌ، كَشَفْنَ الشَّعْرَ وَأَبْرَزْنَ النَّحْرَ وَالصَّدْرَ، وَتَمَايَلْنَ فِي الْمَشْيَةِ وَتَبَاعَدْنَ عَنِ الْحَشْمَةِ، فَاسْتَلْفَتْنَ لَهُنَّ الْأَنْظَارَ وَاسْتَهْوَتْهُنَّ مَعَاكِسَةُ الْأَشْرَارِ، وَصَدَقَ فِيهِنَّ قَوْلُ الرَّسُولِ الْكَرِيْمِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يُضْرَبُونَ بِهَا النَّاسُ،

ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها»^(١)، أين هذا من قول الله تعالى العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، تالله لقد أغفلت المسلمة حرمة آداب الإسلام، وأهملت العربية تقاليد العرب الكرام، وأهانت المحمديّة شريعة النبي محمد ﷺ، ومالت إلى بدع الغربيين وتعودت عادات الكافرين، والذنب في كل هذا ذنب الأولياء، فإنهم تغافلوا عن صغائر الذنوب فجرّتهم إلى كبائرهما، وتهاونوا بحقائق الشرور فأوقعتهم في عظامها، وهكذا فمعظم النار من مستصغر الشرر، فاللهم غفرانك ورحمتك، ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

الثانية

اتّقوا الله عباد الله، ﴿فَاتِّبِ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوِيِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وتمسّكوا من طاعة ربكم بالسبب الأقوى، فإن طاعة الله شعار المؤمنين ووصية المرسلين، يا أغنياء الأمة ارحموا فقراءها، يا أقوياء الأمة أعينوا ضعفاءها، يا أيها المتشدّدون^(٢) بكلمة الإنسانيّة، هذه

(١) رواه مسلم، رقم: (٢١٢٨).

(٢) تشدّد في كلامه: فتح فمه واتّسع. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/١٧٣).



أوقاتها، أعيّنوا الضّعفاء وارحموا الفقراء وأحسنوا إلى أنفسكم
بذكرى طيبة تُذكرون بها ودعوة صالحة تنالونها، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فرجوا كرب
المكروبين، واقضوا حوائج المحتاجين، أعيّنوا البائسين وأحسنوا إلى
المعدمين، واستروا عورة العارين، أطعموا الجائعين، وتصدّقوا على
الفقير والمسكين ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]،
واستمعوا قول الله إذ يقول لعباده المؤمنين: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١١٠-١١١].





الإسلام قوّة

« ٤١ »

الحمد لله القويّ العزيز، والحمد لله اللطيف الخبير، والحمد لله
 ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المُلْك: ١]، وأشهد أن لا إله إلا
 الله وحده لا شريك له هو حسبنا ونعم الوكيل، وأشهد أن محمّداً
 عبده ورسوله بعثه بالحقّ إلى الخلق بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
 بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فبلّغ الرّسالة وأدى الأمانة
 ونصح الأمّة، اللهم صلّ وسلّم على هذا النّبّيّ الكريم سيّدنا محمّد
 وعلى آله وصحبه ومن استنّ سننهم واتّبع سبيلهم.

عباد الله، اتّقوا الله حقّ تقّاته، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم
 مؤمنين، واعلموا أنّ الإسلام نعمة منّ الله بها على عباده المسلمين،
 ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
 [المائدة: ٣]، وأمرنا بالمنعم علينا بهذا الدّين أن نفهّم أوامره ومنهياته
 لنعمل بالأوامر ونتباعد عن المناهي، ولكنّ النّاس جهلوا هذه
 الحقيقة فلم يعرفوا من إسلامهم شيئاً غير الاسم، قصرّوا الدّين على
 العبادات وجرّدوه من الحياة، وفاتهم أنّ ديننا دينُ رحمةٍ وعدلٍ
 وإحسانٍ، وبه نشطت العزائم والهمم ونهضت العبقريّات والنّبوغ،
 وبه صلحت العقائد والأخلاق، وعلى أيدي رجاله قام صرح المدينة

في عالم البشريّة، وإنّ الإسلام لم يترك شيئاً من أمور الحياة إلاّ كان له فيه أمرٌ ونهيٌّ، فأمرنا أن نكون دائماً أقوياء على الكفّار أشدّاء فيما بيننا رحماء، وقد قال الله جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويقول لنا رسول الله ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(١)، إنّ الإسلام يكره المؤمن أن يكون متردداً في أموره لا يدري كيف يفعل، وإنّما يأمره بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول الرّسول ﷺ: «إنّ الله يُلومُ على العجز، ولكن عليك بالكيس»^(٢) فإذا غلبك أمرٌ فقل: «حسبي الله ونعم الوكيل»^(٣)، أمّا أن ييأس المؤمن ويقنط ويشيخ ماضيه الخاسر بنحيب وبكاء حزناً على ما فاته، أو أنّه يقف مع الهزيمة يستعيد أحزانها ويتعثر في أعقابها، فهذا ليس من الإيمان، وإنّما هو من عمل الشيطان، والتّوكل على الله ثقةٌ بالله تنعش المسلم إذا فقد العون وأحاطت به الظروف المحرّجة، ولقد كان أصحاب النّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ في قلّةٍ عدديّ وسلاح، ووقفوا أمام عدوّهم الكافر في مواطن عدّة، توكلوا فيها على الله فلم يستسلموا لضعف ولا خافوا كثرة ولا يئسوا من نصر، بل وگكّلوا أمرهم إلى ربّهم، وآووا إلى ركنه الشّديد، فكان هذا التّوكل قوّة لعزائمهم وثباتاً

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤).

(٢) الكيس: الخفّة والتّوقُّد، وهو خلاف الحمق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٦٠/١٦).

(٣) رواه أبو داود، رقم: (٣٦٢٧).



في مواقفهم ورباطًا لقلوبهم، وغذاءً لأرواحهم، به انتصروا وسادوا، وبه بقي ذكرهم أبد الأبدين، ولقد خلد القرآن ذكرهم وقصّ علينا من شأنهم ما لو اتبعناه لكننا أقوى العالمين، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، أمّا توكل هذا الزمان، الذي مسح صورته دعاة لا حظ لهم في الإسلام أو بغاة فجرة أرادوا لأنفسهم حظًا من الدنيا، فاغتنوا جهل المسلمين بدينهم، واصطنعوا لهم دعاة ضالّين مضلّين حرّفوا معاني القرآن حسب أهوائهم وجاؤوا بأحاديث من عندهم نسبوها زورًا وبهتانًا لنبيّ الإسلام ظلمًا وعدوانًا على الإسلام، فطلبوا من الناس أن يتواكلوا ويتركوا المقادير تجري في أعنتها، ويقعدوا عن طلب المعالي، ويضعفوا أمام الحوادث والبغي والظلم والعدوان، ونسبوا هذا إلى الإسلام، أكبر به من جرم على الإسلام! وأعظم بها من فريّة على نبيّ الإسلام! إنّ الإسلام يقول لأمتّه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤]، ويقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [محمد: ٣٥]، ويمدح أولئك الذين لم يضعفوا أمام عدوهم فيقول: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

أيّها المسلمون، إنّ الإسلام يريد منا أمة قويّة في الرّوح والجسد والإيمان، وقويّة في المجتمع؛ ليكون المسلم سعيدًا في روحه، ودينه، وبدنه، ومجتمعه، ولقد أثنى القرآن على أصحاب سيّدنا

محمد ﷺ بأنهم أشدّاء على الكفار بقوة روحهم وأنهم رحماء بينهم بقوة مجتمعهم، وأنهم رُكَّعًا سُجَّدًا بقوة إيمانهم، ولهذا حذر الإسلام من حياة الخلاعة والفجور؛ لأنّ هذه الحياة تسقط مروءة الإنسان، فلا تبقي له قوّة، ولو لبس جلود الأسود أو مشى في ركاب الملوك.

والإسلام وضع للأبدان تشريعات خاصّة تقيها من العلل وتحفظها من الأمراض؛ لأنّ المريض ضعيف الإرادة، واهي الأعضاء، مضطرب التفكير، عصبي المزاج، لا يستفيد منه المجتمع ولا يستطيع هو أن يفيد المجتمع كما يفيد الأصحّاء الأقوياء، أمرنا أن نأكل من الطيّبات، ونشكر الله على نعمه، وقال لنا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، وحرّم علينا أنواعًا من المأكولات وأصنافًا من المشروبات؛ رافة بنا أن يصيبنا من أكلها أو شربها ضررٌ في أبداننا أو ضررٌ يتعدّى منّا إلى أولادنا.

والإسلام ينهى عن الإجهاد حتّى لا يضعف القويّ، ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والإسلام حرّم الزنا؛ لأنّه فاحشةٌ وبلاءٌ، بلاءٌ على الجسم لما يسببه من أمراض، وبلاءٌ على النفس لما يصيبها به من فساد، وبلاءٌ على الأخلاق لما يعترها بسببه من انحلال.

والإسلام - أيها المسلمون - رياضةٌ ونظامٌ، والرياضة قوّةٌ جسميّةٌ، والنظام قوّةٌ اجتماعيّةٌ، والصلاة والصيام والحجّ رياضةٌ بدنيّةٌ، وطاعةٌ ربانيّةٌ ونظامٌ، والزكاة رياضةٌ نفسيّةٌ وطاعةٌ إلهيّةٌ



وتعاون، وبعد:

أيُّها المسلمون، إنَّ الإسلام يريدنا أن نكون كما كان أصحاب نبيِّنا، ونكون أشدَّاء على أعدائنا، رحماء فيما بيننا، نحيا في طاعةٍ حتَّى نكون كزرعٍ كثرت فروعه فقوي بها ساقه، لا يضعف أمام رياح ولا يلين أمام زوابع، فاتَّقوا الله - أيُّها المسلمون - وكونوا كما أراد لكم دينكم، واعتصموا بالله هو مولاكم، ﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُبَوُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هُود: ٥٢]، أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الثَّانِيَّة

وبعد:

فقد كان موضوع الخطبة الأولى: الإسلام قوّة ويريد لأُمَّته القوّة، وفي الشَّجاعة والصَّبْر على المكاره قوّة، ولعلَّ بعض النَّاس يظنُّ أنَّ الغضب قوّة، وهذا وهمٌ وجهلٌ؛ لأنَّ الغضب اهتياج الطَّبْع الحيوانيِّ في الإنسان، ولقد أوصى رسول الله ﷺ أحد أصحابه عندما طلب منه الوصيَّة فقال له: «لا تغضب» فقال الصَّحابيُّ ثانية: يا رسول الله، أوصني، فقال له: «لا تغضب» فكرَّرها ثالثة، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «لا تغضب»^(١)، ويصف لنا المصطفى ﷺ الغضب بأنَّه: «جمرةٌ توقد في جوفِ ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه»^(٢)، ثمَّ يصف لنا أقوى الرِّجال وأشجعهم وأجلدهم وأصبرهم بأنَّه ليس

(١) رواه البخاري، رقم: (٦١١٦).

(٢) رواه الحاكم، رقم: (٨٥٤٣).

القويُّ الَّذِي يصرع النَّاسَ بقوَّته، أو ذلك الَّذِي يحمل الأثقال، أو يفتك بالأبطال، لا ليس القويُّ هذا ولا ذاك، وإنَّما هو كما قال الرَّسول ﷺ: «ليس الشَّدِيدُ بالصُّرعة، إنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يملك نفسه عند الغضب»^(١)، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل

عمران: ١٣٣-١٣٤].



(١) رواه البخاري، رقم: (٦١١٤)، ومسلم، رقم: (٢٦٠٩).



الإسلام نور الحياة

«٤٢»

أيها المسلم، اتق الله حق تقواه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٥]، واعلم أن الله بعث محمداً ﷺ هادياً للبشرية؛ لينقذها من الظلمات إلى النور، فمن تبعه سلّم وفاز بالهدى والخير واليسر والمعرفة، ومن أبى بقي في ضلاله وشره وعسره وجهله، ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥]، والإسلام دين الحق، وهو ليس ديانة فقط كما يفهمها الجاهلون من المسلمين وغيرهم، وإنما هو نظام كامل للحياة؛ حياة الفرد والمجتمع، وقد بذل الخير للإنسانية فأصلح فاسدها، وقوم معوجها، وعلمها معنى الحياة، ومحا الظلمات، فلا ظلمات جهل، ولا أوهام، ولا ظلم، ولا عبودية، ودعا الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ووصل بهما إلى أعماق القلوب، فاجتث^(١) منها أصول الشر والفساد؛ ليحل محلّهما الخير والصّلاح، فهو نور ومن فهمه عاش في نور يغشاه ويحيط به ويكون في قلبه وعقله، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله أن يجعل النور في قلبه، يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ

(١) اجتث: اقتلع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢٩/٥).

اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصْرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»^(١)، وَمَا كَانَ هَذَا النُّورَ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَدَانَتْ لِدِينِ اللَّهِ أُمَّمٌ عَدِيدَةٌ تَخْتَلِفُ فِي شُعُوبِهَا وَلُغَاتِهَا وَأَلْوَانِهَا وَبِلَادِهَا، وَتَخْتَلِفُ كَذَلِكَ فِي عَادَاتِهَا وَثِقَافَتِهَا، وَإِذَا الْإِسْلَامُ بَوْسَائِلَهُ السَّامِيَةَ وَبِدَعْوَتِهِ الْحَكِيمَةَ يَجْعَلُ هَذِهِ الشُّعُوبَ تَنْسَى أَوْ تَنْسَى فَوَارِقَهَا، وَإِذَا بِهَا تَنْدَمِجُ مَعَ بَعْضِهَا فِي أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمَسَاوَاةَ أَسَاسًا لَهَا، فَتَقُولُ لَنَا: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِأَبْيَضٍ عَلَيَّ أَسْوَدٍ»^(٢)، وَلَا لِشَعْبٍ عَلَيَّ شَعْبٍ «النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ»^(٣)، وَقَدْ أَدَبَهُمُ الْقُرْآنُ بِأَدْبِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الْحُجُرَاتُ: ١٣]، وَقَالَ لَنَا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٩٢]، وَإِذَا بِالْقُرْآنِ - كِتَابِ اللَّهِ - الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ يَصُوغُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ، فَيُذَوِّدُ عَنْهَا الْفِتْنَ وَيُرُدُّ عَنْهَا الْخِرَافَاتَ وَيَفْتَحُ لَهَا الْبَصَائِرَ، وَإِذَا بِهِ يَصْبِحُ أَسَاسُ حَضَارَتِهَا مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا، فَهُوَ دِينُهَا وَعَقِيدَتُهَا، وَدَسْتُورُ سِيَاسَتِهَا وَدَوْلَتُهَا، وَمِنْهَا جِ اقْتِصَادُهَا

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٣١٦)، ومسلم، رقم: (٧٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.



و ثروتها ، وقانون تشريعها وحكمها ، ومنه تستمدُّ نظام مجتمعتها ، وهو الرِّباط الَّذِي لا ينفصم ، يربط شرقيَّ هذه الأُمَّة بغربيِّها وشماليِّها بجنوبيِّها ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

[الإسراء : ٩] .

وهذا القرآن - يا أُمَّة القرآن - يحذِّرُ من الفساد والفوضى ، ويحثُّ على النُّظام ، ويصوِّر لنا في قصصه مصير الأمم التي شاعت فيها الفوضى ، وشاع فيها الفساد والضلال ، ومصير القرى الظالمة التي أهملت الصَّالح وتغافلت عن النَّافع ، ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [١٣٦] وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿ [١٣٢] ﴾ [الأنعام : ١٣١-١٣٢] .

وحذَّر القرآن أيضًا من موالاتة الأعداء ومحالفتهم ، وأخبرنا أنَّهم أعداء بالطَّبيعة ؛ لأنَّهم ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٢] الَّذِي هو دينكم ، و ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٩] ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة : ١٣] ، وإن كانوا آباءكم أو إخوانكم أو عشيرتكم ، ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم عرضة لغضب الله وسخطه .

وحذَّر القرآن من العدوان حتَّى على العقائد ، فقد قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، أعلنها القرآن آية صريحة رغبة في أن يتحقَّق للبشريَّة الأمن والسَّلام والسَّكينة والحرِّيَّة ، وإذا كانت الدَّولة الإسلاميَّة قد

حاربت فإنما حاربت لتحمي الدَّعوة الإسلاميَّة لا غير، وكان الجنديُّ المسلم يدخل ميدان القتال يحمل عدَّة الدِّفاع في يدٍ ويحمل في الأخرى منشور السَّلام.

استمع معي - أيها المسلم - لرسول الله ﷺ يوصي عليَّ بن أبي طالب وقد ولَّاه قيادة جيش جهَّزه لنشر الدَّعوة إلى اليمن: «يا عليُّ سر حتَّى تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول لا إله إلاَّ الله، فإن قالوا نعم فمرهم بالصَّلاة، ولا تبغ منهم غير ذلك، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممَّا طلعت عليه الشَّمس، ولا تقاتلهم حتَّى يقاتلوك»^(١)، هذا هو دينكم يا أمَّة الإسلام، لم يكتب التَّاريخ صحائف كانت عظيمة في وفائها وإخائها وعدلها وعزمها ومضائها، كما كتب عن الإسلام، وعن رجال الإسلام، الَّذِينَ دعوا للإسلام وفتحوا الإسلام ودانت لهم الأمم رغبةً لا رهبةً، ودخل النَّاس في دينهم أفواجا، وتنسى أو تتناساه، ويبلغ جهلنا به حدًّا يستغلُّه عدوُّنا في الدِّين فيأتينا بدسائسه؛ ليفرِّق صفوفنا ويردِّنا إلى جاهليَّتنا الأولى، أتانا بدسيسة الشُّعوبيَّة فقبلناها، وفرَّقنا الأصول واللُّغات، ثمَّ أتانا بدسيسة الأقاليم فقبلناها، ولم تجمعنا اللُّغة العربيَّة لغة القرآن بل تفرَّقنا إلى أقاليم؛ لكلِّ إقليم حدوده، يبرأ بعضنا من بعض ويعادي بعضنا البعض ويعتدي بعضنا على بعض، فرقةٌ أوصلتنا إلى خيبة مكَّنت منَّا الأعداء، فاتَّخذناهم أولياء وألقينا إليهم أعتتنا، وجعلناهم قدوةً لنا في جميع شؤوننا، وغفلنا عن أمر الله علينا، وقال الله ﷻ:

(١) سبق تخريجه.



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المُمْتَحَنَةُ: ١]، وقد نسينا قوله جلَّ جلاله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَةُ: ١٠٩].







سكتنا عن المنكر فعاقبنا الله بما ننكر

«٤٣»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، وَلَا مِنْ الَّذِينَ شَغَلَهُمْ مَالُهُمْ وَوَلَدُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ الَّذِينَ ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ نَجُوتُمْ، وَإِلَّا فَسَيُصِيبُنَا مَا أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلُنَا كَمَا أَخْبَرَنَا رَبُّنَا فِي كِتَابِنَا الْعَزِيزِ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠]، وَإِنَّ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ عِظَةً لِمَنْ يَتَعِظُ، وَذَكَرَى لِمَنْ يَتَذَكَّرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

عباد الله، وعظمتنا الحوادث فلم نتعظ، ونزلت بنا المصائب والكوارث فلم ننتبه، ولم نعتبر بالماضي، ولو تبصّرنا فيه لرأينا عبراً، ولم نَفُزْ بالمستقبل!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمٍ جَزِيلَةٍ، وَأَفَاضَ عَلَيْنَا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، وَرَضِيَ مِنَّا بِالشُّكْرِ وَوَعَدَنَا عَلَيْهِ الْمَزِيدَ، فَهَلْ فَعَلْنَا؟ أَشْكُرْنَا الْمُنْعَمَ عَلَى نِعْمِهِ؟ أَحْمَدُنَاهُ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ؟ نَعَمْ، حَمْدُنَاهُ بِالْأَسْتِنَا لَكِنَّا جَحَدُنَاهُ بِأَعْمَالِنَا وَلَمْ نَرِعْ نِعْمَهُ؛ فَلَمْ نَأْتَمِرْ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَلَمْ نَنْتَهَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، بَلْ بَارَزْنَاهُ بِهَا وَاتَّخَذْنَاهَا وَسِيلَةً لَارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ وَإِتْيَانِ السَّيِّئَاتِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِضَعْفٍ فِي إِيْمَانِنَا بَدِينِنَا، قُلْ بِرَبِّكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، هَلْ أَقْلَعِ الْقَوْمَ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؟ هَلْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَدُّوا الزَّكَاةَ؟ هَلْ رَجِمَ غَنِيَّهُمْ فَقِيرَهُمْ؟ هَلْ عَطَفَ مُوسِرَهُمْ عَلَى مَعْسِرِهِمْ؟ هَلْ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَبِالصَّبْرِ؟ هَلْ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى؟ هَلْ تَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ هَلْ أَدُّوا حَقَّوِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ وَالْوَالِدِ؟ هَلْ رَاعَوْا حَقَّ الْجَارِ وَالصَّدِيقِ؟ هَلْ رَأَفُوا بِالْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ؟ هَلْ تَنَاسَوْا الضَّغَائِنَ وَأَفْشَوْا السَّلَامَ؟ هَلْ تَحَابَّبُوا فِي اللَّهِ؟ هَلْ تَجَنَّبُوا الشُّبُهَاتِ وَكَسَبُوا الطَّيِّبَاتِ؟ جَوَابُ سَوَالِي: لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ! لَقَدْ أَهْمَلِ الْقَوْمَ دِينَهُمْ فَغَفَلُوا وَتَغَافَلُوا، سَكَتِ الصَّالِحُونَ عَلَى مُنْكَرِ الْعِصَاةِ أَوْ شَارَكُوهُمْ فَعَصَوْا بِسَكْوَتِهِمْ أَوْ مَشَارَكْتِهِمْ فَصَارُوا جَمِيعًا فِي الذَّنْبِ مُشْتَرِكِينَ؛ لِأَنَّ السَّائِتَ رَاضٍ وَالرَّاضِيَ كَالْفَاعِلِ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الْحَرَابِ: ٦٢]، وَكَانُوا كِبْنِي إِسْرَائِيلَ ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٧٩]، أَمَا كَانَ الْأَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَقْتَدُوا بِسَلْفِهِمُ الصَّالِحِ؟ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ حَفِظُوا هَذَا الدِّينَ؛ اتَّبَعُوا أَوْامِرَهُ وَأَمَرُوا بِهَا وَانْتَهَوْا عَنِ نَوَاهِيهِ وَنَهَوْا عَنْهَا، فَجَنَّبُوا بِذَلِكَ أَطِيبَ الثَّمَارِ، اعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَخَابَ الْمُنَافِقُونَ



والمرجفون، تعاونوا على البرِّ والتَّقوى فخاب الأشحَاء والطَّامعون، عدلوا في الحكم فخاب المبطلون والظَّالمون، نصحوا لله ولرسوله فخاب المتزلفون والمتملِّقون، فعاشوا في هذه الدُّنيا آمنين مطمئنِّين راتعين بالخير منعمين بالعزِّ مؤيِّدين بالنَّصر، وفازوا بعدها بذكرٍ طيبٍ يتحدث النَّاس به أجيالاً، ولهم بعد ذلك الخير المقيم في جنَّات النَّعيم، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

عباد الله، لقد كنَّا وإلى عهدٍ قريبٍ آمنين في أوطاننا محسودين من جميع جيراننا بما منَّ الله به علينا؛ إذ أطعمنا من جوع وآمنَّا من خوفٍ، والأمن في الأوطان نعمةٌ محسودٌ فيها كثيرٌ من النَّاس وليس بلد من بلاد الله نعمت بهذه النُّعمة منذ الحرب العالميَّة الأولى مثل بلدنا؛ لأنَّنا تضامناً وتراحمنا ورعينا حقَّ المواطن والصِّديق ووصلنا الأرحام وأكرمنا الضَّيف وواسينا المحتاج وعطفنا على الأرملة واليتيم والمسكين، وقمنا بحقِّ الجوار، ففتح الله علينا باباً من أبواب نعمه الكثيرة، فلا تجعلوا - أيُّها الإخوة - هذه النُّعمة وبالأعلى علينا، فإنَّ الله جلَّ شأنه «يعطي الدُّنيا من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ ولا يعطي الدِّين إلا من أحبَّ»^(١)، وقال ﷺ: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦-١٧].

يا عباد الله، قال الله تعالى لنبيه محمَّد ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هُود: ١١٧]، وقال:

(١) سبق تخريجه .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١٢١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، هكذا وعد الله عباده الَّذِينَ آمَنُوا والله لا يخلف وعده، وقد ضرب الله مثلاً لعباده في كتابه الكريم ليتدبروا حياتهم، وليعتبروا بما حدث للعصاة من النَّاسِ في أزمان مضت، وما قد يحدث لمثلهم في أزمان تأتي، فاتَّقُوا اللَّهَ يَا عِبَادَ اللَّهِ، واجعلوا نعم الله عليكم وسيلة لطاعة لا لمعصية، فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيلُ النِّعَمَ، ولا تَيْمَّمُوا الْخَيْثُ بِالطَّيِّبِ واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته، فشكر اللسان وحده لا يفيد، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِأَنْ يَزِيدَ مَنْ شَكَرَ وَأَنْ يُمَكِّنَ فِي الْأَرْضِ لِمَنْ صَلَحَ وَأَصْلَحَ، وَأَنْ يُسَعِدَ فِي الْحَيَاةِ مَنْ اتَّبَعَ هِدَاةَ، قال ﷺ: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]. وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «يلبث قومٌ من هذه الأمة على طعمٍ وشربٍ ولهوٍ ولعبٍ فيصبحوا قد مُسِّخُوا قُرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وليصيبنهم خُسْفٌ وَقَذْفٌ حَتَّى لِيَصْبِحَ النَّاسُ، فيقولون: خُسْفَ اللَّيْلَةِ ببني فلانٍ بدار فلانٍ، وليرسلنَّ عليهم حجارةً من السَّمَاءِ كما أُرْسِلَتْ على قومٍ لوطٍ على قبائلٍ فيها وعلى دورٍ، وليرسلنَّ عليهم الرِّيحَ العقيمَ التي أهلكت عادًا على قبائلٍ فيها وعلى دورٍ بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الرِّبَا وقطيعة الرِّحِمِ»^(١).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٥٢٢٦).



الثانية

دافعوا عن دينكم يدفع الله عنكم ما تكرهون، خَلِّقُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْحَلَمِ وَالْعَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ وَلَا عَجْزٍ، عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الصِّدْقَ الْمَحْمُودَ؛ فَإِنَّ «الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»^(١)، وَأَدُّوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا؛ فَالْخَائِنُ مَنْبُودٌ فِي مَجْتَمَعِهِ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَالْعَهُودِ وَالْوَعُودِ؛ فَإِنَّ خَلْفَهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ، وَ«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(٢)، وَ«عَلَيْكُمْ بِحَسَنِ الْخَلْقِ فَإِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٣)، وَأَخْلِصُوا النَّصِيحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ فَإِنَّ «الدِّينَ النَّصِيحَةَ»^(٤)، وَأَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَأَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ «فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٥)، وَإِيَّاكُمْ وَالرِّيَاءَ فَإِنَّهُ يُحْبِطُ ثَوَابَ الْعَامِلِينَ، ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].



(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٧٢٤)

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) رواه البخاري، رقم: (١) .





خاتمة

الحمد لله على نعمه إذ طُبِعَ القسم الأوَّل من كتاب المنبر، وقد ضمَّ ثلاثاً وأربعين خطبة في المواعظ، ويليه بعون الله تعالى القسم الثاني، ويضمُّ ما قلت في المناسبات والطَّوارئ، وعدد خطبه نحو هذا العدد، وأسأل الله - جلَّ شأنه - أن يحسن لنا النيَّة ويوفِّقنا إلى السَّير في سواء السَّبيل؛ إنَّه سميع الدُّعاء، وهو وليُّ التَّوفيق.

المؤلف





جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ٢٠١٩م) رحمه الله

الخطبة المنبرية

المنبرية الجزء الثاني

اعتق به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه، وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله محمّدٍ خير
بريئته، وبعدُ:

فقد وفّقنا الله تعالى إلى إتمام القسم الأوّل من كتاب «المنبر»، الذي
بلغ عدد خطبه نيّماً وأربعين خطبةً منبريّةً في المواعظ والإرشاد.
وهذا الجزء الثاني من الكتاب قيلت خطبه في مناسباتٍ عدّة، أُثبتَ
ذكرها مع عنوان الخطبة، أقدمها للقارئ الكريم، راجياً منه دعوةً
صالحةً، ومن الله المغفرة والرّحمة.

عبد الله الثّوريُّ





وَا دِينَاهَا

بمناسبة استيلاء الطليان على طرابلس الغرب بتاريخ

(١٢/١/١٣٤٩هـ)^(١)

(١)

الحمدُ لله، يُعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، ينصر من نصر دينه، ويخذل من خذله، بيده الملك، وإليه يرجع الملك، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يهدي من يشاء إلى الرشد، ويضلُّ من يشاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقِّ داعياً إلى خلق الله كافةً.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّدٍ الَّذي جاهد في الله حقَّ الجهاد، فنصره ربُّه كما وعده وهو لا يُخلفُ الميعاد، وعلى آله وأصحابه أنصار العدالة ودُّعاة الرِّشاد الَّذين لم تأخذهم في الله لومةٌ لائمٍ، ولم يرهبوا في الحقِّ سطوة^(٢) ظالمٍ، أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، فإلى متى هذا السُّبَّات وهذه الغفلات؟ وإلى متى والمصائب على دينكم تترى، وتعمل فيه أسلحة العدى؟!

(١) أي: سنة (١٩٣١م).

(٢) السُّطوة: شدة البطش. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٨٤/١٤).



إِنَّ وَقْتَ الْإِنْتِبَاهِ قَدْ آنَ، وَإِنَّ وَقْتَ الْعَمَلِ قَدْ حَانَ، تَاللَّهِ إِنْ لَمْ تَنْصُرُوا دِينَكُمْ وَتَعْمَلُوا بَكْتَابِكُمْ لِيَنْتَهِيَنَّ بِكُمْ الْحَالُ إِلَى سُوءِ الْعَاقِبَةِ، تَاللَّهِ إِنْ لَمْ تَتَأَلَّفُوا وَتَتَعَاوَنُوا وَتَتَكَاتَفُوا وَتَتَضَامَنُوا؛ لِيُؤُولَنَّ^(١) بِكُمْ الْأَمْرُ كَمَا آلَ بِإِخْوَانِكُمْ أَهْلُ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ الَّذِينَ ذَهَبُوا ضَحِيَّةً ظَلَمَ الطُّلَيَانَ، أَعْدَاءَ الدِّينِ، أَهْلَ الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ.

فَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ دَمَاءٍ وَبِلَاءٍ، وَمَا أَنْزَلَهُ بِهِمُ الْبُغَاةُ مِنْ عِنَاءٍ وَشِقَاةٍ، وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ قُرْآنَكُمْ قَدْ دِيسَ بِالْأَقْدَامِ، ثُمَّ مُزَّقَ وَأُحْرِقَ وَقُودًا لِلطَّعَامِ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ أَصْبَحَ فِي أَفْوَاهِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَضْغَةً غَيْرَ سَائِغَةٍ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمَاتِ تُغْضَبُ، وَأَمْوَالُ الْمُؤْمِنِينَ تُنْهَبُ، وَشَرَفُ الْمُسْلِمِينَ يُهْتَكُ، وَدَمَاءُهُمْ تُسْفَكُ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ تَنْصِيرَ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَصْبَحَ إِجْبَارِيًّا، وَإِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَأَمْلاكِهِمْ صَارَ قَهْرِيًّا.

تَاللَّهِ هَذَا كُلُّهُ جَرَى وَالْمُسْلِمُونَ فِي تَخَاذُلِهِمْ لَاهُونَ، وَفِي سَكْرَاتِ الْمَطَامِعِ غَافِلُونَ، وَعَمَّا يَنْفَعُهُمْ وَيُعْلِيهِمْ مُعْتَرِضُونَ، فَلَمْ تَتَحَرَّكَ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ تَدْمَعْ عَيُونُهُمْ، وَلَمْ تَقْشَعِرَّ أَسْدَانُهُمْ.

ليت شعري أين تلك العصبية الدينية؟ أين تلك الروح الوثابة^(٢) العربية؟ أين القلوب الفزازة^(٣) العلية؟ أين النفوس العزيزة الأبية؟ أين الضمائر الحرة النقية؟ ذهبت والله بذهاب أهلها! قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ

(١) يؤول: يرجع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢/٢٨).

(٢) الوثابة؛ أي: سريعة الوثب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٣٣/٤).

(٣) فزاز: توقد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٧٠/١٥).



بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ [مَرْيَمَ: ٥٩]،
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَعْقَابَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٩] .

فيا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، ألم يرنَّ صوت أولئك المَنَاكِيدِ^(١) في آذانكم؟ ذلك
يصرخُ وَآ دِينَاهُ! وهذا يستغيثُ وَآ قَرَانَاهُ! وذلك يستنجد وَآ شَرْفَاهُ! وتلك
تندب وَآ عَرْضَاهُ! وهذا يندب وَآ شَيْبَتَاهُ! وذا يتيَّمُ يصرخُ وَآ أَبْتَاهُ! وتلك
تنادي وَآ ثِكْلَاهُ! كَثُرَتِ المصائبُ والنَّكباتُ، واستفحل الشَّرُّ، وَعَظُمَتِ
البلايا، وَبُحَّتِ الأصواتُ، ولا مُغيثَ لمستغيثٍ!

فأين حميتكم الإيمانيةُ أيُّها المؤمنون، وأين أخوتكم الإسلاميةُ أيُّها
المسلمون؟! فلا يذهبَنَّ بنا - أيُّها الإخوان - ما ذهب بإخواننا المغاربة،
فوالله إن لم نتَّحد يهلكنا ما أهلكتهم، فاتَّقوا الله، واعتصموا بحبله
جميعاً، واستمسكوا بعُرْوَتِهِ الوثقى، وكونوا مع الله يكن معكم، وانصروا
دينه ينصركم ويثبت أقدامكم.

وقد روي عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا
رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(٢).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَوَظَّهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المُتَّحِنَةُ:



(١) قوم مناكيد: مناحيس قليلو الخير. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٣٦/٩).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٠٥٧)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

موتُ عالم

بمناسبة وفاة الشيخ الشنقيطي محمد أمين في الزبير

سنة (١٣٥٠هـ) (١)

(٢)

الحمد لله، قضى على من شاء بتوالي المصائب، وأهلك من شاء من خلقه بإنزال النوائب، أنجى عباده العاملين من المحن والابتلاء، وأنفذ في عباده الغافلين أنواع الفتن والشقاء، الحمد لله على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم سلسلة الإرسال، أفضل الأتقياء، وسيّد الأصفياء، والقائل - وهو أصدق من قال - : «إن العلماء ورثة الأنبياء» (٢)، وكيف لا وهم الهداة المهتدون، والمعلمون المرشدون؟!!

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمدٍ الرّسول الأمين، وعلى آله وصحبه والتّابعين، أمّا بعد:

أيّها المسلمون، فقد كاد نور العلم أن يذهب بموت العلماء، وبموتهم يبقى النّاس في جهالة وعماء؛ لأنّهم في الأرض كالنّجوم في السّماء، بل كالبدر الأتمّ في اللّيلة الظّلماء، بهم يهتدي من ضلّ سبيل الهداية، وبهم

(١) أي: سنة (١٩٣١م).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٨٢).



يرشد مَنْ تاه تيه^(١) الغَوَايَةِ^(٢)، هم الأطباء لمرضى القلوب، وتطهير لمن تدنَّس بأدران الذُّنوب، هم مصابيح هذه الأُمَّة، تضيء بهم الغِيَاهِبُ^(٣) المُدْلِهَمَّةُ^(٤)، بهم يُرْفَعُ الحَقُّ وَيُجَلُّ، وبهم يخسأ الباطل ويذُلُّ، فمصائبنا بموت العلماء عظيمَةٌ، وحاجتنا إليهم كبيرةٌ جسيمةٌ لا سيِّما في زمنٍ كَثُرَ فيه الإلحاد، ودعا فيه دعاة الفساد إلى الإفساد، ونادى فيه المُبَشِّرُ لدين الصَّليب، وجهر فيه المضللون بالإغواء والتكذيب، وقام دعواتهم في كلِّ صقع ووادٍ، وانتشر مذهبهم في كلِّ بيتٍ ونادٍ، فكان الشَّبَاب كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «يمرقون»^(٥) من الدِّين مروق السَّهم من الرَّمِيَّةِ^(٦)، وتلبَّس النَّاسُ بكلِّ رذيلةٍ ودنيَّة.

يا قوم، تقلَّص ظلُّ العلم، فأين العالمون؟ قُبِضُوا والله ونحن في بيدااء الغفلات هائمون، فخلف من بعدهم خَلْفٌ غلطوا فخلطوا، وعن طريق الرِّشَاد شَطُّوا، ولم يعلموا: أزاغوا أم قسطوا؟ وهذا مصداق ما وعدنا به الرَّسُولُ الأكرم ﷺ: «إِنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأُتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضُلوْا وَأضْلُوْا»^(٧).

(١) التَّيَّة: الضَّلَال. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٦٠/٦٣).

(٢) الغَوَايَةِ: الضَّلَال والفساد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٩٧/٣٩).

(٣) الغياهب: جمع الغَيْهَبُ، وهو الظُّلْمَة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٦٥٣).

(٤) اذْلَهَمَ الظُّلَام: كَثَفَ، انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧١/٣٢).

(٥) يمرقون: أي: يجوزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يخرق السَّهم الشَّيء المرميَّ به ويخرج منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٢٠/٤).

(٦) رواه البخاري، رقم: (٣٣٤٤)، ومسلم، رقم: (١٠٦٤).

(٧) رواه البخاري، رقم: (١٠٠)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٣).



أيُّها المسلمون، بين أنٍ وأنٍ يُحْمَلُ إلينا من الأنبياءِ، ما لهولها القلوبُ تتصدَّعُ، ولوقعها الألبابُ تتفجَّعُ! في كلِّ يومٍ نسمعُ بهدمِ ركنٍ من أركانِ الدِّينِ العظيمِ، وموتِ عالمٍ من العلماءِ الأعلامِ، وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «موتُ العالمِ ثُلْمَةٌ»^(١) لا يسُدُّها شيءٌ ما اختلفَ الليلُ والنَّهارُ^(٢)، ولكن أين الخلف؟! شتَّان ما بينهم وبين السَّلفِ، فقد خلت البلادُ من العلمِ بالدينِ، وتزلزل ركنه الرُّكَّينِ، وإنَّنا نجدُ بذهابه الأخطارَ والمصائبَ والآفاتِ؛ لأنَّ القلوبَ إذا لم تُسَقِّ بماءِ العلمِ أجذبتْ، وإن لم تُترِّ بنوره أظلمتْ، فلا تصلحُ أن تكونَ موطنًا للطَّهارةِ والعبادةِ، ولا محلاً لغرسِ الأخلاقِ الفاضلةِ، وبالعلمِ يَعْرِفُ المرءُ كيف يتقرَّبُ إلى ربِّه، وكيف ينجو من إغواءِ الشَّيطانِ وحزبه، وكيف ينال المرءُ مبتغاه في دنياه وآخرته، ورسولُ اللهِ قال: «فَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(٣)، ومن يُردُّ له عِزًّا يجعله من الصَّالحينِ، قال اللهُ تعالى وهو أصدقُ القائلين: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرُّمَر: ٩].

العلماءُ سعداءُ في الدُّنيا، وفي الآخرة يُبعثون يومَ القيامةِ على منابرٍ من نورٍ عن يمينِ الرَّحمنِ، لا يُحزنهم الفزعُ الأكبرُ، ولا يروغهم^(٤) النداءُ، ويُحشرون إلى ربِّهم في زمرةِ الأنبياءِ، فسبحانَ الَّذي منَّ عليهم بعظيمِ الجزاءِ! يقولُ تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فهم أحياءُ في جوارِ الرَّحمنِ، وأرواحهم تسرحُ

(١) الثُّلْمَةُ: فُرْجَةُ المكسورِ والمهدومِ، وهو الموضعُ الَّذي قد انشلم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٣٥٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٥٩٠).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٧١)، ومسلم، رقم: (١٠٠).

(٤) يروغهم: يفزعهم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢١/١٢٨).



في روضات الجنّات .

فيا أيّها المسلمون، اتّقوا الله، وعليكم بالعلم الَّذي يقربكم منه، جِدُوا في تحصيله، ولا تَغُرَّتْكُمْ الحياة الدُّنيا عن ورود مَعِينِهِ .

عبادَ الله، العلمَ العلمَ، تعلّموا الدِّينَ قبل أن يَنْضَبَ مورِدُهُ، وإن لم تفعلوا تندموا، ولات ساعةَ مندم، والنّاسُ ثلاثةٌ: عالمٌ ومتعلّمٌ ومستمعٌ، والرّابع هالكٌ، والعابد الجاهلُ خطؤه أكثر من صوابه، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ ارحم خلفائي الَّذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنّتي، ويعلمونها للنّاس»^(١)، وعن أبي أمّامة الباهليّ قال: ذكّر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً؛ أحدهما عابداً والآخر عالمٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فَضِلُّ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جِجْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتُ لِيَصَلُّونَ عَلَى مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٢).

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ [الرّعد: ١٩] .



(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٢٩٤٨٨).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٨٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

في مشروعية التداوي

بمناسبة انتشار مرض الجدري في الكويت سنة
(١٣٥١هـ) (١).

(٣)

الحمد لله الذي خلق المرض والشفاء، وقدر لكل داءٍ دواءً، الحمد لله الذي هدى بالقرآن إلى سلامة الأبدان، وأرشدنا إلى ما فيه وقاية من الخسران، والحمد لله الفعال لما يريد، فلا رادَّ لحكمه ولا دافع لقضائه، وهو على كلِّ شيءٍ شهيد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الغفور الرحيم المطلع على ما تُكِنُّهُ (٢) الصدور وما تبوح به الألسن، وهو بكلِّ شيءٍ عليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أمرنا بمكافحة الأهوال، ومقاومة ما ينزل بنا ممّا يضرُّ بالأحوال، اللهم صلِّ وسلِّم على الرسول الكريم سيدنا محمد الذي وصفه ربُّ العالمين بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وعلى آله وصحبه أفضل صلاةٍ وأكمل تسليم، أمّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، فإنَّ أحسن ما يوصي به المؤمن أخاه تقوى الله، ومن اتقى الله فقد اتبع هداه.

(١) أي: سنة (١٩٣٢م).

(٢) تُكِنُّهُ: تستتره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦٨/٣٦).



أيُّها المؤمنون، كم لله علينا من نعمة، وكم فيما شرعه من حكمة؛ فعلينا أن نشكر الله على نعمه، ونعمل فيما أمرنا به التماساً لرحمته، قال تعالى: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإن من نعم الله علينا أنه خلق لكلِّ داءٍ دواءً، وقدر به الشفاء، فمن يرجو من الله شفاءً مصابه؛ فليتبع ما أرشدنا إليه في كتابه، وليعمل بنصائح أهل الذكر امتثالاً لما أمر به الله تعالى بقوله: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحل: ٤٣].

وقد أمر النبي ﷺ بالتداوي وحثَّ عليه، عن أسامة بن شريك، قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوي؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، أو قال: دواءً إلا داءً واحداً» قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «الهرم»^(١).

هذا أمرٌ يجب علينا أن نطيعه فيه لنخلص أنفسنا من المهالك، فمن الخطأ أن نهمل أنفسنا ونتركها للمضرة اتِّباعاً لقول ربنا في الكتاب المبين: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وإن ترك التداوي يُنافي التوكل الذي هو حقيقة اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في أولاه وأخراه؛ إذ لا يدفع هذا الاعتماد على ربِّ الأرباب مباشرة الأسباب؛ لهذا قال ﷺ: «لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذن الله ﷻ»^(٢).

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٠٣٨)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٢٠٤).



وروي في الأثر الإسرائيلي عن سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه قال: يا ربّ ممّن الداء؟ قال: منّي، قال: فممّن الدواء؟ قال: منّي، قال: فما بال الطيب؟ قال: رجلٌ أُرسِلُ الدواء على يديه^(١).

فإن كان الأمر كذلك فلم نلقي أنفسنا في المهالك وقد وهبنا الله تعالى عقولاً نميزُ بها الضارَّ من النافع؟! أما كان الأجدر بنا أن نتوكّل على الله تعالى بفعل الأسباب المنجية، ونطلب لمرضانا الشفاء من الله تعالى بتعاطي الأدوية؟!!

ولماذا لا ندفع عنّا الأمراض بكلِّ دواءٍ دافع؟! إذن: فلنذهب إلى الأطباء ونطلب إليهم الدواء، ونتوكّل على من خلق الدواء والداء ونعتمده في تحصيل الشفاء؛ فإذا فعلنا ذلك كُنّا في الحقيقة متوكّلين، ولربّنا طائعين.

عباد الله، إنّ من أشدّ الأمراض فتكاً في الأطفال لا سيّما في هذا العام داء الجُدريّ القَتال، فقد فتك فيهم فتكه الدَّرِيع^(٢)، وبطش بهم بطشه المريع، ولا نعلم إلام سيؤول به أمرهم، وقانا الله شرّه وخفّف عن المصابين به ضرره.

إنّ الطّبَّ الحديث وجد أنّ مقاومة هذا المرض الفتاك بالتّطعيم فقائمه به - رحمكم الله - لتنجوا من ضرره الجسيم، والتّطعيم يختلف باختلاف بنية الإنسان وقوّته؛ فمن النّاس من يحتاج إلى التّطعيم كلّ عامين، ومنهم من لا يحتاج إلى إعادته، لكن في أوقات انتشار هذا المرض يجب التّهوض لمحاربته، فادفعوا - رحمكم الله - عنّا شرّ

(١) انظر: الطب النبوي، لابن القيم (١/١٥).

(٢) الدَّرِيع: السريع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/٢١).



سقوطه، وهُيِّبوا جميعاً لمحاربتته، ولا تياسوا من لطف الله ورحمته.

عباد الله، تجنّبوا - رحمكم الله - الآثام، وتوبوا إلى الملك العلام؛ فإنّ المعاصي سبب لنزول البلاء والمحن، ووسيلة لكثرة الفتن، أما سمعتم قول رسول الله ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ، حتّى يعلنوا بها، إلّا فشا فيهم الطّاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١)، وقيل له ﷺ: «أنهلك وفينا الصّالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»^(٢)، وقد حثّ ﷺ أمته عند نزول النّكبات على الإكثار من الصّدقات وتحريّ الطّاعات، فقال ﷺ: «تداركوا الغموم والهموم بالصدقات يكشف الله تعالى ضرركم وينصرّكم على عدوكم»^(٣)، وقال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزّكاة؛ فإنّها تدفع عنكم الأعراض والأمراض»^(٤)، حمانا الله وإياكم من الأدواء، وكفانا شرّ البلاء، وهذا آخر ما أقول، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الثانية

أمّا بعد:

أيّها النّاس، فإنّ الله بعث محمّداً ﷺ بهذا الدّين، فمن اتّبعه نجا، ومن تخلّى عنه فقد هلك وغوى، وإنّ أحسن وصفٍ لمن اتّبع النّبىّ ﷺ هو المؤمنون، فلا تجد في كتاب الله من وعدٍ حسنٍ أو وصفٍ كريمٍ إلّا لهم.

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٠١٩).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٣٤٦)، ومسلم، رقم: (٢٨٨٠).

(٣) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (١٦٠١٢).

(٤) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (١١٤٨).

وقد قال النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»^(١)، وهذا يدلُّ على أَنَّ لِلصَّابِرِ أَجْرًا عَظِيمًا، كَيْفَ لَا وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فقد قال ﷺ: «وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى»^(٢)، فَمَنْ أَيْقَنَ عِنْدَهَا بِرَبِّهِ، وَأَمِنَ بِثَوَابِهِ عُدَّةً مِنَ الصَّابِرِينَ، وَنَالَ مَا كَتَبَهُ اللهُ لَهُمْ.

وإيَّاكم وما يفعله الجاهلون من شقِّ الجيوب، واللِّدْمِ^(٣)، واللِّطْمِ^(٤)، وِخْمَشِ الْوَجْهِ^(٥)، وَنَتْفِ الشَّعْرِ؛ فَإِنَّ هَذَا فِي دِينِنَا حَرَامٌ، وَهُوَ مُحَارَبَةٌ لِدِينِنَا الْحَنِيفِ، وَلَا بَأْسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَقَدْ بَكَى النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(٦).

أَيُّهَا الْمَصَابُونَ، أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكُمْ، وَأَحْسَنَ عِزَاءَكُمْ، وَأَلْهَمَكُمْ الصَّبْرَ.

ثُمَّ الدُّعَاءُ.



(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٩٢٦٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٣٠٢)، ومسلم، رقم: (٩٢٦).

(٣) التَّدَمَّتِ الْمَرْأَةُ: ضَرَبَتْ صَدْرَهَا. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤١٤/٣٣).

(٤) اللَّطْمُ: ضَرْبُ الْخَدِّ بِسَطِّ الْيَدِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٢١/٣٣).

(٥) خَمَشَ وَجْهَهُ: خَدَشَهُ فِي وَجْهِهِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧/١٩٣).

(٦) رواه البخاري، رقم: (١٣٠٣).



بمناسبة انتهاء الحرب في أوربّة

في يوم الإثنين الواقع في (٢٥ / ٥ / ١٣٦٤ هـ) الموافق
لـ (٧ / ٥ / ١٩٤٥ م).

(٤)

الحمد لِمَن له الحمد والثناء، والشُّكر لمفِرِّجِ الشَّدَّةِ بالرِّخاءِ، لا إله إلاَّ هو، يُؤْتِي الملكَ مَنْ يشاءُ، وينزع الملكَ ممَّن يشاءُ، ويعزُّ مَنْ يشاءُ ويذلُّ مَنْ يشاءُ، مَنْ على خلقه بعد التَّعبِ والشَّقَاءِ بالرَّاحةِ والهناءِ، وأنجانا بفضلِهِ من الابتلاءِ، وخلَّصنا من المحن والأرزاءِ^(١)، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، أرانا عاقبة البغي^(٢) في البُغاة، وكيف كان حصاد الظَّلْمَةِ الجُنَاةِ^(٣).

سبحانه جلَّ شأنه ما أعدله! أخذ على يد الظَّالمِ وبسيفِهِ قتله، كالَ له بصاعِهِ ألف صاع، وسامَهُ الخَسْفَ^(٤) وسلبِهِ المتاعَ، فما للظَّالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع، فَرُبَّ مغرورٍ اغترَّ بعَتاده ومتاعه، واعتدَّ بعُدَّتِهِ وكثرةِ أتباعه، ونفخ الشَّيطانُ في أنفه؛ فنسي الله وعدله، وجحد بنعمته وفضلِهِ، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾^(٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن

يَخْشَى ﴿٢٦﴾ [التَّازِعَات: ٢٥-٢٦].

(١) الأرزاء: المصائب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١/١٥٤).

(٢) البغي: الظلم والفساد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٧/١٨٥).

(٣) الجُنَاة: المذنبون. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤/١٥٤).

(٤) سامه الخسف: كلفه المشقة والذل. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٩/٦٨).



أحمدُ الله تعالى الَّذِي قَرَنَ النَّصْرَ بِالصَّبْرِ وجعله للصَّابِرِينَ، وَقَرَنَ الخُذْلَانَ بالبَغْيِ وردَّه على الظَّالِمِينَ، قال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الشُّورَى: ٢٢]، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، المبعوث بالرحمة، الكاشف للغمة، دعا إلى السَّلام، وحثَّ على التَّحاب والوئام.

اللَّهِمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أزكى الصَّلَاةِ وأتمَّ السَّلامِ، أمَّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَذَّةَ النِّعْمَةِ إِلَّا مَنْ حَلَّتْ بِهِ النِّقْمَةُ، وَلَا يَجِدُ لَذَّةَ الصِّحَّةِ إِلَّا مَنْ بَرَأَهُ^(١) السَّقَمُ، وَلَا يُحِسُّ مِرَارَةَ الشَّدَّةِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الرِّخَاءَ.

وإنَّ للسَّلامَةِ حلاوةً لَا يستعذبها إِلَّا مَنْ حلَّ به البلاءُ وإنَّ لهذه الأيَّامِ لذَّتها وهناءها وبهجتها؛ عَرَفَهَا مَنْ حَاقَتْ^(٢) بِهِمُ الشَّدَائِدُ والرِّزَايَا^(٣)، وحلَّتْ بِهِمُ المصائبُ والبلايا، فأكلت الحروبُ رجالَهُم، وأرملت نساءَهُم، ويَتَّمَّتْ أطفالَهُم، والتهمت نيرانُها أموالَهُم، وخيبت حوادثُها آمالَهُم، وهدمت بقنابلها دورَهُم، وأحرقَتْ حدائقَهُم، وخرَّبت قصورَهُم، وحرَّمت على أعينهِم لَذَّةَ الكرى^(٤)، وأرَّتهم بأسَ الجوعِ وألمَ العُريِّ، وأخرجتهم من ظلالِ القصورِ إلى العراءِ؛ فلا ترى إِلَّا جثثَ قتلى أو نادبةً

(١) بَرَأَهُ: هزَّله. انظر: تاج العروس، للزيدي (١٦٥/٣٧).

(٢) حَاقَتْ: نزل. انظر: تاج العروس، للزيدي (٢١٢/٢٥).

(٣) الرِّزَايَا: المصائب. انظر: تاج العروس، للزيدي (٢٤٥/١).

(٤) الكرى: النَّوم. انظر: تاج العروس، للزيدي (٣٨٨/٣٩).



تَكَلَى^(١)، أو مجروحًا يتضجّر، أو أسيرًا يتدمّر، أو نيرانًا تتسعر^(٢)، أو قنابل تتفجّر، أو وجوهًا خائفةً، وقلوبًا واجفةً، إلى غير ذلك ممّا تتصدّع الأبواب من هول رؤيته، وتدمعُ الأبصار أَلَمًا عند نظرتِه!

فالحمد لله الَّذي أنجانا من هذه المصائب، وخلصنا برحمته من هذه المَعَاظِبِ^(٣)، وأبدلنا بها أعمالًا وتجارات درّت علينا كثيرًا من الخيرات؛ فلنكثر لربّنا الحمد والثناء، ولنشكره على ما منّ به علينا من صفاء وهناء، فإنّه وعدنا وهو لا يخلف وعده: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيّها المسلمون، اتّقوا ربّكم وادعوه مخلصين؛ فإنّه بهذا أمركم وبالإجابة وعدكم، وأخبرنا أنّه يُجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويُنيل من رجاه؛ فاسألوه - رحمكم الله - تتواتر عليكم النعم، وتُدفع عنكم النقم، اسألوه مزيدًا من فضله وإحسانه، والتّوفيق لطاعته، والنّجاة من عصيانه، وأن يوفّق لطاعته منّا الأمير والمأمور، وأن يحفظ بلدنا هذا وأهله من التّكد^(٤) والشّرور.

فاسألوه - رحمكم الله - راغبين، وادعوه مخلصين، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسَالَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَرُ الْفَرَجَ»^(٥)، وقال ﷺ:

(١) التّكلُّ: فقدان الولد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٦١/٢٨).

(٢) سَعَرَ: أوقد وهيج. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨/١٢).

(٣) المعاطب: المهالك، واحدها معطب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٩٣/٣).

(٤) نكد عيشه: اشتدّ وعسر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٣٦/٩).

(٥) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٧١).

«أُيِّهَا النَّاسُ سَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ - ثَلَاثًا - فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِثْلَ الْعَافِيَةِ بَعْدَ
يَقِينٍ»^(١)، وقال تعالى في كتابه المبين: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِن رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].



بمناسبة انتهاء حرب اليابان

في (٦) رمضان سنة (١٣٦٤هـ) الموافق

لـ (١٤/٨/١٩٤٥م)

(٥)

الحمد لله الذي أسبغ على العالم نعمته بعد أن أراه نقمته، وكشف عنه
غُمَّتَهُ، وأنزل عليه رحمته، ابتلى النَّاسَ بالخوف والجوع وإنزال النَّكَبَاتِ،
ونقص من الأموال والأنفس والثَّمَرَاتِ؛ ليرِيَهُمْ لَذَّةَ النَّعْمَةِ بَعْدَ الشَّقَاءِ،
وحلاوة الرَّخَاءِ بَعْدَ البَأْسَاءِ.

لا إله إلا هو جلَّ شأنه يؤتي الملكَ مَنْ يَشَاءُ، وينزع الملكَ مِمَّنْ
يَشَاءُ، وَيُعْزِّزُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ كَفَانَا شَرَّ
المُعْتَدِينَ، وأنزل بهم بأسه الذي لا يردُّه عن القومِ المجرمين، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليُّ الأعلى، أَرَانَا عَاقِبَةَ البَغْيِ فِيمَنْ
بَغَى، وما جناهُ مَنْ تَجَبَّرَ وَطَغَى، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَسُولَ

(١) رواه النسائي، رقم: (١٠٦٥٤).



السَّلام، المبعوث رحمةً لكافة الأنام، القائل: «البرُّ لا يبلى، والذنبُ لا يُنسى، والدَيَّانُ لا يموت، فكن كما شئتَ، فكما تدينُ تُدانُ»^(١).

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ورسولك النَّاهي الأمر، الصَّابر في الشُّدَّة، وعلى النُّعمة شاكر، وللباغين قاهر، وللمظلومين ناصر، وعلى آله وأصحابه كافة؛ نجوم الأخلاق الزَّواهر، الَّذِينَ هم على المعتدين سيوفُ بَواتر، أمَّا بعد:

فإنَّ نِعَمَ الله على خلقه لا تُحصى، وفضله فيهم لا يُستقصى، إلاَّ أنَّهم لم يؤدُّوا للنُّعمة حقَّ شكرها، ولم يقدروها حقَّ قدرها، ولو شكروه لزادهم نِعَمًا على نِعَم، ولو استعانوه لأعانهم وهو الواسع الكريم، ولو استعاذوه لأعاذهم من البلاء والنِّقم؛ لكنَّهم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٦٧]، فوكَّلهم إلى أنفسهم، وأنزلَ عليهم شتَّى المحن، وابتلاهم بأنواع الفتن، وإنَّ شرَّ الفتن الحروبُ الَّتِي تُهلك الرِّجال، وتأكل الأموال، وتُرْمَلُ النِّساء، وتُيْتَمُّ الأَطْفال، وتخيَّب الآمال، وبمدافعها تهدمُ القصور، وبقنابلها تحرق الدُّور، وتُخرَّبُ من المدن المعمور، وبصواعقها تزهق^(٢) الأرواح، وبصواريخها تُهلك الأشباح، حرَّمت على العيون لذَّة الهُجُوع^(٣)، وأرثتهم بأساء العراء وآلام الجوع؛ فلا ترى إلاَّ وجوهًا خائفة، وقلوبًا واجفة، وأبصارًا خاشعة، ومُقلًا دامعة، فهذه ثكلى، وهذا جريح، وذاك أسير، وهذا طريح.

نعم، إنَّ عاقبة الظُّلم ظلمات، والمعاصي تُنزِلُ النَّكبات، قال تعالى:

(١) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، رقم: (٢٢٠٣).
 (٢) تزهق: تهلك. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/١٤٧).
 (٣) الهُجُوع: التَّوْم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٣٨٤).

﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ [النمل: ٥٠-٥٢]، فَأَمَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ نَالَ مَا رَجَاهُ، وَأَمَّا مَنْ صَابَرَ وَصَبَرَ فَقَدْ فَازَ وَظَفَرَ، وَأَمَّا مَنْ بَغَى وَطَغَى، وَكَذَّبَ وَعَصَى فَقَدْ أَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، وَأَكْثَرُوا مِنْ شُكْرِ اللَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِإِبْعَادِ هَذِهِ الْمَتَاعِ عَنْكُمْ، أَطِيعُوا أَوْامِرَهُ، وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهَا خِزْيٌ وَبَوَارٌ^(١)، وَهَلَاكٌ وَدَمَارٌ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢] اشْكُرُوا الْمُنْعِمَ عَلَى مَا أَنْعَمَ؛ فَإِنَّ شُكْرَ النِّعْمَةِ يُوجِبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَهِيَ أَمْنٌ مِنَ الْبَلَايَا، وَحَصْنٌ مِنَ الرِّزَايَا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِثْلَ الْعَافِيَةِ بَعْدَ يَقِينٍ»^(٢).

وَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ ﷻ، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، فَمَكَّثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

(١) البور: الهلاك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠/٢٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٥١٤)، وقال: هذا حديث صحيح.



قال تعالى في كتابه المبين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

[البقرة: ١٨٦] .



بمناسبة قدوم مسافر

قرأت بمناسبة رجوع المرحوم الأمير الشيخ أحمد
الجابر الصباح رحمته الله من زيارته للمملكة السعودية في
(٨) شعبان سنة (١٣٦٨هـ) (١).

(٦)

الحمد لله، جامع الشَّمْلِ واسع الفضل، عظيم الكرم جليل النعم،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي منَّ على عباده براحة
التَّلاق من بعد ألم الفِراق، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الذي أرشد به
إلى طرق الرِّشَاد فكثَّر به بعد القِلَّة، وجمع به بعد الفِرْقَة، وألَّف به بين
القلوب، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد النَّبِيِّ الكَرِيم، الذي هو
بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ
إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنَّ نِعَمَ الله تعالى على عباده عظيمةٌ، ورحمته في مخلوقاته جسيمةٌ،
ومن نِعَمه أن جَمَعَ بعد الفِراق، وقَرَّبَ بعد البعاد، وأراحَ بعد السَّفَر،

(١) أي: سنة (١٩٤٩م).

وَأَنْسَ بِاللِّقَاءِ؛ إِنَّهَا نِعْمٌ كَبِيرَةٌ تَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا الشُّكْرَ، وَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ شُكْرَ النُّعْمَةِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِدَفْعِ النَّقْمَةِ؛
فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ، يَزِدْكُمْ بِوَسْطِهِ فَضْلَهُ وَكَرَمَهُ، فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَعَدَ، وَهُوَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَا الْوَعِيدَ، وَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَئِنْ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى
فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾
[النمل: ٤٠]، وَإِنَّ وَاجِبَ الشُّكْرِ لِلْمُنْعَمِ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ أَنْ يَمْتَثِلَ
الْأَوْامِرَ، وَيَجْتَنِبَ النَّوَاهِي، وَيَقُومَ بِالطَّاعَةِ، وَيَتْرَكَ الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّ
الْمُخْلِصَ لَا يَكُونُ مُخْلِصًا حَقًّا مَا لَمْ تُؤَيَّدْ ظَوَاهِرُهُ طَوِيَّتَهُ^(١)، وَالطَّاعِ لَا
يَكُونُ صَادِقًا بِطَاعَتِهِ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى إِعْلَانِ سَرِيرَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ -، وَتَجَنَّبُوا مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ رَبُّكُمْ، وَمَا حَذَّرَكُمُ
مِنْهُ نَبِيُّكُمْ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُفْسِدُ الْأَعْمَالَ، وَتُنزِلُ الْوَبَالَ^(٢)، وَإِنَّ الْمَخَالَفَةَ
تُخَرِّبُ الدِّيَارَ، وَتَوْلِدُ الْأَضْرَارَ، وَإِنَّ الشُّقَاقَ^(٣) يُقَلِّلُ الْأَرْزَاقَ وَيُوجِبُ
الْحَسَارَ، وَإِنَّ الْغَفْلَةَ تُنزِلُ النَّقْمَةَ وَتُوجِبُ غَضَبَ الْجِبَارِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّا لَوْ شَكَرْنَا رَبَّنَا بِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ
جَلِيلِ النُّعْمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَلَوْ حَمَدْنَاهُ بِصِدْقِ طَوِيَّةٍ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا
مِنْ عَظِيمِ كَرَمِهِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى لِأَصْلَحِ - وَاللَّهُ - حَالِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا، وَمَنْ
بِالْهِدَايَةِ عَلَيْنَا وَعَلَى مَنْ سَيَخْلِفُنَا، نَسَأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ لَنَا وَلِمَنْ بَعَدَنَا؛
فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا بِالذُّعَاءِ وَوَعْدُنَا بِالْإِجَابَةِ، وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ

(١) الطَّوِيَّةُ: الضَّمِيرُ، النِّيَّةُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥١٣/٣٨).

(٢) الْوَبَالُ: الشَّدَّةُ وَالثَّقْلُ وَالْمَكْرُوهُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦٤/٣١).

(٣) الشُّقَاقُ: الْخِلَافُ وَالْعِدَاوَةُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥٢٣/٢٥).



العزیز: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجِيبُ الْيَسْأَلُ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ»^(١)، وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].



الذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمَرُ ثَان

بمناسبة وفاة الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت
رحمته الله في (١١/٤/١٣٦٩هـ) الموافق (٢٨/١/١٩٥٠م)

(٧)

الحمد لله الملك الدَّيَّان، الحمد لله الباقي، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، الحمد لله على كلِّ حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه في الكتاب المكنون: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وأيضاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
والتَّابِعِينَ .

(١) سبق تخريجه .

عبادَ الله، اتَّقُوا الله؛ فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الله اتَّبَعَ هُداة، وَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا بهذا الدِّين؛ فَمَنْ اتَّبَعَهُ نَجَا وَنَالَ ما رَجَا، وَمَنْ تَخَلَّى عَنْهُ هَلَكَ وَغَوَى، وَإِنْ أَحْسَنَ ما وَصَفَ اللهُ بِهِ أَتْبَاعَهُ بِأَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ؛ فلا تَجِدُ في القرآن من ثناءٍ كريمٍ إِلَّا عليهم، ولا من وَعْدٍ حَسَنٍ أو بَشْرَى كَرِيمَةٍ إِلَّا لَهُمْ، فَهَمُ السُّعْدَاءُ، أَحَبَّهُمْ رَبُّهُمْ، وَأَلْقَى في قُلُوبِ عِبَادِهِ حُبَّهُمْ، وَوَقَّعَهُمْ لِأَنَّ يَعمَلُوا في هذه الدُّنيا خَيْرًا، وَأَنْ يَزرَعُوا فيها نَفْعًا، يَرفع لَهُمْ فيها ذِكْرَهُمْ، وَيُعْظِمَ لَهُمْ في الآخرة أَجرَهُمْ، وَيَكسِبُونَ فيه حَبَّ عارِفِيهِمْ في حَيَاتِهِمْ، وَيَنالُونَ مِنْهُمُ التَّرْحُمَ لَهُمْ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ بَعدَ وَفاتِهِمْ، أَوْلئِكَ إِنْ فُقِدُوا فَقَدَهُمُ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُمْ كَالغَيْثِ يُرْجَى بِهِمُ الخَيْرُ، وَيُدْفَعُ بِهِمُ الشَّرُّ، لا سِما وَوِلاةِ الأُمُورِ الأَخيارِ، الَّذين قال فيهِمُ الرَّسُولُ ﷺ: «خيارُ أُمَّتِكُمُ الَّذين تَحِبُّونَهُمْ وَيَحِبُّونَكُم، وتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُم، وشِراؤُ أُمَّتِكُمُ الَّذين تُبَغِضُونَهُمْ وَيُبَغِضُونَكُم، وتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُم»^(١).

عبادَ الله، إِنَّ من أَوْلئِكَ الأَبْرارِ فَقيدنا المَرحومِ الَّذي صَفَتَ لَنا سَريَرتَهُ، وَحُمِدَتَ فينا سَيرَتَهُ؛ الَّذي كان أَبرَّ الوِلاةِ بِرَعيَّتِهِ، وَأَراَ فَهَمُ بِأُمَّتِهِ، فَحَبَّهُ لَنا مَلَكٌ قَلوبِنا، وَبرَأَفَتِهِ فينا اسْتَعبَدَ نَفوسِنا، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحمتِهِ وَرِضوانِهِ، وَأَسكَنَهُ فِراذِيسَ جَنَّاتِهِ، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القَمَر: ٥٥]، ﴿مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النِّساء: ٦٩]، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: ٦٩]،
وبعد:

فوالله إنَّ لَفَقْدِهِ حَسْرَةً، وَإِنَّ لِمِصابِنا فيهِ أَلَمًا، لَكن لا رادَّ لَقَدَرِ اللهُ، ولا مَفَرَّ من قِضاءِ اللهُ، ولا حيلةَ لَنا سِوى الصَّبْرِ، وَقَد قال رِسالَةُ اللهُ

(١) رواه مسلم، رقم: (١٨٥٥).



ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(١)، فَمَنْ أَيْقَنَ عِنْدَهَا بِثَوَابِ اللَّهِ عُدَّ صَابِرًا، وَكَانَ بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلصَّابِرِينَ ظَافِرًا، قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فَاللَّهُمَّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَفْرِغِ الصَّبْرَ عَلَى ذَوِيهِ وَرَعِيَّتِهِ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ، وَوَحِّدْ رَأْيَهُمْ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُّجِيبٌ.

هَذَا وَقَدْ خَلَفَ فِينَا مَنْ بَعْدَهُ مَن نَحَبُهُ حَبْنًا لِلْفَقِيدِ لِنُورِ فِكْرَتِهِ، وَنَحْمَدُهُ فِي سِيرَتِهِ، وَصَرِيحِ كَلِمَتِهِ، وَنُحْسِنُ ظَنَّنَا فِي سَرِيرَتِهِ، وَنَعْهَدُ فِيهِ حَبَّ الإِصْلَاحِ، وَبَثَّ النَّفْعِ، وَإِقَامَةَ صِرْحِ الْعِرْفَانِ، وَرَفَعَ رَايَةَ الْأَمْنِ، وَتَثَبَّتْ أَسَاسَ الْوِلَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ هَذِهِ الإِمَارَةِ.

حَقَّقَ اللَّهُ فِيهِ الْآمَالَ، وَأَصْلَحَ فِيهِ الْأَحْوَالَ، وَأَزَالَ بِهِ عَنِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا الشُّوْءَ كُلَّهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ لِمَرَاتِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، كَمَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقٌّ، فَلَهُمْ عَلَيْنَا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَبِذَلِ النَّصْحِ، وَأَلَّا نَأْلُو^(٢) جَهْدًا فِيمَا يَعُودُ بِالمَصْلَحَةِ عَلَى الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَعَن عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ^(٣) وَالْمَكْرِهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ

(١) سبق تخريجه .

(٢) الألو: التَّقْصِيرُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩٣/٣٧).

(٣) المنشط: المحبوب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/

الأمرَ أهله، وعلى أن نقولَ بالحقِّ أينما كُنَّا، لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ»^(١).

وأما حقُّنا على أمرائنا فإقامة العدلِ والإنصافِ، وإصلاحُ شأنِ الرعيَّةِ والبلادِ، فإن أعطونا ذلك شكرنا، وإن منعونا منه صبرنا، نسأل الله لنا ولهم حسن العاقبة، وصلاح المستقبل.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران:

١٨٦]



بمناسبة افتتاح مسجد الأمن في الأحمدية

في (٣٠/١٢/١٩٥٥م)

الموافق (١٦/٥/١٣٧٥هـ)

(٨)

الحمدُ لله الَّذي أفاضَ على عباده عظيمَ كرمه، ومدَّهم بوافرِ نِعَمِهِ، وكفاهم شرورَ نِقَمِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلَقَ الحياةَ متباينةَ الأحوالِ، وجعل شأنها لا يبقى على حال؛ فهي بين شقاءٍ وهناءٍ، وفرقةٍ ولقاءٍ، ومرضىٍ وشفاءٍ، ويسرٍ وبأساءٍ؛ ليعرف النَّاسُ حلاوةَ

(١) رواه مسلم، رقم: (١٧٠٩)، وابن ماجه، رقم: (٢٨٦٦).



الهناء إذا ذاقوا مرارة الشقاء، وليشكروه على السراء بعد أن تمسّهم
الضراء، وليسألوه دوام فضله، ومزيداً من خيره وبرّه، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله، أوّل من عمّر المساجد، ودعا إليها الرّاعع والسّاجد، اللهم
صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد سيّد المرسلين، وإمام
المتّقين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فإنّ المالَ نعمةٌ إذا أنفقَ في سبيلِ الرّحمن، ونعمةٌ إذا أنفقَ في سبيلِ
الهوى والشيطان، يسعدُ صاحبه ويهنأُ إن أنفقه في نصرة الدّين، وإعلاء
كلمته، وإسعاد إخوانه المسلمين، ويتعب ويشقى إذا شحّت نفسه به على
البائسين والمُعوزين^(١)، وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٥﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٦﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى
﴿٩﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٥-١١].

ألا إنّ المساجد من شعائر الإسلام، وإنّ تعميرها بذكر الله دليلُ
الإيمان، وبناءها نعمةٌ يوفّق الله إليها من ارتضاه لهداه، وكلُّ من شارك
في بنائها بقولٍ أو فعلٍ كان من الفائزين، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ
الدّالّ على الخير كفاعله»^(٢)، والله لا يضيع أجر المحسنين.

إنّ «الصّلاة عمادُ الدّين»^(٣) في الإنسان، والمساجد دليل الدّين في
الأوطان، وإنّما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله، ويلجأ إليها من يطلب
مغفرته ورضاه؛ فهي ملجأ العابدين، وحمى التّائّهين، وملاذ المستغفرين،
وهي ميادين الصّلاح، وفيها لا غيرها يُنادى: حيّ على الفلاح، ومنها

(١) المُعوزين: الفقراء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/٣٨٥).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٧٠)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠).



تصعد الأعمال إلى الله، وإليها تنزل رحمة الله تعالى، فعن النبي ﷺ قال تعالى: «إِنَّ بَيْوتِي فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدِ، وَإِنَّ زَوَارِي فِيهَا عُمَّارُهَا، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي»^(١).

وقد كان مسجد رسول الله ﷺ مدرسة هداية تخرج فيها أعظم رجالٍ خدموا الدين، فسجل القرآن الكريم لهم ذكراً سيبقى بقاء الدهر، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر التاريخ لهم صحائف من نورٍ عن قوتهم وتقواهم، وعن شجاعتهم وهداهم، وعن عدالتهم وكرمهم، وعن تواضعهم وعظمتهم، وعن سياستهم وصدقهم، وعن فتوحهم ورفقهم، وعن آمالهم وأعمالهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كانت المساجد في صدر الإسلام على ما كان عليه مسجد رسول الله ﷺ، فهي معابد للمتعبدين، ومدارس للمتعلِّمين، تُتلى فيها آيات الله، وتُسمع فيها أحاديث رسول الله، ويَجهر الخطيب بالحق من أعلى منابرها، ويصدع النَّاصِح بالصدق من محاربيها، فلم لا تكون مساجدنا مدارسَ يشترك فيها الشيوخ والشباب، والعلم فيها بلا ثمن، والإرشاد فيها للجميع ما دام الناس فيها سواسية؟! فإنَّ المساجد بيوتُ الله، والناس كلُّهم عبيد الله، لا فضلَ لكبيرٍ على صغيرٍ، ولا لليونٍ على لونٍ، ولا لشريفٍ على سُوقَةٍ^(٢) إلا بالتقوى، كما قال ﷺ: «يا أيُّها

(١) أورده المناوي في الفتح السماوي، رقم: (٥٤٤).

(٢) السوقة: الرعية التي تسوسها الملوك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٧٩/٢٥).



النَّاسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

أيها المسلمون، المساجد مصدر هداية الأمة إذا صدق الخطباء في وعظهم، وأخلص الوعّاظ في نصحتهم، وعرفوا كيف يؤثرون في الناس وأخلصوا، وقضوا على الخرافات والتدجيل وعلى البدع والأباطيل، وعلى كل ما نسبته المغرضون إلى الدين وهو ليس من الدين.

إن المساجد لم تُبنَ لمنام، ولا لتضييع الوقت بالكلام؛ إنما بُنيت للصلاة، وليُذكرَ فيها اسم الله، يعمُرُها بحضورهم أهل الصدق والإيمان، والطالبون لرضى الرحمن، والمتحابون في الله، والمتمسكون بطاعة الله.

عباد الله، اتقوا الله، واعمروا مساجدكم بالطاعات، والمحافظة على الجُمع والجماعات، فقد قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال أيضًا في موضعٍ آخر: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وهو القائل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨].

• [١٢٨]

وقد روى مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقُها»^(٢).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٧٧٤).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٦٧١).



وروى البخاريُّ ومسلم وأحمد وغيرهم عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(١)، وهو القائل في كتابه العزيز: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٣٧) [التَّوْر: ٣٦-٣٧].



بمناسبة أسبوع الجزائر

في (٤/٤/١٩٥٨م)

(٩)

الحمدُ لله الَّذِي أَلَّفَ بِالذِّينِ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ رَابِطَتَهُ أَقْوَى الرِّوَابِطِ، قَالَ عليه السلام: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»^(٢) أَيِنَمَا كَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلِتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ؛ فَهَدَاهُمْ سَبِيلَهُ، وَنَصَرَ بِهِمُ

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٥٠)، ومسلم، رقم: (٥٣٣)، وأحمد، رقم: (٤٣٤).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٩٥١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٠).



دينه، ورفع بهم كلمته، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

عباد الله، اتَّقوا الله، واسألوه التَّوْفِيقَ والسَّدَادَ، وأنَّ يهديكم سبيلَ الرَّشَادِ.

عباد الله، كان النَّاسُ قبل أن تُشْرِقَ عليهم شمس الإسلام طبقاتٍ؛ سادةً وعبيداً، وأشرافاً وأوباشاً^(١)، وألواناً يُفَضَّلُ بعضها على بعضٍ، وقبائلٍ يُسَخَّرُ بعضهم بعضاً، فجاء الإسلام بالمساواة؛ بدستوره الخالد: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وجاء بالكلمة المأثورة الخالدة في قوله ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ واحدٌ، أَلَا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرٍ على أسودٍ، ولا أسودٍ على أحمرٍ، إِلَّا بالتَّقوى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عند الله أتقاكم، أَلَا هل بلَّغت؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فليبلِّغ الشَّاهد الغائب»^(٢).

وما عَرَفَ التَّارِيخَ ديناً رفعَ العبيد إلى سادةٍ إِلَّا الإسلام، وما عَرَفَ التَّارِيخَ ديناً قضى على الظُّلم والظَّالِمِينَ، وطَهَّرَ الأرضَ من البَغْيِ والباغين إِلَّا الإسلام.

واليوم يُظَلَمُ الإسلام ويُهَانُ في عُقْرِ داره^(٣)، لماذا؟! أَلِقَلَّةٌ في عدد المسلمين؟ كَلَّا! فالمسلمون اليوم يُعَدُّون بمئات الملايين، والعرب منهم

(١) الأوباش: من الناس، وهم الأخلاط والسَّفلة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٣٧/١٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٧٧٤).

(٣) عقر الدَّار: وسط الدَّار، وهو محلَّة القوم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/١٠٧).

نحو مئة مليون، لكنهم كما قال رسول الله ﷺ كغناء السَّيْلِ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغناء السَّيْلِ، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائلٌ: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا، وكرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١)، فقد فرقتهم الأهواءُ والأغراضُ السَّيَّاسِيَّةُ إِلَى شُعُوبٍ وَقِبَائِلٍ تَعَادِي بَعْضُهَا، وَيَفْرَحُ بَعْضُهَا بِمُصَابِ بَعْضٍ، وَهَمٌّ بَيْنَ جَاهِلٍ أَوْ مُتْجَاهِلٍ!

هذه التَّفَرُّقَةُ مَكَّنَتِ الْعَدُوَّ مَنَّا فَاسْتَعْمَرَ بِلَادَنَا، وَاسْتَعْبَدَ رِجَالَنَا وَنِسَاءَنَا حِينَئِذَا مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ لِأُمَّةِ الْعَرَبِ الشُّفَاءَ بَعْدَ مَرَضٍ طَالَ، وَالْبَعْثَ بَعْدَ رُقَادٍ أَزْمَنَ؛ شَعَرَتِ الشُّعُوبُ بِأَنَّ الْعِبُودِيَّةَ قَدْ وَلَّى زَمَانَهَا، وَأَنَّ الْحَرِّيَّةَ قَدْ آتَتْ أَوَانَهَا، وَأَنَّ الْبَشَرِيَّةَ شَيْءٌ مُقَدَّسٌ يَجِبُ أَنْ تُصَانَ حَقُوقُهَا، وَفَهَمُوا مَعْنَى قَوْلِ الْمُرْشِدِ الْأَعْظَمِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٢)، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَخُو الْإِنْسَانِ أَحَبُّ أُمَّ كَرِهَ.

أَخَذَ بَعْضُ الْقَوْمِ حَرِّيَّتَهُمْ كَامِلَةً، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ حَرِّيَّتَهُ نَاقِصَةً، وَكُلُّهُمْ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ حَرِّيَّتِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ، وَقَاتَلَ فِي سَبِيلِهَا؛ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِ الْمَظْلُومِ لَقَدِيرٌ.

منذُ سَبْعِ سِنَوَاتٍ وَلَكُمْ إِخْوَانٌ فِي الْجَزَائِرِ يُقَاتِلُونَ الظَّالِمِينَ فِي سَبِيلِ

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٢٩٧).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٥٤٧).



الله، وفي سبيل حريّتهم واستقلالهم؛ دفاعاً عن دينهم وأعراضهم، وعروبتهم ووطنهم، وحرّمهم وحرّمتهم.

جاهد أهل الجزائر في سبيل الخلاص من ظلم الكافر المستعمر، وما زالوا يجاهدون، خمس سنواتٍ كاملة قدّموا فيها قوافل الضّحايا متعاقبةً، يمشي بعضها خلف بعض، سقت دماؤها كلّ شبرٍ من أرض الجزائر؛ لتُطهرها بهذه الدّماء من رجس الكافر المستعمر، ولتُخرج آخر جنديّ نجسٍ منها.

إنّ أهلَ الجزائر - أيّها المسلمون - نذروا أنفسهم لله ليكونوا كبش الفداء في سبيل الله والدين، وسبيل حريّة العروبة؛ فيجب عليكم أن تقدّروا هذا الفداء.

يا عبادَ الله، دخلت فرنسا مدينة الجزائر منذ مئةٍ وثلاثين سنةً، وكان فيها مئةٌ وأربعةٌ مساجد، أتدرون ما بقي منها حتّى الآن؟! لقد اتّسعت المدينة، وزاد نفوذها أضعاف ما كانت عليه قبل مئةٍ وثلاثين عاماً، فلم يبقَ في مدينة الجزائر الآن غير خمسة مساجد! والتّسعة والتّسعون مسجداً تحوّلت إلى مخازنٍ ومتاحفٍ ومراقصٍ ومخامرٍ وإسطبلاتٍ ومعتقلاتٍ!

أيّها المسلمون، أتدرون أنّ أبناء العرب هناك لا يعرفون القراءة والكتابة بالعربيّة! وأقسم بالله - وأنا في موقعي هذا - إنّي شاهدتُ في الحجاز شباباً منذ ستّ سنواتٍ لا يعرفون كتابة أسمائهم بالحروف العربيّة، ولَمّا سألتهم عن سبب جهلهم بلغة قومهم، قالوا: إنّ الاستعمار الفرنسيّ حرّم علينا ذلك، وحرّم علينا أن نتعلّم ديننا. نعم، حرّم عليهم ذلك للقضاء على عروبتهم ودينهم، ولن يستطيع القضاء عليهما إلّا إذا باعد بينهم وبين الدين.

يا عبادَ الله، إنَّ في الجزائرِ إخوانًا لكم قاتلوا العدوَّ ببسالةٍ لم يعرف لها التاريخُ مثيلاً، إنَّهم قاوموا الظُّلمَ والطُّغيانَ، وليس لهم سلاحٌ إلَّا الإيمانُ بالنَّصر، وإنَّ العدوَّ الظَّالمَ الَّذي أخذَ ظلُّه يتقلَّصُ عن البلادِ العربيَّةِ الإسلاميَّة - ولم يبقَ له إلَّا الجزائر -، ما زال يصبُّ جامَ غضبه على المجاهدين يقاتلهم بعدده وعُدته قتال المستميت، وهذا العدوُّ كلَّمَا هُزِمَ في معركةٍ رَجَعَ إلى الأبرياء العزَّل في القرى؛ فقتل الشُّيوخَ العجزة، وفتك بالنِّساء والأطفال، الَّذين لا يملكون قوَّةً ولا سلاحًا، فقد فقأ العيون، وهتك الأعراض، ومثَّل بالأحياء، وعدَّب السُّجناء والسَّجينات بالنَّار والكهرباء.

إنَّهم يدوسون الجرحى بسنابك^(١) الخيل، وعجلات السيَّارات؛ ليموتوا تحت ألم العذاب، ويقتلون الأسرى بالجوع، وقد أخلوا بعض القرى، فنقلوا أهلها العزَّل إلى البوادي من دون زادٍ ولا ماءٍ؛ ليموتوا في الصَّحراء جوعًا وعطشًا.

إنَّهم يُجبرون العلماء على حمل الأقدار، وكَنَسِ المراحِضِ، ورعاية الخنازير؛ إهانةً للدين، ونكايةً بأهله.

إنِّي لا أقول ذلك جُزأفاً، وفيكم - أيُّها الإخوان - من يعرفُ فرنسا وأعمالها بالشَّام ولبنان، وفيكم من سمعَ ماذا فعلت في الهند الصِّينيَّة، وماذا فعل الاستعمار في فلسطين، ويفعله الآن في عمان.

والكُفر - أيُّها الإخوان - مِلَّةٌ واحدةٌ، وليست الجزائر في نظر

(١) السُّنْبُك: طرف الحافر وجانباه من قدم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٧/٢١٣).



المستعمر خيراً من هذه ولا تلك، وها هي الجزائر تقاتل برجالها ونسائها
الذين يجدون السّلاح، وكلّما أوشكت أن تفلت يد فرنسا منها مدّها
حلفاؤها بالمال والسّلاح، وليس للجزائر من مُعينٍ إلّا الله .

أيّها الإخوان، إنّ الجزائرَ جريحةٌ باكيةٌ، وإنّها تفتح عيونها لكم،
وهي قويّةٌ بالله ثمّ بكم، وإنّكم - أيّها المسلمون - في موسمٍ من مواسم
البرِّ؛ هو شهر رمضان، شهرٌ يُضاعف الله فيه الحسنات، وإنّكم في موسمٍ
اجتماعيٍّ؛ هو أسبوع الجزائر، يشارككم في هذا الموسم إخوانكم
المسلمون والعرب في البلاد الإسلاميّة والعربيّة جميعها، ويشارككم فيه
الشّرقيّون جميعاً في بلاد آسيا وإفريقيّة .

فلبّوا النّداء أيّها الإخوان، وناصرُوا إخوانكم الذين بذلوا أنفسهم في
سبيل الله والحرّيّة، والدّفاع عن الحقّ وعن الشّرف، سجّلوا - أيّها
المسلمون - صفحةً مشرقيّةً في عون إخوانكم في اللّغة والدين، فقد قدّم
إخوانكم الأرواح والأموال في ميادين الجهاد، وما أرخص المال أمام
الأرواح!

إنّكم تنعمون في أوطانكم، وبين أهليكم وأولادكم، وفي بيوتكم،
بينما إخوانكم هناك تشتّت شملهم، وتأيّمت^(١) نساؤهم، وترمّلت
زوجاتهم، وتيتّمت أطفالهم، فلا ترى إلّا مُعدّباً أو مشرّداً أو مكبّلاً أو
قتيلاً في ميدان الجهاد المشرفّ .

أيّها الإخوان، احمّدوا الله على نعمته هذه، وقابلوها بالبذل في سبيله .

(١) الأيّم من النّساء: من لا زوج لها بكرّاً أو ثيباً. انظر: تاج العروس، للزبيدي
(٢٥٥/٣١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، كُونُوا سَبَّاقِينَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِشَارِكَةَ إِخْوَانِكُمُ الْمُجَاهِدِينَ، فَإِنَّ مَا تَبْذُلُونَهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ لَيْسَ صَدَقَةً، لَكِنَّهُ حَقٌّ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَمَعُونَةٌ لِإِخْوَانِكُمْ فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ الْمُشْتَرِكِ، وَمِشَارِكَةٌ لَهُمْ فِي نَصْرِ اللَّهِ وَنَصْرِ دِينِهِ.

يَا عِبَادَ اللَّهِ، مَتَى تَقَلَّصَ ظِلُّ فَرَنْسَا مِنَ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ تَفَرَّغَ الْعَرَبُ لِقَلْعِ وَتَدِ الْإِسْتِعْمَارِ مِنَ فِلَسْطِينَ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَحَرَّرَتِ عَمَانَ، وَجَنُوبَ الْجَزِيرَةِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِبَعِيدٍ.

يَا مُسْلِمُونَ، يَا أَهْلَ الشَّمَمِ^(١)، يَا أَهْلَ الْكِرْمِ، يَا أَهْلَ الْعَطَاءِ، يَا أَهْلَ السَّخَاءِ، هَذَا الْمَيْدَانُ أَمَامَكُمْ وَفِيهِ فُلَيْتِنَافِسُ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَى الْخَيْرِ فُلَيْتَسَابِقُ الْمُتَسَابِقُونَ.

وَالْكُوَيْتُ عُرِفَ أَهْلُهَا بِالسَّخَاءِ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ، وَكَانَتْ لَهُمُ الْأَيْدِي الْبَيْضَاءُ فِي بَذْلِ الْمَعُونَاتِ فِي مَيَادِينِ الشَّرْفِ، وَمُنَاصِرَةِ الْحَقِّ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ النَّفْطُ بِذَهَبِهِ، فَكَيْفَ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِوَافِرِ خَيْرِهِ الْآنَ؟!

اشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعْمِهِ، وَأَقْرِضُوهُ الْقَرْضَ الْحَسَنَ، وَلُبُّوا نِدَاءَ الْوَاجِبِ، وَاسْمَعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَجْرُقِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّف: ١٠-١٣].



(١) الشَّمَمُ: كِنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ وَالْعُلُوِّ وَشَرَفِ الْأَنْفُسِ. انظُر: لِسَانَ الْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُورٍ (١٢/٣٢٧).



الفرقة مهلكة، أو بين الماضي والحاضر

بمناسبة اجتماع الرئيسين ناصر والقوتلي في (٢١/١)

(١٩٥٨م)

(١٠)

الحمدُ لله الَّذي جعل في الاتِّحاد عزَّ الأمم، وسعادة الشعوب،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعالى في علاه، وأشهد أن
محمَّدًا عبده ورسوله ومصطفاه، بعثه على حين فترةٍ من الرُّسل؛ لينقذ به
النَّاس من الضَّلالة، ويخلصهم من ظلمات الجهالة، ويُنجيهم من شرور
الفرقة والعداء، ويهديهم به إلى صراطٍ مستقيم.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه
أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

عبادَ الله، اتَّقوا الله وأطيعوه، وائتمروا بأوامره ولا تعصوه، فإنَّ
معصية الله سبب الهلاك، كما أنَّ تقوى الله سببُ لفوز المتقين، قال تعالى
في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف:

٠[٩٦

عبادَ الله، بعث الله رسوله محمَّدًا ﷺ، والنَّاسُ في جهالةٍ جهلاء،
وضلالةٍ عمياء، وفرقةٍ طاغية، وحروبٍ طاحنة، وظلمٍ وطغيان، وبغي
وعداوان، فعلمَ الجاهلين، وأرشد الضَّالِّين، وألَّفَ بين القلوب، وجمع

بين الشُّتات، وهو القائل جلَّ جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وأكمل الله تعالى به دينه، وأتمَّ به على العباد وعلى خير أمةٍ أُخرجت
للناس نعمته، فكانوا في الحروب قادةً، وفي السلم سادةً، وكانوا هداةً
مُهتدين، وصالحين مُصلحين، وكانوا كما أراد الله تعالى في كتابه
الكريم: ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل
عمران: ١٠٤]، وكانوا - كما أمرهم ربُّهم - أمةً واحدةً يعبدون الله
ويوحِّدونه، ويدعون النَّاسَ إلى توحيدِهِ، وتوحيد كلمتهم، وتوحيد مبدئهم
وغايتهم، ونبذ خلافاتهم، وإصلاح ذات بينهم.

توحدت وجهتُّهم فانتصروا، واتَّحدت قلوبهم فأمنوا، وامتزجت
أرواحهم فسعدوا، ونبذوا الخلافات والخصومات، وأصلحوا ذات
بينهم، فخافهم الأعداء، وعملوا لغايةٍ واحدةٍ فدانت لهم المشارق
والمغارب، وبدَّلَ اللهُ ذلَّهم عزًّا، وضعفهم قوَّةً، وفقرهم غنىً، وتواصوا
بالحقِّ وبالصَّبر؛ فكفاهم ربُّهم شرَّ الخسر، واعتصموا بحبل الله تعالى
فمكَّن لهم في الأرض، وأصبح رعاةُ الغنم سادةُ الأُمم.

أيُّها المسلمون، هكذا كان القومُ في صدر الإسلام، ولمَّا طال الأمد
على الخلف قست قلوبهم، وجهلوا دينهم فتبدَّل حالهم، إلَّا أنَّ الحميَّة
الدينيَّة كان لها أثرها في نفوسهم، يتألَّم بعضهم لألم بعض، وينتصر
بعضهم لذلة بعض، فإذا اشتكى مغربيُّهم فزع مشرقيُّهم لشكواه، وإذا ابتلي
مشرقيُّهم صرخ مغربيُّهم لبلواه، ثمَّ جاء آخر القرن الماضي - وهو ما
يسمونه القرن التاسع عشر - ودخل العالم الإسلامي في دور الاحتضار،



فعمَّ الجهل قاصيه ودانيه، وتفرَّق شمل بنيه، فكان لكلِّ مدينةٍ من مدنه دولةٌ، ولكلِّ قريةٍ حكومةٌ، ولكلِّ قصبَةٍ إمارةٌ؛ بل في كلِّ عشيرةٍ متنفِّذٌ لا يشاركه في نفوذه أحدٌ.

استغلَّ العدوُّ هذه التفرقة فأشعل نارها، واستعدى رؤساءها بعضهم على بعض، يمدُّهم بسلاحه؛ ليقتل بعضهم بعضًا حتى ضعفوا، ثمَّ أكلهم لقمةً سائغةً، ولم يستمعوا قول ربهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

أيُّها المسلمون، لم يكفَّ هذا العدوُّ؛ بل حالف الجهل في حربه الشعوب فأمات عقولهم، وسلَّط عليهم الجوع؛ فأذهب قواهم، وأسقم أجسامهم، وأفقرهم، فقلَّم أظفارهم، ثمَّ فرَّقهم أقاليم، وجعل لكلِّ إقليم حدوده الوهميَّة، ولكلِّ إقليم أمته، واصطنع من كلِّ إقليم جماعةً ماتت ضمائرهم، وران^(١) على قلوبهم حبُّ الرِّياسة الكاذبة؛ فخانوا الله تعالى فيما اتَّمنهم عليه، وخانوا شعوبهم؛ لأنَّهم حالفوا العدوَّ ضدَّها، وكانوا سادة قومهم، وعبيدًا للأعداء، فأقاموا حياتهم على موت شعوبهم، وغناهم على إفقارهم، وسعادتهم على شقائهم، وسموهم في ضعتهم وذلكم.

ولم يكفِه هذا؛ بل فرَّق البلد الواحد إلى أحزابٍ تتنازع الحكم فيه، وجعل بين هذه الأحزاب منافساتٍ ليشتدَّ العدا بين الحزب والحزب، واستمال منها حزبًا أو أحزابًا تعمل في صالحه، وتسير في ركابه، وهكذا صرنا حينًا من الدهر.

(١) الرِّينُ: أن يسودَّ القلب من الذنوب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣٠/٣٥).



لم يخلُ هذا الليل المطبق من صوتٍ يُسمع بين حينٍ وآخر يدعو إلى الله، وإلى كلمته، وإلى جَمْعِ الشَّمْلِ وضمِّ الصُّفوفِ، لكنَّ العدوَّ المستعمر متيقِّظٌ يخشى على مصالحه أن تضيعَ، وليس من مصالحه أن يسمعَ هذا الصَّوتَ سامعٌ، فليرسل ذنبًا من أذنا به أو كلبًا من كلابه؛ ليخُنُقَ هذا الصَّائحَ حتَّى يخبوَ صوته، أو يُخَمِدَ أنفاسه قبل أن يخرجَ من عقر داره.

لكنَّ الأمورَ مرهونةٌ بأوقاتها، وقد أراد الله أن يوقظَ هذه الأمة من سُباتها الطَّويلِ، فنادى منادٍ من الكنانة: أَلَا حَيٌّ على الوحدة؛ الوحدة التي يريدُها الله والتي بها يسعدُ الموحدون.

وقد لبَّتِ الشَّامُ هذا النِّداء، واستبشرت الدول الإسلامية - أستغفر الله - استبشرت الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها؛ لأنَّ هذه الوحدة ستكونُ إن شاء الله هي النِّوَاة التي تتحقَّق في نموِّها وحدةُ العرب والمسلمين، وإنَّ وحدة مصر وسوريا شوكةٌ في عين المستعمر، وطعنةٌ نجلاءٌ في قلوب أعداء الإسلام.

يا عبادَ الله، إنَّ الخلافات لم تكن يوماً من حُلُقِ الإسلام، ولا من عادات المسلمين، فقد علَّم الدينُ المسلمين أنَّ الوحدةَ دعامةٌ قويَّةٌ ضدَّ الأعداء، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنفُسُكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:

٠[٤٦

وإنَّما الخلافات التي دبَّت في صفوف المسلمين هي دسائس ذلك العدوِّ الطَّامع الذي نسَّميه المستعمر، وإنَّ له مكائدَ وعللاً يرسلها إلى جسم الشعب، فتختلف قلوب أفرادهِ فيتفكَّك، كما يرسل المرض جراثيمه إلى جسمٍ فتنحلُّ قواه.



وقد مرض هذا الجسم واشتكى كلُّه، وطال مرضه حتَّى شُلَّ كلُّه، لكنَّ الأمم تمرض ولا تموت، وها هي الحياةُ بدأتْ تدبُّ في بعض أوصال هذا الجسد، والله الحمد، ونرجو الله ﷻ أن يُكسِبَ هذا الجسدَ مناعةً وقوَّةً؛ ليدفع عنه ما بقي في بعض أوصاله من أمراضٍ.

يا عبادَ الله، تنفَّسَ الفجرُ بعد ليلٍ طويلٍ طال فيه النَّومُ، وحنَّ النهوضُ، وجاء وقت العمل، ولن يفيدَ العملُ إذا لم يكن الله لكم معيناً؛ فاستعينوا بالله يعنكم، واذكروه يذكركم، وكونوا معه يكن معكم، وانصروا دينه ينصركم، وجاهدوا في سبيله يهديكم، واتَّقوه يقيكم، ووالله إن فعلتم ذلك فلن يطول بكم الوقت حتَّى تجنوا ثمار سعيكم.

روى مسلم عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون كرجلٍ واحدٍ، إن اشتكى عينه، اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسه اشتكى كلُّه»^(١)، وروى عنه أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحمى»^(٢)، وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَفَشَلُوا وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

﴿الأنفال: ٤٦﴾



(١) رواه مسلم، رقم: (٦٧).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٦).

الوحدة نعمة

بمناسبة إعلان وحدة مصر وسوريا في

(٦/٢/١٩٥٨م)

(١١)

الحمد لله حقَّ حمده، الحمد لله على نعمه، والحمد لله على كلِّ حال، وأشهد أن لا إله إلا الله مغير الأحوال، سبحانه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٩]، وَعَدَّ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ بِالْهَدَايَةِ إِلَى سَبِيلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَلَّمْنَا أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْعَالَمِينَ وَالْعَامِلِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عباد الله، اتَّقُوا اللَّهَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [١٢٨] [النحل: ١٢٨]، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وبعد:

فقد تحقَّق الحلم الذي كان يداعبُ أخيلة المؤمنين، وصدقت الأمانة التي قاتلَ في سبيلها المجاهدون، وطارت من أجلها أرواح الشهداء إلى بارئها، وناضل في سبيلها الرُّعَمَاءُ المخلصون.

نعم، قد تحقَّق الحلم اليومَ بين إقليمين، وسيتحقَّقُ بالغد القريب بين



أقاليم، وسيتحد فيها الشعب الذي أراد الاستعمار أن يكون شعوباً متفرقة، وستدوب هذه الشعوب بعضها في بعض من أجل الوحدة الخالدة التي أرادها الله لعباده المسلمين.

لقد ناضل المجاهدون من أجل الوحدة، وامتى تحققت بين العرب تحققت بين المسلمين، والتاريخ لا بد أن يعيد نفسه، ولن يطول الزمن، فالمستقبل آت، وكل آت قريب.

يا عباد الله، اليوم تحققت الوحدة بين شعبين في مصرين، وغداً سينضم إليهما شعب ثالث، والله وعد، وسيحقق وعده لمن جاهد في سبيله، وناضل في سبيل وطنه وأُمَّته، فقد قال في كتابه المبين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يا عباد الله، قد كانت العروبة نداءً لا تتجاوز الحناجر، وكانت أمانياً وأحاديث لا تتعدى المجالس، وكانت الأمة العربية مقسمة إلى أجزاء، يتحكم فيها العداء، وتتحكم فيها الأعداء، واليوم - والحمد لله على نعمه - أصبحنا أمة بين الأمم، أمة لها كيانها واسمها، ولها صوت يُسمع، وكلمة تنفذ، ومطالب تُستجاب، وأصبحت أمة عرب اليوم غير أمة عرب أمس القريب؛ أمة متحدة عظيمة، وها هي الدولة الموحدة تضم تحت لوائها أكثر من ثلث الأمة العربية، وغداً سيضم الجميع إن شاء الله.

وأما هذه السُدود المصطنعة فستحطمها السواعد العربية، وأما هذه الحدود الوهمية فستهدمها المعاول الإسلامية، ولن يبقى للعدو اللدود سلطة، ولن تُسمع له كلمة، ولن يُنفذ له فينا أمر، وسيحل محل هذه السُدود والحدود درع قوية، هي درع الوحدة التي لا تنفذ إليها أسلحة ولا تُحطمها قوى.



وقد عَلَّمَنَا دِينَنَا أَنَّ الْوَحْدَةَ دَعَامَةٌ قَوِيَّةٌ ضِدَّ الْأَعْدَاءِ، وَكَانَ لِأَسْلَافِنَا وَحْدَةٌ لَا تُغْلَبُ وَلَا تُقَهَّرُ؛ حَطَّمَتِ كِيَانَ الظُّلْمِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى أُمَّمِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَعَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكْبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٦٥]، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ غَلَبَهُمْ هَذَا بِإِذْنِهِ؛ لِأَنَّهُمْ نَصَرُوا اللَّهَ وَمَنْ نَصَرَ اللَّهَ نَصَرَهُ، وَلِأَنَّهُمْ صَبَرُوا - وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ - فَقَدْ مَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأَحْيَاهُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَجَزَاهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

يَا عِبَادَ اللَّهِ، لِنَعْمَلِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، فَالْمَاضِي لِنَ يَعُودَ، وَلَكِنْ لِنَتَّخِذْ مِنْهُ؛ بَعِيدِهِ وَقَرِيبِهِ دُرُوسًا نَسْتَفِيدُ مِنْهَا لِمُسْتَقْبَلِنَا، وَنُقَارِنَ بَيْنَ مَاضِينَا وَمَاضِي أَسْلَافِنَا الصَّالِحِينَ، وَنَحْفَظُ الدَّرْسَ، وَنَعْمَلُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمِ بِلَا عَمَلٍ، وَنَحَافِظُ عَلَى أَوْطَانِنَا وَأَنْفُسِنَا وَحَرِيَّاتِنَا مِنَ الْعُدُوِّ، حَتَّى لَا يَعُودَ لِاسْتِعْبَادِنَا وَاسْتِعْمَارِنَا.

يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ نَوَاةَ الْوَحْدَةِ الْمُنشُودَةِ قَدْ غُرِسَتْ، وَالشَّجَرَةُ نَبَتَتْ، وَسْتَنْمُو زَاهِرَةً طَيِّبَةً، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوَفَّى كُلُّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، وَسَيَجْنِي هَذَا الْأُكْلَ كُلُّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَقْصَاهُ إِلَى أَقْصَاهُ؛ عِزَّةً وَأُخُوَّةً وَرَفْعَةً وَمَجْدًا.

فَلِنَعْمَلِ - أَيُّهَا الْإِخْوَانُ - عَلَى تَثْبِيثِ أُسُسِ هَذِهِ الْوَحْدَةِ، وَتَعَاهِدِ هَذِهِ الْغُرْسَةِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا - وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ -» (١).

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٠٢٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).



فليعمل كلُّ مسلمٍ وَفَّقَ استطاعته إمَّا بالقول أو بالعمل أو بالنُّضال أو بالسِّلاح أو بالقلم أو بالمال؛ فالمال أساس كلِّ شيء، والمال عَصَبُ الحياة، والمال قوَّةُ الأمم، وكلُّ درهم ينفقه المسلم في سبيل الله سيكون طلقاً نارياً في قلب العدو، وقوَّة مستقرَّة في كيان الوطن.

يا عبادَ الله، هنيئاً لكم بما أدركتم، وهنيئاً للعرب والمسلمين في كلِّ مكانٍ، وهنيئاً لأهل مِصر وسوريا بباكورة الثَّمرة التي اقتطفوها، وليبارك الله لهم فيما جنوا.

وَرَحِمَ اللهُ أرواحَ الشُّهداء في جَنانِ الخُلْدِ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾ [القَمَر: ٥٥]، وَرَحِمَ اللهُ الشُّهداء في مختلف ميادين الجهاد، وَحُقَّ علينا أن نترحَّم عليهم، فقد قاتلوا وقُتِلوا في غياهب السُّجون، أو تحت العذاب، أو بالتَّشريد والتَّغريب، أو بالتَّجويع، أو بالرِّصاص في الميادين وحكم الإعدام، أو على أعواد المشانق، فقد قال تعالى في كتابه المبين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٩-١٧٠].

عبادَ الله، روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي ذرِّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنان خيرٌ من واحدٍ، وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين، وأربعةٌ خيرٌ من ثلاثةٍ، فعليكم بالجماعة، فإنَّ الله لن يجمع أمَّتي إلا على هُدًى»^(١).

ولا شكَّ في أنَّ شعبين خيرٌ من شعبٍ واحدٍ، وشعوبٌ ثلاثةٌ خيرٌ من

(١) رواه أحمد، رقم: (٢١٢٩٣).

شعبين، فإذا اجتمعت الشعوب الإسلامية كلها على يدٍ واحدة، وقلبٍ واحدٍ، وكانت مع الحق، كان الله معها ومن كان الله معه فلن يُغلب أبداً.

يا عبادَ الله، لقد فرّقنا الأعداء ليسيّطروا، وأعانهم على عملهم هذا عملاؤهم منّا، وهم كثيرون ومسيطرون، فقد بنوا مصالحهم على مبدأ: فرّق تسدّ.

فحذارِ حذارٍ من دُعاةِ السُّوء، عملاءِ الاستعمار؛ الَّذِينَ لا همَّ لهم إلا إشباعُ بطونهم ولو جاعَ الشعب، ولا قصدَ لهم إلا ملءُ كنوزهم ولو هلكتِ الأمة، وقد حذرنا نبينا ﷺ من هؤلاء وأشكالهم فقال: «إنَّه سيَلِي أمورُكم بعدي رجالٌ يُعرفونكم ما تُنكرون، ويُنكرونكم ما تعرفون، فلا طاعةَ لمن عَصَى اللهَ فلا تَعْتَلُوا برَبِّكم»^(١).

وأيُّ معصيةٍ أعظمُ من التّفرقة؟! وأيُّ جريمةٍ أشدُّ من الدّعوة إلى العداة؟! إنَّهما الوباء الذي يقضي على الشعوب، ويمحو عزّتها، ويقتلُ نفوسَ أفرادها، وإنّا - أهل الكويت - نحمدُ اللهَ الذي منّ علينا بأن طهّر بلدنا منهم ومن عملائهم وأذناهم، ونسألهُ وهو القريبُ المجيبُ أن يُظهر البلادَ الإسلاميّةَ كافّةً منهم ومن شرورهم.

أيُّها الإخوان، لقد ذهبت السّكرة وسيطر الوعي على العقول، وأصبح الصّغيرُ والكبيرُ والذكرُ والأنثى في الوعي سواءً، لكننا ما زلنا في أوّل الطريق، فلنسر ولنواصل السّير حتّى نصل إن شاء الله.

إخواني، كلُّ شعبٍ ناصرَ الحقّ منتصرٌ، وكلُّ أمّةٍ أرادتِ الحرّيّةَ والحياةَ فلا بدّ أن يستجيبَ لها القدر، فلنتعاون إذن، ولا يحقرن أحدٌ منّا

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢٧٨٦).



نفسه، وليعمل كلُّ على شاكلته وحسب استطاعته، والله مع العاملين إذا
أخلصوا، والله لا يُضِيعُ أجرَ من أحسنَ عملاً، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

﴿١٣﴾ [المُتَحَنَّة: ١٣] .



بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين عام (١٩٥٨م)

(١٢)

الحمدُ لله ولا إله غيره، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحدَهُ لا شريكَ له ولا أشباه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ومصطفاه،
اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه ومن اتَّبع هُداه .

يا عبادَ الله، اتَّقوا الله، وتنبَّهوا إلى ما يُراد بكم من خطرٍ، وتذكَّروا
دائماً أنكم مؤمنون مسلمون، وأنَّ «المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ»^(١)، وقد قال
رسول الله ﷺ: «لا يُلدغُ المؤمن من حُجرٍ واحدٍ مرَّتَيْنِ»^(٢)؛ ليقظته
وحذره، أعداؤكم - أيُّها المسلمون - يتربَّصون بكم الدَّوائر، ويعملون
على تفكيك عُراكم، ومحو دينكم وإنسانيتكم وعروببتكم، إيَّاكم وأن
يدخل العداة إلى قلوبكم، وأن تتسلَّل الأعداءُ في صفوفكم وأن يفرِّقوا
جماعاتكم .

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، رقم: (١٢٨) .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦١٣٣)، ومسلم، رقم: (٢٩٩٨) .



يا عبادَ الله، حسَبنا ما وصلنا إليه من نهاية، وكفانا ما لحقنا من زراية^(١)، فها هي دولة اليهود ركيزة الاستعمار في بلاد المسلمين المقدَّسة قد باضت وفرَّخت، وها هي جموع المسلمين في شتى البلاد قد تشتتت وتفرقت، وها هي عشر سنوات منذ ولدت هذه الدولة المشؤومة قد مضت وانتهت، وها هي دول العرب تجتمع وتقرَّر ولا تنفيذ لِمَا دَبَّرت ولا عناية بما قدَّرت.

قتل اليهود رجالَ المسلمين وسلبوا الأموال والثروات، واخترقوا الحدود، وليسَ لهم من مانع، ولا عليهم من رقيب، وإذا دافع المسلمُ عن حدِّه وتجاوزَه إلى حدِّ اليهود، فويلٌ لدولته من الحساب الشَّدِيد، والويل له من العذاب الأليم، أمَّا حكومات المُعتدَى عليهم فلا تقدِّم إلا الاحتجاجات التي لا تجد لها من مجيب.

فهل ترفع الشكايات إلى مجلس الأمن، أم إلى الأمم المتحدة، أم إلى من أوجدوا هذه الدولة من عدم وجمعوا رعاياها بعد شتات؟! نعم، قد أوجدوها وأعانوها وسلَّحوها، ومنعوا عن العرب العون والسلاح وقلَّموا حتَّى أظفارهم؛ لئلا تكونَ لهم قوَّة على الدِّفاع، فقد أوجدوها بعد أن أعدموا شعبًا عربيًّا مسلمًا كاملاً، وجمعوها بعد أن شتتوا مليون عربيٍّ مسلم في شتى الآفاق.

يا عبادَ الله، إنَّها عشر سنوات مضت منذ تأسَّست دولة إسرائيل في الأرض المقدَّسة؛ قبلتكم الأولى فلسطين، واستولت على ثلاثة أرباع هذه الأرض الغنيَّة بمائها وتربتها، وما ذلك بحولها ولا قوتها، إنَّما بمعونة

(١) زرى عليه فعله: عابه وعنَّفه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/٢١٥).



المستعمرين وخيانة المنافقين الَّذِينَ يَدْعُونَ الانْتِسَابَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، فباعوا البلاد بثمنٍ بخسٍ وحطام زائلٍ وعزٍّ مؤقتٍ، وأخلوها بمعونة العدو من أهلها، وحرموهم ديارهم وأدنى مقومات الحياة، وسلبوهم أموالهم، فكم من رجلٍ يرى بيته يسكنه الغاصب فلا يملكُ للوصول إليه حولاً، وكم من رجلٍ يرى مزرعته يستثمرها عدوه فلا يملك لدفعه عنها قوّة، نسي أولئك الخونة أنّ عُمرَ الباغي قصيرٌ، وأنَّ «الظُّلم ظلماتٌ يومَ القيامة»^(١)، وحساب الظَّالم عسير.

يا عبادَ الله، ليس عداء اليهود للمسلمين حديثاً في تاريخ الإسلام، فعداوة اليهود للنبي ﷺ بدأت منذ بداية دعوته، وقد هاجر المسلمون إلى المدينة وفيها ثلاث طوائف يهودية أقرهم المصطفى ﷺ على دينهم وأموالهم على شرط أن يضافوا المسلمين وأن يشتركوا في الدفاع عن المدينة إذا دهمها العدو، لكنّ اليهود لا يعترفون بالعقود ولا يحترمون المواثيق والعهود، فظهرت نياتهم الخبيثة حسداً، بعد أن رأوا انتصار المسلمين في بدر وغيرها من المواقف، فاعتدوا على الأموال مرّة وعلى الأعراس مرّة، وتأمروا على اغتيال النبي ﷺ مرّة، ومالؤوا^(٢) الأعداء على المسلمين ونبيهم مرّة، وبعد أن كثرت خياناتهم ومؤامراتهم أجلى المسلمون بعضهم من ديارهم، وقتلوا منهم من استفحل شرهم وعظمت خياناتهم، إلّا أنّ الباقي منهم أخذوا يؤلّبون^(٣) الكفّار على المسلمين، وأعانهم على ذلك التّأليب المنافقون الذين لا يخلو منهم بلدٌ ولا عصرٌ،

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٧٩).

(٢) مَلَأَهُ عَلَى الْأَمْرِ: أعانه وقوّاه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١/٤٣٩).

(٣) التّأليب: التّحريض والإفساد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/٣١).



وفي عصرنا هذا أعاد التاريخ نفسه لليهود والمنافقين، فهل يعيد التاريخ نفسه للعرب المسلمين فيجلُّوا اليهودَ عن بلادهم ويقطعوا دابر المنافقين؟! هذا ما نسأل الله ﷻ أن يحققه لنا، فادعوه مخلصين له الدين، فقد روى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أخرجوا اليهودَ من جزيرة العرب»^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المجادلة:

١٤-١٧].

وقلتُ في الثانية:

أيها المسلمون، آن أوان التَّكاتف، والصَّحوة بعد الغفوة، فانتبهوا لِمَا يَرَادُ بِكُمْ، وكونوا مع الله يكن الله معكم، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمَّد: ٧].

نحن لا نبكي فلسطينَ، ولا عزَّ إسرائيلَ، ولا نبكي ما قاموا به من تشييتٍ للمسلمين، فقد أمرنا الله ألا نضعف ولا نحزن ما دمنا مؤمنين، إننا نسعى نحو انتفاضةٍ يكون المسلم فيها للمسلم كالبنيان فهذا ما أوصى به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»^(٢)، ونريد من اليقظ أن ينبه الغافلَ، وأن يستنهض القويَّ المتكاسلَ، فانتبهوا لِمَا

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٥٦٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٤٨١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).



يريده العدو بكم ولما يريد الإسلام منكم، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ
أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمّد: ٣٥]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].



بمناسبة ثورة العراق

في (١٤/٧/١٩٥٨م)

(١٣)

الحمد لله، يُؤتِي المُلْكَ من يشاء وينزعُ الملكَ ممَّن يشاء، ويعزُّ من
يشاء ويذلُّ من يشاء، أشهد أنه الحكم العدل والحاكم المهيمن لا رادَّ
لحكمه، وهو على كلِّ شيء قدير، وأشهد أن لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا
شريك له، زرعَ في قلوب خلقه بُغضَ الظَّلمةِ الأشرار وكرهةِ المُستبدين
الفُجَّار، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله حَكَمَ بأمر الله فعَدَلَ، وسعد
بحكمه النَّاس في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ثمَّ خلف من بعده الخلفاء الرَّاشدون
الَّذين استنُّوا بسُنَّته واتَّبَعوا طريقته، فخلَّصوا النَّاس من العبودية والإذلال
وحرَّروهم من الخضوع إلاَّ الله الواحد القهَّار، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على
عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه الَّذِينَ أعزَّهم الله بالإيمان
فزلزلوا عروش الظَّالمين، وأذلُّوا أنوفَ المُستبدين فمكَّن الله لهم في
الأرض وجعلهم سادة العالمين.

عبادَ الله، اتَّقوا الله، إنَّ الله مع الَّذِينَ اتَّقوا وَالَّذين هم محسنون،
اتَّقوا الله، واشكروه على نعمه الَّتِي أنعمها عليكم؛ بأن آمنكم في

أوطانكم، فتاجرُكم؛ آمنٌ على ماله ونفسه وتجارته، وعاملُكم؛ مستريحٌ في عمله لا يشركه أحدٌ في كسبه، وصانعُكم؛ مُطمئنٌ في مصنعه آمنٌ على دخله، وأولو أمرنا - أصلح الله أحوالهم - منصرفون بكلِّ جهدهم إلى ما يُصلِحُ البلاد ويؤمِّن راحة العبادِ، نسألُ الله لهم التَّوفيقَ والرَّشادَ وأن يكفيهم شرَّ دعاة الفتنه وأهل الفساد.

يا عبادَ الله، إِنَّ الظُّلمَ إذا انتشر في أُمَّة أهلَكها، وإذا حلَّ في قطرٍ دَمَّره، و«الظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة»^(١)؛ بسببه ينتشرُ الخوفُ بين النَّاسِ وتَضلُّ العقولُ؛ لأنَّ الظَّالم لا يريد إنارة العقول بالعلوم، إنَّما يريد النَّاسَ كالأنعام يتحكَّم بهم كيف يشاء، فلهم عيون لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها، وبالظُّلم تجوع البطون، والظَّالم يمسك على النَّاسِ أرزاقهم حتَّى يعيشوا جِيعاً ضعافاً، فهو يتَّبَع طريقة: جوع كلبك يتبعك، وبالظُّلم تختلف القلوب، وينتشر العداء بين النَّاسِ، والظَّالم يريد النَّاسَ في خلاف دائم، ومذهبه في ذلك: فرِّق تسد.

والظُّلم والفساد لا يفترقان، فما من أُمَّة أو وطن ظلم حكامه إلاَّ ظهرت فيهم طغام^(٢) همُّهم انشغال الشَّعب بنشر الفساد بين النَّاسِ، والأُمَّة التي تعظُّ الظَّالمين وتحترم المفسدين مصيرها الهلاك والدمار، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هؤود: ١٠٢].

وضعاف النفوس هم عبيد الذُّلِّ؛ الَّذِينَ يزيِّنون للظَّالمين البغي

(١) سبق تخريجه .

(٢) الطَّغَامُ: أوغاد الناس وأرذالهم . انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٣٣).



والعدوان، ويحسّنون لهم الظلم والطغيان، هؤلاء أبناء أمة ملعونة في كتاب رب العالمين إذ يقول تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

يا عباد الله، إن عمر الظالم قصير، والظالم مهما طال عمره مصيره إلى لعنة الله وعذابه، تلعه الأمة أجيالاً بعد أجيال، والبغى مهما طال أمده، فمصيره إلى زوال ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطِّلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والشدائد في البلاد تزيد القوي قوة كما تزيد الضعيف ضعفاً، والشدائد تلبو الناس وتصهرهم فتظهر أبطالهم، ويقذف الله بهم في وجوه الظالمين، ويخلص عباده الصابرين من رجسهم، يقول تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ويقول: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

يا عباد الله، لقد قاسى شعب العراق من ظلم أذئاب الاستعمار ما قاسى أربعين عاماً، بغى فيها أقوياءهم على ضعفائهم، وجار حكاهمهم على محكوميتهم، واستبد راعيهم برعييتهم؛ فجاج الشعب؛ لإشباع أقلية ظالمة مجرمة، أكلت أموال الأمة وأذلت وجوه أفرادها وأرغمت أنوفهم وكتمت أفواههم، فمن قال الحق قُتِلَ، ومن طالب بحق الأمة أُعِدِمَ، فأزهقت لذلك أرواح الألوفاً، وشردت في سبيل ذلك الألوفاً، وسُجِنَ في غياهب السجون الألوفاً، وحُبِسَتِ الحرّيات وعُظِّلَتِ العقول حتى كبر الخوف، وكثرت الجواسيس، وخاف الأب ابنه والابن أباه، ولم يأمن

الصديق صديقه ولا الزوج زوجه، وتقرَّب اللئام إلى الحكام بالسعاية
الصَّادقة أو الكاذبة طمعًا بالمنصب أو المال، فعدِم الأمن، وطمع القويُّ
بمال الضَّعيف واغتصبه، وطمع الغنيُّ بعرض الفقير وأفسده ﴿وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقد سلَّطت تلك الحكومة البائدة الإقطاعيين على ضعفاء الفلاحين
الكادحين يذلُّونهم لمصالحهم ويمتصُّون دماءهم لتقويتهم، فجاعت الأمة
ليتحم ذوو السُّلطة والتُّفوذ، وضعف الشعب ليسمن أولئك الباغون،
أثقلت الحكومة كاهل الرعيَّة بأنواع الضرائب الباهظة؛ لتبقى الرعيَّة فقيرة
ضعيفة لا تملك حولًا ولا قوَّة ولا تملك حياة ولا نشورًا، ولكن خاب
فأل الظالمين وكذب ظنُّهم ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ولكن مهما طال أمدُّ ضعف الشعوب فلن تموت، يقول أبو القاسم
الشَّابي:

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياةَ فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدرُ^(١)

وها قد استجاب القادر جلَّ جلاله لشعب العراق، وجاء أمرُ الله ووقع
الحقُّ وبطلَ ما كان يعمل الظالمون، وفي سواد ليلة بل بين سحر
وشروق؛ دُكَّ عرشُ الظالمين، فلم يُفدِّهم سلاحهم ولم تحرسهم حراسهم
ولا منعتهم حصونهم ولا قصورهم ماتوا بأكفِّ المظلومين وقُتلوا بصفعات
الضعفاء المساكين، وما علموا أنَّ بيت الظالم خراب، وأنَّ البغي مرَّعة

(١) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق، للمهدي (١/ ٢٨١).



وخيم، وما علموا أن حساب الشعوب عسير، وأن للظالم سوء العقبى
وبئس المصير، فسبحانك اللهم تُوتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المَلِكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ، وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدُلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي موسى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ
الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾»^(١).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ
﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَفْضُلُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ١٧-٢٠].



الألفة طريق النصر

بمناسبة اتفاق الدول العربية على قرارهم المقدم لهيئة

الأمم في (٧) صفر سنة (١٣٧٨هـ) الموافق (٢٢/٨/

١٩٥٨م)

(١٤)

الحمد لله الذي أَلَفَ بالإسلام بين قلوب المسلمين، الحمد لله الذي

(١) رواه البخاري، رقم (٤٦٨٦)، ومسلم، رقم (٢٥٨٣)، واللفظ للبخاري.

جَعَلَ هَذَا الدِّينَ رِبَاطَ الْأُفَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَهُمْ بِالِاتِّحَادِ، فَقَالَ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، وَنَهَاہُمْ عَنِ التَّعَدِّيِّ وَالتَّنَازَعِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الْأَنْفَالَ: ٤٦]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ذَا الْقَلْبِ النَّقِيِّ الظَّاهِرِ وَالْعَزْمِ الظَّافِرِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ طَابَتْ نَفُوسُهُمْ وَصَفَتْ قُلُوبُهُمْ، فَكَانُوا سَادَةً غَالِبِينَ وَأُمَّةً عَادِلِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ.

اتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[الْأَنْفَالَ: ١]﴾، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ قَضَتْ بِالْعِزَّةِ لِأُمَّةٍ اجْتَمَعَتْ قُلُوبُ أَفْرَادِهَا وَاتَّحَدَتْ كَلِمَتُهُمْ، وَقَضَتْ بِالذَّلَّةِ لِأُمَّةٍ تَفَرَّقَتْ أَفْرَادِهَا وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَتَشَعَّبَتْ آرَائُهُمْ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الْأَنْفَالَ: ٥٣]، وَالْعَاقِلُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَاعْتَبَرَ بِمَا وَقَعَ لِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ، وَإِنَّ فِي التَّارِيخِ لِعِبْرَةً وَعِظَةً، وَإِنَّ فِي قِصَصِهِ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَلِنَقْفِ عَلَى تَارِيخِنَا مِنْهُ.

كَانَتِ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ؛ فَرَقَةٌ وَشَحْنَاءٌ وَحَرْبٌ وَعِدَاءٌ وَهَمْجِيَّةٌ مَمْقُوتَةٌ، يَبْطِشُ الْقَوِيُّ بِالضَّعِيفِ، وَيَعْتَدِي الْكَبِيرُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ، لَا دِينَ يَمْنَعُ، وَلَا قَانُونَ يَرْدَعُ، وَلَا إِنْسَانِيَّةَ وَلَا وَجْدَانَ، وَلَا رَحْمَةً وَلَا إِحْسَانَ، الْحَقُّ لِلْقُوَّةِ، وَالْحُكْمُ لِلطَّاغُوتِ، وَالسُّلْطَةُ لِلْكَثْرَةِ، وَالْمَنْعَةُ لِمَنْ قَوِيَ سَاعِدُهُ وَكَثُرَ نَصِيرُهُ، إِلَى أَنْ سَطَعَ نُورُ الْإِسْلَامِ الَّذِي حَمَلَ مَشْعَلَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَالسَّيِّدُ الصَّادِقُ



الأمين ﷺ، فانضمَّ إليه العقلاء، والتفَّ حوله السُّعداء، فنزعَ الله من قلوبهم العداوة والبغضاء، وطهرها بالمحبة والإخلاص والوفاء، وألَّف بينهم فصاروا أمةً واحدةً هدفها الحقُّ وغايتها نصرته، فأنشأت دولتها على المساواة، وأهلكت الظلم والظالمين، وقضت على القبليَّة، ومَحَتِ الفروق، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وهكذا كان، فصَدَقَ اللهُ وعدهُ للمسلمين، وكان لدولتهم العزُّ الَّذي لا يُدَانِي والسُّلطان الَّذي لا يُقاوم، فدانت لهم القياصرةُ، وذَلَّتْ لهم الأكاسرة، وخضعت لهم الجبابرة، وأدركوا باتِّحادهم على قِلَّةٍ عددهم وضعف عددهم ما لم تدركه الجيوش التي تفوقهم عددًا وعُدَّةً؛ لأنَّهم حزبُ الله الَّذي وعدهم بالغبلة، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[المائدة: ٥٦] •

قال أحدُ أسرى الفرس لأمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﷺ: الفضل لمحمَّد ودينه الَّذي مكَّنكم من رقابنا، فأجابه عمر ﷺ: بل الفضلُ لاختلاف كلمتكم التي مكَّنتنا من رقابكم^(١).

نعم أيُّها النَّاس، إنَّ اختلاف الكلمة، والعداء والتَّنازع والتَّباغض من الجنایات العامَّة والجرائم الكبرى التي تهدِّمُ بِنیان الأمم وتُضعف قوَّتها،

(١) لم أقف عليه ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.



وتنهار بسببه أمامَ أضعفِ عدوّ من أعدائها، وإنَّ اختلاف كلمة الأمة يُغلقُ في وجهها أبواب الخير وينذرُها بوخامة العاقبة وسوء المصير؛ ولهذا قال الله تعالى محذراً من الفرقة: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأعاد التاريخ نفسه، وعدنا إلى جاهليّة أوحش من الجاهليّة الأولى فتفرقت كلمتنا وصرنا شعوباً وأقاليم لكل إقليم حدوده وبنوده، ولكل حدّ حماه، وكلّ عربيّ في غير موطنه غريب، لا لغة تجمعنا، ولا دين يؤلّف بيننا؛ ذلك أنّ مطامع العدو المستعمر أرادت هذا فوجدت منّا آذاناً صاغية، وجهلاً مطبقاً، وجشعاً وحرصاً شديداً على الدنيا، فسلبت العدو علينا أقوانا جشعاً، وأشدّنا حرصاً ممّن لا يخاف الله ولا يخشاه، ولا يرضى إلاّ^(١) ولا ذمّة، وجعلهم له عملاء ينفذون فينا مآربهم، ولو أنّنا أصغينا لما قاله لنا رسول الله ﷺ لَمَا كَانَ مَا كَانَ، فقد قال ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٢).

ونسلم اليوم من الأخبار ما يُثْلجُ الصّدر ويبدّد الكدر ويسرّ الخواطر ويهدّي البال، ويعيد للذاكرة ما كان عليه مجد المسلمين في صدر الإسلام، يوم أن كانت كلمة الإسلام هي العليا وكلمة الأعداء هي السفلى.

إنّنا اليوم نسمع خبر اجتماع كلمة العرب ضدّ أعداء العرب، وتوحيد

(١) الإل: كلُّ ما له حرمةٌ وحقٌّ، كالقراية والرّجم والجوار والعهد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٩/٢٨).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٠١١).



رأيهم في قرارهم أمام هيئة الأمم أن العرب أمة واحدة يُدافع بعضهم عن بعض، ويُصلح بعضهم أخطاء بعض، ويحلون مشاكلهم بأنفسهم من غير حاجة إلى تدخل أجنبي، إنه خبرٌ يدفع عن النفس كابوس الحزن المرير، فنذكر ما كان لكيان الإسلام من قوّة ومنعة، كان أساسها توحيد الله، وتوحيد المبدأ والغاية، يوم أن كان أعداء المسلمين يعطون الجزية للمسلمين عن يد وهم صاغرون، فهذه هذا التوحيد في الرأى كيان الأعداء وزلزل أقدامهم وأحلّ صفوفهم، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، و«مَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ»^(١)، والعزّة لله ولرسوله وللمؤمنين.

فَاللَّهِمَّ نَسْأَلُكَ نَصْرًا لِأَوْلِيَائِكَ، وَذُلًّا لِأَعْدَائِكَ، وَتَوْفِيقًا لَوْلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقلت في الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

عباد الله، اتقوا الله وأطيعوه، وتمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وتعاونوا على البر والتقوى، واعتصموا بحبل الله فهو السبب الأقوى.

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (٢٥٧٨).



إخواني، يقول رسول الله ﷺ: «المؤمنُ كَيْسٌ فطنٌ حذرٌ»^(١)، ويقول: «لَا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحدٍ مرَّتَيْنِ»^(٢)، وقد لدغتنا أفاعي الاستعمار منذ أكثر من مئة عام، أقول: لدغتنا؛ أقصد بذلك الأمة العربية عامَّةً، والإسلامية خاصةً، لدغتنا فسممتنا، فخدمنا وسكنا وأصبنا بداء عياء، لكنَّ الله الَّذي ﴿يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] قادرٌ على أن يبعث الأمة العربية بعد طول رقاد.

أيُّها المسلمون، إنَّ المستعمرين ثعالب، بل أمكر من الثعالب، يعطون من طرف اللسان حلاوة، ولهم بعد ذلك منقلب سوء، ولهم مخالِب من حديد يخفونها وراء أكفِّ ناعمةٍ كالحرير، لهم سخائم^(٣) سوء يسترونها بألفاظ معسولةٍ كلُّها سماحةٌ ومرونةٌ وبراءةٌ، تراهم لا يتعصَّبون لدين، لكنَّهم يريدوننا أن نتجرَّد من الدين، ويريدون لأبنائنا أن ينسلخوا من دينهم ولغتهم.

إنَّهم يقولون: إنَّ الحرِّيَّة والاستقلال لهم؛ لأنَّهم بشرٌ، أمَّا غيرهم فعبيدٌ لا يستحقُّون الحرِّيَّة، إنَّما يجب أن يظلُّوا عبيدًا مستعمرين، هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعرفها العرب عمومًا، والمسلمون والشرقيُّون خصوصًا.

إنَّ جذوة الحقد على الشرق عامَّةً والعرب خاصةً لم تهدأ في قلوب المستعمرين، فكلَّما مرَّت الأيام زادتها وهجًا ولهبًا، ولن يُطفىء هذا

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) السخيمة: الحقد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢/٣٥٥).



الوهج ولن يُخمد هذا اللهب غير اعتصام العرب بالاتحاد أو دخولهم في وحدة تجعلهم صفًا واحدًا أمام عدوٍّ واحدٍ؛ هو الكفر، فتقضي هذه الوحدة على المستعمرين وأذئابهم وعملائهم.

مسكينة هذه الأمة كم لقيت من عسف^(١) الاستعمار سنين طويلة، وكم هَلَكْتَ في سبيل مقاومة المستعمرين ألوف النفوس، وكم ألقى الكافر في طريق يقظتنا عقبات كؤود^(٢)، هلك بها من هلك، وردت الباقي على أعقابهم فاشلين، وأخيرًا عرف الناس دخائل هذا العدو الجاثم على صدورهم وفطنوا لكيدته ومكره، والله ﷻ قال في محكم تنزيله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠]

[الأنفال: ٣٠].



بمناسبة صدور قانون الجزاء في الكويت

في (٣٠) ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ) الموافق (٢٤/

٦/١٩٦٠م)

(١٥)

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، ورفع قدرنا بأن جعلنا من أمة

(١) عسف: ظلم. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٣٦/١٨).

(٢) عقبه كؤود وكأداء: شاقة المصعد صعبة المرتقى. انظر: لسان العرب، لابن منظور

(٣/٣٧٤).

محمد ﷺ، وميَّزنا على الأمم كافةً بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال جلَّ شأنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله مهَّد لنا سبيل السَّعادة وأمرنا بسلوكها، وحذَّرنَا من سبيل الشَّقَاوة ونهانا عن ولوجها، وبلغنا أمر ربِّه الكريم إذ يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَضَاءَتِ الدُّنْيَا بِنُورِهِمْ وَسَعَدَتِ الْأُمَمُ بِهَدَايَتِهِمْ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر: ١٨]، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البَيْتَة: ٧].

أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام لا يتجزأ، فهو عقيدة وعمل ودنيا ودين، ولم يكن الإسلام يوماً للعبادة فقط، ولا كان الإسلام يوماً للمسجد وحده، إنما الإسلام دين قلوب وأعمال، وهو مع المسلم أينما كان؛ في بيته وسوقه ومعبدته ومتجره ومصنعه ومدرسته ووظيفته وفي كلِّ شأن من شؤونه، ومن فارق الإسلام أو فارقه الإسلام في جهةٍ واحدةٍ من جهات عمله فحريٌّ أن يفارقه في جهةٍ ثانيةٍ، ومن فارقه في جهتين من جهات عمله فسيفارقه بلا شكٍّ في جهةٍ ثالثةٍ، وهكذا حتَّى يخرج به هواه عن دينه، و﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً



ضَنَّا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]

• [١٢٦]

يا أمة محمد ﷺ، من كان في هذه الدنيا أعمى عن تبصّر الحق فهو في الآخرة أعمى عن تبصّر طريق السلامة.

أيها الإخوان، بلاءً ابتلينا به هذه الأيام، ونكبة حلت بنا في بلدنا يراد بها إهانة كرامتنا والتبرؤ من عروبتنا وعاداتنا وديننا، وهذا ما لا عهد لنا به، وهو قانون الجزاء، وهو قانون قامت به فئة من الناس أضلهم الله على علم، وختم على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، فاستغلوا جهلنا بديننا، وقالوا: إنه قانون مسائر للزمن فلا بُدَّ أن نساير الزمن كبقية الأمم، وزعموا أن لكل أمة قانوناً إلاّ شعب الكويت، فيجب علينا أن نسير في ركاب الأمم ونضع قانوناً نلغي به أحكاماً طال عليها الأمد. وما تلك إلاّ كلمات ألقاها الشيطان على ألسنتهم يريدون أن يطفئوا بها نور الله ويعطلوا بها شرع الله وأحكامه، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمرُوا أن يكفروا به، والله جلّ شأنه يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ألم يعلموا أن تلكم الأمم التي وضعت القوانين لا شرائع لها كشرعية الإسلام لتحكم بها؟! إن دين الإسلام قد شرع لأمتيه دساتير وقوانين يحكم بها قضاتها وحكامها، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].



إنَّ القرآنَ - يا أمَّةَ مُحَمَّدٍ - كتابُ الله، جاءَ به مُحَمَّدٌ رسولًا من عند الله، وجعله دستور الأُمَّة الإسلاميَّة، ووضع الأسُسَ لتكوينِ هذه الدَّولة، وقتَّنَ لها أحكامها، وشرَّعَ لها نظمها، وسنَّ لها كلَّ مقوِّماتِ حياتها قبل أن تضع الأممُ قوانينها والدُّول دساتيرها بألف عامٍ.

إنَّ نظمَ القرآنِ وأحكامه صالحه لكلِّ زمانٍ ومكانٍ - كما يقول المصلحون - وبها تحفظ المصالح والحقوق، وبها تُحترَم الكراماتُ، وبها تُصان الأعراضُ والمقدَّسات.

ولن يفيدنا - نحن العرب خاصَّةً والمسلمين عامَّةً - غيرُ قانونِ الله الَّذي أنزله في كتابه منذ ألف وأربعمئة عام، أقول: لن يفيدنا غيره، ولن يحفظ لنا حقوقنا ولن يصون لنا أعراضنا وحرماننا وكراماتنا سواه، وأمَّا هذا القانون المسمَّى بقانون الجزاء الَّذي يُراد تطبيقه في محاكمنا فهو قانون لا يحفظ كرامةً ولا يصون عرضًا.

إنَّ هذا القانون يريد من المسلم العربيِّ إذا رأى رجلًا يعتدي على عرضه أن يحتفظ به سالمًا أو يخرج من بيته سالمًا، فإذا قتله سيعاقب بالسَّجن مدَّة ثلاث سنين أو يغرم ثلاثة آلاف رويَّة، إنَّه يبيح لنا أن نُقتلَ دفاعًا عن أموالنا، ويعاقبنا إذا قتلنا من اعتدى على أعراضنا وشرفنا! بَخٍ^(١) لهذا القانون.

أين العزَّة والإباء؟! أين الكرامة والمروءة؟! أين شرف الإسلام؟! بل أين هذا من غيرَةِ الله على عباده المؤمنين؟!

فيا أهل الكويت العربيِّ المسلم، لن تكونوا - والله - مسلمين حتَّى

(١) بَخٍ: كلمة تستعمل للإنكار. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧/٢٢٩).



تحافظوا على دينكم، ولن تكونوا عرباً إلا إذا حافظتم على تقاليدكم وعاداتكم، وإن قوميتكم وأنتم عرب، وإن دينكم وأنتم مسلمون يبيان أن تقبلوا تطبيق هذا القانون في بلادكم، فوالله إن رضيتم به فستكون في بلادنا إباحية أكثر شراً من إباحية باريس، وخلاعة أكثر من خلاعة أوروبة.

اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ولا تسكتوا عن المنكر، فقد جعل الله عماد دينكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعدَّ الله لمن قام بهما ودافع عن الإسلام أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، ووعده بالنصر إن أحسن الدعوة امتثالاً لأمر الله وإيماناً به واحتساباً لثوابه، فإنه ﷺ يقول: **«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»** [العنكبوت: ٦٩]، وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقاباً من عنده، ثمَّ لتدعُنَّهُ فلا يستجيب لكم»** (١).

اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ولا تسكتوا عن المنكر، واعلموا أن أفضل جهاد هو الجهاد في سبيل الله، كما قال الصادق الأعظم: **«ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»** (٢)، وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى، وتناصروا على إزهاق الباطل، وتواصوا بالحق، واطلبوا إزالة هذا القانون الذي إن طُبِّقَ في المحاكم بَدَل حُكْمِ اللهِ، فقد مَنَّ اللهُ علينا - أهل الكويت - بولاية ما تكبَّروا علينا يوماً ولا جاروا ولا أغلقوا أبوابهم دون رعاياهم، فقد قال الرَّسُولُ ﷺ: **«وما لم تحكُم أئمتُّهم بكتاب الله،**

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٣٠١).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١١١٤٣).

وَيَخَيِّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ^(١)، فاطلبوا إزالة هذا القانون الذي لا يحفظ كرامة ولا يصون عرضاً ولا يدفع شراً.



عزة الإسلام

حازت الكويت استقلالها في (١٩/٦/١٩٦١م)

وكانت أول جمعة بعد هذا الاستقلال يوم (١٠)

محرم سنة (١٣٨١هـ) الموافق (٢٣/٦/١٩٦١م)

(١٦)

الحمد لله القوي العزيز، ينصر من صبر، ويزيد من فضله من شكر، سبحانه يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

عباد الله، اتقوا الله وأطيعوه، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨]، واعلموا أن الله بعث محمداً بالإسلام ليجمع به بين المتنافرين ويهدب به نفوس المتوحشين، وليحفظ سياج المجتمع بتعاليم رشيدة صالحة للبشر أجمعين في كل زمان ومكان، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٠١٩).



وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ [الجمعة: ٢].

وقد حافظ المسلمون على الإسلام بمعناه ومبناه، واتبعوا تعاليمه، فكانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، نصرُوا الله فنصرهم، وصدق لهم وعده، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] أعزهم الله به فمازهم من الناس، فالمسلم ليس بالضعيف ولا بالدليل؛ لأن دينه يأبى له الذلة ولا يرضى له الهوان، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

إن الإسلام - أيها المسلمون - جعل العزّة حقاً من حقوق المسلمين وصفة من صفاتهم، وقال لهم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] والمسلم حقاً لا يرضى بالدنيّة، ولا يقبل الاستكانة، فإن فعل ذلك فقد انحرف عن طريق الإيمان؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «ومن أعطى الذلّ من نفسه طائعاً غير مكره، فليس منّا»^(١).

إن القرآن - كتاب الله للمسلمين - عاب على قوم استكانوا لِقوى الكفر ورزحوا تحت وطأة الطغيان وسيطرة الظلم، فظلموا أنفسهم وأعقابهم وعاشوا أذلاءً لأعدائهم فأضاعوا دنياهم وأخراهم، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [التيساء: ٩٧].

إنّ اعتزاز المسلم بربه وبدينه وبنفسه هو كبرياء إيمانه، إنّه يسمع

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٤٧١).

المؤذن كل يوم خمس مرات ينادي بتكبير الله وحده في بداية الأذان ونهايته، فيلبي النداء موقناً بأن كل متكبر بعد الله صغير، وأن كل متعظم بعد الله حقير، ثم يقف إلى الصلاة فيبدؤها بتكبير الله وحده، فإذا ركع سبّح في ركوعه باسم ربّ العظيم، وإذا سجد سبّح في سجوده باسم ربّ الأعلى، يكرّر ذلك حتى يوقن بأنه لا عظمة ولا علو إلا لله ربّ العالمين، و﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

هنا يحرّر الإسلام أتباعه من عبادة النّاس ويجعلهم عبيداً لله وحده، ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٥]، فله العزّة وله الكبرياء في السموات والأرض وهو الواحد القهار، والإسلام - يا أمّة محمّد - أراد للمسلمين هذه العزّة؛ عزّة الله ورسوله، فلله العزّة ولسوله وللمؤمنين، وبهذه العزّة يأنف المسلم أن يصغر لسلطان غير سلطان دينه، أو يتّضع في مكان لا يخضع فيه لقرآنه أو أن يكون ذنباً من أذنب الأعداء.

إنّها الإباء والكرامة، إنّها الترفع عن مغريات الأرض ومزاعم النّاس وأباطيل الحياة، إنّها التمرّد على الظلم والظالمين، إنّها كما وصف الله جلّ شأنه أصحاب نبيّه محمّد ﷺ: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، أو كما وصف عبداً له آخرين: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم مسلمون هدّ بهم الإسلام ورفع من شأنهم، فكلمتهم كلمة الله، وكلمة الله عليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؛ لأنّ المسلم لا يخضع لعدو دينه وعقيدته ولا يذلّ لعدو وطنه وشعبه.

وحبّ الوطن إيمان، ولا وطن بلا دين ولا دين بلا وطن، والمسلم في سبيل عقيدته يجاهد حتى ينتصر أو يموت في سبيل أمته ووطنه،



وبذلك ترتفع راية الحقّ شامخة، ويعيش المسلم آمناً في دياره عزيزاً في دنياه، وقد حقّق الله له وعده: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ثمّ خلف بعد ذلك خلفاً أهملوا أمر ربّهم، فلم يتّخذوا عدّة تمنع حرّمتهم، ولم يتزوّدوا بقوة تزدود عن حماهم، فتنازعوا وفشلوا، واتّخذوا أعداءهم أولياء ضدّ إخوانهم، فذابت في بلادهم عناصر الدّفاع عن الوطن، وماتت في نفوسهم نوازع الكفاح دون النّفس، فتحكّم الأعداء فيهم بعد أن غلبوهم على أنفسهم، وسيطروا عليهم، فعاشوا في أوطانهم غرباء وفي ديارهم أذلاء.

هذا هو الاستعمار الذي ابتلي به المسلمون في عصورهم الأخيرة، إنّه أكبر ذلّة نزلت بهم، وأكبر صفة وجّهت إليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، ولئن كانت بلاد المسلمين معظمها قد تحرّرت بحمد الله فما زال في بعضها سيطرة للعدوّ الأثيم، وكفاح في سبيل التخلّص من ظلمه، ولن تتمّ للمسلمين عزّة إلا إذا طهّروا بلادهم من رجس العدو، ولن ترتفع لهم راية إلا إذا اجتمعت كلمتهم ضدّه، ولن توهب لهم الحياة الطّيبة إلا إذا تواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر وجاهدوا في الله حقّ جهاده.

أمّا تحمّل العار طلباً للبقاء في هذه الحياة على أيّ صورة فذلك حُمقٌ وجُبْنٌ وذلّة، فإنّ الفرار لا يُطيلُ في الأجل، والإقدام لا يُنقصُ من العمر، وإنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

يا عباد الله، إنّ الموت يدرك العزيز وله أجره، ويصيب الدليل وعليه

وزره، فكونوا أعزّة وموتوا كراماً لَمَّا كان لا يفلت من الموت إنسان.

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضَلٌ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ [محمّد: ٧-٩].



الاعتراف بالفضل فضيلة

في يوم (٢٥/٦/١٩٦١م)

صرّح عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق بأنّ الكويت قضاءٌ من
أفضية العراق تابع للواء البصرة، وأنّه سيضمُّ بالقوّة إلى العراق وتحديّ
اعتراض الدُّول واحتجاج حكومة الكويت، وفعلاً حشد قواه وساقها
لاقتراح جريمته، ولكنّ الله سلّم، وكنت خطيب مسجد الدّيمة فقلت:
وبالله التّوفيق:



في الأسبوع الأوّل (٣٠/٦/١٩٦١م)

(١٧)

الحمد لله مالك الملك، يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، بيده الخير،
وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وأشهد أنّ
محمّداً عبده ورسوله، بشرّ بالحقّ، ونصر الحقّ، وأبان أنّ الغلبة للحقّ



﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
أَمَّا بَعْدُ:

فاتَّقُوا اللهَ - أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - واحمدوه في السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْمَدُ فِيهِمَا سِوَاهُ، وَقَدْ كُنَّا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ فَرَحِينَ مَسْرُورِينَ بِاسْتِقْلَالِ كُوَيْتِنَا الْحَبِيبِ وَبِتَوْفِيقِ أَمِيرِنَا - أَطَالَ اللهُ عَمْرَهُ - لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، نَتَكَلَّمُ فِي الْعِزَّةِ وَمَكَانَةِ الْعِزَّةِ فِي الدِّينِ وَالْمَجْتَمَعِ، بَيْنَمَا نَحْنُ فِي غُرَّةِ الْفَرْحَةِ هَذِهِ، لَمْ يَمُضْ عَلَيْهَا أُسْبُوعٌ وَاحِدٌ، وَإِذَا بِبَغْدَادٍ تَذِيعُ مَا أَذَاعَتْهُ زُورًا وَبِهْتَانًا، وَرَغْبَةً فِي إِرْهَابِ شَعْبِ آمِنٍ مَطْمَئِنٌّ مَا زَالَ عَلَى فِطْرَتِهِ الَّتِي فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهَا مِنْذُ عَاشِ فِي التَّارِيخِ بِلَدِهِ وَحُكَّامِ بِلَدِهِ، وَإِذَا بِكِيَانِ هَذَا الْبَلَدِ يَهْتَرُّ لِهَذَا الْخَبَرِ، فَيَرْهَبُ الْمَطْمَئِنُّ وَيَخَافُ الْآمِنُ، لَكِنَّ رَبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٍ، وَلِلشَّدَائِدِ فَضْلٌ عَلَى الْبَشَرِ، فَمِنْذُ الْقَدَمِ عَرَفَ الْإِنْسَانُ بِهَا عَدُوَّهُ مِنْ صَدِيقِهِ، فَمَا كَادَ الشَّعْبُ يَسْمَعُ هَذَا الْخَبَرَ حَتَّى هَبَّ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِ ثَائِرًا غَاضِبًا مُسْتَنَكِرًا بِيَانِ بَغْدَادِ فِي مَظَاهِرَاتِ صَاحِبَةِ مَلَأَتْ الشُّوَارِعَ وَالْمِيَادِينَ مَلْتَفَّةً حَوْلَ أَمِيرِ الْبِلَادِ وَحُكَّامِ الْبِلَادِ، بِأَذْلِينَ النَّفْسِ دِفَاعًا عَنِ الْوَطَنِ الْغَالِيِ وَشِيُوخِهِ، لَا يَرِيدُونَ عَنْهُمْ بَدِيلًا، وَإِنَّهُ لَشَعُورٌ فَيَاضٌ كَانَ مَخْفِيًّا فِي الْقُلُوبِ، مُسْتَوْرًا فِي حَنَائِ الْصُّدُورِ، وَلَوْلَاهَا لَمَا بَانَ.

أيُّهَا الْإِخْوَانُ، يَا أَبْنَاءَ الْكُوَيْتِ، وَيَا أَيُّهَا الْمَسْتَوْتُونَ فِي الْكُوَيْتِ مِنْ أُنْحَاءِ الْبِلَادِ، إِنَّ الْكُوَيْتِ بِلَدٌ لَمْ يَعْرِفْهُ التَّارِيخُ بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَ قَرْنَيْنِ وَنِصْفِ الْقَرْنِ مِنَ الزَّمَانِ، وَمِنْذُ ظَهَرَ عَلَى صَفْحَاتِ التَّارِيخِ وَهُوَ مَأْوَى

للغريب، ومأمناً للخائف، وملجأً للفقير والمعوز، وملاذً للمكروب، ومجيراً للمنكوب، وسيبقى هكذا إن شاء الله.

عاش أهله في أمنٍ وراحةٍ وعاش اللاجئون في رعاية أهل الكويت التي عُرِفَتْ بهم وعُرِفُوا بها، فلم يرضَ أهل الكويت عنهم بديلاً منذ أن وجدت الكويت سنة (١١٣٠هـ)^(١).

ومنذ ذلك الحين وأهل الكويت وحُكَّامها أهلٌ برٌّ وإحسان، أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وحكموا بالعدل، وأعانوا الضَّعيف، وأطعموا الجائع، وأكرموا الضَّيف، ووصلوا كلَّ من استعان بهم على نوائب الدَّهر، وقاموا بالواجب نحو كلِّ مواطن حلَّ في هذا الوطن الآمن، ومن سَمِعَ ليس كمن رأى، فكلُّكم - أيُّها الإخوان - عَرَفَ ذلك، فيا مَنْ في قلبه ذرَّةٌ من الإنصاف، ويا محبَّاً للعدل، ويا أيُّها المؤمن بنصر الله، كُنْ مع الحقِّ، فالكويت ليس وطناً للكويتيين فقط، إنّما هو وطنٌ لي ولك ولكلِّ مستوطن فيه، فالغريب لا يشعر فيه بغربته؛ لأنَّه يُعامل معاملة أهل البلاد، فله ما لهم وعليه ما عليهم.

إنَّ خيانة الوطن كفر، وحبُّ الوطن إيمانٌ، ولن تروا - والله - وطناً كالكويت مهما كان، فأهله أهلٌ برٌّ وصفاء ومحبةٍ وكرم وحسن ضيافة، ولن تروا - والله - كالكويت بلداً يعيش الغريب فيه آمناً في سربه، حُرّاً في كَسْبِهِ، مطمئناً على نفسه وماله وعرضه، لن تروا - والله - كالكويت بلداً صُدِّرَ الخير منه للبلاد جميعها؛ العربيَّة والعجميَّة، القريبة والنائيَّة، المسلمة وغير المسلمة، ولن تروا - والله - كالكويت بلداً بذلَّ

(١) أي: سنة (١٧١٨م).



حُكَّامه الرَّخِيسِ وَالغَالِي فِي إِسْعَادِ الْمَوَاطِنِ وَالْمُسْتَوِطِنِينَ، فَفَتَحُوا الْمَدَارِسَ لِلتَّعْلِيمِ وَعَمَّرُوا الْمَسْتَشْفِيَّاتِ لِلْمَرْضَى وَالْمَلَاجِئِ لِلْعِجْزَةِ وَالْمَعَابِدِ لِلْعِبَادِ.

أليس ذلك بجدير أن يُقَدَّرَ، بواجبٍ أن يُشكر؟! ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [التَّمَلُّ: ٤٠].

أَحِبُّوا - أَيُّهَا النَّاسُ - هَذَا الْبَلَدِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَهُ، وَانصُرُوا حُكَّامَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ قَالَ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي فِيهِ خَيْرُكُمْ وَسَعَادَتُكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَهَلَكَكُمْ إِنْ تَرَكْتُمُوهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٧].

يَا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الدَّفَاعِ عَنْ هَذَا الْوَطَنِ الْحَبِيبِ وَعَنْ كُلِّ قَلْبٍ ذَاقَ فِيهِ الرَّاحَةَ، وَطَعِمَ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَمِنَ فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ.

يَا عِبَادَ اللَّهِ، كُونُوا مَعَ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ نَاصِرٌ لِلْحَقِّ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَنْ يَغْلِبَهُ غَالِبٌ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٠].

إِنَّكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي الدَّفَاعِ عَنْ هَذَا الْوَطَنِ إِنَّمَا تَدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، وَالدَّفَاعِ عَنِ الْمَالِ وَالْعَرَضِ جِهَادًا، وَالْمَوْتِ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ شَهَادَةً، إِنَّكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - فِي الدَّفَاعِ عَنْ هَذَا الْوَطَنِ تَصَدُّونَ مَعْتَدِيًّا، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البَقَرَةَ: ١٩٤]، فَهَذَا دِفَاعٌ مُشْرُوعٌ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَسَبِيلِ الْأُمَّةِ، وَسَبِيلِ الْوَطَنِ وَنَصْرَةِ الْمَظْلُومِ وَدَحْرِ الظَّالِمِ.

أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كِتَابًا فِيهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَلِهِمْ ﴿٣٢﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَنَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْزِلَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [مُحَمَّدٌ: ٣٢-٣٥].

فَأَطِيعُوا اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَكُونُوا مَعَ اللَّهِ يَكُنْ مَعَكُمْ، وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَضَعُفُوا أَمَامَ عَدُوِّكُمْ يَكُنْ اللَّهُ مَعَكُمْ كَمَا وَعَدَكُمْ، ﴿وَلَا تَنْزِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٤٦]، وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا، وَتَذَرَّعُوا بِالتَّقْوَى، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ.

وقلت في الثانية :

عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:

[٥٧]، وبعد:

فَقَدْ قَضَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ - وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ - أَنَّ الْإِنْسَانَ خَاسِرٌ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَتَوَاصَى وَأَخُوهُ عَلَى الْحَقِّ وَالصَّبْرِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، وَنَحْنُ قَدْ أَكْثَرْنَا الشُّكُورَى مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ وَظُلْمِهِ، وَالزَّمَانُ لَا يَظْلِمُ وَلَا يَجُورُ، لَكِنَّا نَحْنُ الظَّالِمُونَ؛ لِأَنَّنا غَفَلْنَا أَوْ تَغَافَلْنَا عَنِ الصَّالِحَاتِ وَعَمَّا بِهِ أَوْصَانَا رَبُّنَا، وَنَسِينَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [التحل: ٩٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا



وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦].

أنعم الله علينا بنعمٍ شتى فما شكرنا نعمه، بل جعلنا هذه النعم وسيلةً لإتيان المنكر وارتكاب المعاصي، ولم نستح من الله ولا من خلقه، ولا اعترفنا بذنب.

أيها الإخوة المسلمون، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [التحل: ١١٢] فقد منَّ الله علينا بأن فتح لنا باب خيرٍ عظيم همع^(١) وبله^(٢) وفاض سيله على البعيد والقريب، وارتوى منه القريب والغريب، ونحن آمنون في أوطاننا مطمئنون على رزقنا، تأتينا النعم من كلِّ مكان، وكلِّما سدَّ علينا عدوُّنا بابًا فتح الله لنا من فضله أبوابًا، فإن لم نعمل الصَّالحات إيمانًا بالله وامتنانًا لأمره، ولم نتواصَّ بالحقِّ والصَّبر فلن نأمن عذاب الله الذي به وعد العاصين من عباده.

أيها المسلمون، اسألوا الله تعالى ألا يجعل ذلك استدراجًا منه، وآمنوا بالله واتَّقوه وأطيعوه، وتعاونوا على فعل الخير وبذل النفع يزدكم خيرًا على خير، ونعمةً على نعمة، ولا تجعلوا نعم الله عليكم وسيلةً إلى البطر أو المعصية، فإنَّ الله أهلك قومًا بطروا معيشتهم، وقال لنا مُخبرًا عنهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَالَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القَصص: ٥٨].

(١) همع: سال. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٤١٠).

(٢) الوبل: المطر الشديد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٦٢).

عباد الله، أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم، وتعاونوا معهم على البرِّ والتَّقوى، والدِّفاع عن هذا الوطن الحبيب الَّذي وُلِدتم على ترابه، وأكلتم من خيراته برّه وبحره، وعشتم في هوائه وتحت سمائه، أحبُّوه فَإِنَّ حَبَّ الوطن من الإيمان، ودافعوا عنه فَإِنَّ الدِّفاع عن الوطن جهادٌ في سبيل الله، وانصروه ينصركم الله ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

نكران الجميل جريمة والجماعة رحمة

وفي الأسبوع الثاني (٧/٧/١٩٦١م)

(١٨)

عباد الله، اتَّقوا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، وبعد:

فمنذ أسبوعين ونحن في حال لا نحسد عليها، فالأراجيف^(١) في الإذاعات سببت قلقاً في النفوس، وكساداً في الأسواق، وعطلاً في الأعمال، وكأنَّما صدق فينا وعيد الله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّادِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(١) الأراجيف: ملاقيح الفتن. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٧٩/٨).



أيها الإخوة، قلنا في الجمعة الماضية: إنَّ الكويت كانت وما زالت يعين أهلها على النَّوائب، ويفرِّجون الشَّدائد، ويأمن عندهم الخائف، ويهنأ بينهم الشَّقِيّ والبائس، حتَّى إذا أتمَّ الله عليهم نعمته قاموا بما يجب عليهم من عون للجار والمستجير، فشغَّلوا العاطلين، وعلموا الجاهلين، وآووا وأجاروا، وأنقذوا من بؤس، وداووا من مرض، وكلُّنا يفهم ذلك، ولا فخر؛ إنَّما نتحدَّث بنعمة الله علينا امتثالاً لأمره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

ألا إنَّ نكران الجميل عند العرب جورٌ، وفي الإسلام كفرٌ، وجور الجار عند العرب عيبٌ، وهو في الإسلام معصيةٌ وإثمٌ كبيرٌ.

وإنَّ السُّكوت على العدوان ذلَّةٌ نهى عنها الإسلام، وعجز لا يرضاه الله لمسلم ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

أيها المسلمون، نرى ويرى العقلاء، ويرى الدين؛ أن يُعين الأخ أخاه إذا كان معتدياً أو معتدي عليه، فالله ﷻ قال لنا في كتابه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظالماً أو مظلوماً» فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجُّزه»، أو تمنعه من الظلم فإنَّ ذلك نصره^(١)، فالدِّفاع عن بلد كالكويت اعتدي عليه جوراً وبُغي عليه ظلماً

(١) رواه البخاري، رقم (٦٩٥٢).

أمرٌ واجب على كلِّ من في قلبه ذرَّةٌ من وجدان أو ذرَّةٌ من إيمان، واجب على كلِّ إنسان أضحت حنايا صدره ضميرًا حيًّا وروحًا عادلةً، فالدِّفاع عن بلد كالكويت واجبٌ على كلِّ إنسان استثمر فيه، وأكل من خيراته، وأمِّن فيه على نفسه وماله ورزقه، فاتَّقوا الله - أيُّها المسلمون - وهبُّوا إلى نصرته واعلموا أنَّ الله معكم؛ لأنَّ نصر المظلوم حقٌّ، وردَّ الظالم حقٌّ، والله مع الحقِّ، ولن يَغْلِبَ الله غالب.

أيُّها النَّاس، قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فالصَّبْر واجبٌ على شرط ألا يكون ذلك استسلامًا للأمر الواقع، إنَّما الصَّبْر الَّذي أمر الله به أن نأخذ بالعدَّة للحوادث، وأن نعتد بالصَّبْر على الله ثمَّ على إخوة شاركونا في الدِّفاع عن حمانا، إنَّ الله يقول لنا بعد أن أوصانا بالصَّبْر في الآية المتقدِّمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] مؤكِّدًا الوصيَّة بالصَّبْر والتَّواصي به بأخذ العدَّة للدِّفاع والتَّدرع بالتَّقوى؛ فإذا فعلنا ذلك أفلحنا.

والمؤمن كثير بإخوانه قويٌّ بهم؛ لأنَّ القوَّة لا تكون بالكثرة ولا بالشَّجاعة ولا بالعدَّة، إنَّما تكون بالألفة واتِّحاد الوجهة وعدم الخلاف بالقصد، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول رسوله الكريم ﷺ: «يد الله مع الجماعة ومن شدَّ شدَّ إلى النَّار»^(١).

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢١٦٧)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.



إِنَّ الشَّعْبَ لَا يَقْوَى بِكَثْرَةِ أَفْرَادِهِ، وَلَكِنْ بِالتَّفَافِ أَفْرَادِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَإِنَّ الْأُمَّةَ لَا يَقْوَى بِكَثْرَةِ عَدَدِهَا، وَلَكِنْ بِنِضَالِ شُعُوبِهَا وَاتِّحَادِ وَجْهَاتِ وَلَاتِهَا، وَتَفَانِي بَعْضِهَا فِي سَبِيلِ كُلِّهَا، وَقَدْ أَنْذَرْنَا نَبِيَّنَا ﷺ مِنْ الْفِرْقَةِ فَقَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِرَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

وقد كان المسلمون في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه قليلين يحيط بهم العدو الكافر من كلِّ جانب، نصرهم الله بالألفة، وأيدهم بالتضامن والمحبة وتوحيد الكلمة، وحذَّهم من مغبة^(٢) الخلاف، فقال لهم: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فانتَهوا ولم يختلفوا.

وكان المسلمون في القرون الأولى للإسلام أمةً عزيزةً سلطانها، قويُّ جيشها، مرهوب جانبها، ولم يكن ذلك بكثرة العدد ولا وفرتة، ولكن بوحدة الصَّفِّ وألفة القلوب وجمع الشَّمْلِ وطاعة الأمر وإنكار كلِّ فرد ذاته في سبيل دينه وعزة أمته، فهم كما وصفهم ربُّهم: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهم: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

أيُّها الإخوة المسلمون، لقد كان الإسلام قبل الهجرة ضعيفاً، وكان المسلمون في مكة مضطَّهدين مستضعفين، آذاهم المشركون وعدُّبوهم،

(١) رواه أبو داود، رقم (٤٢٩٧).

(٢) المَغَبَّةُ: العاقبة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣/٤٥١).

ونالوا النَّبِيَّ ﷺ بأنواع الأذى فذهب ﷺ إلى الطائف، يستنصر بكفرةٍ ضدَّ كفرةٍ، ليستعين بزعماء ثقيف الكفار على أهل مكة الكفار ليؤدي رسالة ربه كما أمر.

ولمَّا رجع إلى مكة من دخولها فاحتفى بالمطعم بن عديٍّ، وهو كافرٌ فحماه^(١)، وبعد الهجرة ساكن اليهود في المدينة، واليهوديُّ مفطورٌ على الدسِّ والغدر والفتنة، ولمَّا أحسَّ الشرَّ منهم عقد معهم عهداً على أن لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدواً وإن يدهمه في المدينة عدوٌّ ينصروه ضدَّ عدوه.

فيا أمة محمد ﷺ، إن لنا في هذا الرسول أسوة حسنة، وليس على من تأسى بهذا الرسول لومٌ لمَّا كان في هذا حفظٌ للعزة والكرامة والشرف والدين، وإن للضرورة أحكاماً، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

[التوبة: ٣٨-٣٩].



(١) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (١/١١٦).



يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ

وفي الأسبوع الثالث

(١٩)

عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ، وَاسْأَلُوهُ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَابْعَدُ عَمَّا يُؤْجِبُ سُخْطَهُ وَعِقَابَهُ.

واعلموا أَنَّ دِينَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينَ عَمَلٍ، يُوَاجِهُ الْحَقَائِقَ، وَلَيْسَ دِينَ جُمُودٍ أَوْ رُكُودٍ أَوْ رَجَعِيَّةٍ، إِنَّمَا هُوَ دِينٌ حَيٌّ يُجَدِّدُ لِلْمَجْتَمَعِ حَيَاةً تُوَافِقُ وَقَائِعَ الزَّمَنِ، وَتَخْلُقُ لِلْفَرْدِ رُوحًا وَتَسَايِرَ رُكْبِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ، وَإِذَا لَمْ تَفْهَمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - ذَلِكَ فِي دِينِكَ فَقَدْ جَهَلْتَ الْإِسْلَامَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَرِيدُ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تَعِيشَ بِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ وَأَعْيُنٍ بَصِيرَةٍ وَأَذَانٍ سَامِعَةٍ، فَأَيُّ دِينٍ أَرَادَ لِأَتْبَاعِهِ ذَلِكَ؟!!

فاجعل لك - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - من تعاليم دينك ما يجعل منك عضوًا صالحًا في جسم هذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، لا أمة مفرطة حائرة، ولا أمة جامدة مستكينة.

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَالتَّنَازَعُ سَبِيلُ فَشَلِ الْأُمَّةِ، وَتَفْرُقُ الْكَلِمَةُ وَسِيلَةً لِعَدَمِ النَّجَاحِ فِي الْمَقْصُودِ، وَالْأُمَّةُ تَضْعَفُ مَتَى تَنَازَعَتْ، وَيَطْمَعُ فِيهَا الطَّامِعُونَ إِذَا انْشَقَّتْ، وَتَعِيشُ مَغْلُوبَةً عَلَى أَمْرِهَا، ذَلِيلَةً أَمَامَ أَعْدَائِهَا، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبَاشِرَ إِصْلَاحَ نَفْسِهَا وَتُدَبِّرَ شُؤْنَهَا مِنْ حِفْظِ

لحريتها وبقاء لعزتها .

والنهي عن التنازع إنما هو أمرٌ بالتآلف والتعاون والتضامن والتواصي بالحق والصبر، وكتاب الله غنيٌّ بكلِّ ذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ٣]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] .

واختلاف الكلمة عذابٌ على الأمة وهو فيها جريمةٌ، وقد حدثنا رسول الله ﷺ فيما روي عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمةٌ، والفرقة عذابٌ»^(١) .

إننا متى تذكّرنا تاريخ العرب قبل بعثة النبي محمد ﷺ علمنا أنّ العرب أمة طمع فيها الظامعون؛ بسبب تفرقتهم، حتى إذا بعث محمد ﷺ كان رحمة للناس وهداية لهم وجمعاً لكلمتهم، فأعزّهم الله به بعد ذلّة ورفعهم به بعد ضعة^(٢)، واستخلفهم بعد استعباد، يقول تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التور: ٥٥] .

ولم يأتِ ﷺ بشدة، وإنما جاء مبشراً، وكان كما وصفه ربه رؤوفاً رحيماً، ممثلاً أمر ربه إذ قال: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥] ،

(١) رواه أحمد، رقم: (١٨٤٤٩) .

(٢) الضعة: الذلُّ والهوان والدناءة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٤٠/٢٢) .



﴿أُدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فلم يقابل ﷺ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ إِلَّا عَلَى الْمُعْتَدِي الَّذِي لَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْإِحْسَانُ.

فكيف بجارٍ جَارَ عَلَى جَارِهِ وَاعْتَدَى عَلَيْهِ وَأَضَرَّهُ، فَأَجَابَهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَلَكِنْ لَمْ تَفِدْهُ الْحَسَنَى؟! فَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ الْقُرْآنُ: ﴿فَكَرَّ وَفَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]، ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [المدثر: ٢١-٢٣]، وَكَذَّبَ عَلَى التَّارِيخِ وَالْوَقْعِ، وَاعْتَنَمَ ضَعْفَ الْجَارِ وَكَادَ كِيدَهُ، لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ، يَمْهَلُ الظَّالِمَ وَلَا يَهْمَلُهُ حَتَّى يَأْخُذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ وَسِيلَةٍ لَصُدِّ هَذَا الْمُعْتَدِي إِلَّا أَنْ نَمْتَثِلَ أَمْرَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فَهُوَ أَمْرٌ لَا مَفْرَاقَ مِنْهُ، وَاجِبٌ اتِّبَاعُهُ لِحِفْظِ الْكِيَانِ، وَأَوْامِرٌ أُخْرَى لَا بَدَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّبِعَهَا؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وَإِذَا اسْتَعْرَضْنَا التَّارِيخَ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ دَاءٌ فَتَّاكَ فِي الْأُمَّمِ كَانِحِلَالِ الْخُلُقِ وَسِرْيَانِ الْفَسَادِ فِيهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَرٌّ مَهْلِكٌ لِلْأُمَّةِ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَتَعَاوَنَ أَبْنَاؤُهَا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَإِنَّ أُمَّةً فَسَدَتْ فِيهَا الْأَخْلَاقُ وَتَعَاوَنَ أَفْرَادُهَا عَلَى الشَّرِّ لَا بَدَّ أَنْ تَقَعَ فَرِيْسَةٌ لِدَاهِيَةِ دَهْيَاءِ^(١) أَوْ طَامَّةٍ^(٢) كَبْرَى.

(١) الدَّهْيَاءُ: هِيَ الشَّدِيدَةُ مِنْ شِدَائِدِ الدَّهْرِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/٨١).

(٢) الطَّامَّةُ: الدَّاهِيَةُ؛ لِأَنَّهَا تَغْلِبُ مَا سِوَاهَا. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٣/٢٥).



فاسألوا الله السَّلامَةَ - أيُّها النَّاسُ - من الأمراض الخُلُقيَّةِ، واجعلوا لكم من دينكم حارسًا يحفظ أخلاقكم عليكم لتكون درعًا لكم أمام حوادث الدَّهر وفتن الأعداء، واجعلوا لكم من إيمانكم قوَّةً تُبَعِّدُ اليأسَ منكم إذا واجهتم الأخطار، فإنَّ اليأسَ موتٌ للأُمَّةِ، وليس كالإيمان بالله الذي هو مدد يدفع عن المؤمن القلق ويدخل عليه الطُّمأنينة.

أيُّها النَّاسُ، منذ قضيَّة فلسطين ونحن نتابع الحوادث، لعلَّ حادثة تبعث الحياة في هذا الجسم المريض، جسم الأُمَّة الإسلاميَّة، وقد سمعنا في أوَّل صفر سنة (١٣٧٨هـ)^(١) أنَّ دول الجامعة العربيَّة قد اتَّفَقوا على جمع كلمتهم ضدَّ أعدائهم، وأن يدافع بعضهم عن بعض، ويصلح بعضهم أخطاء بعض، ويحلُّوا مشكلاتهم بأنفسهم من غير حاجةٍ إلى تدخُّل أجنبيِّ.

وكان هذا الخبر صفة في وجوه الأجانِب وكان له دويٌّ أقلق راحتهم، لكن سرعان ما تراجع بعض هذه الدُّول عن تنفيذ هذا القرار، حتَّى إذا كُنَّا أمام الواقع فاعتدى جارنا علينا نهضت بعض الدُّول العربيَّة لمؤازرتنا وسكتت الأخرى، فاضطررنا إلى اللُّجوء إلى دولة غربية عنَّا في ديننا ولغتنا وجنسنا، وإذا بنا نسمع أمس خبرين مفرحين تنفَّسنا بهما الصُّعداء؛ أوَّلهما: انتصار الجزائر في نضالها ضدَّ الظلم والعدوان ثماني سنواتٍ أو تزيد.

والثَّاني: إقرار مندوبي الدُّول العربيَّة في جامعته بخطأ الجار الجائر علينا، ومعاونتهم المظلوم على الظالم بالوسائل جميعها.

(١) أي: سنة (١٩٥٨م).



وهذه خطوة نسأل الله أن يجعلها الأولى، وتتبعها خطوات أخرى تسير بالأمة من نصر إلى نصر.

إننا نحمد الله على ذلك ونسأل الله أن يزيدنا من كرمه كرمًا ومن فضله فضلًا، فهنيئًا للجزائر حرّيتها، وهنيئًا للعرب جمع كلمتهم ضدّ العدوان.

اللَّهُمَّ وَفِّقِ السَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ، واجعلنا يا ربنا راشدين مرشدين، هادين مهتدين، صالحين مُصلِحِينَ، واهدِ ولاتنا إلى الحقِّ وإلى الطَّريقِ المستقيمِ.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَعَعُوا لَكُمْ فَآخَظَهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ شَرٌّ مُّوَدَّ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].



بمناسبة أسبوع المرور

في (٢٩/٣/١٩٦٢م)

(٢٠)

الحمد لله أحسن الخالقين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد المرسلين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَتَمَسَّكُوا بِأَمْرِهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ أَبَدَعَ الْإِنْسَانَ



فأحسن تقويمه، وصوّره في أحسن صورة، وميّزه على سائر الحيوان بالعقل، وزوّده بالمعرفة، وكلفه بالمحافظة على نفسه، وجعل له قيادة الدُّنيا وعمارتها، ولا تكون هذه القيادة مسيطرة وهذه العمارة قائمة إلا بالمحافظة على النُّظام والابتعاد من كلِّ ما يخلُّ به.

والأمن والنُّظام والصِّحة نعم يهبها الله للصّالحين المصلحين، وهي نعمٌ يُحسدُ عليها كثيرٌ من النَّاس، وقد قيل: نعمتان مجهولتان لا يعرفهما إلا من فقدهما: الأمن في الأوطان، والصِّحة في الأبدان، وهذا تصديقٌ لقول الرّسول ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحة والفراغ»^(١)، وفي الحديث أنّ الرّسول ﷺ قال أيضًا: «من أصبح منكم آمنًا في سربه مُعافًى في جسده عنده قوتٌ يومه فكأنما حيزت له الدُّنيا»^(٢).

وصحة الأبدان لا تكون إلا بالمحافظة على النَّفس؛ طاعة الله الذي نهانا أن نلقي بها إلى التَّهلكة، ولا يتأتى ذلك إلا إذا باعدنا بينه وبين مسببات الأمراض والمهالك، وقديمًا قال الإنسان: درهم وقاية خير من قنطار علاج^(٣).

أمّا اليوم فلنحافظ على كيان هذا الجسم من الحوادث، وما أكثرها في حياتنا، فهي تلاحقنا في كلِّ مكان، وتحيط بنا من كلِّ جهة، وقد نجرُّ أنفسنا إليها جرًّا، وأكثر الحوادث في السنين الأخيرة حوادث السيَّارات

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٤١٢).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٦).

(٣) انظر: القواعد الفقهيّة، للزحيلي (٨٦١/٢).



التي أودت بحياة كثير من الناس أو سببت شللاً لأحدهم، ولو رجعنا إلى سجلات شرطة المرور أو سجلات دوائر الصحة لرأينا الهول والفناء، ولرأينا أكثر الوفيات سببها الطريق، وما مصدر هذا البلاء إلا تهوُّر السائقين.

ماذا يفوتهم لو ساروا على مهل؟! ماذا يخسرون لو انتبهوا إلى حركة السيارة؟!!

والسيارة معدة بوسائل السلامة جميعها للراكب والماشي، ولم يتركها مخترعها هملاً، إنما جعل لها وسائل لو استعملها السائق لكسب السلامة له ولغيره.

السائق المهذب، الراقى فكره، الكريم خلقه، هو الذي يتوقى ضرر نفسه ويسعى في راحة الآخرين، وهو الذي يجتهد ليوقف أمر الحوادث عند حدودها، ويزن الأمور بالميزان الصحيح.

إننا لو اتبعنا تعاليم ديننا لكتنا أسعد الناس في مختلف أحوالنا، وكتنا المثل الأعلى للعالم أجمع في مسالك الخير ومدارجه، وإن الله يقول لنا في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٢].

ويقول رسوله الكريم ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١)، فالمؤمن الصادق من يأمن الناس شره وأذاه، ويسلمون من لسانه ويده.

(١) رواه البخاري، رقم: (١٠)، ومسلم، رقم: (٤١).



فلنكن - أيها المسلمون، كما أراد الله ورسوله لنا - مسلمين مؤمنين، ولنمنع غيرنا من أذانا، ولنتعاون مع حكومتنا فيما تنشده من سلامة للمواطنين وراحة للشعب، وخير للأمة، فالتعاون بين الحاكم والمحكوم يحفظ الوطن ويسعد أهله ويوطد أركان العزة لهم بين الأمم، ولنتعاون مع الحكومة على المحافظة على الأرواح، فالوطن محتاج لهذه الأرواح؛ لتكثير سواد الأمة، والمحافظة على رجالها.

الإسلام دين العافية والمعافاة، فحافظوا على الفرد تسلم الأمة؛ لأنَّ الفرد لينة في بناء الجماعة، والبناء الشامخ أصله لبنات جُمعت وُصفت بعضها إلى بعض، والجماعة لا تكوّن إلا من أفراد متآلفين.

يخبرنا ديننا أن من أساء إلى الآخر فليس بمسلم، ومن أذى الآخر فليس بمؤمن، وأن من الإيمان إمطة الأذى عن الطريق، فقد قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١)، والأذى هو شوك أو حجر، فكيف بسيارة من حديد تسير بقوة النار والكهرباء يقودها مستهتر بأرواح الناس، مهووس في عقله، مغرور بسيارته التي يقودها، لا يرمى في الماشين إلا ولا ذمة، ولا يراهم إلا كالهباء أو الغشاء.

أيها الناس، أيها المسلمون، نستقبل غداً أسبوع المرور الذي قرّرتَه شرطة المرور؛ لتنبه السائقين إلى واجبهم، ويجب أن تكون أسابيع السنة كلّها أسابيع مرور ما دام لا غنى للناس عن ركوب المركبات.

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٦٣١)، ومسلم، رقم: (٣٥).



أيُّها النَّاسُ، تعاونوا مع رجال المرور في أداء مهمَّتهم واسترشدوهم فيما تجهلون، واتَّبِعُوا توجيهااتهم ونصائحهم في كلِّ ما يوجِّهون أو ينصحون، ففي ذلك السَّلامة، والخير كلُّ الخير أن نعمل بنصيحة النَّاصِح، ونهتدي بإرشاد المرشد، وبذلك - أيُّها الإخوة - تخدمون وطنكم وتفيدون مواطنيكم وتحفظون أرواحكم وتقفون صفًّا واحدًا لمجابهة الحوادث متَّحدين متعاونين ممثلين أمر ربِّكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفْوَى﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أيُّها الإخوة، كونوا مع الله يكن الله معكم، وأحسنوا في أعمالكم جميعها يحسن الله إليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، واستغفروا ربِّكم، ثمَّ توبوا إليه إنَّه هو الغفور الرَّحِيم.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) [لقمان: ١٨-١٩].



استقلال الجزائر

في (٢٣/٣/١٩٦٢م)

(٢١)

الحمدُ لله ينصر من استنصره، ويهدي من استهداه، الحمدُ لله الذي أَلَّفَ بين المسلمين بهذا الدِّين، فالمسلم أخو المسلم أينما كان، يفرح

لفرحه ويحزن لمصابه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، بيده الخير، وهو على كلِّ شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ .

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَأَطِيعُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ، يَصْلِحْ لَكُمْ
أَحْوَالَكُمْ وَيَحَقِّقْ آمَالَكُمْ .

وبعد :

فإنَّ من أهمِّ الحوادث في الأسبوع الماضي فوز إخواننا الجزائريين بعد مفاوضات طال أمدها، وقاتل ذاقوا مرَّه سنين، ومكافحة لظالم باغٍ دام أكثر من مئة وثلاثين عاماً .

فالحمد لله الذي بيده الملك يؤتیه من يشاء وينزعه ممَّن يشاء، وهو على كلِّ شيء قدير، وقد جاهد الجزائريون في سبيل الخلاص من ظلم الظالمين مرَّاتٍ عدَّة، وقاتلوا وقتلوا بعشرات الألوف، وما كان جهادهم إجماعياً، إنَّما كان بقيادات عدَّة تشمل مشيخات متفرقة أو قبائل متباعدة أو مقاطعات ينفصل بعضها عن بعض، فلمَّا جمعوا شملهم ووحدوا قيادتهم وألَّفوا بين قلوبهم وتواصوا بالصَّبر على المكاره ووكلوا أمرهم إلى ربِّهم، نصرهم الله وأعزَّهم، أرادوا العزة فاستجاب الله لهم، ووهبوا أنفسهم للموت فوهب الله لهم الحياة، وذلك وعد الله لهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿بِتَائِبَاتٍ



الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ نَضْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُذِيقَهُمْ أَقْدَامَهُمْ ﴿٧﴾ [محمَّد: ٧].

أيها الإخوة، دخلت فرنسا مدينة الجزائر منذ مئة وثلاثين عامًا، وكان فيها من العلماء المسلمين عدد كبير، وفيها من المدارس التي يُدرّس فيها هؤلاء العلماء العشرات، وفيها (١٠٤) مسجد تُقام فيها الصَّلوات ويذكر فيها اسم الله، فأما مدارس العلم فقد قُضيَ عليها، فليس في الجزائر اليوم مدرسة دين.

وأما العلماء فقد قضى الفرنسيون عليهم بعد إهانات وتعذيب في الحروب التي أثارها الوطنيون ضدّهم؛ لأنّهم كانوا يعلمون أنّ العلماء هم مثيروها، فكانوا إذا أسروا عالمًا أجبروه على حمل الأقدار أو كُنس المراحيض أو رعاية الخنازير؛ إهانةً للدين ونكاية بأهله.

أما المساجد فحرّموا تجديدها أو ترميمها، ومنذ احتلت فرنسا أرض الجزائر لم يشيّد مسجد، ولم يصلح من مالٍ وقفٍ؛ لأنّ الأوقاف كلّها أصبحت للغاصب المحتلّ.

ومدينة الجزائر لم يبقَ بها حتّى الأمس القريب سوى خمسة مساجد من أصل مئة وأربعة، والتّسعة والتّسعون مسجدًا حوّلت بعد خرابها إلى مرافق للحكومة كالمخازن والمتاحف والمعسكرات والمراقص والمخامر أو نحوها.

وإنّ الجزائريين قد سجّلوا في سِجَل الشَّرَفِ صفحةً مجد سيذكرها التاريخ لهم ما بقي إنسان على الأرض. إنهم امتحنوا فنجحوا، فقد قدّموا الضّحايا على مذبح الجهاد قطعانًا يتبع بعضها بعضًا ثماني سنوات حتّى زاد عددها على المليون، وقد يُتَمّ مئات الآلاف من الأطفال، ورُمّلت عشرات الألوف من النساء، وتُكَلّ مثلهنّ من الأمّهات، وشُرّد الملايين



من ديارهم بغير حقّ، كلُّ ذلك في سبيل الخلاص من ظلم عدوّ كافر لا يرعى ذمّة ولا يحترم ديناً .

فاحمدوا الله - أيّها المسلمون - على جهاد إخوانكم وفوزهم ونصرهم على عدوّهم، واسألوا الله لهم ثباتاً على الحقّ وتأييداً له، وأن يؤلّي عليهم خيارهم ويبعد شرارهم، ويجعل جهادهم خالصاً لله وفي سبيل الله .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

﴿آل عمران: ٨﴾



بمناسبة أسبوع الصّحة

في (٩) ذي القعدة سنة (١٣٨١هـ) - الموافق ١٣/

(١٩٦٢م)/٤

(٢٢)

الحمد لله خلق الداء والدواء، وجعل لكلّ مرض شفاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الشدّة والرّخاء، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله أنزل عليه كتابه بالرحمة والشفاء، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه البررة الأصفياء كافّة، أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله، واشكروا له نعمه يزدكم من واسع فضله، واعلموا أنّ الصّحة في الأبدان نعمة، وهي كما قيل: تاج على رؤوس



الأصحاء لا يراه إلا المرضى .

إنَّ الإسلام أمرنا بالمحافظة على هذه الصَّحَّة، فقد قال رسول الله ﷺ: «نفسك مطيئتُك فارفقُ بها»^(١)؛ أي: لا تحمِّلها ما لا تطيق، وإن أصابك مرضٌ أو ضَعْفٌ فعالج المرض بالدَّواء والعلاج، وعالج الضَّعف بالرَّاحة والرَّفق؛ فإنَّك لا تصل إلى مقاصدك بجسمٍ عاجزٍ أو مريضٍ .

والإسلام دينٌ يأمرنا أن نحافظ على نِعَمِ الله علينا، وأن نشكره بأداء ما أوجِبَ؛ وعلمنا أنَّا علَّمونا أن: ما لا يتم الواجبُ إلاَّ به فهو واجبٌ^(٢)، والواجبات كثيرةٌ ولا يقوم بأدائها كاملةً إلاَّ جسمٌ صحيحٌ؛ لهذا كانت المحافظة على صحَّة الجسم أمراً واجباً أمرنا الله به بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]، وأمرنا نبيُّه ﷺ به بقوله: «نفسك مطيئتُك فارفقُ بها»^(٣) .

أيُّها المسلمون، الإسلام دين الصَّحَّة، والصَّحَّة والعافية شيءٌ واحدٌ .
ومن الدُّعاء الَّذي علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو به: «اللَّهِمَّ متَّعني بسمعي وبصري حتَّى تجعلهُما الوارث منِّي، وعافني في ديني وجسدي، وانصُرني ممَّن ظلمني حتَّى تريني فيه ثاري، اللَّهِمَّ إنِّي أسلمتُ نفسي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، وخليتُ وجهي إليك، لا ملجأً منك إلاَّ إليك، أمنت برسولك الَّذي أرسلت، وبكتابك الَّذي أنزلت»^(٤) .

(١) انظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لشهاب الدين الحسيني (١) / (١٠٢) .

(٢) انظر: الأشباه والنظائر، لتاج الدين السُّبكي (٢) / (٨٨) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم (١٩٣٣) .

ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِي وَأَمِنْ رُوعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمَنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظْمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١).

ومنه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ»^(٢)، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»^(٣).

ومنه: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٤).

إلى غير ذلك من الأدعية التي إن دلت فإنما تدلُّ على كرامة هذا الجسم ووجوب المحافظة عليه، والإسلام علمنا أن الوقاية أفضل من العلاج؛ لهذا أوجب النِّظَافَةَ علينا وجعلها طهارة وعبادة يُثَابُ المرء على فعلها ويعاقب على تركها وإهمالها.

والإسلام بُني على النِّظَافَةِ، فهي من الإيمان، والإنسان التَّنْظِيفُ مَحَبَّبٌ إِلَى صحبه، مَكْرَمٌ بَيْنَ إخوانه، قَرِيبٌ إِلَى قلوبهم بخلاف ذلك القدر، تَأْنِفُ الأنوفُ مِنْ رِيحِهِ، وَتَشْمِزُّ العيونُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَتَأْبَى النُّفُوسُ قَرْبَهُ، فَهُوَ مَهَانٌ أَيْنَمَا وُجِدَ وَثَقِيلٌ أَنَّى حَلَّ.

وَلَمَّا كَرَّمَ اللهُ ﷺ ابْنَ آدَمَ فِي جَسَدِهِ، فَخَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَعْطَاهُ

(١) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم: (١٩٠٢).

(٢) الجُدَامُ: عِلَّةٌ تَحْدُثُ مَعَ انْتِشَارِ السُّودَاءِ فِي الْبَدَنِ كُلِّهِ، فَيُفْسِدُ مَزَاجَ الْأَعْضَاءِ وَهَيَاتِهَا، وَرَبَّمَا انْتَهَى إِلَى تَقَطُّعِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٣٨١).

(٣) رواه أحمد، رقم: (١٣٠٠٤).

(٤) رواه النسائي، رقم: (٩٧٦٦).



عقلاً سَخَّرَ له به ما في الأرضِ جميعه، وهداه به إلى النَّافِعِ ليلتمسه وإلى الضَّارِّ ليتجنَّبه كانَ على ابن آدم أن يكرِّمَ هذا الجسدَ فيبتعدَ به من كلِّ ما يمسُّ كرامته، لا سيَّما المسلم الَّذي أنزل اللهُ ﷻ عليه قوله: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾ [المدتّر: ٤].

فليس من المروءة أن يقرأ المسلمُ قولَ ربِّه هذا ويسمعه ثمَّ يعيش بين الأوساخ ويلبَسُ الرِّثَّ والوسخ، فإنَّ في ذلك عصيَانًا لأمر الله وإهانة لجسمِ كَرَّمه الله.

أيُّها المسلم، إذا كان الغرب يفخر علينا بأنَّه عَثَرَ على الميكروبات والجراثيم، فإنِّي أتحدّاه وأقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ علَّمنا أنَّ للأمراض جنودًا، فسَمِّها أيُّها الغربيُّ كما شئت.

اسمع - أيُّها المسلم - قولَ نبيِّك ﷺ: «أخرجوا مندبل الغمر من بيوتكم، فإنَّه مبيت الخبيث ومجلسه»^(١)، والغمر: هي الأوساخ والدَّسَمُ وكلُّ ما له رائحة نتنَّة، وقال ﷺ: «مَنْ باتَ وفي يده رِيحُ غَمَرٍ»^(٢)، فأصَابَهُ شيءٌ، فلا يُلومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٣).

والطَّبُّ الحديث يخبرنا أنَّ أكثرَ الأمراض تأتي من التُّخمة؛ وهي إدخال الطَّعام على الطَّعام، ونهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

والطَّبُّ الحديث علَّمنا أنَّ من الأمراض ما يسبِّبه إهمال نظافة

(١) أورده الديلمي في الفردوس، رقم: (٣٤٣).

(٢) الغمر: الدَّسَمُ والرُّهُومة من اللِّحْمِ كالوضرِّ من السَّمْنِ. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٣٨٥).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (١٨٦٠)، وقال: حديث حسن غريب.



الأسنان، والإسلام أرشدنا إلى السّواك وأكّده قبل كلّ وضوء، فقد قال النّبِيُّ ﷺ: «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك مع الوضوء»^(١)، وعند الصّلاة، فعن عائشة زوج النّبِيِّ ﷺ عن النّبِيِّ ﷺ أنّه قال: «فضّل الصّلاة بالسّواك، على الصّلاة بغير سواك، سبعين ضعفاً»^(٢)، وبعد الأكل، فقد قال ﷺ: «ما لي أراكم تأتونني قُلْحًا»^(٣)، استاكُوا، لولا أن أشقّ على أمّتي، لفرضتُ عليهم السّواك كما فرضت عليهم الوضوء»^(٤)، وعند الاستيقاظ من النّوم، فعن ابن عمر «أنّ رسول الله ﷺ كان لا ينام إلّا والسّواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسّواك»^(٥)، وأمرنا بتخليل الأسنان من فضلات الطّعام، فالرسول الكريم ﷺ قال: «السّواك مطهرةٌ للفم، ومرضاةٌ للرّبِّ»^(٦).

والشّعْرُ لم يهمله الإسلام، فقد أمرنا النّبِيُّ ﷺ بتكريمه قائلاً: «إنّ اتّخذت شعراً فأكرمه»^(٧)، فأكرام شعْر الرّأس بغسله وتسريحه، وإكرام اللّحية بتجميلها حتّى تكون زينةً للوجه لا قبحاً فيه.

ويخبرنا ﷺ أنّ الله يُبغضُ الوسخَ السّعثَ، والسّعثُ: من أهمل شعر رأسه ولحيته، فعن جابر: «أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعناً قد تفرّق

(١) رواه النسائي، رقم: (٣٠٢٥).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٦٣٤٠).

(٣) القلح: صُفرة تعلقو الأسنان، ووسخٌ يركبها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٩٩/٤).

(٤) رواه أحمد، رقم: (١٨٣٥).

(٥) رواه أحمد، رقم: (٥٩٧٩).

(٦) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٨٩).

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٦٠٣٧).



شعره، فقال: أما كان يجدُ هذا ما يُسكِّن به شعره؟!»^(١).

وأما الطُّرُق فقد جعلَ الإسلامَ على كلِّ مسلمٍ سهماً في نظافتها فقال
 ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعبةً فأفضلُها قولُ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأدناها
 إمَاطَةُ الأذى عنِ الطُّريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ»^(٢).

وأما المساكن فقد أمرنا ﷺ أن نرعاها ونتعهَّدها بالنَّظافة، فقال ﷺ:
 «أحسنوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتَّى تكونوا كأنَّكم شامةٌ»^(٣) في
 النَّاسِ»^(٤).

يأمرنا نبيُّ الإسلامِ ﷺ - أيُّها المسلمون - أن نمتاز من الأمم
 والطَّوائفِ كافَّةً بحسنِ لباسنا وحسنِ أماكننا حتَّى نصبح كالشَّامة، والشَّامة
 في الوجه الجميلِ تزيدهُ كمالاً وتضيفُ إلى حُسنه حسناً وجمالاً.

أيُّها المسلمون، إنَّ دينكم يأمركم بنظافة أجسامكم وأثوابكم وأثاثكم
 ومساكنكم وكلِّ ما يتعلَّق بكم، فالنَّظافة من الإيمان، والنَّظافة باب
 الصَّحَّة، وبالصَّحَّة نكسب القوَّة، وبالقوَّة نوذِّي الواجبات، فنوذِّي حقَّ
 ديننا وأمَّتنا ووطننا وأهلينا وكلَّ حقٍّ مطلوبٍ إلينا.

﴿يَبْنَىءِ آدَمَ خُدُوءاً زَيْنَتَكَرُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ﴾^(٥) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٠٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الشَّامة: الخالُ في الجسدِ معروفةٌ، أراد: كونوا في أحسنِ زيٍّ وهيئةٍ حتَّى تظهروا
 للناس، وينظروا إليكم، كما تظهرُ الشَّامة وينظرُ إليها دون باقي الجسد. انظر:
 النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٣٦/٢).

(٤) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم (١٧١٦٤).

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢].

وقلت في الثانية:

الوضوء والغسلُ عبادة وهو من النظافة، وتقليم الأظفار ونتف الإبط والختان والاستنجاء كلها عبادة ونظافة، وقد روى مسلمٌ والترمذيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشَّاربِ، وإعفاءُ اللِّحية، والسُّواكُ، واستنشاقُ الماءِ، وقصُّ الأظفارِ، وغسلُ البرَّاجِمِ، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانةِ، وانتقاصُ الماءِ»^(١)، وغسل اليدين قبل الطَّعام وبعده نظافةً، والتَّطْيِبُ ولبس جميل الثياب عند كلِّ صلاة نظافةً وطاعةً لله واتباعٌ لسنة رسوله، فالله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والطَّهارة في اللُّغة العربيَّة النظافةُ.

وأثنى الرَّبُّ جلَّ جلاله في كتابه العزيز على أهل مسجد قُباء، فقال: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، والطَّهارة من الإيمان.

والطَّهارة الظَّاهرة إذا فعلها الإنسان عبادةً لله واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ ساقته إلى تطهيرِ روحه ونفسه وباطنه، فيحتسب أعماله لله، ويصرفها حسب أوامرِ الله؛ ليدرك السَّعادة المطلوبة التي هي غاية أهل الإيمان، فيصبح طاهراً في بدنه، وثوبه، وقلبه، وأخلاقه، وهنا يصبح موضعَ

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦١)، والترمذي، رقم: (٢٧٥٧)، وقال: هذا حديث حسن.



نظر الله كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).



بمناسبة الذكرى الأولى للاستقلال

في أسبوعها الأول (١٢) محرّم سنة (١٣٨٢هـ)

الموافق (١٥/٦/١٩٦٢م)

(٢٣)

الحمد لله، نحمده ونسأله تعالى أن يجعل أيّامنا أعياداً نستعيد بها
مجدنا، ونحفظ بها مستقبلنا، ونطرد بها عدوّنا، ونحيي بها ذكرانا،
ونرفع بها بين الأمم مكانتنا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منّ على المؤمنين إذ
بعث فيهم رسولا من أنفسهم، أتمّ عليهم به نعمته، فحرّره من عبودية
ورق، وعلمهم من جهل، وهداهم من ضلال.

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله مذكراً لا مسيطراً، ومنذراً
لا جباراً متكبراً.

اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

اتّقوا الله عباد الله وأطيعوه، وأنبيوا إليه وراقبوه، واشكروا له نعمه،

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٦٤).

فإنَّ نعم الله على العبادِ كثيرة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحل: ١٨].

والمرء لا يعرفُ النعمة إلا إذا حلت به النعمة، ولا تعرفُ الأشياء إلا بأضدادها، فلا يعرفُ نعمة الصِّحة إلا من ذاق ألم المرض، ولا يعرف حلاوة الغنى إلا من ذاق مرارة الفقر، ولا يعرفُ عزَّة الحرِّيَّة إلا من ذاق ذلَّة العبوديَّة.

وإنَّ من نِعَمِ الله علينا أن وفقَّ الله أميرنا - أعزَّه الله تعالى بتوفيقه، وأطال عمره على طاعته، وهداه لإصلاح شعبه ونصرة دينه - إلى إلغاء الاتِّفَاقِيَّة الجائرة التي سُمِّيت باتِّفَاقِيَّة (١٨٩٩م) التي اضطرَّ لعقدتها ولاة سابقون؛ دفعًا لِمَا هو شرُّ منها، وإنَّ بعض الشرِّ أهون من بعض.

أعانَ اللهُ تعالى أميرنا ووفَّقَه، فقد ألغاهَا في يوم (١٩) حزيران سنة (١٩٦١م) العام الماضي، فكان إلغَاؤها نصرًا من الله لأميرنا، وفتحًا مبینًا لنا، وكسرًا لقيود الذُّلِّ طالما تطلَّعنا لكسره.

اللَّهُمَّ لك الحمدُ على ما مننت به علينا، فنشكرك ولا نكفرك، ونسألك دوام نعمتك والمزيد من فضلك.

وقد شاءت حكومتنا الرشيدة بمجلس وزرائها وأعضاء مجلس الشورى وقيادة أميرها أن نحتفل بهذا العيد في كلِّ عام باسم العيد القوميِّ أو العيد الوطنيِّ، ونُضفي عليه من البهَاء والجلالِ ما يجعله خير عيد؛ لأنَّ الحرِّيَّة والكرامة والاستقلال نِعَمٌ لا تُنال بالتَّمَنِّي، إنَّما بالنُّضال والتَّضحية والفداء، وما خبر الجزائر وغيرها من بلاد ضحَّت في سبيل الحرِّيَّة والكرامة ببعيد.



يا عباد الله، إنَّ دينكم الإسلام يأمركم أن تعدُّوا للدِّفاع عن هذه الحرِّيَّة ما استطعتم من قوَّة، فاجعلوا من أبناء هذا الشَّعب قوَّة ندَّخرها للحاجة، وندفع بها عن هذا الوطن اعتداءً عدوِّ قريب أو بعيد، فالطَّامع به كثير، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُوْدٌ»^(١).

إنَّ أبناءَ الوطن إذا تكاتفوا وتعاونوا واستعدُّوا وأخلصوا دفاعهم لله كانوا سياج وطنهم المنيع وحصنه الحصين، يصونون مصالحه، ويحافظون على خيراته، ويحمون حرمة، ويحفظون كرامة أهله وهم أهله، وأعراضهم حرمة، ولهم مصالحه وخيراته.

أيُّها الإخوة، كتب الله النَّصْرَ لقوم تآلفت قلوبهم على الحقِّ، وتفانوا في نصرة بعضهم بعضاً، فقال ﷺ: «كَمْ مِّنْ فِتْكَ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» [البقرة: ٢٤٩]، وإنَّ رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، سينصرهم الله الَّذي عاهدوه، وعَلِمَ صدقهم؛ لأنَّهم لم يقبلوا مساومة مع عدوِّ، ولم يفرطوا في حفظ أمانة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:

٦٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

﴿آل عمران: ٨﴾.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

اللَّهُمَّ وفق أميرنا لإصلاح الشَّأن، وأعنه على نشر الأمن، واهديه

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٨٣).



لرأب^(١) الفسادِ ونشرِ النَّفْعِ في البلادِ .
 اللَّهُمَّ أَرِهِ الْحَقَّ حَقًّا وُوفِّقْهُ لِاتِّبَاعِهِ ، وَأَرِهِ الْبَاطِلَ بَاطِلًا وُوفِّقْهُ
 لِاجْتِنَابِهِ ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا ، رَائِدًا الْخَيْرِ لِشَعْبِهِ .
 وَأَلْهِمْنَا يَا رَبَّنَا أَمِيرًا وُوزَرَاءَ وَنَوَّابًا وَمُوَاطِنِينَ أَقْوِيَاءَ بِالْإِيمَانِ أَشَدَّاءَ
 بِالْيَقِينِ ، فِينَا عَزِيمَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَصَبْرَ الْمُجَاهِدِينَ .



الذِّكْرَى الْأُولَى لِلْعِيدِ الْقَوْمِيِّ

في (٢٢/٦/١٩٦٢م) أسبوعها الثاني

(٢٤)

الحمد لله اعترافاً بنعمته وإقراراً بمنتته، وأشهد أن لا إله إلا الله في
 ربوبيته، أحدٌ في عظمته، واحدٌ في قدرته، الصَّمَدُ الَّذِي ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ
 يُؤَلَدْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤] الأحد في
 عُلُوِّهِ وَجَلَالِهِ وَقُوَّتِهِ .

وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى بَرِيَّتِهِ ، مَلِكُ الْقُلُوبِ بِرَأْفَتِهِ
 وَرَحْمَتِهِ ، وَسَمَاءُ رَبُّهُ رَوْوْفًا رَحِيمًا لِبَرِّهِ بِأَمَّتِهِ .
 اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَعَمُومِ
 صَحَابَتِهِ كَافَّةً .

اتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاذْكُرُوا آلَاءَهُ ، وَاشْكُرُوا نِعَمَهُ ،

(١) رأب الفساد: أصلحه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/٤٥٦).



وأحسنوا إنَّ الله يحبُّ المحسنين، وبعدُ:

فلقد كنَّا في الأيامِ الثلاثةِ الماضيةِ في عيدٍ، وما العيدُ إلا ذكرى محبِّبةٍ إلى النفوسِ مبهجةٍ للقلوبِ، وعيدنا هذا هو الذِّكْرَى الْأُولَى ليومِ (١٩) حزيران، يومِ استقلالِ الوطنِ الحبيبِ.

وقد كانت هذه القرية منذ نشأت، وحكَمَها حكامها مستقلةً في داخلها، حكمها لأهلها وخيراتها لهم، لكنَّ أمورَها الخارجيّةِ وعلاقاتها بغيرها من الدُّول كانت لا تتمُّ إلا بوساطة الآخر حتّى أنعم الله عليها بقائدٍ مُحنِّكٍ^(١)، ودليلٍ راشدٍ، وربّانٍ ماهرٍ، قاد السّفينةَ برأيه السّديدِ إلى برِّ السّلامةِ فأرساها على قواعدِها الآمنةِ، وسلمَ الوطنُ والمواطنون، وأمنَ الجميع من طمع الطّامعين وعدوان المعتدين.

أيُّها الإخوة، إنّها نعمة من نعم الله الكثيرة علينا، فاشكروا الله المنعم نعمه بطاعة أمره وأمر رسوله، فإنَّ الشُّكر لا يتمُّ ثوابه إلا بالتَّمسُّكِ بالطّاعاتِ جميعها، ولا تنازعوا فتفشلوا في حياتكم ويغلب على أمركم، ويطمع فيكم كلُّ طامعٍ، ويعتدي عليكم كلُّ معتدٍ، وتذهب ريحكم وقوتكم، وتضرب عليكم خيام الدّلةِ والمسكنةِ، فيؤكل خيركم وتُسَخَّرُوا لغيركم.

واصبروا أمام المصائب، واثبتوا أمام النّوائب، واصمدوا أمام المحن، وفي ساعات البأس، إنّ الله مع الصّابرين، ينصرهم بتأييده ويمدّهم بمعونته ويكلّوهم ويرعاهم، ومن كان الله له معيناً فلا يغلبه غالب.

(١) رجلٌ مُحنِّكٌ: لا يستقلُّ منه شيءٌ ممّا قد عضّته الأمور. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢٧/٢٧).

أيها الإخوة، الأمة الصالحة هي التي يعمل عقلاؤها على جمع شتاتها، وينظر هدايتها إلى الماضي يأخذون منه درسًا وعبرة؛ ليجعلوا منه للمستقبل قدوة وأسوة وعُدَّة وقوَّة، فيبتعدون ممَّا هلكت به الأمم من قبل، ويعملون بما صلحت به الشعوب، ويقودون الأمة إليه.

أيها الإخوة، إِنَّ البَطْر - أعيذكُم بالله منه - خُلِقَ ذَمِيمٌ، إِذَا حَلَّ فِي أُمَّةٍ أَهْلَكَهَا، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرْتِ مَعِيْشَتَهَا فَنِلَّاكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُوْنَ ﴿٥٩﴾﴾ [القَصَص: ٥٨-٥٩].

إِنَّ البَطْر يُوْدِي دَائِمًا إِلَى اجْتِيَاْحِ النِّعْمِ، وَالْوَقُوْعِ فِي سَاحَاتِ النَّدَمِ، وَالبَطْر هُو الَّذِي يَطْغَى بِالنِّعْمَةِ تَأْتِيهِ فَلَا يَشْكُرُهَا، وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِ وَجْهٍهَا، وَإِذَا دَعَاهُ إِلَى الْحَقِّ دَاعٍ تَكَبَّرَ عَنْهُ فَلَمْ يَقْبَلْهُ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَاسْتَعِيْذُوا بِهِ مِنَ البَطْرِ وَمَنْ كُفِّرِ النِّعْمَةَ وَمَنْ دَعَا السُّوْءَ، فَإِنَّ لِّلْسُوْءِ دَعَاتِهِ الْكَثِيْرِيْنَ، وَهُمْ دَعَاةُ الْبَاطِلِ وَأَنْصَارُ الرَّذِيْلَةِ وَأَعْوَانُ الشُّرُوْرِ وَالْفَسَادِ؛ فَسَادَ الْأَخْلَاقُ وَالْمَجْتَمَعُ.

وَكثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَرَى هُوْلَاءِ الدُّعَاةِ وَكثْرَةَ أَتْبَاعِهِمْ يَقُوْلُ: هَلَكْتَ النَّاسُ؛ فَلَا صِلَاحَ يُرْجَى، وَلَا جِهَادَ يَجْدَى، وَلَا سَعْيَ يَنْفَعُ.

إِنَّهَا كَلِمَاتٌ شَرٌّ يَلْقِيْهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْيَاسِيْنَ، وَهِيَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ اللَّهُ، يَقُوْلُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْتِسُّوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يُوْسُف: ٨٧]، وَيَقُوْلُ: ﴿لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، فَالْبَاطِلُ مَهْمَا طَغَى لَا يَدُوْمُ، وَلَا بَدَّ لِلْحَقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ، فَفِي النِّهَايَةِ سَيَنْدَحِرُ الشَّرُّ وَتَنْتَصِرُ الْفَضِيْلَةُ.



الأُمم تَمْرُضُ ولا تَمُوتُ، واليأسُ شَدِيدُ الخَطَرِ وهو في الأُمَّةِ احتِضارٌ، والقنوطُ خورٌ وهو في الأُمَّةِ فناءٌ، والنَّاسُ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ مَواطِنَهُم، واخْتَلَفَتْ مَذاهِبَهُم وَعَقَائِدَهُم، وتباينت أجناسهم، فالحسن والقبيح عندهم بيِّنانٌ، والشَّرُّ والخيرُ فيهم واضحانٌ، والرَّذِيلَةُ لا تكون فضيلةً .

أَيُّهَا المسلمون، إِنَّا - الحمد لله - قد حافظنا على كياننا سنينَ طَوِيلَةً قاومنا فيها المعتدين، وجاهدنا فيها الظَّالِمِينَ، واستشهد في سبيل هذا الوطن كثير من الآباء والأجداد، وصبرنا وصابرنا حتَّى إذا أراد الله أن يجزينا خيرًا على ما قدَّمه أسلافنا فَتَحَ علينا باب فضله فأكثر خيرنا وفكَّ أسرنا وصارت الكويت دولة بين الدُّول لها مكانتها المرموقة، وصوتها الدَّاوي، وعَلَمُها الخَفَّاق، واعترفت بها دول، ومثَّلتها سفراؤها في بعض الدُّول، كما مثَّلت بعض الدُّول سفراؤها فيها، وهذه نعمة من نعم الله، اسألوا الله تعالى ألا تبطركم .

أَيُّهَا المسلمون، اتَّقُوا اللهَ واستعينوا به من البَطْرِ والكُفْرِ، ومن الشَّقَاقِ وسوءِ الأخلاق، واشكروا لله نعمه يزدكم من فضله، واستعينوا به يعينكم بعونه على طاعته، فليس شيءٌ كالطَّاعةِ حافظًا للنَّعمةِ، وهذا النَّاصِحُ عَلِيُّ بن أبي طالب، يقول لكم:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم (١)

وما زالت الكويت - حكومة وشعبًا - تمدُّ يدها بالعون لكلِّ محتاجٍ،

(١) انظر صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، لحسين بن محمد المهدي . (٣٧٨/١)

وتضرب بسهمها في كلِّ مساعدة خيريَّة للغريب والقريب، والجار والبعيد، مقدِّمة العربيِّ على غيره.

وها نحن في كلِّ يوم نسمع عن تبرُّعاتٍ يأمر بها أميرنا - أيده الله بعونه - لأُمَّةٍ احتاجت، أو مصيبةٍ اجتاحت، أو مسجدٍ للعبادة يُبنى، أو معهدٍ للعلم يُشادُّ، وكلُّ هذا جميلٌ، لكنَّه في سبيل طاعةِ الله قليلٌ.

أيُّها الإخوة، إنَّ الله أمرنا بطاعته وطاعة رسوله، وأمرنا أن نتعاون على البرِّ والتَّقوى، ونهانا أن نتعاون على الإثم والعدوان، وأمرنا أن نشكر له نعمته، ونهانا أن نجعل هذه النعم وسيلةً إلى معصيته أو كفرانِ فضله، وقد أمرنا الله أن نكون أُمَّةً واحدةً فيما بيننا وصفًا واحدًا ضدَّ أعدائنا، ونهانا أن نتنازع حتَّى لا نفشلَ أمامَ خصومنا.

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

[الأنفال: ٤٥-٤٧].



الجزائر

بمناسبة أسبوعها في عام (١٩٥٧م)

(٢٥)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود



سواه، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ومصطفاه.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَمَنْ وَالَاه.

يا عباد الله، اتَّقُوا الله، وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله
لعلكم تفلحون، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،
واعلموا أنّ الله أوجب علينا أن نكون يداً واحدة على كلِّ من يريد
إذلالنا وسلب حرّيتنا والحطّ من كرامتنا وديننا.

إنّ الله أوجب علينا نصر الحقّ، وإذلال الباطل، والدِّفاع عن
المظلومين، وقاتلَ الباغين والمعتدين، وأوجب علينا الجهادَ في سبيله،
والتَّفاني في إعلاء دينه، والتّضحية في إعزاز كلمته، وطردَ كلِّ من يقف في
سبيل الدّعوة إليه، وقد بيّن الله لنا أنّ هذه هي التّجارة الحقّة الرّابحة، ﴿إِنَّ
اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْبَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، فيا أيّها الذين باعوا أنفسهم
وأموالهم لله في هذه السُّوق، استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، فذلك هو
الفوز العظيم.

ولقد أراد أميرنا - وفقه الله لصالح العمل - أن يكون الأسبوع الأوّل
من هذا الشّهر أسبوعاً للجزائر، يُعين المسلمون هنا إخوانهم في الجزائر
بما تجودُ به أيديهم من نفقة وثياب ودثارٍ، فقد ثبت المجاهدون في قتالهم
سبعَ سنواتٍ، وما زالوا ثابتين في قتالهم ضدّ العدوِّ الغاشم، فهُم
كالجبال، لا ترعبهم طائرات العدوِّ ولا قنابله ولا أسلحته، ولا عُده ولا

عديده، ولا ناره ولا حديده، ثبتوا أمام ذلك كله حتى زلزلوا أقدامه، وألقوا الرعب في قلوب رجاله، مع قلتهم في العدد، وقلة ما لديهم من الذخيرة والعدد.

نعم، والله لقد ثبتوا أمام ذلك كله، وأثبتوا بحق أنهم مؤمنون، وأنهم للحق يجاهدون، وأنهم في جهادهم صادقون، وأنهم جند الله وإن جند الله هم الغالبون، لقد ثبتوا وأثبتوا أنهم أحفاد أولئك الصفوة الذين أنزل الله في حقهم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [الأنفال: ٦٥].

إن إخوانكم في الجزائر خاضوا غمار حرب ضروس^(١) شنتها عليهم حكومة فرنسا الغاشمة، لا لشيء إلا لأنهم طالبوا بحريتهم واستقلالهم وإخراج الغريب من بلادهم، ذلك الغريب المستعمر الذي يريد القضاء على عروبتهم ولغتهم ودينهم، ويريد إفناءهم وإفقارهم واستغلال خيرات بلادهم وانتزاع الثروات من أيديهم.

يا عباد الله، لقد اغتصب العدو من إخوانكم الجزائريين أراضيهم، ومملكها لأبناء بلاده، فقد تملك الفرنسيون من أرض الجزائر سبعة أعشارها، وهي القسم الصالح للزراعة والعمران، وبقي للعرب أعشار ثلاثة لا تسمن ولا تغني من جوع.

وقد احتكر الفرنسيون في الجزائر سوقها ومواردها، وأبعدوا

(١) حرب ضروس: أي أكل عَضُوضٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٦/١٨٥).



المواطنين من هذه السُّوق، فالجزائريُّ عامل أو زارع أو كاتب أو موظفٌ مرؤوس، حتَّى قيل: إنَّ أكثر من ثلاثة أرباع الأرباح تدخل في جيوب التُّجَّار الفرنسيين.

يا عباد الله، لقد تفتنَّ المستعمر في القضاء على العروبة والدين، فحرَّم تعليم اللُّغة العربيَّة والدين وكتب القرآن بالحروف الإفرنجيَّة، وقضى على المساجد فلم يبقَ منها إلَّا ما يعدُّ على الأصابع، وقد كان في مدينة الجزائر وحدها مئة وخمسة مساجد.

يا عباد الله، إنَّ الدين يستنصركم، والعروبة تناديكم، والواجب الإنسانيُّ يستنهضكم، ودماء الشهداء الرُّكيَّة تستصرخكم، وعويل النساء وبكاء الأطفال والعجزة والشيوخ تهيب بكم يا أيُّها المسلمون في بقاع الأرض أن جهِّزوا جيش التَّحرير الجزائريَّ بالسِّلاح والعتاد والدِّواء، فإنَّ هذا الجيش نذر نفسه للجهاد، فجهِّزوه، وإنَّ رسول الله ﷺ قال: «من جهَّز غازيًّا فقد غَزَا، ومن خلف غازيًّا في أهله فقد غَزَا»^(١).

أيُّها المسلمون، إنَّ أرواح الشهداء تنظر إليكم من الملاء الأعلى؛ لترى مساهمتكم في معركة إخوانكم الذين خلفوهم في قتال عدوِّهم.

وإنَّها تناديكم من الملاء الأعلى أن ساهموا - أيُّها المسلمون - في معركة عدوِّ الله وعدوِّكم، «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» [التَّوْبَة: ١٠٥]، «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» [الحجَّ:

•[٤٠

(١) رواه مسلم، رقم (١٨٩٥).



إِنَّكُمْ - يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَيَا أَيُّهَا الْعَرَبُ - فِي أَيَّامِ نَخْوَةِ عَرَبِيَّةٍ وَحَمِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ، فَهَبُّوا لِمَنْ بَدَلُوا أَرْوَاحَهُمْ رَخِيصَةً فِي مَيْدَانِ الْجِهَادِ الْمَشْرِفِ .

إِنَّهُمْ هُنَاكَ يِقَاتِلُونَ قِتَالَ الْأَبْطَالِ، وَيَصْبِرُونَ صَبْرَ الصَّادِقِينَ، اشْتَرَكُوا فِي الْقِتَالِ دَفَاعًا عَنِ الْوَطَنِ وَالْدِّينِ وَالْعَرَضِ، اشْتَرَكِ الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ، وَالنِّسَاءُ وَالرِّجَالُ، وَمَا خَبَرَ الْمُنَاضِلَاتِ الْجَمِيلَاتِ الثَّلَاثَ عَنْكُمْ بِبَعِيدٍ .

إِنَّهُمْ هُنَاكَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَى كُلِّ عَرَبِيٍّ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، وَإِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ .

هَذَا وَإِنَّ أَمِيرَنَا الْمَحْبُوبَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ لِلصَّالِحَاتِ وَحَمَاهُ وَآلَهُ مِنْ الْمُنْكَرَاتِ - أَبَدَى رَغْبَتَهُ فِي أَنْ تُسَهِّمَ الْكُوَيْتُ حُكُومَةً وَشَعْبًا مَسَاهِمَةً فَعَالَةً فِي نَصْرَةِ مُجَاهِدِي الْجَزَائِرِ .

فِيَا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالرِّزْقِ، أَنْفَقْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكَ، وَأَقْرَضِ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفُ لَكَ أَلُوفًا، وَشَارِكْ فِي قِتَالِ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّ دِينِكَ الَّذِي يَرِيدُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ الذَّلَّةَ وَالْإِفْقَارَ وَالْإِفْنَاءَ .

أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ الْمُسْلِمُ، اضْرِبِ الْمِثْلَ فِي الْبَدْلِ، وَاضْرِبِ الْمِثْلَ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبِ إِذَا دُعِيتَ إِلَيْهِ، وَأَقْرَضِ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا تَشْتَرِ بِهِ حُرِّيَّتَكَ وَحُرِّيَّةَ أَخِيكَ، وَتَعِيدَ بِهِ لِلْإِسْلَامِ كِرَامَتَهُ وَعِزَّتَهُ، وَلِلْعَرُوبَةِ مَجْدَهَا وَإِبَاءَهَا .

إِنَّ الْمَجَاهِدِينَ هُنَاكَ فِي الْمَيْدَانِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ عَلَى مَا تَبَدَّلَهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ قُوَى الْخَيْرِ مَا زَالَتْ تَسِيْطِرُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - كَلَّمَا ضَعَفَ سِلَاحَهُ وَنَضَبَ مَعِينَهُ مَدَّهُ أَخْلَافَهُ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ وَرَبَّمَا بِالرِّجَالِ .



وإن إخوانكم لا عون لهم إلا إيمانهم بربهم، ووعده الذي لا يخلف، وتطلّعهم إلى ما في أيديكم، فكونوا - عباد الله - أنصاراً لله كما أراد الله لكم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجَرُّوْا نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْإِلْمِ ۖ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجُهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَٱلْآخِرَىٰ حُبُّوْنَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّف: ١٠-١٣].

وقلت في الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ومجتاباه، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، ورضي الله عن سادات وأئمتهم المسلمين الذين سبقونا بالإيمان.

عباد الله، اتَّقوا الله حقَّ تقواه، اتَّقوا الله؛ فما فاز إلا المتَّقون، اتَّقوا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ اتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَل: ١٢٨]، ﴿وَٱحْسِنُوا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥].

احمدوا الله - أيها الإخوان - على نعمته التي أنعمها عليكم؛ إذ أمنكم في أوطانكم وبين أهليكم وأولادكم، تنعمون بالظِّلِّ الظِّلِيلِ في حرِّ الصَّيْفِ، وتنعمون بالدَّفءِ اللَّذِيذِ في بردِ الشِّتَاءِ، بينما إخوانكم هناك تشَّتَّ شملهم، وترمَّلت زوجاتهم، وتيتمت أطفالهم، وآمت^(١) نساؤهم،

(١) آمت: إذا مات عنها زوجها أو قتل وأقامت لا تتزوج. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٥٦/٣١).

وهلك شيوخهم وعجائزهم .

إِنَّهُمْ يَسْتَعْمُونَكُمْ فَأَطَعُوهُمْ ، وَيَسْتَكْسُونَكُمْ فَاكْسُوهُمْ ، وَيَسْتَعِينُونَ
بِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَأَعِينُوهُمْ .

قابِلُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْبَدْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُونُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -
سَبَّاقِينَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ .

إِنَّكُمْ لَا تَعْطُونَهُمْ صَدَقَةً ، إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ فِي مَالِ اللَّهِ الَّذِي
أَعْطَاكُمْ ، فَقابِلُوا عَطَاءَ اللَّهِ بِشُكْرِهِ فِي أَدَاءِ مَا أَوْجِبَهُ عَلَيْكُمْ .

قاتلوا عدوَّ الله وعدوَّكم وأنتم في بيوتكم وقصوركم ورياشكم^(١)
ونعيمكم ، بما تبدلون من مال كان قبل أن يصل إليكم في يد غيركم ،
فاستعملوه في طاعة ربِّكم تنالوا أجره ، وشاركوا ببذله إخوانكم في جهاد
هذا العدوِّ الَّذي لا همَّ له إلا استعبادكم .

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] .



بمناسبة ذكرى بداية عام (١٩٥٨م)

(٢٦)

الحمد لله باري الأنام ، الحمد لله مصرِّف الشُّهُور والأعوام ، قدَّر

(١) الرِّياش: الخِصْب والمَعاشُ والمال المُستفادُ والأثاثُ . انظر: تاج العروس ،
للزبيدي (١٧/٢٢٩) .



الآجال والأعمار، وجعل نفاذها في تقلبات الليل والنهار، سبحانه لا تقدر العقول قدره، ولا تحيط به الأفهام، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صدق له وعده، وأيد به كلمته، وأعز به جنده.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحابه المهاجرين منهم والأنصار، أمَّا بعد:

عباد الله، اتقوا الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] ولا تكونوا كالَّذين شغلتهم مصالحهم عن ذكر ربهم ولم يتفكروا فيما خلَّقوا له ولا فيما خلَّق الله لهم ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ألا إنَّ الله تعالى قد جعلَ الليلَ والنَّهارَ آيتين، وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ دائبين؛ لنعلم عدد الأيام، وحساب الشُّهور والأعوام، وقد ودَّعنا قبل يومين عامًّا، اتَّفَقَ العالمُ كلُّه على انقضاءه، واستقبلنا عامًّا جديدًا اتَّفَقوا على ابتدائه.

مضى العام القديم بما فيه وكأنه ما كان، مضى بصروفه وحوادثه وأحزانه ومسرَّاته وشروره وخيراته، ونسينا ما عملنا فيه من إساءة وإحسان.

وجاء العام الجديد ولا ندري أأعدنا فيه أنفسنا لعمل الصَّالحات، أم عزمنا على مقارفة السيِّئات وإيتاء الشَّهوات؟

مضى العام القديم وقد حاسبنا في نهايته عملاءنا وجرَّدنا دفاترنا

وحسبنا حسابنا فعرّفنا أرباحنا وخسائرنا لنعرف في أوّل العام الجديد مقدار رأس مالنا الذي ستنتهي ملكيّتنا له بانتهاء أجلنا ويرثه غيرنا من بعدنا، وغفلنا عن الحساب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها كاتبه، ونسينا سجلاً لا يُمحى، وحساباً لا يُنسى، وقيداً لا يحوّر فيه ولا يزوّر، الخسارة فيه خسارة الأبد، والربح لا يقدر فيه ولا يجدد، والنجاح فيه دائم لا ينتهي ولا ينفد.

عباد الله، لماذا لا نحاسب أنفسنا عمّا عملنا في العام الماضي لديننا وأمّتنا وبلادنا؟ هل أفدنا أم خسرنّا؟ وأمّا حسابنا مع أنفسنا فنكله إلى بارئنا، فهو أولى بنا منّا.

إخواني، إنّ لكلّ أمة محاسن وقبائح اتّفق النّاس على تسميتها تقاليد، وإنّ لأمتنا تقاليد يعرفها الأعمى والبصير، وإنّ لنا ديناً قويمًا كلّهُ فضائل وآداب، وإنّنا والله قد أهملنا تقاليد أمتنا وتركنا آداب ديننا، وقلّدنا الأجنبي في كلّ ما ينهى عنه الدّين، ويغضبُ الله ربّ العالمين، وتآباه عادات العرب والمسلمين، وإنّ عاقبة هذا التّقليد وخيمة، وإنّ مضارّه فينا عظيمة، وإنّنا بهذا التّقليد هدمنا بناء ديننا، وقضينا على آدابنا وقوميتنا، ونفضنا مجدنا الذي شيّد صرحه أسلافنا، ومحونا معالم حياتنا، وأصبحنا بين الأمم ضائعين، ويا ليتنا قلّدناهم فيما ينفع ويفيد، لكنّنا قلّدناهم فيما يهلك ويبيد.

وقد أخبرنا نبيّنا ﷺ أنّ ذلك سيكونُ فينا إذا طال علينا الأمدُ، فقال ﷺ: «ولا يطولنّ عليكم الأمدُ فتفسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم»^(١)، وقال ﷺ: «لتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ،

(١) رواه مسلم، رقم: (١٠٥٠).



حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، قال: «فَمَنْ»^(١).

عباد الله، لقد قلدنا الأجنب في التَّبَرُّج والتَّهْتُّك، وقلنا: إنَّ هذه حرِّيَّة، وما الحرِّيَّة إلا أن تكون حُرًّا في بلادٍ أمرها بيدك، وخيراتها ملكٌ تصرُّفك، بيدك إنتاجها ولأمتك مصالحها وأرباحها.

قلدناهم بإعراضنا عن ديننا الَّذي فيه عصمةُ أمرنا؛ فأضعنا الصَّلَاةَ ومنعنا الزَّكَاةَ واتَّبَعْنَا الشَّهَوَاتِ، فسَلَطَ اللهُ علينا من قَسَمِ بلادنا وفرَّقَ شملنا ومزَّقَ وحدتنا وسلَبنا خيراتنا وحرَّياتنا، وقد أخبرنا نبيُّنا ﷺ بذلك فقال: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاءِ السَّيْلِ»^(٢).

قلدنا غيرنا بأنواع اللُّهُوِ والخِلاعةِ، وقلنا: إنَّ هذه مَدَنِيَّة، وما المَدَنِيَّةُ إلا أن تتخلَّقَ بالفضائل وتبتعد من الرَّذائل وتنزِعَ عنك الجفَاءَ، قلدناهم في بيعنا وشرائنا ومعاملاتنا جمعيتها، فخرسنا الثِّقَّةَ فيما بيننا وأصبحنا نسيءَ الظَّنِّ ببعضنا، وربَّما غدرنا وغششنا، وربَّما غالطنا في الحساب، واستبحنا ما حلَّ بأيدينا ولو كان حرامًا، وقلدناهم في صرف المال الَّذي لم نتحرَّرَ فيه الحلال، فبذرناه في اللُّهُوِ والفجور؛ والمال لم يُخلَقْ ليُصرف هكذا، وإنَّما جعله الله وسيلةً، إن صُرِفَ في أبواب الخير بنى مجدًا وأفاد حمدًا، وإن صُرِفَ في أبواب الشرِّ هدمَ وأعدم، وأكسبَ صاحبه النَّدَمَ والذَّمَّ.

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٤٥٦)، ومسلم، رقم: (٢٦٦٩)، واللَّفْظُ للبخاري.

(٢) سبق تخريجه.



وقلّدناهم في بعض كلامنا وإشاراتنا من غير الحاجة بنا إلى هذا التقليد؛ لنلفت الأنظار والأسماع إلى تمدّننا وتحرّرنّا، قلّدت نساؤنا وبناتنا نساءهم وبناتهم، فطرحن ثياب الحشمة وخلعن بُرُقعَ الحياءِ، قلّدنهنّ في حركاتهنّ وسكناتهنّ، والله أعلمُ كم جَلَبَ علينا ذلك التّقليد من مضارّ، وكم جنينا بسببه من خسارةٍ وعارٍ.

وآخر شيء قلّدناهم فيه - وأخفّه وأقلّه ضررًا - تاريخنا وحسابنا، وقد كان لنا في الأهلّة غنى عن تاريخهم وحسابهم؛ لأنّ صومنا وحجّنا وأعيادنا مبنية على الأهلّة، فلما أهملنا ديننا أهملنا الأهلّة معه، ولم نعرف ربيعًا من رجب، ولما سأل رسول الله ﷺ عن الأهلّة قال له ربّه: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

عباد الله، لقد سمّي عقلاء النّاس تقليدنا هذا بالتّقليد الأعمى، وهو التّقليد الذي يضرّ ولا ينفع، خسرنا بسببه ديننا، فما نحن بمسلمين؛ لأنّ للإسلام آدابًا نبذناها وراء ظهورنا، وتمسّكنا بعبادات وآداب ديننا منها براء، وخسرنا قوميتنا، فما نحن بعرب؛ لأنّ للعرب عادات وفضائل أعرضنا عنها، وكان من نتيجة ذلك أن وهنت قوانا وذهبت ريحنا، وذللتنا لغيرنا، واستكنا للراحة، وأخفقنا في الحياة، فلا نخوة ولا شجاعة ولا إباء ولا دفاع.

يا عباد الله، حدّرتنا الرّسول ﷺ من أمرنا هذا، فقال في حديثٍ رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الطّبراني عن حذيفة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٠٣١)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٨٣٢٧).



وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»^(١).

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

وقلت في الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وأشهد أن محمداً رسول الله سيّد المرسلين، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ورضي الله عن سادات ديننا الأئمة الراشدين والتابعين لهم بإحسان.

عباد الله، اتقوا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، واعلموا أن المعاصي تدنّس الأرواح وتفسد القلوب، ومتى فسدت القلوب فسدت الأجساد.

وقد قال سيّد القائلين رضي الله عنه: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسدت الجسد كله، ألا وهي القلب»^(٢).

(١) رواه الترمذي، رقم (٢٦٩٥)، وقال: هذا حديث إسناده ضعيف.

(٢) رواه البخاري، رقم (٥٢) ومسلم، رقم (١٥٩٩).



عبادَ الله، إِنَّ اللهَ جعلَ لكلِّ ذنبٍ عقوبةً عاجلةً وآجلةً، ولكلِّ معصيةٍ نكالاً في الدنيا والآخرة، فقالَ جلَّ جلاله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقالَ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَ أَصْحَابَهُ مِنْ حَالٍ أَعَاذَهُمُ اللهُ مِنْ أَنْ يَدْرِكُوهَا، لَكِنَّا لسوءِ أعمالنا وقعنا فيها ونعوذُ بالله من عواقبها، فقالَ ﷺ: «يا معشرَ المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تُدرِكُوهُنَّ، لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعلِنُوا بها إِلَّا فشا فيهم الطَّاعونُ والأوجاعُ التي لم تكنِ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضُوا، ولم ينقُصُوا المكيالَ والميزانَ إِلَّا أَخَذُوا بالسَّنينِ، وشَدَّةِ المؤونةِ، وجورِ السُّلطانِ عليهم، ولم يَمنعوا زكاةَ أموالهم إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّمَاءِ، ولولا البهائمُ لم يُمَطَّرُوا، ولم ينقُصُوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إِلَّا سَلَطَ اللهُ عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكُم أئمتُّهم بكتابِ اللهِ، ويتخيروا ممَّا أنزلَ اللهُ إِلَّا جعلَ اللهُ بأسَهُم بينهم»^(١).

يا عبادَ الله، يقولُ اللهُ ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٩٧].



(١) رواه ابن ماجه، رقم (٤٠١٩).



بمناسبة ذكرى الهجرة

(٦) محرّم سنة (١٣٧٧هـ) الموافق (٢/٨/١٩٥٧م)

في مسجد طواري في النُقرة

(٢٧)

الحمد لله بارئ الأنام، ومقلب الليالي والأيام، ومجدد الشهور والأعوام، فتح لنا في آجالنا وجدد لنا عامًا لعلنا نطهر أنفسنا ونصلح أعمالنا، ونستغفره من ذنوبنا وأوزارنا.

نحمده على ما أولانا من إنعام، ونشكره على الدوام، ونسأله أن يجعلنا ممن آمن به واستقام.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعثه لهداية الأنام.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد أفضل الخلق، وعلى آله وصحبه الداعين للحق بالحق، والباذلين النصح بالصدق، وعلى من سلك سبيلهم واهتدى بهديهم، أمَّا بعد:

عباد الله، اتَّقوا الله، فقد فاز المتَّقون، اتَّقوا الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨].

إخواني المسلمين، إننا في آخر عام هجريٍّ قد انتهى أجله ومضى، نستقبلُ عامًا هجريًّا جديدًا هلَّ أوَّلُ يومٍ منه لأوَّلِ شهر حرامٍ من أشهره وهو شهر الله المحرَّم، شهرٌ عظَّمه الله وحرَّمه، وأوجب علينا تعظيمه

وتحريمه في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ [التَّوْبَةُ:

٠[٣٦

وبينها لنا رسول الله ﷺ في قوله: «إِنَّ الرَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثٌ مَتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»^(١).

وقد اتفق العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة على اتخاذ اليوم الأول من المحرم عيداً رسمياً تعطّل فيه الأعمال على أنه يومٌ ذكرى الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، وتقام لهذا اليوم احتفالات، وتلقى فيه كلمات قد نسمعها أو نسمع بعضها في الإذاعات.

وإنَّ التَّارِيخَ أَثْبَتَ لَنَا أَنَّ هِجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ مِنْ مَكَّةَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ، وَأَنَّهُ ﷺ وَصَلَ إِلَى قُبَاءَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَأَنَّهُ أَقَامَ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ أُسْبُوعِ بَنِي فِيهِ مَسْجِدُ قُبَاءَ وَصَلَّى فِيهِ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صُلِّيَتْ فِي الْإِسْلَامِ^(٢)، وَرَبِيعِ الْأَوَّلِ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ وَتَوَفِّيَ فِيهِ ﷺ.

ولكنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَقَدَ مَجْلِسَ شُورَى؛ لِكَيْ يَضَعُوا تَارِيخًا يَسْجَلُونَ بِهِ الْحَوَادِثَ وَالْوَقَائِعَ وَيَقْيِدُونَ بِهِ الْأَعْمَالَ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ الْعَامِ مُحَرَّمًا، وَأَنْ تَكُونَ الْهِجْرَةُ مَبْدَأَ التَّارِيخِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٦٦٢).

(٢) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لشهاب الدين القسطلاني (١/١٨٢).



ﷺ أَعْظَمَ أَمْرَهَا وَأَظْهَرَ أَثَرَهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَجَعَلَهَا مَبْدَأَ فَتْحٍ وَنَصْرٍ لِهَذَا الدِّينِ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا نُنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

أيها المسلمون، هاجر رسولُ اللهِ ﷺ كما هاجر غيره من الأنبياء قبله، ورافقه في هجرته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبقيا في الغار ثلاثة أيام، وقد أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يسمع ما يقوله الناس في النهار على أن يأتي رسول الله ﷺ في المساء بما كان في ذلك اليوم من خبر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام والشراب بما يصلحهما إذا أمست، حتى إذا هدا الطلب إليهما وأيس القوم منهما، جاءهما عبيد الله بن أريقط الدليلي، وكان مشركا استأجره الرسول ﷺ دليلا للهجرة، وقد رقق الله قلبه لهذين المهاجرين لأمر يريد به جل جلاله، وخرجا يلتمسان طريق الساحل وهو غير الطريق المألوف^(١)، وقد بذل المشركون المئات من الإبل والألوف من الذهب والفضة لمن يأتي بهما أو يدل عليهما، لكن الله جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، وفي ذلك يقول الله تعالى ممتنا على عبده ورسوله ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

إذن، فيومُ الهجرة يومٌ تحوّل في تاريخ الإسلام، وهو يوم امتحان كبير وابتلاء عظيم للمسلمين، وهو يوم تدارك فيه المولى الرحيم رسوله

(١) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد غلوش (١/٧٦).

الكريم، فأَيَّدَهُ بجنودٍ لم يرَهُم ولا رآهم الصَّحابة، وبهم جُعِلَت كلمة الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلى وكلمة الدَّعوة الإسلاميَّة هي العليا.

وقد ظلَّ باب الهجرة مفتوحًا حتَّى فتح الله لِنبيِّهِ ﷺ مَكَّة، وأزال عنها حكمَ الجاهليَّة الغاشمِ المستبدِّ، وطُهِّرَت الكعبة من الأصنام، وقال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة»^(١).

ومعناه: لا هجرة إلى المدينة بعد فتح مَكَّة؛ لأنَّ الدِّين الإسلاميَّ قد عمَّ ظلُّه الجزيرة العربيَّة، وشعائره تؤدِّي في كلِّ مكان، وأصبح ميدانُ العبادةِ واسعًا، لكن إذا كان المسلم في بلاد كفرٍ قد قُيِّدَت فيها حرِّيَّة عبادته ومُنِعَ من إقامة شعائر دينه فيها وجبت عليه الهجرة إلى بلدٍ يستطيع أن يعبد الله فيها؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنُومٌ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٧-٩٨].

ورعَّب في الهجرة وضمين للمهاجر الأمن وسعة الرزق والحياة الطيبة والجنة إن مات في طريقه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغْمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النِّسَاء: ١٠٠].

أيُّها المسلمون، إنَّ الهجرة واجبةٌ لطلب العلم؛ لقول النبي ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم»^(٢)، وإنَّ الهجرة واجبة لطلب الرزق

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٧٨٣)، ومسلم، رقم: (١٣٥٣).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٤).



فلا تستسلم إذا ضاق عليك الرزق في بلدك؛ لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [المك: ١٥].

وإنَّ الهجرة واجبة عن مجالس السوء ومجتمعات اللهو والغفلة؛ لقول الرسول ﷺ: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(١)، وهجر الباطل وأهل الباطل واجب؛ لأنَّ الله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، وقال له: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

والنَّبِيُّ ﷺ نهانا أن يهجر الإخوة بعضهم، فقال: «لا يحلُّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرضُ هذا ويُعرضُ هذا، وخيرُهُما الَّذي يبدأ بالسَّلام»^(٢).

عباد الله، ليست الهجرة حفلاتٍ تُقام أو خطبًا تُسمع، والإسلام بين المسلمين غريب، والمسلمون في بلادهم غرباء، أمرهم لغيرهم وخيراتهم لسواهم، إنما الهجرة الحقَّة والذكرى التي نريدها للدين وأهله وبلاده أن تكون كلمة الله هي العليا في كلِّ مكان؛ في المسجد والسوق والمدرسة والنَّادي والبيت والمجتمع والقضاء والحكم، وفي كلِّ شيء من شؤون الحياة، فيا ربَّ حَقِّقْ هذا الأمل، وصلِّ وسلِّم على أصدق المهاجرين وسيد المرسلين ورسولك إلى النَّاس أجمعين، وعلى صاحبه في الهجرة الصِّديق، وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار، وعلى كلِّ من اتَّبَع طريقتهم وسلك مسلكهم، فاسألوا الله - عباد الله - فإنَّه قريب يجيب دعوة الدَّاعي إذا دعاه، فادعوه مخلصين له الدين.

(١) رواه البخاري، رقم (١٠).

(٢) رواه البخاري، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم، رقم (٢٥٦٠).

وقلت في الثانية :

الحمدُ لله العظيم الخبير، يعلم خائنة الأعين وما يخفيه الضمير،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم الكريم، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله، سمَّاه ربُّه في كتابه الرَّؤُوف الرَّحِيم.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ
الطَّيِّبِينَ الَّذِينَ سَلَكَوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَاسْتَخْلَفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ سَادَاتِ دِينِنَا
الْأُمَّةِ الرَّاشِدِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، واحذروا الفواحشَ ما ظَهَرَ
منها وما بَطَّنَ، واغتنموا الأعمارَ قبل الممات، وانتهزوا الفرصَ قبل
الفوات، فَإِنَّهَا أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ تَفْنَى مَعَ الْأَوْقَاتِ، وَإِنَّ مَا مَضَى مِنَ الْعَمْرِ
لَيْسَ بِآتٍ، وَإِنَّكُمْ عَلَى سَفَرٍ لَا بَدَّ مِنْهُ، وَلَا بَدَّ لِلْمَسَافِرِ مِنْ زَادٍ، فَتَزَوَّدُوا
مِنَ الْحَسَنَاتِ، واجتنبوا البدع والضَّلالات، والكبائر والموبقات، فقد
قال ﷺ: «إِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

هذا وَإِنَّ طُولَ الْعَمْرِ نِعْمَةٌ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّبَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَدَّى
الواجبات، وانتهز الفرصَ بالطَّاعات، وتجنَّب السيِّئات، وانتهى عن
المنهيات.

وَإِنَّ طُولَ الْعَمْرِ نِقْمَةٌ لِمَنْ أَضَاعَ الرَّشَادَ، واسترسل مع الغيِّ والعناد،
وسلك طرق الفساد، ولقد سُئِلَ الْمُصْطَفَى ﷺ عَنْ خَيْرِ النَّاسِ فَقَالَ: «مَنْ

(١) رواه النسائي، رقم: (١٧٩٩).



طال عمره، وحسن عمله»، قال: فأبي الناس شرٌّ؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»^(١).

فاتَّقوا الله - أيها المسلمون - واعلموا أنَّ الفرص ثمينة، إن قطعها بالعمل الصَّالح ربحت ونجوت، وإلَّا خسرت وهلكت، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].



في ذكرى المولد

عام (١٣٧٨هـ)^(٢)

(٢٨)

الحمد لله عظيم الكرم، واهب النعم، موقظ الأمم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ينتقم للمظلوم ممن ظلم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الأمام كافة.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه.
عباد الله، اتَّقوا الله، فإنَّ تقوى الله خير زاد لمن تزود، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨].

أيها المسلمون، تطالعنا في هذا اليوم ذكرى عظيمة في قلوبنا، حبيبة إلى نفوسنا، عزيزة علينا تلك هي ذكرى مولد الهادي الأعظم سيِّدنا

(١) رواه الترمذي، رقم (٢٣٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أي: سنة (١٩٥٨م).

محمد ﷺ، والعالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه يقيم لها في هذه الأيام حفلات تذكارية تُقال فيها الكلمات والخطب، وتنشد فيها القصائد، وتوزع فيها العطايا والهبات، وإنها بدعة أوجدها المسلمون لما ضعف شأنهم وذهب سلطانهم في عصورهم الأخيرة، لعلها توقظهم وتستنهضهم بما فيها من عظة وذكرى؛ لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

فمنذ أربعة عشر قرناً وصلت الأمور في جزيرة العرب وما حولها إلى حال لا يستقرُّ لها قرار، ولا يطمئنُّ لها ضمير.

العالم متداع، ترفٌ وجفوة، إسرافٌ وطمعٌ وفقرٌ، خمرٌ وقمارٌ ومنتعة، ظلمٌ وقسوة، تسخير الأقوياء للضعفاء، شعبٌ قبائله متجاورة؛ لكنها متنافرة متناحرة، ألسنتهم ناطقة، وشجاعتهم نادرة؛ لكن عقولهم قاصرة، تهبُّ ريح الشرِّ بينهم لأتفه الأسباب، فتقتل الأبرار وتُتيم الأطفال وترمِّل النساء وتحكِّم الأعداء، دانت عقولهم حتى عبدوا الحجارة، وسجدوا لأصنام قطعوا حجارتها بمعاولهم، وصوَّروها بالآتهم ونصبوها بأيديهم، ثم قالوا: إنها تدفع عنهم الشرَّ وتجلب لهم الخير.

وقد اشتدَّت حاجة هذا العالم إلى مصلحٍ عظيم، واثقٍ بربه، مؤمنٍ بدعوته، قائدٍ ثقةٍ يُعيدُ إلى الإنسانيَّة ثقتها بنفسها، واطمئنانها إلى مستقبلها.

وقد أذن الله بانجلاء هذه الظلمة وكشف هذه الغمَّة؛ لهداية هذه الأمة، فهي خير أمة من الأمم، وفي أفضل قبيلة من قبائلها، وفي أشرف بيت من بيوتها، وفي خير بقعة من بقاع الأرض، وفي أسعد يوم من الأيام، ومن أطهر الآباء والأمهات؛ ولد محمد ﷺ ليكون نوراً للعالمين، يبدد عن البشر تلك الظلمات فيخرجهم إلى النور ويكون خاتماً



لرسالات السماء، و متممًا لمكارم الأخلاق.

ففي مثل هذا اليوم وُلِدَ ﷺ، وعاش بعد مولده أربعين عامًا كان فيها مثال الخلق الكامل العظيم والأمانة والصدق والعفة والوفاء بالعهد، وبعد الأربعين أرسله الله تعالى للعالمين رحمة وسلامًا وداعيًا إلى توحيد الله وإلى مكارم الأخلاق، تجلّى خلقه الكريم وصبره على الشدائد فيما احتمله ﷺ منها في سبيل دعوته إلى الله، وبالإحسان الذي قابل به أهلها بعد نصره.

قام يدعو الناس إلى الله وإلى توحيدِهِ في عبادته، قام يدعو الناس إلى الله في مكة مجمع الأصنام وحصن الوثنية ومقصد العباد، يدعو إلى توحيد الله ونبذ ما سواه، ويسفّه عقول من اتخذوا الأنصاب والأصنام آلهة من دون الله، قام في دعوته وهو وحيد قد خذله حتى الأقربون إليه، قام في دعوته وهو فقير لا يملك إلا إيمانه بدعوته وإيمانه بتأييد ربّه، قام بها وهو فرد ليس له غير ربّه ظهير، قام وهو معدّم لا مال ولا ثروة ولا عتاد ولا عدّة إلا صبره وثقته بأنّ الحقّ معه.

قام بدعوته هذه في مكة يدعو قومًا أشدّاء أغنياء قد أخذتهم العزّة بالإثم، ألقوا ما وجدوا عليه آباءهم واعتزّوا بمالهم وسلطانهم وشجاعتهم ومكانتهم بين العرب في عموم جزيرتهم.

استهانوا به أوّلاً، لكنّهم رأوا فيه عزيمة لا يتطرق إليها فتور، وقلبا لا يتسرّب إليه يأس ولا خور، وإيماناً لا يؤثر فيه وعد ولا وعيد.

وضعوا العقبات في طريقه، وسدّوا السبل في وجه دعوته، وآذوه بأنواع الأذى كلّها، وتفنّنوا في تعذيب المستضعفين من أتباعه، كل ذلك وهو لا يزداد إلا ثباتاً على إيمانه وتمسّكاً بدعوته، حتى غلب حقه

باطلهم، وعلت كلمته على كلمتهم، وأبدل الله وحدته أمة تعدُّ بالملايين، وفقره ذكراً سيبقى في الآخرين، ويؤتمه اسماً باقياً أبداً الأبدين، قال تعالى:

﴿الْمُ يَحْدِكُ يَتِيماً فَعَاوِي (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)﴾

[الصَّحِي: ٦-٨]، وقال تعالى أيضاً: ﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَكَ (٢) الَّذِي أَقْنَصَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشَّرح: ١-٤].

أقام الله به أمة عادلة رحيمة، أخرجت الناس من الضلالة إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الظلم إلى العدل، ومن العبودية إلى الحرية، ومن التظالم إلى الأخوة، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن التفاضل إلى المساواة.

جعل من الأعراب الجفافة رعاة الشاة والإبل رجالاً طهروا الإيمان قلوبهم، وصحح العلم عقولهم، فكانوا في الحروب قادة، وكانوا في السلم سادة، وكانوا أمة خير وهداية، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

عباد الله، بُحَّت أصوات الخطباء والمرشدين، فأين السامعون؟! وكَلَّت السنة الوعاظ والناصحين، فأين العاملون?!

ومرَّت السنون ونحن نحتفل بمولد سيّد المرسلين، فماذا أفادتنا الخطب والاحتفالات غير كلمات ذهبت أصدائها في الهواء، وكلمات وصلت إلى المسامع ولم تصل إلى القلوب?!

أيها المسلمون، ما لهذا خُلِقنا، وإنَّ رسول الله ﷺ يريدنا أن نكون أمة أعمال لا أمة أقوال، يريدنا أن نعمل قبل أن نقول، وإذا قلنا فعلنا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصَّف: ٢-٣].



أيها المؤمنون، أطيعوا الله ورسوله في اتباع سبيله الذي عبده لكم، واجعلوا كتاب الله سراجاً تسيرون على ضوئه في الطريق الذي فتحه لكم، فإنه - والله - لا حياة لكم إلا إذا سلكتم سبيل نبيكم، ولا حرية لكم إلا عن طريق دينكم ونبيكم، ولا سعادة لكم إلا بنصرة دينكم ونبيكم، ولا نجاة لكم إلا بتمسككم بكتابكم وسنة نبيكم، ولا عزة لكم إلا بالرجوع إلى ما جاء به نبيكم.

إن نبيكم محمداً ﷺ جاءكم بالنور الوهاج، نور فتح به أعيناً عمياً وأذاناً صمماً، وخلص به قلوباً غلغفاً، ذلك النور هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتحنا يوم عملنا به طريق المجد والهدى، والرخاء والغنى، والحرية والعلو.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّدْهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقلت في الثانية:

الحمد لله أنعم على عباده بالنعم العظيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم، ورحمته في مخلوقاته جسيمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جمع به بعد الفرقة، وكثر به بعد القلة.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، ورضي الله عن عباده الصالحين.

عباد الله، اتقوا الله، وأطيعوه تسعدوا، وأطيعوا رسوله تفلحوا،



واجعلوا لكم فيه أسوة حسنة تفوزوا، وانصروا دينكم تُنصروا.

سيروا على ما كان نبيُّكم ﷺ عليه من أخلاقٍ وأعمالٍ وصبرٍ على الشَّدائد، ومكافحةٍ للفتن والمكائد، سيروا على هديه المستقيم، ومنهجه القويم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:

١٢٨-١٢٩].

اللَّهُمَّ يا أرحم الرّاحمين انصر الإسلام والمسلمين، واجمع على الحقّ كلمة المؤمنين.

اللَّهُمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وانصرنا ولا تخذلنا وأرضنا وارضَ عَنّا.

اللَّهُمَّ اجعلنا صالحين مُصلحين، هداة مهتدين غير خزايا ولا نادمين ولا مفتونين، وارحمنا برحمتك أجمعين، ﴿رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].



المولد

(٢٩)

الحمدُ لله الَّذي جعلَ الذِّكْرَى تنفع المؤمنين، والحمدُ لله الَّذي أرسلَ محمداً ﷺ رحمةً للعالمين.



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الذلّة نصيبَ
الخاملين، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمّدٍ عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه
أجمعين.

عباد الله، اتّقوا الله كما أمركم، واذكروه يذكركم، واشكروه يزدكم،
وانصروه ينصركم كما وعدكم.

عباد الله، غداً يبدأ الأسبوعُ الثاني من شهر ربيع الأوّل؛ أسبوع مولد
المصطفى ﷺ، وإنّ في مولده لذكرى، وستقامُ الحفلاتُ في البلاد
الإسلاميّة جميعها لهذه الذّكري، نسأل الله تعالى أن ينفع بها عباده
المؤمنين.

في فجر اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل عام الفيل، وقبل الهجرة
بثلاث وخمسين سنةً وُلِدَ محمّد بن عبد الله ﷺ الذي اصطفاه ربّه ليكون
رسوله إلى النّاس، يهديهم من ضلالٍ، ويُنقذهم من وبالٍ^(١)، فكان مولده
مؤذناً بصبحٍ مشرقٍ بعد ليلٍ دامسٍ من الجهالةِ دامٍ قروناً طوالاً، وفاتحة
عصرٍ جديدٍ يُبشّرُ بنهضةٍ سعيدةٍ، وكان مبعثه الفصل بين ماضٍ زاخِرٍ
بالمآثم، ومستقبلٍ حافلٍ بالعظائم، وكان يوماً له ما بعده؛ أنّ للحقّ أن
تقوم فيه قواعده، وللهدى أن يشعّ فيه نوره، وللمجتمع أن ينقلب رأساً
على عقِبٍ؛ فتتحلّل النفوس من منازعها، وتُستبدل طرقُ الحياةِ بغيرها.

(١) الوبال: الشدّة والثقل. انظر: تاج العروس، للزبيديّ (٣١/٦٤).

بُعِثَ ﷺ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ، وَمَا أُمَّةُ الْعَرَبِ إِلَّا قِبَائِلُ شَتَّى، لَا يَلْوِي (١)
 قَبِيلٌ عَلَى قَبِيلٍ، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عَبَسَ: ٣٧]، وَمَطْمَعٌ
 يَرْتَجِيهِ، فَوْضَى لَا جَامِعَةَ تَجْمَعُهُمْ، وَلَا نَصِيحَةَ تَنْفَعُهُمْ.

وَلَكِنَّ بَعَثَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ جَعَلَتْ مِنْهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً يَدِينُونَ لِعَقِيدَةٍ
 وَاحِدَةٍ، وَيَخْضَعُونَ لِحُكُومَةٍ وَاحِدَةٍ، عَمَرُوا الْأَرْضَ وَمَصَّرُوا الْأَمْصَارَ
 وَنَشَرُوا الْحَضَارَةَ.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الْجُمُعَةُ: ٢].

نَفُوسٌ كَانَتْ فِي الْأَمْسِ عَلَى أَعْظَمِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ النَّفُوسُ مِنْ قَسْوَةٍ
 وَبِدَاوَةٍ وَجَفَاءٍ، يَقْلِبُ الْإِسْلَامَ كِيَانَهَا فَيُثَقِّفُ عَقُولَهَا وَيَهْدِبُ طَبَاعَهَا وَيَبَدِّلُ
 قَسْوَتَهَا رَحْمَةً وَبِدَاوَتَهَا حَضَارَةً وَجَفَاءَهَا رِقَّةً، وَيُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِمْ أَحْوَالَ
 الْأُمَمِ، فَيَهْدُونَ الضَّالِّينَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلِينَ وَيَجْمَعُونَ الْمُتَفَرِّقِينَ،
 وَيَقْطَعُونَ دَابِرَ الْفُسَادِ، وَيَعْدِلُونَ فِي الْحُكْمِ، وَيَحْقُقُونَ الْحَقَّ وَيَزْهَقُونَ
 الْبَاطِلَ.

وَبِهِمْ تَدُولُ دَوْلَةُ الظُّلْمِ فِي فَارِسٍ وَالْعِرَاقِ، وَبِهِمْ يَنْهَارُ صَرْحُ الطُّغْيَانِ
 فِي مِصْرَ وَالشَّامِ، فَلَا كَسْرَى وَلَا نَارُهُ تُعْبَدُ فِي الشَّرْقِ، وَلَا قَيْصَرَ وَلَا
 صَلِيْبَهُ يُعْبَدُ فِي الْغَرْبِ، إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ وَحْدَهُ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ
 مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا كَانَ نَجَاحَ السَّلَفِ إِلَّا لِأَنَّهَمْ تَمَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي

(١) مَرَّ مَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ: أَي لَا يَنْتَظِرُهُ وَلَا يَقِيْمُ عَلَيْهِ. انْظُرْ: تَاجُ الْعُرُوسِ، لِلزَّيْدِيِّ
 (٤٨٤/٣٩).



جاء به محمد ﷺ، فاتَّخذوا كتاب الله دستوراً لحياتهم، ومن أقوال النبي ﷺ وأفعاله دروساً يتدارسونها، ومن سيرته سنة يقتدون بها.

أما حين قست القلوب، وانصرفت عن الدين، وقام حبُّ الشَّهوات سداً في سماع النَّصائح، وصار الميل مع الأهواء حجاباً للبصائر، وانكبَّ النَّاس على فعل المحرِّمات وارتكاب المنكرات وفشت البدع والخرافات، واستولت على النَّاس المطامع، وعادت الجاهليَّة الأولى، فأصبح لكلِّ امرئ شأن يغنيه، لا يشعر إلا بنفسه ولا يهتمُّ إلا لمطامعه؛ آل الأمر إلى ما نشاهده ونحسُّه من ذلٍّ واستكانة.

أين نحن - أيها المسلمون - من قول النبي الكريم ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه»^(١)؟ أم أين نحن من قوله: «المؤمن القويُّ، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف»^(٢)؟

إننا رضينا بالذلِّ والصَّغار في عُقرِ دارنا، وها هي الصُّهيونيَّة أشدُّ النَّاس عداوةً للذين آمنوا قد اقتطعت جزءاً من بلادنا، بل أقول: اغتصبت قلب بلادنا، وأسست دولتها إسرائيل، وجمعت فيها شتاتها من أمم شتى، نُبذوا من بلادهم نبد القدر، وحكوماتنا تحيط بهذه الدَّولة لا تملك حولاً ولا قوَّة على إزالتها أو محوها، اللهمَّ إلا أقوالاً تسمع أو وعوداً تنسى! وإسرائيل تضحك لهذه الوعود، والعدوُّ الآخر يضحك لهذه الأقوال.

وفرنسا - الأُمَّة الخليعة والدَّولة المستهتره الماجنة - تعدُّ الجزائر

(١) رواه الترمذِيُّ، رقم: (٢٢٥٤)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤).

أمس باستقلالها، ثم تقلب لها ظهر المِجَنِّ بغارة تقضي على المئات من الجزائريين بين قتلى وجرحى، ولا يرتوي ظمؤها من دماء أبناء الجزائر حتى تباغت قرية آمنة مطمئنة من قرى تونس فتهدم على أهلها دورهم، وترمل نساءهم، وتيتم أطفالهم، لا ترحم صغيراً لصغره، ولا شيخاً فانياً لعجزه، ولا امرأة لضعفها.

وهكذا كل بلد من بلادنا ينادي من مصابه بالويل، وكل أمة من أممنا تدعو من بلائها بالثبور، وذلك نتيجة الإعراض عن دين أمرنا أن نكون أمة واحدة، ونهاننا عن التفرق حتى لا نفشل ويتمكن الأعداء منا.

ووالله ليس لنا خلاص من البلاء، ولا لأدوائنا هذه من دواء، إلا بالرجوع إلى تعاليم الكتاب الذي أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله؛ ليكون للأمم شفاء من الأدواء جميعها كما أوضحه وبينه لنا هذا الرسول الكريم، فإن لم تفعلوا - أيها المسلمون - فيومكم أحسن من غدكم، وحاضرکم خير لكم من مستقبلکم، وأسأل الله لي ولكم الهداية.

قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

يقول تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأُزِرْ وَرَزَّ وَخُزِّي وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].



(١) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، رقم: (٣١٩).



للمولد أيضًا

(١٤) ربيع الأول سنة (١٣٨١هـ) - الموافق (٢٥/٢)

(٨/١٩٦١م)

(٣٠)

الحمد لله الذي بعث رسوله محمّداً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهديهم إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، الرّحمة المهداة منه لعباده. اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النّبّيّ الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يا عباد الله، في الأمس الأوّل كنّا في عطلة رسميّة بمناسبة ذكرى مولد الرّسول الأعظم سيّدنا محمّد ﷺ، ولعلّ أكثرنا سمع من الإذاعة في اللّيلة التي سبقت يوم العطلة ما قاله المحترفون بهذه الذكرى، وقد قلنا في الأسبوع الماضي ما يسّر الله لنا من قول في موضوع هذه الذكرى.

وقد اعتاد المسلمون في القرون الأخيرة أن يحتفلوا بهذه الذكرى ويجعلوا من يومها عيداً يهنّئون فيه بعضهم ويظهرون فيه فرحهم ويعطّلون فيه أعمالهم ويطعمون فيه الحفلات التي تلقى فيها الخطب أو القصائد الموضّحة لسيرة هذا النّبّيّ الكريم ﷺ.

وسمع الناس في هذه الحفلات أنه ﷺ وُلِدَ من أبوين من أشرف بيوت العرب، ومات أبوه قبل أن يولد، ولم تعش أمّه طويلاً ففارقت الحياة قبل

أن يكتمل سنُّه السادسة، فعاش يتيمًا فقيرًا، لكنَّ الله آواه وأغناه، وشرفه بأن اختاره لهداية النَّاس وبعثه رحمةً للعالمين، وجعلَ اسمه فتحًا للبصائر ونورًا في القلوب وخشوعًا للنفوس وبردًا وسلامًا على الأسماع ﷺ.

إنَّ النَّاس قد عرفوا ذلك، لكنَّ المسلمين اليوم بحاجة لأن يعرفوا أكثر من قصَّة، فالقصَّة إذا أعيدت ملَّها السَّامع، فالنَّاس بحاجة إلى ذكرى تنفع وتأخذ منها العبرة.

ندَّعي أننا مسلمون، ولكن ما أبعدنا من الإسلام! فلإسلام أوامر ونواهٍ، ولكلُّ منها حدود تجاوزناها، فلا بالأوامر ائتمرنا، ولا عن النَّواهي انتهينا.

الإسلام يريد للمسلمين أن يكونوا أُمَّةً واحدةً عزَّتْها كاملة وحرَّيتَّها كاملة ويدها عُليا، فأين نحن من ذلك؟!!

الإسلام يريد للمسلمين ألفة تجمع شتاتهم ووحدة يرجعون إليها إذا اعتدى عليهم معتدٍ، وأن يكونوا يدًا واحدة تحقُّ الحقَّ وتزهق الباطل وتصل بالأُمَّة الإسلاميَّة إلى العزَّة والسِّيادة، ويريد للمسلمين حياة كريمة، فلا يتَّخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، «فلا فضل لأحدٍ على أحدٍ»^(١)، إلا بالعمل الصَّالح للأُمَّة، والتَّقوى لله، كما يريد من المسلمين أن يكونوا شجعانًا في الله، لا يخافون في الحقِّ لومة لائم، ولا يرهبون فيه بطش ظالم.

إنَّنا - أيُّها المسلمون - مطالبون بأن نؤمن بالله إيمانًا خالصًا من شوائب الشُّرك، ونؤمن برسوله تصديقًا بما جاء به، ونؤمن بكتابه بأنَّه من

(١) سبق تخريجه.



عند الله ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات:

١٥].

ومطالبون بأن نعمل لنعوّض ما فات لاسيما أننا على أبواب عهد جديد، فلنبعد منّا اليأس، وليكن لنا في المستقبل أمل قوي؛ يجب أن نتخلّص فيه من كلمة أنا، فإنها أنانيّة والأناييّة منبع الشرور والآثام.

ولنعمل لكلمة نحن، فنؤثر على أنفسنا كما كان أصحاب نبينا ﷺ ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، وحينئذٍ تجتمع القلوب على بناء مجتمع حرّ كريم، تقوم فيما بين أفرادهِ علاقات كريمة طيبة يحبُّ المؤمن فيها لأخيه ما يحبُّ لنفسه، فالنبيُّ ﷺ أخبرنا أنّه: «لا يؤمن أحدكم حتّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(١).

على هذا بنى أسلافنا مجدهم؛ مجد الإسلام، وعلى هذا أقام أسلافنا دولتهم؛ دولة الإسلام.

أيّها المسلمون، إنّ الله قد هدى بمحمّد ﷺ أمة، وبنى به دولة، وأنزل عليه كتابه هدى للنّاس ورحمة، أنقذهم به من ضلال، وعلمهم من جهل، وحرّره من عبوديّة، وأرشدهم به إلى الحياة.

وأنتم - يا أمة محمّد ﷺ ويا أبناء العرب - ورثة محمّد الذي بعثه ربّه هاديًا ومبشّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الحقّ ونصره، وإزهاق الباطل ودحره، فيجب على الورثة أن تُتمّ ما بدأ به مورّثها.

وقد كان أسلافكم أصحاب محمّد ﷺ والتّابعون لهم بإحسان دعاة خير، وثبوا بعقيدتهم وثبة رجفت لها أقطار الأرض، فلم يبق سهل ولا

(١) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).

وعر، ولم يبق تاج ولا سرير إلا تبدل خلقاً آخر.

كانت قوتهم العقيدة التي جعلت منهم أبطالاً، دفعتهم إلى معاقل المجد، زكت نفوسهم وأذكت فيها الشجاعة فأتوا بجلائل الأعمال وذلت أمامهم الصعاب، وكانوا أشدّاء على الكفار رحماء بينهم وكانوا أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين.

وما من أمة ناهضتهم إلا كانت أشدّ منهم قوّة وأكثر جمعاً وأوفر عدّة، وإنما قوتهم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: نحن ما نقاتل الناس بعدد، ولا قوّة، ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإنما هي إحدى الحسينين، إمّا ظهوراً، وإمّا شهادة^(١).

فلم تكن قوتهم في وميض سيف، ولا في وفرّة سلاح، ولا في عديد جنود، ولا في محكم تدبير.

قوّة لا تجدها إلا في الذين آمنوا بعقيدتهم التي تهيب بهم إلى حياة الكرامة والشرف والعزّة، وتنقلهم بعد حياتهم تلك؛ إلى حياة الخلود ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

أيها الناس، جاءنا محمد صلّى الله عليه وآله بالدين والدنيا، والعبادة والدولة، بالمسجد والسوق، بالسيف والمصحف، وأدخل الدين معنا في مساجدنا وبيوتنا، ومدارسنا وحكومتنا، ومعاملتنا وأسواقنا، وحتى في معاملة الرجل لأهله ووالديه وولده.

إننا لم نكن شيئاً قبل رسالة محمد صلّى الله عليه وآله، ولن نكون شيئاً إذا لم نتمسك بدين محمد صلّى الله عليه وآله، وإنه - والله - لظلم ما بعده ظلم، وجحود ليس مثله

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٤٢٨).



جحود أن نترك دينًا جاء به محمد ﷺ، وندعي بعد هذا أننا من أمته .

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ
 (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ
 اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
 يُنظَرُونَ (٨٨)﴾ [آل عمران: ٨٥-٨٨] .

وقلت في الثانية :

عباد الله، اتقوا الله، أيها المسلمون قلنا: إن الإسلام جعل من
 المسلمين أبطالاً قضوا على الظلم والظالمين، ودحروا الباطل
 والمبطلين .

وأقول أيضًا: إن الإسلام جعل من المسلمات بطلات ولنشئ
 أسماء بذكر بعضهن: هذه أم أيمن؛ التي أرضعت النبي ﷺ بعد مولده
 قبل حليلة، وهي جارية مملوكة لأمينة بنت وهب أم النبي ﷺ، وكان ﷺ
 يقول: «أم أيمن أمي بعد أمي»^(١) .

هذه الصحابة رضي الله عنهم حضرت غزوة أحد كما تحضر النساء المسلمات
 الغزوات؛ لسقي الماء ومداواة الجرحى، ولما رأت فلوات المسلمين
 يريدون دخول المدينة، أخذت تحثو في وجوههم التراب، وتقول
 لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك .

ثم سارعت إلى ساحة القتال، فأخذت تسقي الجرحى، فرماها حبان

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم (٣٤٤١٧) .

ابن العرقه بسهم، فوقعت وتكشفت، فأغرق عدو الله في الضحك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهمًا لا نصل له، وقال: ارم به، فرمى به سعد، فوقع السهم في نحر جبان، فوقع مستلقيًا حتى بدت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، ثم قال: «استفاد لها سعد، أجاز الله دعوته»^(١).

وهذه ليلى الغفاريّة كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازيه تداوي الجرحى، وتقوم على المرضى^(٢).

وهذه نسبية بنت كعب حاربت مع النبي ﷺ في بعض غزواته، خرجت يوم أحد تسقي ومعها شن^(٣)، وقاتلت وأبلى بلاء حسنًا وجرحت اثني عشر جرحًا، وشهدت ليلة العقبة وأحدًا والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة، وحاربت بعد النبي ﷺ مع أبي بكر، وقطعت يدها في الحرب^(٤).

وهذه أيضًا خولة بنت الأزور وهي أخت ضرار بن الأزور، كانت مشهورة بالشجاعة والجمال، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها في خلافة أبي بكر الصديق وكانت تفوق الرجال بالفروسيّة والبسالة^(٥).

هكذا صنع الإسلام من المسلمين أبطالاً ومن المسلمات بطلات.

(١) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (٢٥٢/١).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للنمري القرطبي (١٩١٠/٤).

(٣) الشن: الحلق من كل آنية صنعت من جلد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٥/٢٩١).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥١٥/٣).

(٥) انظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب العاملي (١٨٤/١).



إنَّهَا الْعَقِيدَةُ وَالتَّضْحِيَةُ وَإِنَّهُ الْإِيمَانُ، آمَنُوا بِأَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَآمَنُوا بِأَنَّهُ لَنْ يَصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، وَآمَنُوا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: ٧]، وَآمَنُوا بِقَوْلِهِ ﷺ:
«لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا»^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يُونُسُ: ٩-١٠].



ذكرى الإسراء والمعراج

في (٥/١/١٩٦٢م)

(٣١)

اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوهُ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَطِيعُوهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ خَتَمَ النَّبَوَاتَ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا خَتَمَ الرِّسَالَاتَ بِرِسَالَتِهِ،
فَهُوَ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ
وَالنَّبَوَاتِ، ظَلَّتْ النَّبَوَاتُ قَبْلَهَا دَهْوَرًا طَوِيلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَظَلَّتْ
فِلَسْطِينَ وَفِيهَا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مَهْبَطَ الْوَحْيِ وَمَوْطِنَ الرِّسَالَاتِ، حَتَّى إِذَا
طَالَ الْأَمْدُ وَبَطَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَقَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُوهُ، فَحَلَّتْ

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١٤١).

عليهم لعنة الله؛ وُجِّهَت الرِّسَالَةُ إِلَى أُمَّةٍ غَيْرِ أُمَّتِهِمْ، وَهَبَطَ الْوَحْيُ فِي بَلَدٍ غَيْرِ بَلَدِهِمْ، وَهَذَا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى وَجِبْتَ لَكَ التَّبَوُّةُ؟ قَالَ: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»^(١).

بُعِثَ مُحَمَّدٌ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ وَمِنْ بَلَدِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَوَرِثَ تَعَالِيمَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَأَمِنَ بِالرِّسَالَاتِ كُلِّهَا، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [التِّسَاء: ١٦٣].

وَصَلَ الْحَاضِرُ بِالْمَاضِي، وَدَمَجَهُمْ فِي حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ نِظَامُ حَيَاةٍ يَبْدَأُ بِكِرَامَةِ الْإِنْسَانِ: بِأَنَّ لَا عِبُودِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَحْوَجُ الْإِنْسَانِ أَحَبُّ أَمْ كَرَهُ، وَيُنْتَهِي بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [٨] ﴿[الرِّزْوَلَةُ: ٧-٨].

وَيَعُدُّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى حَرَمًا مَقْدَسًا يَجِبُ أَنْ يُصَانَ وَيُطَهَّرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ شَرَّفَهُ بِأَنْبِيَائِهِ وَرَسَلَهُ، وَأَهْبَطَ فِيهِ وَحِيًّا، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابًا.

وَيُنْتَقَلُ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي إِسْرَائِهِ، فَيَكُونُ هَذَا الْإِنْتِقَالَ احْتِرَامًا لِلْإِيمَانِ الَّذِي دَرَجَ قَبْلَ فِي رِحَابِهِ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ الرَّسُلَ السَّابِقِينَ مِمَّنْ حَمَلُوا الْهُدَايَةَ السَّمَاوِيَّةَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، لِيَسْتَقْبَلُوا حَامِلَ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةَ لِرِسَالَتِهِمْ وَالْمَصَدِّقَةَ لَهُمْ.

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٠٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب.



﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وثبت أنه ﷺ صلى إماماً بالأنبياء في المسجد الأقصى، فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائمٌ يصلي، فإذا رجلٌ ضربٌ، جعدٌ كأنه من رجالِ شنوءة^(١)، وإذا عيسى ابنُ مريمَ ﷺ قائمٌ يصلي، أقربُ النَّاسِ بهِ شبهاً عروةُ بنُ مسعودِ التَّفْهِي، وإذا إبراهيمُ ﷺ قائمٌ يصلي، أشبهُ النَّاسِ بهِ صاحبُكم - يعني نفسه - فحانتِ الصَّلَاةُ فأممتهم^(٢)، فكانت هذه الإمامة إقراراً مبيناً بأنَّ كلمة الله الأخيرة إلى خلقه هي هذا الدين، الَّذِي بدأه برسالات الأنبياء الَّذين من قبل محمد ﷺ، وختمه برسالته، وحملها من بعده أمته التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

يقول ﷺ في ذلك: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(٣).

وأديان السَّمَاءِ واحدة لا شكَّ فيها، بدأت بوحدانيَّة الله وتحريم العبوديَّة، وتكريم بني الإنسان، وليس في ذلك ما اصطنعه النَّاسُ من

(١) رجل شنوءة: أي: طاهرُ النَّسَبِ ذو مروءة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١/ ٢٨٨).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٧٢).

(٣) رواه البخاري، رقم (٣٥٣٥)، ومسلم، رقم: (٢٢٨٦).

أوثان وطقوس، وليس منها ما لعبه أعداء الحقيقة وطلّاب المصالح الذين ابتدعوا بدعًا شوّهوا فيها وجه الدّين وانتحلوا نحلاً هدموا بها قائمه، وليس منها ما ابتدع أخيراً من مذاهب احتضنها الاستعمار ليعوق بها المسلمين عن تحطيم قيوده، كالبهائيّة التي خلقها الرُّوس، والقاديانيّة التي ابتدعها الإنكليز.

إنّ الإسلام دين الأبد والفطرة، ودينُ العقل السّليم، ليس أبغض إلى الله من أن يفتري أحد على الله فيأتي بقيد ينسبه إلى الدّين تاركًا النّفوس في سجونها مغلولة كئيبة.

وفي صبيحة يوم الإسراء حدّث رسول الله ﷺ قريشًا بما تمّ له، وشهد من آيات ربّه الكبرى فكذبته كثيرون، وطاروا يجمع بعضهم بعضًا؛ ليسمعوا هذه الأعجوبة، فما ازدادوا إلّا إنكارًا لرسالة محمّد ﷺ وربيّة في أمره، وتحذاه بعضهم أن يصف بيت المقدس إن كان رآه حقًا، فقال ﷺ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قَرِيشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَطَفِقْتُ^(١) أَخْبَرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ»^(٢).

وارتدّ فريق ممّن كان أسلم عقب هذا الحادث إنكارًا له، إلّا أنّ اليأس لم يخامر قلب النّبِيِّ القويّ بتأييد ربّه، واستمرّ مثابرًا في جهاد الدّعوة إلى الله، حتّى تأذّن الحقُّ أخيرًا بالفرج والنّصر.

شُرِعَت الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي السَّمَاءِ؛ لتكون معراجًا يرقى به العبد

(١) طفق يفعل كذا: إذا شرع في فعلٍ واستمرّ فيه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨٨/٢٦).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٨٨٦)، ومسلم، رقم: (١٧٠).



كلّما دنت نفسه إلى الشّهوات ومفاتن الدّنيا الزّائلة، وفُرضت؛ لتكون عِصمةً لصاحبها من الدّنيا، فكلُّ صلاةٍ لا ترفع صاحبها إلى درجة النّزاهة صلاةٌ كاذبةٌ، تؤدّي بالهيكل دون الرّوح، إنّ الصّلاة طهور للنّيّات والبواطن لا لجنّةٍ عَفَنَةٍ لا تجديها الصّلاة فتيلًا، تحيا القلوب بالمحافظة عليها وصدق النّيّة بأدائها، أمّا الرّياء بها فسيزيد صاحبها بُعدًا عن الله حتّى يُوارى الثّرى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].



بعثة النبي ﷺ

(٣٢)

الحمد لله الذي أنار الوجود بنور سيّد الكائنات، وأنقذهم به من الضّلالات، وألّفهم به بعد العداوات. أرسله بالهدى داعيًا إلى الله بإذنه، فأخرج النّاس من الظّلمات، فبصّروهم بعد عمى، وعلمهم بعد جهل، وأرشدهم بعد تيه، وأيقظهم بعد غفلة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل أمّة محمّدٍ خير الأمم، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله إلى العرب والعجم.

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه الذين سلكوا طريقته واتّبعوا سنّته، فعاشوا حياة طيِّبة، ولهم بعد ذلك رضوان الله في جنّات النّعيم، أمّا بعد:

أَيُّهَا الْمَسْلَمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ أُمَّةٌ التَّقْوَى، وَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَهُوَ السَّبَبُ الْأَقْوَى، إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ نَجُوتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ هَلَكْتُمْ، وَمَا دَارَكُمْ هَذِهِ إِلَّا دَارٌ إِنْ زَرَعْتُمْ فِيهَا خَيْرًا حَصَدْتُمُوهُ، وَإِنْ زَرَعْتُمْ فِيهَا شَرًّا لَقَيْتُمُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَا تَعُدُّ وَلَا تَحُدُّ، وَمَنْ أَجَلَ نِعْمَهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا مَنَّا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِهِ، وَيُنَوِّرُ عَقُولَنَا بِإِرْشَادِهِ، أَمَرْنَا أَنْ نَمْتَثِلَ أَوْامِرَهُ، وَأَنْ نَتَأَسَّى بِأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ كَامِلَةً، فَمَنْ نَحْنُ لَوْلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، وَمَنْ نَحْنُ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ وَشَرِيعَتُهُ؟!!

إِنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّةٍ طَاغِيَةٍ، وَكَانَ الْعَالَمُ فِي ضَلَالٍ دَاجٍ، وَكَانَتِ الْبَشَرِيَّةُ بَيْنَ عَبْدٍ مَسْخَرٍ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَبَيْنَ سَيِّدٍ جَائِرٍ غَاشِمٍ، وَكَانَ الْعَرَبُ بَيْنَ أُمَّتَيْنِ طَاغِيَتَيْنِ ضَالَّتَيْنِ: أُمَّةٌ تَعْبُدُ الصَّلِيبَ وَأُخْرَى تَعْبُدُ النَّارَ، وَكِلَاهُمَا تَرِيدَانِ السَّيْطِرَةَ عَلَيْهِمْ، وَالْعَرَبُ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، يَعْبُدُونَ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ، مَتَفَرِّقِينَ فِي فَيَافِي الْجَزِيرَةِ وَقِفَارِهَا، وَمَشْتَتِينَ فِي شَعَابِهَا وَجِبَالِهَا، لَا جَامِعَةً تَجْمَعُهُمْ وَلَا مَصْلَحَ يَصْلِحُهُمْ، وَهَمَّ بَيْنَ سَالِبٍ وَمَسْلُوبٍ وَقَاتِلٍ وَمَقْتُولٍ، مَزَّقَتِ الْعِدَاوَاتُ شَمْلَهُمْ، وَأَذْهَبَتِ الْفُوضَى رِيحَهُمْ، وَقَضَى الْجَهْلُ عَلَيْهِمْ، فَهَمَّ يَيْدُونَ بَنَاتِهِمْ وَيَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ جَهْلًا وَبُؤْسًا، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ جَوْعًا، وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذَا بِصَوْتٍ يَسْمَعُ مِنْ مَكَّةَ يَنَادِيهِمْ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.

أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، إِذْ قَالَ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»^(١)، وَحَثَّهُمْ عَلَى مَكَارِمِ

(١) رواه البخاري، رقم: (٧).



الأخلاق، إذ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»^(١)، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عباد الله، في مثل هذه الأيام، وقبل أربعة عشر قرنًا، وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ والعالم في أشد الحاجة إليه، فكانت ولادته رحمةً للعالم أجمع، وسلامًا شاملًا للبشرية وحقًا مُبينًا.

وفي هذا الأسبوع ستلتقي مشارق العالم الإسلامي بمغاربه خاشعين لذكرى هذا الميلاد المقدس، تلتمع في أذهانهم صورًا متتابعة من حياة الرسول العظيم ﷺ من ولادته إلى رسالته إلى هجرته إلى أن أكمل الله به دينه، والتحق بالرفيق الأعلى.

نعم، إنها والذي بعثه بالحق لحياة عظيمة، كانت مَثَارَ الإعجاب والإكبار بين قوم نشأ فيهم طفلاً ثم يافعًا ثم شابًا ثم كهلاً، وكانوا يسمونه الصادق الأمين، ويحتكمون إليه في خصوماتهم، ويأمنونه على أموالهم؛ حَتَّى بَعَثَهُ اللهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ؛ لتكون هذه الأمة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكبر عليهم أن يسب آلهم ويسفهم أحلامهم، وكبر عليهم أن ينبذوا أصنامهم، ويتركوا ما اعتادوا عليه من عادات آبائهم، فكذبوه وأهانوه وعذبوه وأخرجوه من بلده وحاربوه، لكنه كان مؤمنًا برسالته، وكان الذين معه مؤمنين به.

(١) رواه الترمذي، رقم: (١١٦٢)، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، الْإِيمَانُ يَجْعَلُ مِنَ الضَّعِيفِ قَوِيًّا، وَمِنَ الْأَعْزَلِ مَسْلُوحًا، وَمِنَ الْعَاجِزِ مَنْدَفِعًا، وَبِالْإِيمَانِ - أَيُّهَا الْإِخْوَانُ - يَكْثُرُ الْقَلِيلُ وَيَكْبُرُ الصَّغِيرُ، وَإِنَّ الْغَلْبَةَ دَائِمًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وَالْمُؤْمِنُ يَهْزَأُ بِكُلِّ كَارِثَةٍ وَيَصْمَدُ لِكُلِّ نَازِلَةٍ، وَيَعْمَلُ لِيَحَقِّقَ مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ مِنْهُ.

نعم، يا أمة محمد؛ لقد غلب محمد ﷺ وأصحابه الكفر الكثير، وقضوا على الطغيان، وهدموا صرح الفوضى، وثاروا على الضلال، ونوروا السبيل، وأشادوا مجد الإسلام، وأوجدوا من رعاة الغنم رعاةً للأمم، يحكمون بالعدل ويدعون إلى الحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فكان قاضيهم عادلًا، وكان واليهم مخلصًا أمينًا، وكان تاجرهم صدوقًا نظيفًا، وكان فقيرهم كادحًا شريفًا، وكان عاملهم مجتهدًا ناصحًا، وكان غنيهم سخيًا مواسيًا.

وهكذا أدب النبي محمد ﷺ أصحابه، وهكذا أراد الله أن تكون أمة محمد، وهكذا كانت.

فيا أمة محمد، كونوا كما أراد لكم نبيكم أن تكونوا، فإنه يقول: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

تمسكوا بكتاب الله واعتصموا بسنة رسول الله واعملوا بهما، فإن كتاب الله بين أيديكم أنزل بلسانكم العربي غير ذي عوج، من ابتغى الهدى في غيره ضلّ ومن أعرض عنه هلك، ومن عمل به هدى إلى

(١) سبق تخريجه.



صراطٍ مستقيم .

يا عباد الله، ليست الذكريات حفلات تُقام ولا حُطَبًا تُلقى ولا قصائد تُنشد، ولا مشروباتٍ وحلوى توزَّع، وإنما الذكريات أن ينصح النَّاصِح، ويقول القائل، ويتَّبَع المستمع فيعمل بما يُهدى إليه، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصَّف: ٢-٣] .

روى البخاريُّ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا من أباي»، قالوا: يا رسول الله، ومن يا أباي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أباي»^(١).

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٢-٤] .

وقلت في الثانية:

الحمد لله ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه أرسله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمدٍ النَّبِيِّ الأَمِينِ وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن سادات ديننا الأئمة الرَّاشدين والتَّابعين لهم

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٢٨٠) .

ياحسان، أمّا بعد:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴿[فُضِّلَتْ: ٤١-٤٢]﴾، فهُدَى بِهِ الضَّلَالُ وَأُرْشِدُ بِهِ التَّائِبُ وَعَلَّمَ بِهِ الْجَاهِلُ، وَفِيهِ يَقُولُ ﷺ: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجِنَّ إِذْ سَمِعْتُهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿[الجن: ١-٢]﴾، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاَعْمَلُوا بِهَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّ سَعَادَتَكُمْ فِي أَنْ تَكُونُوا بِهَذَا الْكِتَابِ عَامِلِينَ، وَإِنَّ فَوْزَكُمْ فِي أَنْ تَكُونُوا لِأَمْرِهِ مُتَّبِعِينَ، وَعَنْ نَوَاهِيهِ مُنْتَهِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿[الحديد: ٢٨]﴾.



(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.



نصف شعبان

في (٢٨ / ٢ / ١٩٥٨ م)

(٣٣)

الحمد لله ربّ الأرض والسّماء، مستحقّ الحمد والثناء، يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الملك يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله إمام المرسلين وخاتم الأنبياء صلّى وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه السّادة الأوفياء البررة الأتقياء كافّة، أمّا بعد:

عباد الله، اتّقوا الله حقّ التّقوى، وتقرّبوا إلى ربّكم بالعمل الصّالح فإنّه السّبب الأقوى وجزاؤه الأوفى، وهو لكم أبقى في الآخرة والأولى.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧].

عباد الله، درج المسلمون منذ زمن بعيد في أوطانهم جميعها على تعظيم ليلة النّصف من شهر شعبان والاحتفاء بها، ولبعضهم في ذلك تقاليد وعادات يقولون: إنّ الإسلام سنّها في هذه اللّيلة.

وعدّ بعض النّاس هذه العادات طاعة يؤجرون عليها، وعدّها بعضهم بدعاً يأتّمون بها؛ لقوله ﷺ: «وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار»، ولقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو يسوؤنا».

أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ»^(١)، وما لم يرد في كتاب الله أو يصحَّ خبره عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ، فهو بدعةٌ، والإسلام كامل والكامل لا يحتاج إلى تكملةٍ، «ومن أحدث فيه ما ليس منه فهو ردٌّ»^(٢)، ومعنى الردِّ: المخالف للسنة.

يا عباد الله، عظم رسول الله ﷺ شهرَ شعبانَ فصامَ أكثره وتقرَّبَ إلى الله فيه بطاعاتٍ تشير إلى فضله، وقام فيه بأعمال تدلُّ على تشریفه، وقد سئل ﷺ: أيُّ الصَّوم أفضلُ بعدَ رمضان؟ فقال: «شعبانُ لتعظيمِ رمضان»، رواه الترمذيُّ عن أنسٍ^(٣).

وأخبرت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصومُ حتى نقول: لا يُفطرُ، ويُفطرُ حتى نقول: لا يصومُ، فما رأيت رسول الله ﷺ استكملَ صيامَ شهرٍ إلا رمضان، وما رأيتُهُ أكثرَ صيامًا منه في شعبان»، رواه الشَّيْخَانُ^(٤).

ولمَّا سئلَ ﷺ عن كثرةِ صومه في شعبان قال: «هو شهرٌ يغفلُ النَّاسُ عنه، بينَ رجبٍ ورمضانَ، وهو شهرٌ تُرْفَعُ فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أن يُرْفَعَ عَمَلِي وأنا صائمٌ»^(٥).

وقد كان أهل الجاهليَّة يعظِّمون رجبًا، والإسلام أقرَّ ذلك له، وجاء الإسلام بتعظيم رمضان الذي أنزل فيه القرآن، ومجيء شعبان بين شهرين

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، رقم: (١٧١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٦٦٣)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

(٤) رواه البخاري، رقم: (١٩٦٩)، ومسلم، رقم: (٧٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٥) رواه النسائي، رقم: (٢٦٧٨).



لهما هذه المكانة مدعاةً للتَّهاون فيه فذكَّروهم ﷺ بتعظيم هذا الشَّهر، وأرشدهم إلى أنَّ المسلم لا ينبغي له أن يغفل عمَّا يرضي ربَّه في كلِّ زمانٍ يمرُّ عليه لا سيَّما أنَّ شعبان ميقاتٌ سنويٌّ تُرْفَعُ الأعمال فيه لربِّ العالمين، وإذا علم المسلم أنَّ أعماله السنويَّة تعرض على ربِّه في هذا الشَّهر حملة ذلك على الاستقامة على طاعة ربِّه وردع نفسه عن الشُّرور، وأحبَّ أن يختم له عمله بما يرفع درجته عند ربِّه، وكفى بالله حسيبًا.

وجاء في بعض الروايات أنَّ تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان في شهر شعبان، وتحويل القبلة حدثٌ من أجلِّ أحداث الإسلام التي لها الأثر البالغ في حياتهم، فقد ورد في الصَّحيحين: «إنَّ رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ، وقد أُمرَ أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشَّام، فاستداروا إلى الكعبة»^(١).

وفي ليلة النِّصف من شعبان اعتاد النَّاس أن يجتمعوا بمساجدهم أو بيوتهم للصَّلاة والدُّعاء والذِّكر والقراءة، وإطعام الطَّعام والإحسان إلى الفقراء والمعوزين، وهو أمر لا ينافي صراط الله المستقيم إذا كان موافقًا لما جاءت به السُّنة ولم يكن فيه ما يخالفها.

قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قام رسول الله ﷺ من الليل فأطال السُّجودَ حتَّى ظننت أنه قبضَ فلما رأيت ذلك قمت حتَّى حرَّكت إبهامه فتحرَّك، فرجعت، فلما رفع رأسه من السُّجود، وفرغ من صلاته، قال: «يا عائشة أو يا حُميراء ظننت أن النَّبيَّ خاس بك؟»، قلت: لا والله يا

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٠٣)، ومسلم، رقم: (٥٢٦).

رسول الله، ولكنني ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: «أتدرين أي ليلة هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله ﷻ يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم». قال الأزهرِيُّ: قوله: قد خاس بك؛ يُقال للرجل إذا غدر بصاحبه فلم يؤته حقه، رواه البيهقي^(١).

وفي خبر آخر عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله ﷺ عندي، فلما كان في جوف الليل ففقدته، فأخذني ما أخذ النساء من الغيرة، قالت: فطلبتُه في حجر نِسائه فلم أجده فانصرفت إلى حجرتي فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: «سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، فهذه يدي وما جنيتُ بها على نفسي، يا عظيمُ يرجى لكل عظيم، يا عظيم اغفر الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره»، ثم رفع رأسه ساجداً، فقال: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود، أعفر وجهي في التراب لسيدي، وحق له أن يسجد»، ثم رفع رأسه، فقال: «اللهم ارزقني قلباً تقياً من الشر نقياً لا جافياً ولا شقياً»، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة^(٢) ولي نفس عالٍ، فقال: «ما هذا النفس يا حميراء؟»، فأخبرته فطفق يمسح بيديه على ركبتي، وهو يقول:

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٥٥٤).

(٢) الخميلة: القטיפه، وهي كل ثوب له حمل من أي شيء كان، وقيل: الخميل: الأسود من الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/



«ويح هاتين الركبتين ما لقيتا هذه الليلة، ليلة النصف من شعبان ينزل الله تعالى فيها إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن»^(١).

وقال عليه السلام: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان والله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمير»، رواه البيهقي^(٢).

أيها المسلمون، يتبين من هذا أن إمام المسلمين وقدوتهم وأسوتهم الحسنة عليه السلام كان يحيي هذه الليلة الجليلة بالصلاة والدعاء متعوذاً بعفو الله من عقابه ومتعوذاً برضاه من سخطه لاجئاً إليه، ضارباً المثل لأُمَّته في خشوعه وخضوعه وعبوديته لربه، معرباً عن عجزه بأن يوفي الله حقه من الثناء قائلاً: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣)؛ لأنها ليلة عفوٍ شاملٍ يمنحه الله لخلقه جميعهم لا يخرج من هذا العفو إلا الذين يقتربون آثاماً تزعزع أركان المجتمع الإنساني ويجترحون سيئات تأتي على بُنيان الأمة من قواعده.

فالمشرك، لا يغفر الله له؛ لأنَّ الشُّرك أكبر الكبائر، وهو دليل على الجحود وفساد الطَّبَاع، وصاحبه يعيش في فضل الله ويتقلب في نعم الله، ثم ينكر أن له إلهًا يهدي ويضلُّ، ويمنع ويُنعَم، ويحيي ويميت، ويعفو ويغفر، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٥٥٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٥٥٦).

(٣) سبق تخريجه.

وقاتل النفس مرتكباً لأعظم الموبقات وأكبر الكبائر؛ لأنَّ القتل سبب خراب الدنيا والله يريد عمرانها، والحياة نعمة وهبة من الله للإنسان، والقاتل يصول على أخيه الإنسان ليحرمه نعمة الحياة ويسلبه هبة الله، ومن سلبها بغير حقّها كان حقّاً على الله أن يحرمه من عفوه.

والمشاحن قد بُليّ بداءٍ ضرره في المجتمع عظيمٌ، فهو ينفث سمومه في الناس؛ لينشر فيهم التّدابّر والتّقاطع، ولا معول^(١) يهدم الأُمَّة أشدُّ من العدا، ولا آفة تقضي على الشعوب شرٌّ من البغضاء.

وقاطع الرّحم هادمٌ لصلات الأُسْرِ، قاضٍ على عمران البيوت، ومتى انتشرت العداوات بين الأقارب وصلت شرورها إلى الأُمَّة.

وعقوق الوالدين، دليل على خِسَّة النفس ولؤم الطّبع، وهو جحود لا يماثله جحود، وفساد لا يضارعه فساد؛ إذ إنّ والدي هذا العاق قد أحسنا إليه وقت ضعفه يوم لا يملك حولاً ولا قوّة ولا يستطيع لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فإذا أنكر إحسانهما، فهو بإنكار سواهما أولى، ومنكر الإحسان جدير أن يُحرم الإحسان، والحاقد يضمّر للنّاس الشرّ، ويدفعه الحسد إلى الفتك بهم وإيقاع الأذى بأنفسهم وأموالهم.

وشارب الخمر، يجلبُ لنفسه آفة تفسد عقله، والعقل أعظم نعم الله على الإنسان التي فضّله بها، وسخر له ما في الأرض جميعاً، فهو قد أنكر حقَّ الله عليه بما فعل.

هؤلاء السّنة لا ينظر الله إليهم ليلة النّصف من شعبان ولا يمنحهم

(١) المِعْوَل: الفأسُ العظيمة التي ينقر بها الصخر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧٤/٣٠).



عفوه ولا رضاه.

يا عباد الله، واجبُ رجال الدين - وفقهم الله - أن يرشدوا الناس إلى ما ينبغي فعله في هذه الليلة المباركة من طاعة وصلاة ودعاء وابتهاال وذكر، كما جاء في سنة رسول الله ﷺ، إذ قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها، و صوموا يومها، فإن الله تعالى يقول: ألا من مُستَغْفِرُ فأغفرَ له، ألا من مُستَرزِقُ فأرزقهُ، ألا من سائلٍ فأعطيه، ألا كذا ألا كذا حتّى يَطْلُعَ الفجرُ»^(١)، ويذكروا الناس بأن يتوبوا إلى ربهم متناصحين متواصين بالخير متعاونين على البرِّ والتقوى، متعاونين على ما يبعد الخصام والخلاف، متعاونين على ما يصلح الأمة في صغير شؤونها وعظيمه لا سيّما في مثل هذا الوقت الذي استيقظت فيه الأمم من غفلتها، ونهضت فيه الشعوب من كبوتها، وصار العدو الكافر يتحين الفرص ويتربّص بنا الدوائر، لا تغفل له باصرة ولا تنام له عين.

أيها الإخوان، واجبُ المرشدين أن يذكروا الناس في كلِّ شأن من شؤونهم فديننا بعيدٌ عن الخرافات نقيٌّ من الترهات^(٢)، مطهّرٌ من الأباطيل، وواجبهم أن يدلّوا الناس على الصراط المستقيم، صراط الله السويِّ والسبيل الذي مهّده لنا رسول الله ﷺ، وقال تعالى عنه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:

• [١٥٣

كان الأولى بالمرشدين أن يذكروا الناس بأن عبادة الله في ليلة النصف

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٥٤٢).

(٢) الترهات: الصّاحِصُ، لا سدائد ولا صحائح؛ أي: أباطيل لا أصل لها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦/٥٣١).

من شعبان لم تأت بذكرٍ معيّنٍ ولا على كيفيةٍ معيّنة، ليس فيها رهبةٌ ولا تهريجٌ ولا أناشيدٌ ولا قصيدٌ، إنّما هي ذكرٌ وصلاةٌ ودعاءٌ وقرآنٌ لا تخليط فيها ولا رفع صوت يوقع الناس في حرج من أمرهم، والله جلّ ذكره ما جعل على عباده في الدين من حرج، إنّما جعل الدين يسراً، فسواء ذكر الإنسان ربّه وحده أو مع أهله أو مع أصحابه، في بيته أو داره أو المسجد، فاتّقوا الله عباداً الله كما أمركم، واسألوه من فضله، وادعوه يجبكم كما وعدكم فإنّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول جلّ ذكره: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقلت في الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الحيّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد الأنبياء والمرسلين.

اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، ورضي الله عن سادات المسلمين وأئمّتهم الذين سبقونا بالإيمان.

أيّها الناس، إنّ الله أمركم بالإخلاص في أعمالكم وفي جميع أحوالكم؛ في عبادتكم، وبيعكم وشرائكم، ومعاشرتكم ومعاملتكم، وحتىّ في تربيتكم أولادكم، ونهاكم عن النفاق والمخادعة والرياء، ونهاكم عن الكيد والمكر والحسد والحقد.



أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَخَادِعُونَ النَّاسَ وَيَخَادِعُونَ اللَّهَ، وَالْمَخَادِعُونَ مَذْبُذِبُونَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَالْمُنَافِقُونَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا ثِقَةَ فِيهِمْ وَلَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ، وَبَاعُوا ضَمَائِرَهُمْ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَأَضَاعُوا شَرَفَهُمْ فَصَارُوا عَلَى النَّاسِ شَرًّا وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ وَزَرًّا، وَكَفَاهُمْ ذَمًّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَتَمَسَّكُوا بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ جَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَإِنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا فِي الدُّنْيَا أَقْرَبَهُمْ مَجْلِسًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْآخِرَةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنِكُمْ أَخْلَاقًا»^(١).

أَشْرِبُوا الْإِيمَانَ قُلُوبِكُمْ، وَاحْفَظُوا مِنَ الرِّبَا أَعْمَالَكُمْ، وَزَيِّنُوا بِالصِّدْقِ مَعَامِلَاتِكُمْ، وَطَهَّرُوا بِالْفَضَائِلِ سِيرَكُمْ وَسِرَائِرَكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.



(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.

مشروعية الصَّوم

لاستقبال رمضان (٢٧)

شعبان سنة (١٣٧٨هـ) الموافق (٦/٣/١٩٥٩م)

(٣٤)

الحمد لله نحمده ونسأله دوام نعمه، والمزيد من فضله، والتَّوفيق
لطاقته، والعون على امتثال أمره واجتناب نهيه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده
الخير يحيي ويميت وهو حيٌّ دائم لا يموت، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.
وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله دعا إلى الحقِّ الخلقَ كافةً، فهدى الله
به إلى الرِّشاد.

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم واقتفى أثرهم.

عباد الله، اتَّقوا الله حقَّ تقواه، واشكروه على أن اختار لكم هذا
الدِّين وخصَّكم به من جميع العالمين، فهو الدِّين القويم، شرع لكم فيه
جميع ما ينفعكم ونهاكم فيه عن كلِّ ما يضرُّكم، لم يدع فضيلة إلاَّ حثَّ
عليها ولا رذيلة إلاَّ نَفَر منها، وأركان الإسلام لم تكن عبادات يؤدِّيها
العبد طاعة لله فقط، إنَّما هي منافع يكتسبها العبد من هذه العبادات،
فالصَّلاة تُهدِّب الأخلاق وتنهى عن الفحشاء والمنكر والزَّكاة تُطهِّر
المزكِّي وتزكِّيهِ، وهكذا سائر أركان الإسلام.



أيّها المسلمون، اليوم نستقبل شهر الصّيام؛ الرُّكن الرَّابِع من أركان الإسلام، وهو شهر اختصّه الله لنفسه من بين الشُّهور فأنزل فيه القرآن وفرض صيامه، وجعل صيامه ركناً من أركان الإسلام؛ لهذا أرى أن نستقبل هذا الشَّهر بذكرى فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين.

يا عباد الله، لم يُشرع الصّوم لحرماننا من الطَّعام والشَّراب لبعض الوقت، إنّما هو خطوة لتدريب نفوسنا على حرمانها من شهواتها ونزواتها المحرّمة؛ لذا قال نبيّ الإسلام ﷺ: «من لم يدع قول الزُّور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

والقرآن الكريم يذكرنا بهذا فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، إنّ الإنسان حيوان كسائر الحيوانات لكنّه عظيم الشَّان، حيث كرّمه الله، فخلقه في أحسن تقويم، ووهبه لساناً ناطقاً، وحواسّاً يميّزُ بها النَّافع من الضَّار، وميّزه على سائر الحيوانات بعقل حكيم سخّر له به جميع الكائنات، فكان به صلاح هذا الكون وعمرانه إن صلح، وكان به فساد هذا الكون وخرابه إن فسد، وجعل له نفساً لطيفةً تتكيّف حسب البيئته، إن أُصلحت صلحت، وإن أهملت فسدت، وإن شبعت طغت، وإن أجيبت إلى شهواتها أمرت بالسُّوء؛ لهذا كان أعظم الجهاد جهاد النفس.

إنّ الصّوم يكسر شهوات النفس ويخفّف من حدّتها، والشَّهوات أمّهات المعاصي؛ لهذا نصّح رسول الله ﷺ الشَّباب الذين لا يقدرّون على مؤنّ الزَّواج أن يصوموا؛ فقال: «يا مَعْشَرَ الشَّبابِ، عليكم بالباءة»،

(١) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٣).



فإنه أغضُّ للبصرِ، وأحصنُ للفرجِ، فمن لم يستطع منكم الباءةَ فعليه بالصَّومِ، فإنَّ الصَّومَ له وِجَاءٌ»^(١)؛ والوجاءُ: الحبس عن الوقوع في الفحشاء.

والصَّومُ يُعِدُّ نفس الصَّائم لتقوى الله، فمتى صام الصَّائم إيماناً بأمر الله واحتساباً لوجه الله، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه؛ لقوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٢).

لهذا نرى في الصَّائمين رحمة بالمساكين وعطفًا على الضُّعفاء والمحتاجين، ونرى فيهم حُبًّا لإطعام الطَّعام وبذل الرِّفد للسَّائِلين والرَّحمة في الإنسان تنشأ عن الألم إذا أحسَّ به فلا يحسُّ بالجوع إلاَّ الجائع، ولا يشعر بوقوع المصيبة إلاَّ المُصاب، ولا يتألَّم بالمرض إلاَّ المريض، فالصَّيام أدبٌ ربانيٌّ يُربِّي الرَّحمة في النَّفس، فيرحم الجائع الغنيُّ أخاه الجائع الفقير، وتصبحُ للإنسانيَّة سلطانها النَّافذ على المجتمع.

إنَّ الصَّيام - أيُّها المسلمون - يسوِّي بين الأغنياء والفقراء فكما أنَّهم في صفوف الصَّلَاة سواء، وكما أنَّهم يومَ الحجِّ سواء لا فرق بين غنيِّهم وفقيرهم وشريفهم ووضيعهم فكذلك هم في الصَّيام سواء، إنَّه جوع إجباريٌّ ساوى بينهم في بواطنهم كما ساوى بينهم في ظواهرهم، فهم أمام الله «مستوون كأَسنان المشط ليس لأحد على أحد فضلٌ إلاَّ بتقوى الله ﷻ»^(٣).

والصَّيام - أيُّها المسلمون - إضعاف لسلطان العادة على النَّفس؛ إن

(١) رواه الترمذي، رقم: (١٨٠١)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٨)، ومسلم، رقم: (٧٦٠).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس، رقم: (٦٨٨٣).



أصابها الجوع صبرت، وإن مسّها الظّمأ صبرت، فلا سلطان للعادة مع الصّوم، والنّفس أمة لله مأمورة بطاعته، وليست هي أمة للعادات أو للشّهوات.

والصّائم - أيها المسلمون - ترك شهواته التي هي طعامه وشرابه وشهوته امتثالاً لأمر الله، لا رقيب عليه في ذلك إلا الله، ولا يعلم الغيب في سرّه إلا الله.

فهو راض^(١) نفسه على الصّبر، وكلّما عرضت عليها الطّيّبات والشّهوات شعر بأنّ الله هو الذي يراقبه، وأنّه المّطلع على سرّه وحده، فهو يستحي أن يراه ربّه حيث نهاه، وتكرار الصّوم يؤهّل الصّائم لكلّ أعمال الخير، ويبعده عن الشرّ، فلا ينخدع ولا يغشّ ولا يهضم حقاً ولا يظلم ضعيفاً ولا يسعى بالفساد بين النّاس.

أمّا ذلك الذي يجوع ويعطش وهو مُصِرٌّ على الخديعة والغشّ وقول الزّور وفعل الشرّ فليس لله حاجة في صيامه؛ قال رسول الله فيه: «من لم يدع قول الزّور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢).

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفّظ ما ينبغي أن يتحفّظ، كفّر ما قبله»، رواه البيهقي وابن حبان^(٣).

وقال ﷺ: «أُعطيّت أمّتي في شهر رمضان خمسا لم يُعطهنّ نبيّ قبلي، أمّا واحدة: فإنّه إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان نظر الله ﷻ إليهم،

(١) راض نفسه: ذلها ووطأها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٦٨/١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٥١)، وابن حبان، رقم: (٣٤٣٣).

ومن نظر الله إليه لم يُعَذِّبْهُ أَبَدًا، وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ: فَإِنَّ خُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمَسُّونَ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ: فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: اسْتَعِدِّي وَتَزَيِّنِي لِعِبَادِي أَوْشِكُ أَنْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِي وَكَرَامَتِي، وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ لَهُمْ جَمِيعًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: لَا، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعُمَّالِ يَعْمَلُونَ فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَفُؤَا أُجُورِهِمْ»، رواه البيهقي^(١).

يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقلت في الثانية:

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وهذا شهر رمضان قد أقبل، وهو موسم لمن فرط في ماضي أيامه، والعاقل من اغتنم الفرص فلم تفته، وهو شهر البركات التي تجاب فيه الدَّعَوَاتُ، وتقبلُ فيه العِشْرَاتُ، وتقبلُ فيه الطَّاعَاتُ، وتضاعف فيه الحسنات.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٣١).



فيا عباد الله، أكثروا فيه من الدَّعوات وقت الأسحار، وأكثروا فيه من الاستغفار، واسألوا الله فيه النِّجاة من النَّار، وتحروا الطَّيِّبات وتجنَّبوا الشُّبهات، واجتنبوا قول الزُّور، فقد قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزُّور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

وقال ﷺ: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلاَّ السَّهر»^(٢)، وروى البخاريُّ عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا جاء رمضانُ فُتِّحَتْ أبوابُ الجنَّةِ»^(٣)، وروى الترمذيُّ أيضًا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانَ أوَّلُ لَيْلَةٍ من شهرِ رمضانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، ومردَّةُ الجنِّ، وغُلِّقَت أبوابُ النَّارِ، فلم يُفْتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحَت أبوابُ الجنَّةِ، فلم يُغْلَقْ منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخيرِ أقبلْ، ويا باغي الشرِّ أقصرْ، واللهُ عتقَاءُ من النَّارِ، وذلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٤).



لأول رمضان

في (١/٩/١٢٧٧هـ) الموافق (٢١/٣/١٩٥٨م)

(٣٥)

الحمد لله الذي شرفنا بأن جعلنا من أمة القرآن، وهدانا به إلى

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (١٦٩٠).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٨٩٨).

(٤) رواه الترمذي، رقم: (٦٨٢).



الإيمان، والحمد لله الذي جعل شهر رمضان موسمًا للطاعات والإحسان، وفتح فيه أبواب الجنان وهيأها لمن ائتمر بأمره وانتهى عن نهيه .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعزَّ المؤمنين بإيمانهم، ورضي عن الصالحين لصلاحهم، وأسبغ عليهم خيره لإخلاصهم، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، شَرَحَ اللهُ له صدره ووضعه عنه وزره .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الصَّادِقِينَ الْمَخْلُصِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

عباد الله، اتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ، وَأَنْبِئُوا إِلَيْهِ وَرَاقِبُوهُ، واحمدوه سبحانه وتعالى أن رضيكم لدين الإسلام، وجعلكم من أمة محمد ﷺ صفوة الأنام، احمدوه على هذه النعمة، واسألوه المزيد من فضله وأن يدفع عنكم النعمة، وبعد:

فإنَّ اللهَ قد اختصَّ دينكم هذا بأوقات جعلها مواسم للطاعات يربح المُجِدُّ فيها ويهنا، ويخسر الخامل الكسلان ويشقى، وها قد أظلكم موسم من مواسم الخيرات، من تاجر فيه ربح ونجح، ومن تكاسل فيه خاب وخسر .

أجل - يا عباد الله - قد نزل بساحتكم شهر كريم هو موسم من مواسم الخيرات عظيم، خصَّه الله بالتشريف والتكريم، واختصَّه لنفسه من بين الشهور، فأنزل فيه كتابه، وبعث فيه نبيّه، ونصر فيه المسلمين يوم بدرٍ وكان يوم الفرقان، وفيه فُتِحَتْ مَكَّةُ فكان محوًا للشرك في جزيرة العرب، فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ صِيَامَهُ، وضاعف للطائعين فيه الأجور، شهر كلّه خيرات تقلُّ فيه العثرات وتجاب فيه الدَّعَوَاتُ، وتَعْظُمُ فيه البركات،



وتضاعف فيه الحسنات، ولا يعدل به سواه من الأوقات.

عباد الله، إنَّ الله جعل صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام؛ لِمَا في الصَّوم من منافع جليلة ومقاصد نبيلة، ففيه تطهير النَّفس بالجوع، وتزكيتها بامتنال أمر الله، وحمايتها من الشَّهوات التي تقوى بالأكل والشُّرب، وتوجيهها نحو الله ﷻ، وفيه علاج الجسد من الأمراض، وتخليصه من الفضلات المترakمة، والسُّموم الضَّارَّة، وفيه تعويد النَّفس على الصَّبْر، وترويضها على مقاومة الشَّدائد.

وفيه تدريب النَّفس على احتمال ما لا بدَّ منه من مشاقِّ هذه الحياة؛ شحذًا للهمم، وتدعيمًا للرُّجولة، وتثبيتًا للأقدام، ففيه تعمير للقلوب بالرحمة، وتحفيزها لمعاونة الفقراء، والإنفاق على المساكين.

إنَّ الصَّوم - يا عباد الله - عبادة خالصة في ظاهرها؛ لِمَا فيه من طاعة لله، وامتنال لأمره، وحرمان للنَّفس من شهواتها، وحرمان للجسد من رغباته، لكنَّه في حقيقته مدرسة إلهية، يعتاد الإنسان فيها جهاد نفسه، أوجبه الله على المسلمين شبابهم وشيوخهم، رجالهم ونسائهم؛ تدريبًا لهم على مقارعة الحياة وتحمل مشاقِّها.

فالنَّفس لها أمانِيٌّ لا تنتهي، فلا تقنع بما تجد، وتسعى دائمًا إلى كلِّ جديد، وتتطلَّع إلى كلِّ لذيذ، والحياة لا تعطي أحدًا أمنياته كلَّها.

والصَّوم صراع مع النَّفس، وجهاد معها لتقنع بما تيسر لها ولتتمتع عمَّا تراه أمامها من شهوات وبعض ضرورات.

والحياة مملوءة بالشَّرِّ، والمسلم مطالب بمقاومة الشَّرِّ أنى وجده، وهذه المقاومة قد تُعرِّضه أحيانًا للأذى، فكيف يمكن أن يحتمل الأذى

وهو لا يقوى على ردع نفسه، واحتمال ساعات الجوع والعطش.

عباد الله، إنَّ الله خلق الإنسان ووهبه العقل، وجعله واسع المطامع بعيد الرغبات كبير الأحلام، لا يرضى بما قُدِّرَ له ولا يقنع بما يصل إليه، بل يتطلَّب الرِّفعة دائماً، ويكافح في سبيل بهجة الحياة.

خلق الله الإنسان هكذا متحفزاً إلى النَّشاط؛ لِيَعْمَرَ به الأرض، وتحلو به الحياة، لكن هذه الخصلة التي رُكِّبت في طبيعة البشر لمنفعتهم وصالحهم قد تنقلب في بعض الأحيان شراً وشقاءً إذا لم توقف عند حدِّها؛ لذلك فرض الله على الأمة الإسلامية لصالحها جهاد النَّفس وتعويدها في بعض الأحيان على الامتناع الاختياري عن شهواتها وضروريَّاتها مدَّةً من الزَّمن، وهذا الامتناع الاختياريُّ يعطي النَّفس قوَّةً وقدرة على الامتناع الإجماليِّ إذا حكمت بذلك ظروف الحياة.

وكما أنَّ الرِّياضة البدنيَّة والعملَ الجسمانيَّ يُعطي الجسم قوَّةً ويُكسِّبه قدرة على حمل الأثقال، فكذلك الصَّوم يكسب النَّفس قوَّةً بتدريبها على مثل ما قد يتطلَّب الأمرُ القيامَ به وقت الضَّرورة من امتناع عن طيِّبات الحياة.

والله ﷻ سايبُ الكرم واسع النِّعم منحنا من الفرائض ما يصلح به حالنا، وتطيب به حياتنا على هذه الأرض، ثمَّ يجزيينا به الثَّواب والمغفرة يوم العرض عليه.

يا عباد الله؛ هذا شهركم شهر الصَّيام والقيام، شهر قراءة القرآن وعبادة الدِّيَّان، شهر الصَّدقات والإطعام، حافظوا فيه على طاعة الله، وأكثروا فيه من ذكره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]



عباد الله، ما صام والله مَنْ أمسك نهاره عن الطَّعام ثمَّ أفطر على الحرام ولم يمتنع عن ارتكاب الخطايا والآثام، وَمَنْ غَشَّ إِخوانه وأذى جيرانه وبخس كيله وميزانه، وَمَنْ لم يؤدِّ الواجب عليه لربِّ العالمين، ولم يُقِّم بما يطلب منه لإخوانه المسلمين، ومن لم يمسك لسانه عن سيِّئ الكلمات والغيبة والنَّميمة وقذف المُحصَّات.

قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزُّور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

[البقرة: ١٨٣-١٨٤]

وقلت في الثانية :

الحمد لله الذي جعلَ شهرَ رمضانَ موسمًا للطَّاعاتِ وسوقًا للمبرَّاتِ وميقاتًا للصدقاتِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزلَ فيه القرآنَ وفرض فيه الصَّيامَ، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله خير من أطعمَ الطَّعامَ ووصلَ الأرحامَ، وصلَّى ليله والنَّاسَ نيامَ، وعلى آله وأصحابه كافَّةً الذين قهروا العدى وحموا الحمى ونصروا الإسلامَ، ورضي الله عن ساداتِ ديننا الأئمَّةِ الرَّاشدينَ والتَّابعينَ لهم بإحسانَ، أمَّا بعد :

فإنَّ خير ما يُوصي به المسلم أخاه تقوى الله، فاتَّقوا الله عبادَ الله،

(١) سبق تخريجه .

وطوبى لمن اتَّقاه .

هذا وإنَّكم في أوَّل يوم من شهر رمضان شهر يتجلَّى عليكم في العام مرَّة واحدة؛ ليزداد فيه العاملون ويتوب فيه الآثمون فرحَّبوا به صادقين، وتوبوا فيه نادمين، وأنبيوا إلى الله راغبين، واعملوا فيه مخلصين .

فإنَّه شهر تُفْتَحُ فيه أبوابُ الجنان، ويقال فيه: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أدبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان أوَّل ليلةٍ من شهرِ رمضانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، ومَرَدَةُ الجنِّ، وغُلِّقَتِ أبوابُ النَّارِ، فلم يُفْتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحَتِ أبوابُ الجنَّةِ، فلم يُغْلَقْ منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر، والله عُتْقَاءُ من النَّارِ، وذلك كُلُّ ليلةٍ»^(١).

إنَّه شهر أنزل الله فيه كتابه هدىً للنَّاس، وبعث فيه رسوله رحمةً للعالمين؛ «وهو شهر أوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النَّار»^(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ رمضانَ شهرٌ افترضَ اللهُ صلى الله عليه وآله صيامَهُ، وإنِّي سنَّنتُ للمسلمينَ قيامَهُ، فمَن صامَهُ إيمانًا واحتسابًا، خَرَجَ من الذُّنُوبِ كيوم ولدته أمُّهُ»^(٣)، ومَن صَانَ نفسه فيه من الأوزار كُتِبَتْ له فيه براءة من النَّار.

إنَّه شهرٌ «مَن فطَّر فيه صائمًا كان له مثلُ أجره، غير أنه لا ينقصُ من

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٣٦).

(٣) رواه أحمد، رقم: (١٦٨٨).



أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»^(١).

إنَّه شهر فرض الله على أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ صيامه، وسَنَّ رسول الله ﷺ لهم قيامه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ افْتَرَضَ صَوْمَ رَمَضَانَ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ، فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَيَقِينًا، كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى أَوْ لِمَا سَلَفَ»^(٢).

فهنيئًا لكم - يا عباد الله - بهذا التَّوْفِيقِ الَّذِي لَمْ يُكْتَبْ لغيركم من الأمم، وأعاد الله عليكم أمثال هذا الشَّهر موقَّعين مقبولين.

واسألوا الله معي العون على طاعته، والتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّه ويرضاه فَإِنَّهُ يَقُولُ: «وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» ﴿١٨٦﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].



سُرُّ الصَّوْمِ

الثَّانِيَة لِرَمَضَانَ

في (١٢) رمضان سنة (١٣٧٨هـ) الموافق (٢٠/٣/١٩٥٩م)

(١٩٥٩م)

(٣٦)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، أذاق لذة طاعته لعباده الطَّائِعِينَ، ووفَّقهم لسلوكِ السَّبِيلِ القَوِيمِ.

(١) رواه الترمذي، رقم: (٨٠٧)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٤٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وفق من شاء لطاعته،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد المرسلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ
وصحابتِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

عبادَ الله، فاتَّقوا الله حقَّ تقواه واعتصموا بحبلِ الله، وأطيعوا الله
ورسوله إن كُنتم مؤمنين .

يا عباد الله، ينتظر أرباب المصالح مواسمهم لِمَا فِيهَا مِنْ رِوَاجٍ
مِصَالِحِهِمْ حَتَّى إِذَا حَانَ الْمَوْسِمُ شَمَّرُوا عَنْ سِوَاعِدِهِمْ وَاجْتَهَدُوا
لِاسْتِفِيدُوا، فَيَسْتَسْهَلُونَ فِي سَبِيلِ الْفَائِدَةِ الصَّعَابِ كُلِّهَا، لَا يَبَالُونَ بِمَشَقَّةِ
وَلَا يَشْقُونَ بِعَنَاءٍ، يَسُوقُهُمْ إِلَى هَذَا رِجَاءَ الرَّبْحِ، فَإِنَّ مِنْ ذَاقُوا لَذَّةَ
الْأَرْبَاحِ هَانَتْ عَلَيْهِمُ الشَّدَائِدُ.

ونحنُ اليوم في موسم من اغتنمه بالعمل الصَّالِحِ فَازَ، فَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ
وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ:
يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»^(١).

إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْنَا الصَّوْمَ؛ لِيَطَهِّرَنَا فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَعُودِنَا فِيهِ الصَّبْرَ
وَلِيُؤَدِّبَ نَفُوسَنَا وَيَكْسِرَ شَهْوَتَهَا؛ لِئَلَّا تَكُونَ لِحُوحَةٍ فِي مَطَالِبِهَا، فَإِنَّهَا كَمَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، وَلَا تَقِفْ فِي شَهْوَاتِهَا
عِنْدَ حَدٍّ، فَهِيَ كَالطِّفْلِ الشَّرْسِ، كُلَّمَا أُجِيبَتْ إِلَى شَهْوَةٍ مِنْ شَهْوَاتِهَا
ازْدَادَتْ رَغْبَةً بِشَهْوَةٍ أُخْرَى وَأَلْحَتْ فِي طَلِبِهَا، وَالَّذِي يَعْطِي نَفْسَهُ شَهْوَاتِهَا
كُلِّهَا يَكُونُ عَبْدًا مَمْلُوكًا لَهْوَى نَفْسِهِ، وَمَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا سَيَطْرُقُ عَلَيْهَا

(١) سبق تخريجه .



ونجا من شرِّها واستعبادها، وسلم من التَّهاوي في سبيل إرضائها حتَّى تطمئنَّ نفسه إلى طاعة الله وحسن الظَّنِّ به، فهذا خلقٌ كريمٌ يُرضي الله ويُرضي عباده، قال رسول الله ﷺ: «الكيسُ من دانَ نفسه، وعَمِلَ لِمَا بعد الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسه هَواها، وتمنَّى على الله»^(١).

إنَّ الإيمانَ - يا عباد الله - هو أن تصلحَ النفوسَ حتَّى تكون كلُّ نفسٍ عضواً عاملاً في الأمة؛ فالأُمَّة الصَّالحة لا تتكوَّن إلا من أفرادٍ صالحين، ولا يتحقَّق صلاح المجتمع إلا بالإصلاح الفرديِّ، ولا تكون الأمة مؤمنة تستظلُّ بظلِّ الإيمان إلا إذا كان أفرادها مؤمنين.

يا عباد الله، إنَّ فرداً صالحاً في أُمَّة فاسدة يضيع في أُمَّته الفاسدة إن لم تفسده، وإنَّ فرداً فاسداً في أُمَّة صالحة تغلبه الأمة الصَّالحة على أمره فلا يكون له فيها أثر، كذلك الأمة المؤمنة لا تضرُّها نفس كافرة، والأُمَّة الكافرة لا ينجيها من سخط الله نفس واحدة مؤمنة.

يقول رسول الله ﷺ: «ذُرْوَةٌ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢)، وإنَّ أقوى الجهاد وأعظمه أجراً جهاد النَّفس فإنَّ جهاد النَّفس من دلائل الإيمان.

عباد الله، من لم يستطع أن يسيطر على نفسه وأجابها إلى جميع رغباتها فليس بصائم، ومن لم يمتنع عن الصَّخب واللَّغو والرَّفث فليس بصائم، فقد قال ﷺ: «إذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إنِّي امرؤٌ صائم»^(٣)، فلن ينال الله من إمساكنا عن الطَّعام والشَّراب شيئاً، ولكن ينالُه التَّقوى من ذلك كلِّه، فقد

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٥٩)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٢٠٥١).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٤).

قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

يا عباد الله، من واجب المسلم أن يتحرى الطيبات في مأكله ومشربه وملبسه، وفي كل شأن من شؤونه حتى في أقواله، وهذه وإن كانت واجبة على كل مسلم إلا أنها على الصائم أكد، فكما أن عليه ألا يدخل في فمه إلا الحلال الطيب، كذلك عليه أن لا يخرج من فمه إلا الحلال الطيب.

وطيب القول كثير؛ منه ذكر الله، نصيحة للعباد، قراءة في كتاب الله، أمر بالمعروف، نهى عن المنكر، إصلاح بين الناس، وإن الله تعالى يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

يا عباد الله، إن الصوم صبر، و﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، والصوم لجام^(٢) تردُّ به النفوس عن شهواتها، ووسيلة لإصلاحها وتهذيبها، فهو يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالمعتمدين، والعطف على البائسين، تجوع به البطون لتشبع النفوس، وتضممر به الأبدان لتقوى الأرواح.

وها نحن قد أشرفنا على بداية النصف الثاني من هذا الشهر، وقد فرط في النصف الأول منه كثير ضاعت عليهم الفرصة فيه، إلا أن فضل الله كبير حيث جعل التوبة ماحية لما سبقها من ذنوب إذا ندم العبد

(١) سبق تخريجه.

(٢) يُقال: ألجمه عن حاجته؛ أي: كَفَّه، واللجام: سمة للإبل تكون من الخدين إلى صفقي العنق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٠٠/٣٣).



وَأَبَ إِلَى رَبِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَى التَّائِبِينَ وَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَعْلَمُ مِنْهُمْ صَدَقَ الصَّادِقِينَ وَإِخْلَاصَ الْمُخْلِصِينَ.

فيا من فاته الفوز برضوان الله في أوَّل هذا الشَّهر، إِنَّ لَكَ فِي آخِرِهِ فُرْصَةً فَلَا تُضِعْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ فِي آخِرِهِ، أَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ وَتُبْ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْهُ، وَاسِعَ فِي إِصْلَاحِ نَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى الْإِصْلَاحِ سَبِيلًا، وَأَفْلَحَ فَوَاللَّهِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ ﴿١٠﴾ [الشَّمْسُ: ٩-١٠].

كُنْ يَا أَخِي مَمَّنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسَّنَ عَمَلَهُ وَفَازَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مَمَّنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَطَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ بِمَا ارْتَكَبَ مِنْ مَعَاصِي وَسَيِّئَاتٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هَذَا شَهْرُ الْإِخْلَاصِ وَالصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، هَذَا شَهْرُ الْإِصْلَاحِ وَالتَّوْبَةِ وَمَوْسَمِ الْعَمَلِ، هَذَا وَقْتُ رَجُوعِ الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ إِلَى الرَّبِّ الرَّحِيمِ، فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ تَفْتَهُ الْفُرْصُ، فَتَابَ إِلَى اللَّهِ وَأَنَابَ وَلَمْ يِيَّاسَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَلَمْ يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُصِرَّ عَلَى مَا عَمِلَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٢٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ؛ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ [الرُّمَّة: ٥٣-٥٦].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقلت في الثانية:

عباد الله، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ،



وَأَسْأَلُوهُ الْقَبُولَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «سَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ»^(١)، وَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يا عباد الله، إنَّه من الخطأ الكبير أننا فهمنا رمضان على غير حقيقته. إنَّ الله جعله شهر عبادة وذكر وامتناع عن الشَّهوات، وجعلناه شهرَ أكلٍ وإسرافٍ في الموائد، وإنَّ الله جعله شهر صيام وقيام وقرآنٍ واستغفار، وجعلناه شهرَ سمرٍ ولهوٍ في اللَّيْلِ ونومٍ في النَّهَارِ. أَرَأَيْتُمْ نَهْتُمْ بِالْبَطُونِ فِي رَمَضَانَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَهْرٍ، وَرَبِّمَا صَنَعْنَا فِيهِ مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ مَا لَا نَصْنَعُهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ الشُّهُورِ، فَكَأَنَّنا نَجُوعُ فِي نَهَارِنَا لِنَسْتَكْثِرَ مِنَ الْأَكْلِ فِي لَيْلِنَا، وَهَذَا مَا لَا يَرْضَاهُ لَنَا الدِّينُ، فَالَّذِينَ يَأْمُرُنَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَنْفُسِنَا، وَأَنْ نَتَبَاعَدَ عَنِ التَّهْلُكَةِ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْأَكْلِ بَعْدَ الْجُوعِ وَسِيلَةَ إِلَى التُّخْمَةِ وَالتُّخْمَةِ أُمُّ الْأَمْرَاضِ، فَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ! وَكَمْ مِنْ شَبْعَةٍ قَضَتْ عَلَى صَاحِبِهَا فَحَرَمَتْهُ الْحَيَاةَ! إنَّ الله جعل شهر رمضان شهرَهُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ كِتَابَهُ هَدًى لِلنَّاسِ، وَفَرَضَ صِيَامَهُ لِيَكُونَ مَصْلِحَةً لِلنَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «صُومُوا تَصِحُّوا»^(٢).



(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٧١).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس، رقم: (٣٧٤٥).



ليلة القدر

(٣٧)

الحمد لله نشكره، ونسأله المزيد من فضله، وهو أكرم الأكرمين.

ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، رب العالمين، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، أنزل عليه القرآن وأيده بأوضح بيان وجعله رحمة للعالمين.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد عبدك ورسولك نبيِّ الرِّحمة وعلى آله وأصحابه خير الأُمَّة.

عباد الله، اتَّقوا الله فعلى التَّقوى المعوَّل، و«سَلُوا الله من فضله، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُحِبُّ أن يُسألَ»^(١)، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

عباد الله، إنَّ تقوى الله هي العروة الوثقى وما عند الله للمتقين خيرٌ وأبقى، اغسلوا أدران السيِّئات بفعل الحسنات قبل أن يأتي أحدكم الموت ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٠-١١].

هذا وإنَّ رمضان قد أوشك على الرِّحيل وقد كاد ينتهي ثلثاه، انتهى

(١) سبق تخريجه.

الأسبوع الثالث فماذا عملتم فيه؟! هل صنتم جوارحكم من الآثام؟! هل انتهيتم عن الإجمام؟! هل تبتم من الاغتياب وتجنبتم ظلم الناس؟! هل تطهّرتم من الذنوب وابتعدتم عن الحرام؟!!

عباد الله، إنّ في الشهر بقيّة، فصحّحوا فيما بقي من هذا الشهر الفروض والنوافل، واحترسوا من متابعة الهوى فإنّها سمّ قاتل، وعليكم بالاعتداء بسيد المرسلين والاهتداء بهدي أصحابه الرّاشدين لا سيّما في العشر الأواخر، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل العشر شدّ منزّره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»^(١)، فإذا انسلخ الشهر تحرّى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تلك هي الليلة التي أنزل فيها القرآن لهداية الناس أجمعين، أنزل الله فيها الملائكة المقربين، ومعهم جبريل الروح الأمين يحمل لنبينا رسالة الله ويبلغه أوامره التي فيها الهداية والثور والخير والبركة والثواب ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

هي الليلة التي سطعت فيها أنوار الهدى فانمحت الضلالة وتخلّص الناس من الجهالة، وهي الليلة التي بدأ فيها هلاك الأوثان وحلّ محلّها عبادة الملك الدّيّان.

هي ليلة تستجاب فيها الدّعوات وتعمّ فيها الرّحمات، فضّلها ربّها وأعظم قدرها وجعلها ليلة أمن وسلام ورحمة وإكرام، ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤].

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٠٢٤).



واجب علينا - أيها المسلمون - أن نتخذ هذه الليلة عيداً؛ لأن القرآن نزل فيها وأن نحييها بالعبادة شكراً على الإحسان والإنعام الذي اختص الله به عباده المسلمين.

فهي ليلة كلها أمن وسلام، وغفران وإنعام وإكرام، فرج الله فيها الكرب عن نبيه ﷺ، وفتح له فيها سبل الهداية والرشاد، حفها الخير بنزول القرآن وشهود ملائكة الرحمن، ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرَ ﴿٥﴾﴾

[القدر: ٥].

يا عباد الله، عليكم بتلاوة القرآن وتدبر آياته بإمعان، فإنه جبل الله المتين ودينه القويم، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار»^(١).

أيها المسلمون، إنها أيام تمرُّ وأعمارٌ تنقضي وحياة تفتنى، ثم لا يبقى من ذلك كله إلا صالح عمله أو معروف أسديته أو إحسان قدمته ينفك في يوم قال الله فيه: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

[الانفطار: ١٩].

واجتهدوا ألا تفوتكم الليلة المقدسة في ما بقي لكم من هذه الأيام المباركة، فقد ورد في الحديث عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة القدر. فقال رسول الله ﷺ: «هي في رمضان التمسوها في العشر الأواخر؛ فإنها وترٌ: في إحدى وعشرين، أو ثلاث

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٥٢٩)، ومسلم، رقم: (٨١٥).

وعشرين، أو خمسٍ وعشرين، أو سبعٍ وعشرين، أو تسعٍ وعشرين، أو
في آخر ليلةٍ، فَمَنْ قَامَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا
تَأَخَّرَ»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ لَيْلَةَ
الْقَدْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فِي كَبْكَبَةٍ»^(٢) مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُصَلُّونَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ
أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ عِيدُهُمْ، يَعْنِي يَوْمَ فَطْرِهِمْ، بَاهَى بِهِمْ
مَلَائِكَتَهُ، فَقَالَ: يَا مَلَائِكَتِي مَا جِزَاءُ أَجِيرٍ وَفَى عَمَلُهُ؟ قَالُوا: رَبَّنَا جِزَاؤُهُ
أَنْ يُوفَى أَجْرَهُ، قَالَ: مَلَائِكَتِي عِبِيدِي وَإِمَائِي قَضَوْا فَرِيضَتِي عَلَيْهِمْ، ثُمَّ
خَرَجُوا يَعْجَبُونَ إِلَيَّ بِالِدُّعَاءِ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِرْمِي وَعُغْلُوِي وَارْتِفَاعِ
مَكَانِي لِأَجِيبَنَّهُمْ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ وَبَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ
حَسَنَاتٍ، قَالَ: فَيَرْجِعُونَ مَغْفُورًا لَهُمْ»^(٣).

غفر الله لي ولكم الآثام، وهدانا سُبُلَ السَّلَامِ، وجعلنا مَمَّنْ يَسْتَمْعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ
أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

وقلت في الثانية:

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢٧٤١).

(٢) ككببة: أي جماعة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩٦/٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٤٤٤).



وحده لا شريك له عالم الغيب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بدين الحق إلى الخلق كافة.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه كافة، هداة الأُمَّة وأنصار الحقِّ، ورضي الله عن سادات المسلمين الأئمة الرّاشدين والتّابعين أجمعين.

عبادَ الله، اتَّقوا الله تسعدوا، وتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا، واسلكوا الصِّراط المستقيم تسودوا، ومروا بالمعروف ترشدوا، وانهاؤا عن المنكر تهتدوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتذلُّوا، وتعاونوا على البرِّ والتّقوى يعنكم ربُّكم، وانصروا دينَ الله ينصركم، و«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء»^(١)، «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ١].

أيُّها المسلم، ارحم أخاك الفقير، وجُد على المحتاج ولو باليسير، وفرِّج الكرب عن أخيك المعسر؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء، الرَّحْمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»^(٢).

عباد الله، فاز والله من شهد له هذا الشَّهر بالإحسان وطاعة الرَّحْمَنِ، وقدَّم فيه من صالح العمل ما يدَّخر له ثوابه ولم يحرم نفسه من الحسنات. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَبِّتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

(١) رواه الترمذي، رقم: (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً
 مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].



في نهاية رمضان

في (٢٨) رمضان سنة (١٣٧٤هـ)^(١)

(٣٨)

الحمد لله الدائم بلا زوال، العليم فلا تخفى عليه حال، قدر الآجال
 وجعل لكل أجل كتاب، ليس عنه محيد ولا انفصال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثال، أثبت ما شاء
 ومحا ما شاء وحوّل الأحوال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مثال
 الكمال الداعي إلى مكارم الأخلاق وشريف الخصال.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه
 الذين أخلصوا أعمالهم لله فرَضِيَّ الله عنهم وأرضاهم وسدّد خطاهم، أمّا
 بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي
 دعاكم له وحثكم عليه يكن الله معكم؛ فإنه تعالى وعد - وهو لا يخلف
 وعده - بأن الله مع الذين اتَّقوا، وإذا كان الله مع عبده فقد ربح الدنيا

(١) أي: سنة (١٩٥٥م).



والآخرة وذلك هو الفوز المبين، وإذا تخلَّى عنه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

عباد الله، بقي من رمضان يومان، فلنحاسب أنفسنا عمَّا عملنا فيما مضى من الأيام، هل قمنا فيها بحقوق الله؟ هل أحسنَّا المعاملة مع خلق الله؟ هل وقفنا عند حدود الله؟ هل نورُّ الصَّيام قلوبنا وهذب نفوسنا وقوى عزائمنا؟ هل عرفنا مقدار نعم الله علينا فشكرناها؟ هل عرفنا ضائقة الفقير والمسكين والضعيف ففرَّجناها؟ هل جنَّبنا ألسنتنا عن اللغو وفحش الكلام؟ هل حفظنا جوارحنا عن التَّعدِّي وفعل الآثام؟ هل رحمنا اليتيم وأكرمنا السائل وأطعمنا المحروم؟ هل باعدنا أنفسنا عن الظلم وأغثنا المظلوم؟

كلا! وقد انقضى الشَّهر ونحن نرجو أن نكون من المقبولين فيه؛ لأنَّنا فهمنا أنَّ «الأعمال بالخواتيم»^(١).

ولكن كيف يُقبلُ من استخفَّ بأوامر الله وتعدَّى حدوده ولم يصُنْ نفسه عن القبائح، ولم تفده المواعظ والنصائح، ولم يشحذ عزمه هدي المصلحين، ولم ينبِّهه إرشاد المرشدين، ولم يشكر نعم الله عليه، ولم يبذل رفته لمن احتاج إليه، ولم يصن صومه عن الكذب والغيبة والنميمة والكيل والقال، ولا جوارحه عن سوء الفعال.

يا هذا، إنَّ سعادة الدارين في الطَّاعة، وشقاءهما في العصيان، وإنَّ ربَّك جلَّ جلاله يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٦٠٧).

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَإِنْتَنَا فَسِينَهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

عباد الله، اتَّقُوا الله وتداركوا ما فرطتم فيه بالتَّوْبَةِ وصالح العمل،
وصلوا الأرحام، وواسوا الأيتام، واعطفوا على الأراامل، تصدَّقوا على
المحروم والسائل، حافظوا على الصَّلوات في الجمع والجماعات، وأدُّوا
الأمانات، وآتوا الزَّكَاة ونوافل الصَّدقات، وتجمَّلوا بالخلق الكريم،
وأحسنوا معاملة النَّاس، وربُّوا بنيكم على حبِّ الإيمان، وصدق
الحديث، وأداء الأمانة، وجنَّبوا أنفسكم وأهليكم غضب الله وعصيانه؛
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ [هُود: ١١٤].

اسعوا في إصلاح ذات البين، فقد روى أبو الدرداء عنه رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصَّيام والصَّلَاة والصَّدقة»
قالوا: بلى، قال: «صِلْحُ ذات البين، فَإِنَّ فسادَ ذات البينِ هي الحَالِقَةُ»،
ويروى عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «هي الحَالِقَةُ لا أقولُ تحلقُ الشَّعر، ولكن
تحلقُ الدِّين»^(١)، وقال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ
أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النِّسَاء: ١١٤].

طهَّروا قلوبكم من الغلِّ والحقد والحسد، فَإِنَّهُ «لا يؤمن أحدكم حتَّى
يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(٢)، واعتصموا بحبل الله جميعاً يسدِّد خطاكم
وينصرمكم على من أرادكم بسوء، ألَّفوا بين قلوبكم تقوى شوكتكم
ويمدكم الله بروحه.

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).



اشكروا نعم الله عليكم يزدكم كما وعدكم، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

تداركوا ما بقي من شهركم بالتَّوبَةِ الصَّادِقَةِ، فمن تاب وصدقت توبته أبدل الله سيئاتهم حسنات، «وإنما الأعمال بالخواتيم»^(١)، ومن ختم عمله بالصَّالِحَاتِ صلح، هذا وقد فرض الله عليكم في ختام هذا الشهر صدقة الفطر طهرة للصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وطعمة للفقراء والمساكين وجبراً لخاطرهم وضيافة من الله لهم يوم العيد.

وإنَّ زكاة الفطر تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان، ووقت إخراجها قبل الخروج لصلاة العيد، ولا بأس بإخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، وهي صاع من غالب قوت البلد، قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا غَنِيَّتُكُمْ فَيَزِكِّيهِ اللهُ، وَأَمَّا فَاقِرَتُكُمْ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِي»^(٢).

عباد الله، اتَّقُوا اللهَ، ولا تموتنَّ إِلَّا وأنتم مسلمون، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ جَارِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلًّا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ وَدُنْيَا، فالَّذِينَ عَلَّمْنَا أَنْ «لا يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَىٰ وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِيتِمَانِ»^(٣)، ومن فرَّق بين دينه ودنياه خسر الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أبو داود، رقم: (١٦١٩).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٤)، ومسلم، رقم: (٤٤).

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

نَبِّهْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمَانٌ وَعَمَلٌ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩-١٠].

وقلت في الثانية:

الحمد لله الذي نَزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَأَمْرَهُمْ فِيهِ أَنْ يَتَذَبَّرُوا آيَاتِهِ، وَأَفْصَحَ لَهُمْ أَنَّ نَجَاحَ الدُّنْيَا وَسَعَادَةَ الْآخِرَةِ لِمَنْ عَمِلَ بِأَوْامِرِهِ وَتَجَنَّبَ نَوَاهِيهِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ.

ورضى الله عن السَّادَةِ الْكَرَامِ ذَوِي الْقَدْرِ الْعَلِيِّ وَالْفَخْرِ الْجَلِيِّ أَمْرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عباد الله، سَبَقَ إِلَى الطَّاعَاتِ الصَّالِحِينَ، وَفَازَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَالِمُونَ الْعَامِلُونَ؛ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا عَلَى هُدًى وَسَلُّكُوا طَرِيقًا قَوِيمًا، يَقُولُ

(١) رواه البخاري، رقم: (١٦)، ومسلم، رقم: (٤٣).



تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾
 [المك: ٢٢]، ويقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا
 النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

فأتقوا الله عباد الله، ولا تتكبروا على ما يجب عليكم تعلمه من أمور دينكم، فإنَّ العبد لا يعذر إذا سكت عن جهله المشين.

إنَّ الله ﷻ يقول لكم: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ
 ﴿٤٤﴾﴾ [التحل: ٤٣-٤٤].

ويقول نبيكم ﷺ: «إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله ﷻ فلا بُورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم»^(١).

عباد الله، اقتدوا بنبيكم فإنه الأسوة الحسنة، واستنوا بسنته، واهتدوا بهديه، تفوزوا في الدنيا وتفلحوا في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَكْرَهُ الْأَبْتَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].



بعد رمضان

في (٣/١٠/١٢٧٨هـ) الموافق (١٠/٤/١٩٥٩م)

(٣٩)

الحمد لله الدائم فلا يتغيّر، الباقي فلا يزول.

(١) رواه الديلمي في الفردوس، رقم: (١٢٥٥).



أشهد أن لا إله إلا الله، فتح أبواب رحمته لمن عمل بطاعته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جمع الكلمة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَتَمَسِّكِينَ بِهِدِيهِ وَالِدَّاعِينَ بِدَعْوَتِهِ.

يا عباد الله، اتَّقُوا اللَّهَ واعتصموا بحبل الله، واسألوه الثَّبات على الحقِّ والعزيمة على الرُّشد، وأحسنوا فإنَّ الله وعد من أحسن أجراً عظيماً، وبعد:

فقد ودَّعنا قبل يومين شهر رمضان واستقبلنا عيد الفطر، وهكذا الأيام؛ ينتهي يوم من أعمارنا لنستقبل غيره، وينقضي شهر من آجالنا لنستقبل آخر، وإنَّ في تداول الأيام وتعاقب الأهلة عبرةً ودرساً، يعيها من يتذكَّر، والذكرى تنفع المؤمنين.

يا عباد الله، إن كان شهر رمضان شهر العبادة قد انقضى بالطَّاعة، فلا نستقبل شَوَّال بالمعاصي، فإنَّ رَبَّ رمضان وربَّ غيره من الشُّهور واحد هو المعبود وحده والمُطَاع في كلِّ حين، وإنَّ عبداً صَلَّى وصام في رمضان مُصِرّاً على أن يعود لعصيانه في ما بعد رمضان عبداً عاصياً، لا يفيد ما عمل في رمضان وقد سبق منه الإصرار على العودة للعصيان، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَنْبَأْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحُجرات: ١١].

يا أيُّها المؤمنون، لا يليق بالمؤمن أن يصوم رمضان عن طعام وشراب ليفطر في شَوَّال على رغبات النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، إنَّنا صُمْنَا في رمضان عن المآكل والمشارب المباحات وعن الشَّهوات المحرَّمات، فيجب وقد أباح لنا ربُّنا الفطر على المباحات أن نظلَّ صائمين عن هذه



الشّهوات المحرّمات .

يا عباد الله، قد وعد الله الصّائمين على لسان نبيّه ﷺ بفرحتين؛ فقال ﷺ: «للصّائم فرحتان: فرحةٌ حين يُفطرُ، وفرحةٌ حين يلقي ربّه»^(١)، وقد فرحنا بالفطر ونسأل الله تعالى أن يتمّ نعمته علينا بفرحة اللّقاء، ويجعلنا ممّن رضي الله عنهم ورضوا عنه .

إنّنا أيّها الإخوان، وإن كنّا فرحنا بالعيد وبالفطر، إلّا أنّها فرحة لم تتمّ؛ لِمَا نرى في أوطاننا من أمور تخالف الدّين ويأبأها لنا العقل السّليم .

إنّ الدّين يريدنا أُمَّة واحدة تدعو إلى الخير وتأمّر بالعدل وتتواصى بالحقّ وتنهى عن المنكر، والأعداء وعملاؤهم يحاولون تفريقَ هذه الأُمَّة وإذلالها واستعبادها وتمزيقها إلى أُمم وأقاليم، يكفّر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا .

الأعداء يحاربون عروبتنا وعقيدتنا، وهم بذلك إنّما يريدون مسخنا إلى أُمَّة غير الأُمَّة التي أرادها الله لنا، ويريدون القضاء على ديننا وأخلاقنا، وتفريقنا إلى شعوب منفصلة عن بعضها تتناكر ولا تتعارف كما تفرّقت أُمم من قبلنا، فكان لكلّ أُمَّة اسمها ولكلّ أُمَّة لغتها، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فالله ﷻ حفظ ديننا وعروبتنا بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بليت الأُمم ولم يبل، وشاب الدّهر ولم يشب، جمعنا وإن فرّقنا الأعداء، وأبقى لغتنا وإن عابها الضّالون، أو كادها الكائدون، هذا هو القرآن؛ عقيدتنا وحُلقنا

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٤٩٢)، ومسلم، رقم: (١١٥١).



ومبدأنا، إنه روح العرب، وهل يعيش جسم بلا روح؟! وقد بارك الله أمة العرب بأن بعث منهم محمداً ﷺ الذي كان خير العرب، وجاء بخير العرب وأنزل الكتاب رحمة وهدى للناس بلغة العرب، وجعل قبلة المسلمين ومحجهم في وطن العرب، وسيبقى الإسلام كما وعد الله روحاً للعرب.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٢-٤].

ومن اعتدى على العروبة اعتدى على الإسلام، وأعداء الإسلام قد أخفوا في صدورهم ضغينة على الإسلام وأُمَّته؛ ليدلُّوا أمة الإسلام ودينه، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، حاولوا فصلهما فخابوا، ومكروا للعرب ففشلوا، وكادوا للقرآن فخسروا ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

إن الله أعز دينه بالعرب، وأعزهم بالقرآن الذي نزل بلغتهم، فنشر العرب الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعرب القرآن أمماً لم يعرفوا العربية من قبل، آمنوا بالله ورسوله، ووجَّهوا وجوههم شطر المسجد الحرام، وإذا بالقرآن يجعل من هذه الأمم أمة واحدة، لو وحدت رأيها لكانت خير أمة أخرجت للناس.

فالقرآن يا أمة محمد هو ديننا، وفيه حياتنا ومنه نستمد قوتنا وعليه بناء مجتمعنا، فإذا أراد عدونا هدم وحدتنا، وفصلنا عن بعضنا، قال لنا



القرآن: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنفُسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [٩٦] [الأنبياء: ٩٢]، وإن شاء عدونا إذلالنا واستعمارنا واستعبادنا قال لنا القرآن: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وإذا أراد العدو أن يساعده ضدنا أوحينا في الدين قال لنا: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وإذا كاد لنا العدو بالحاده ومكره قال لنا القرآن: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وإذا أدخل العدو علينا الشبهه في ديننا قال لنا القرآن، قولوا: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

يا عباد الله، يريد العدو منا أن نعبد المادّة كما عبدها من دون الله، وننسلخ في سبيلها من ديننا، ونتبرأ من عروبتنا حتى نكون عبيدا للمتعم والشهوات، والقرآن يريدنا أن نزكي أنفسنا ونطهرها من شوائب المادّة حتى تكون نفوسا عالية زكية حرة، فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٩] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [١٠٠] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وقلت في الثانية :

أيُّها المسلمون، في أوَّل هذا القرن طاف مبشِّرٌ أمريكيٌّ في البلاد العربيَّة، ودرس حال أهلها وعاداتهم، وكتب تقريراً لأُمم الغرب قال فيه: لن تتمكَّنوا من البقاء في بلاد المسلمين إلَّا بالقضاء على عروبتهم وعاداتهم، ولن تتمكَّنوا من ذلك إلَّا بالقضاء على دينهم وقرآنهم.

وقد خاب الكافر وخسر، لن يُقضى على القرآن؛ لأنَّ القرآن كتاب الله أنزله وتعهَّد حفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وما كادَ أحد لهذا الدِّين إلَّا باء بالفشل ورُدَّ كيده إلى نحره، يقول الله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فِئَلِ الْكٰفِرِينَ أَهْمَلَهُمْ رُؤْيَا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥-١٧].

ومع هذا كلُّه فالمسلمون غافلون عمَّا يُراد بهم، ألهاهم عدوُّهم بحيله وأشغَلهم بزخارف الدُّنيا، لا يلتفتون إلى مستقبلهم، ولا يهتمُّون بحاضرهم، ولا يستمعون لناصر ينصحهم أو مرشد يرشدهم، غرَّتهم الحياة الدُّنيا فأقبلوا عليها يغبُّون من شهواتها ويتلذذون بنعيمها، بهتتهم زخارفها، وأسكرتهم مُتْعُها، وغفلوا عن دينهم الَّذي به يحيون ويبقون ويسعدون في حياتهم، والَّذي يبني مجدهم، ويخشاهم عدوُّهم، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

يا عبادَ الله، إن كُنَّا فرحنا بالعيد فإنَّها فرحةٌ لم تتمَّ، ولن تتمَّ الفرحة حتَّى نعود إلى ديننا، فنحيا به ونحيا لأجله، وندعو له ونموت في سبيله.

إنَّ الله كتب الحياة لعباده المخلصين، وجعل ميراث هذه الأرض لعباده الصَّالحين، وجعل الهداية والتَّوفيق لمن جاهد في سبيله، وجعل



العاقبة لعباده المتقين، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



يوم عرفة

في (٩/١٢/١٣٧٤هـ)^(١)

(٤٠)

الحمد لله الذي فضّل يوم عرفة على سائر الأيام، وأكمل فيه
للمسلمين نعمة الإسلام، وألّف بالإسلام بين قلوب المسلمين، وأوجب
عليهم جمع كلمتهم في الكتاب المبين وعلى لسان نبيّه الأمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حذّر من عواقب الفرقة
والخلاف وأفاد أن الفلاح لا ينال بغير الاتحاد والائتلاف، وأنّ
الاعتصام بالوحدة دليل النّجاح وبلوغ الغايات، وأنّ عواقب الفرقة ذلٌّ
وخسران وويلات، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله دعانا إلى الطّريق
القويم ومهدّ السّبيل إلى الطّريق المستقيم.

اللّهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه
الّذين ساروا على سنّته ففازوا بنعمة النّصر والسّيادة، وشرف الفوز
والقيادة، فكانوا خير سادة راشدين مرشدين، وأفضل قادة هادين مهتدين،
أمّا بعد:

(١) أي: سنة (١٩٥٥م).

أيُّها المسلم، فقد أمرك ربُّك أن تكون داعيةً إصلاح، حاملاً لواء الفلاح، قوياً في إيمانك، متفقاً في دينك؛ مدافعاً عنه، داعياً إليه، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أيُّها المسلم، إنَّ دينك دين ألفة وقوَّة، ووحدة وشوكة، وسعادة ودولة، دين أمن وإيمان، ويدعو إلى الحقِّ وما هو إلاَّ الحقُّ، دينٌ يدعو إلى الخير وما الخير إلاَّ فيه، دينٌ يدعو أتباعه أن يكونوا «مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى»^(١)، فكن عضواً صحيحاً في هذا الجسد لتعمل له، دينٌ يدعو المسلمين أن يكونوا كالبنيان المرصوص فكنُّ لبنةً قويَّةً في هذا البناء ليشتدَّ بك.

دينٌ عمَّر المساجد ليجتمع المسلمون فيها خمس مرَّات بتوجيهٍ واحدٍ، وعلى إمامٍ واحدٍ؛ ليكونوا وحدة قويَّة في الله أشدَّاء على الكفَّار رحماء بينهم.

وقد عرف الصَّحابة رضوان الله عليهم أنَّ اجتماعهم في المسجد وأتباعهم إماماً واحداً، وتوجُّههم إلى قبلةٍ واحدةٍ أمرٌ إلهيٌّ؛ لينصاعوا لأمرٍ واحدٍ، وينقادوا لنظام واحدٍ، ويجتمعوا على كلمةٍ واحدةٍ، وليكونوا يداً واحدةً، فإنَّ «يد الله مع الجماعة، ومن شدَّ شدَّ في النَّار»^(٢).

وقد علم الله أنَّ دينه سينتشر حتَّى يعمَّ أهل المعمورة على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، فأراد - ولا رادَّ لإرادته - أن يجتمع النَّاس كلَّ عام

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٦).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢١٦٧)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.



في صعيد واحد فاختر عرفة، وفي عرفة يجتمع الناس في يومه من كل عام على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم، وعلى تباين أجناسهم وجنسياتهم؛ ليعرف المسلم مدى ما وصلت إليه دعوة دينه، فيرى الجميع وقد تجردوا من رياشهم ولباسهم ووقفوا جميعاً أمام ربهم لا فرق بين شريفهم ووضيعهم وشرقيهم وغربيهم وأبيضهم وأسودهم، والكل يدعو ربهم تضرعاً وخفية، فإذا رأى ذلك حمد الله على نعمة الإسلام.

وفي السنة العاشرة من الهجرة حجَّ النبي ﷺ حجة الوداع، وخطب في الناس يوم عرفة خطبته المشهورة، علّمهم فيها أمور دينهم وديانهم وقال: «يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِيٍّ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى»^(١)، ثُمَّ أَمَرَ وَنَهَى، وَقَالَ: «إِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بِلَدِكُمْ هَذَا، حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ فَيَسْأَلَكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلْيَبْلُغْ أَدْنَاكُمْ أَقْصَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»^(٢).

ثُمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

واقتردى خلفاء الصّدر الأوّل من الإسلام بالنبي ﷺ فكانوا إن لم يحضروا الموقف بعثوا من يمثلهم فيه، فيُلقي على الناس أوامر الدّولة ونواهيها، ويذكّرهم بما كان عليه سلفهم من عزّة ومنعة، ويرشدهم إلى ما

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٤٨٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٧٧٧).



ينفعهم، ويعلي مكانتهم ويعزز مركزهم.

فإذا كان بعد العصر تفرَّغ النَّاسُ لربِّهم وضجُّوا إلى الله بأصواتهم ومختلف لغاتهم مُلَبِّين مكبِّرين مهلِّلين، وكلُّهم عيون دامعة وقلوب واجفة^(١) خائفة وأبصار خاشعة، وأكفُّ مرتفعة إلى الله يرجون رحمته ورضوانه ومغفرته وإحسانه، يسألونه أن يزيدهم إيماناً و يقيناً، وأن يُتِمَّ عليهم نعمته كما أتمَّها على من سبقهم حيث رضي لهم الإسلام ديناً.

أمَّا اليوم - وأين اليوم من أمس - فالمسلمون ليسوا قلة، لكنَّهم غُثاء كغثاء السَّيل كما قال ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا»، قلنا: يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: «أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السَّيل، تُتَنَزَّعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، قلنا: وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٢).

إنَّهم جيوب غنيَّة ونفوس فقيرة، بطون ملأى وقلوب جياع، إنَّهم قلة بتفرُّقهم، تباينت قلوبهم واختلفت ظواهرهم وبواطنهم، فلا جامعة تجمعهم، ولا وحدة تؤلِّف بين قلوبهم، هانت نفوسهم، وسهل خداعهم، واستغلَّهم أعداؤهم، فالكلُّ في بلد غيره غريب، والكلُّ في غير موطنه دخيل، ضاقت عليهم أوطانهم بما رُحِّبَتْ، وسلبوا حرِّيَّتَهم، فالأمر فيها لغيرهم، والحكم فيها لعدوِّهم، والحول والقوَّة فيها لمن سواهم، فخيراتهم مسلوبة، ونعم أوطانهم منهوبة، ورضوا بالذلَّة، واستكانوا

(١) واجِفْتُ: مُضْطَرَبٌ خَافِقٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٤٦/٢٤).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٢٣٩٧).



للعبودية، وقنعوا بالهوان، ولو أنهم تمسكوا بكتاب ربهم وعملوا بأوامره لكان لهم نجاة من عذاب الدنيا الأليم وذلكها المهين وعذاب الآخرة الطويل.

أيها المسلمون، سنة الله في خلقه أنه ما اجتمع قوم على أمرٍ إلا كان في اجتماعهم قوة، وما تفرق قوم على أمرٍ إلا كان في تفرقهم ضعف، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فاتقوا الله - أيها المسلمون - ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

أنيبوا إلى الله، واعملوا بما أمر به وانتهوا عما نهى عنه، ولا تقنطوا من رحمته، ولا تياسوا من روحه، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد ثبت في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «إن الله سبحانه يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة؛ يقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً»^(١).

يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقلت في الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن

(١) رواه أحمد، رقم: (٧٠٨٩).



مَحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

ورضى الله عن سادات ديننا الأئمة الراشدين والتابعين لهم بإحسان،
أما بعد:

فقد فاز بنيل المنى من وقف على باب الكريم الوهاب، واغتنم فرصة العمر السريعة الذهاب، وإن ساعة من العمر تبقى أمل كبير في تغيير الأحوال، ولن يخسر إلا من فرط ولم ينتبه للكمال.

هذا وقد فاز من أدرك بيت الله مع المدركين، وأحرم مع المحرمين، وتأهب للوقوف يوم عرفة مع الواقفين بين يدي رب العالمين.

إنه والله يوم يتجلى الله فيه على عباده، وكلهم قد فارق لذيذ المعاش وأتوا إليه ما بين راكب وماش، وفدوا من فجاج الأرض وأقطارها، يحنن إليه حنين الطير إلى أوكارها، وقد ملؤوا البلاد تكبيراً وتهليلاً، واتخذوا الإخلاص إلى ربهم سبيلاً.

إنه والله يوم يباهي الله بأهل أرضه أهل السماء فيقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أنني قد غفرت لهم»^(١).

إخواني، إنها نعمة كلكم يرجوها، ومنة كلكم يتمناها، فكلكم يتمنى مغفرة الله ورضوانه، وكلكم يرجو عفوهِ وإحسانه، ولكن ما لا يُدرِكُ كلهُ لا يُترَكُ كلهُ، فإنكم وإن بعدَ بكم السبيل عن إخوانكم فشاركوهم هذا اليوم بتقوى الله، أكثروا من التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٧٧٤).



والاستغفار في كلِّ مكان، وتقرَّبوا في غدكم بنحر الأضاحي، فإنَّها سنَّة أبيكم إبراهيم عليه السلام، وصوموا يوم عرفة فإنَّ صومه يُكفِّر السنَّة الماضية والآتية كما ورد ذلك في الحديث الشريف: «صيامُ يوم عرفة، أحْتَسِبُ على الله أن يُكفِّر السنَّة التي قبله، والسنَّة التي بعده».

وقد ثبت في الحديث أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قال: «من ضحَّى طَيِّبَةً بها نفسه، مُحْتَسِبًا لأُضحِيَّتِهِ؛ كانت له حَجَابًا من النَّار»^(١).

يقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].



الحج

(٤١)

الحمد لله، نحمده ونسأله التَّوفيق لسلوك سبيله، الحمد لله وفق من شاء من عباده إلى الإخلاص فأخلص العبادة لربِّه، وأرشد من شاء إلى التَّوبة فأناوب واستغفر لذنبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرَّبُّ الواحد، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، خير راعٍ وساجد.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٢٧٣٦).

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ، واستغفروه وتوبوا إليه فإنه يحبُّ التَّوَّابِينَ ويحبُّ المستغفرين، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمِغْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [التَّسَاء: ١٧] .

عباد الله، إنَّ للإسلام رغبة قويَّة في ربط الأُمَّة الإسلاميَّة برباطٍ أخويِّ متين، وقد مهَّد الإسلام بحكمته لهذا الرِّباط بروابط فرعيَّة تصغر تارة وتكبر تارة، وما صلاة الجماعة في هذه المساجد التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النُّور: ٣٦] إلَّا رباط من تلك الرِّوابط الصَّغيرة، يجتمع فيه أهل الحيِّ ليلمُّوا شعثهم ويصلحوا شأنهم، وأكبر منه الاجتماع لصلوات الجمع والأعياد.

أمَّا الرِّابطة الكبرى الجامعة للأُمَّة الإسلاميَّة كلِّها فقد مهَّد الإسلام لها بالحجِّ، وجعله في أشهر معلوماتٍ، تلتقي فيه أشباح المسلمين وأرواحهم، يأتون من كلِّ فجٍّ من الأقطار البعيدة والقريبة ومن الآفاق الدَّانية والتَّائية؛ لتصفو نفوسهم وتطهر قلوبهم، ويصاغوا في قالبٍ واحدٍ صياغة تليق بهم، كإخوة بررة أَلَّفَ الله بين قلوبهم وجعلهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠] صالحين مصلحين، راشدين مرشدين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، مترقِّعين عن الفحش والفسوق، متنزِّهين عن الجدل والمراء.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٧-٢٨] .

وقد كان السَّفر لأداء هذه الفريضة شاقًّا، وكان الأيمن مضطربًا، وكانوا يقطعون له الفيافي على ظهور الإبل، معرِّضين أنفسهم لأشدِّ



الأخطار؛ حرّ الصَّيفِ وعطشِه، وقرّ الشِّتاءِ وأمطاره، والمفسدين في الأرض من قَطَّاعِ الطَّرِيقِ يسلبون النَّاسَ أموالهم وأقواتهم وأرواحهم.

وكانوا يقطعون له لجج البحار على الجواري المنشآت، معرّضين أنفسهم لأموج البحر ورياحه وتقلبات الجوِّ فيه؛ لهذا كان السَّفر للحجِّ شديداً، لا يصل إليه إلَّا قويُّ العزم، شديدُ الحزم، عالي الهمة، ماضي الإرادة، أمَّا اليوم فالطَّرِيقُ آمنٌ وسلام، ووسائل السَّفر إليه سهلة، وما هي إلَّا ساعات لمن ركب الجوّ، وأيام لمن ركب البرّ والبحر، ثمَّ بعدها يصل الرِّكب إلى حرم الله آمين على أموالهم، مطمئنّين على صحَّتهم، مهلّلين مكبِّرين، فائزين بالأمن والسَّلام والمغفرة والرِّضوان؛ ولهذا كان المُسافر لهذه العبادة يشعر أنَّه في عبادة منذ أن يفارق بيته ويودِّع أهله.

والحجّ - يا عباد الله - خامس القواعد التي أُقيم عليها بناء الإسلام، وهي قاعدة لها خطرها في الإسلام إن تركت، لكنَّ المسلمين الذين تعاملوا عن فهم دينهم وتبصُّر أسرار حكمته لا يفهمونها ولا يريدون أن يفهموها.

عباد الله، رُبَّ قائلٍ يقول: الحرُّ شديد وإنَّ الأيام طويلة وفي العمر مهلة فلماذا المبادرة؟! صبراً حتّى يبرد الجوّ وتكثر وسائل التَّرفيه، وهذا خلاف ما أمر به الرِّسول المظهِر ﷺ فإنَّه قال لأُمَّتِه: «حُجُّوا قبل أن لا تَحُجُّوا»^(١)، ويقول ﷺ: «من أراد الحجَّ فليتعجَّل، فإنَّه قد يمرضُ المريضُ، وتضلُّ الضَّالَّةُ، وتعرضُ الحاجة»^(٢).

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (٨٦٩٨).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٨٣٤).



يا عباد الله، إِنَّ دَعَاةَ السُّوءِ وَالْفِتْنَةَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلخَيْرِ يَقُولُونَ بِألسِنَتِهِمْ مَا يُوَسَّوَسُ بِهِ الشَّيْطَانُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا تَصْغُوا إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ يُودُّونَ أَنْ تَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا، وَأَنْ تَضَلُّوا كَمَا ضَلُّوا فَتَكُونُوا سَوَاءً، فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ، إِنَّهُمْ أَسَاؤُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَمَنْ سَاءَ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

أَيُّهَا الْأَخَ الْمُسْلِمُ، مَا أَعْظَمَ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ فَرَضَ الْحَجَّ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُقْتَدِرِ وَجَعَلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعَمْرِ لِيَسْتَطِيعَ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّحْلَةَ إِلَى الْحَجِّ شاقَّةٌ، وَيَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ الْقَاطِنُ فِي أَطْرَافِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي السَّفَرِ إِلَيْهَا شَهْرًا، وَإِلَّا فَأَيْنَ لِمَكَّةَ أَنْ تَتَّسِعَ لَجَمُوعٍ تَفُوقُ الْمَلَائِكِينَ عَدَدًا، وَحِكْمَةَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ اقْتَضَتْ أَنْ تَكُونَ فَرِيضَةً الْعَمْرِ لِيُؤَدِّيَهَا الْمُسْلِمُونَ الْقَادِرُونَ الْمُسَرِّعُونَ، وَلِيَسْتَقْبَلَ الْمَوْسِمُ كُلَّ عَامٍ حَجَّاجًا جُدَّدًا قَدْ يَكُونُ لَتَفْكِيرِهِمْ أَثْرٌ فِي تَوْثِيقِ الْعِلَاقَاتِ وَرِبْطِهَا، وَبِذَلِكَ تَحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ لَنَا بِأَنَّهُ مَا جَعَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ حَرَجٍ، وَأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَرِيدُ بَعَادَةَ الْيَسْرِ وَلَا يَرِيدُ بِهِمُ الْعَسْرَ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»^(١)، رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٨٦٧).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٨١١)، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.



يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.



الحج

في مسجد الخالد في (٢٣/١١/١٣٧٦هـ) الموافق

(٢١/٦/١٩٥٧م)

(٤٢)

الحمد لله جعلنا من أمة الإسلام، ونسأله التوفيق لسلك سبيل السلام، ونحمده على أن من على من شاء من عباده بحج بيته الحرام، وتفصل على من شاء بزيارة مسجد سيد الأنام، ووفق من شاء إلى الإخلاص فأخلص العبادة لربه، وأرشد من شاء إلى التوبة فاستغفر لذنبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فهو الرب الواحد تعالى وتنزهه وتقدس عما قاله الملحدين والجاحدين، أو تفوه به الماديين والمعاند، سبحانه وعد من أنفق في سبيل طاعته الكثير والقليل بأن يخلف عليه ما أنفق من حقير وجليل، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حج واعتمر، وأتقى من ذكر الله واستغفر سيد الهادين وقدوة المرشدين وإمام المصلحين.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

عباد الله، إِنَّ خَيْرَ مَا يُوَصِّي بِهِ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ تَقْوَى اللَّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَأَنْبِئُوا إِلَيْهِ وَتُوبُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَا تَغْرَبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا ظُلٌّ زَائِلٌ وَكُلُّنَا عَنْهَا رَا حِلٌّ وَلَا بَدَّ بَعْدَ هَذَا الرَّحِيلِ مِنْ أَحَدٍ مِنْزَلَتَيْنِ؛ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ [الانشقاق: ٨-٩]، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) وَيَصِلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ [الانشقاق: ١١-١٣] بِمَا ارْتَكَبَهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَجَاهِرَ بِهِ مِنْ فَجُورٍ، وَغَفَلَ عَنْهُ مِنْ فَرَائِضٍ وَهَتَكَ بِهِ مِنْ أَعْرَاضٍ، إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ شَبَابَهُ سِيدُومٌ، وَمَالَهُ سِينَجِيهٌ، وَجَاهَهُ سَيْفِدِيهٌ، وَصَاحِبَهُ سَيُؤُويهِ، كَلَّا، وَاللَّهِ لَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ﴾ (١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَضِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُهُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج: ١١-١٤]، وَهُوَ يَرَى بَعَيْنِي رَأْسَهُ مِنْ فَازٍ بِالنَّعِيمِ وَغَنَمٍ، وَنَجَا مِنَ الْعَذَابِ وَسَلِّمْ.

يَا أَيُّهَا الْمُفْرَطُ، وَيَا أَيُّهَا الْمُقْصِرُ، إِنَّكَ فِي مَهَلَةٍ، وَإِنَّكَ أَمَامَ رَبِّ كَرِيمٍ ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

انتبه من الغفلات، وتجنب طرق الشبهات، وخل عنك الخطايا، وشمر عن ساق العزم، وبادر بالرجوع إلى ربك ما دمت في هذه الأشهر الحرم، أشهر الحج الشريفة ومواقيت الطاعة المنيفة، فكن ممن فاز بها ولبى داعي الله فسلك الطريق وجاد باليسير، قاصداً بيت الله العتيق، معتقداً بأن الله سيخلف عليه ما أنفق في مرضاته، لإقامة شعائر دينه وأداء



طاعاته، موقناً بأن الله لا يخلف وعده وهو أصدق القائلين: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

هذا وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «من حجَّ هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١)، وروى أيضاً أنه ﷺ سئل يوماً: أيُّ العمل أفضل؟ قال ﷺ: «إيمانٌ بالله ورسوله». قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور»^(٢).

وفي الحديث أيضاً: «الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، رواه البخاري ومسلم^(٣).

أيُّها المسلمون، إنَّ الشَّيْطَانَ ألقى على السنة بعض من لا يصدِّق بوعد الله ولا يؤمن بكتابه كلمات لا يقبلها من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان عتياً على من شدَّ رحاله أو نوى الرِّحْلَةَ إلى بيت الله الحرام حاجًّا ومعتمراً لأداء فرض أوجبه الله على من استطاع إليه سبيلاً، أو تزوداً من الطَّاعة تقرباً لمن يعطي الثَّواب جزياً، كقول بعضهم: الحرُّ شديدٌ والإنسانُ معرَّضٌ لضربات الشَّمْسِ، وقول بعضهم: أليس في العمرة مهلة

(١) رواه البخاري، رقم: (١٨٢٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٢٦)، ومسلم، رقم: (٨٣).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٧٧٣)، ومسلم، رقم: (١٣٤٩).

فلماذا المبادرة؟ وصبراً حتى يبرد الجؤ وتكثر وسائل الترفيه، وقول بعضهم: الجسم ضعيف والتعب شاق ولا يكلفنا الله فوق ما نطيق، إلى غير ذلك من لغو القول وباطل الكلام.

لكنَّ الله ورسوله قالا غير ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنٌ، وَلِتلكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مَفْتاحًا لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مَفْتاحًا لِلشَّرِّ، مَغْلَقًا لِلْخَيْرِ»^(١)، وقال ﷺ أيضًا: «من كان مع الله كان الله معه»^(٢).

فيا عبَّادَ الحطام، ويا دعاةَ السُّوء، اعلِّموا أنَّ الله لا يخلف وعده ولا يظلم عبده، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ومن ينفق في سبيل مرضاة ربه يجعل له من أمره يسرًا، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ومن تقرب إلى الله بطاعته تقرب إليه بعفوه ومغفرته.

فاتَّقوا الله عباد الله، ولا تتكلَّموا بالسننكم ما يوسوس به الشيطان في صدوركم ولا تصغوا لِمَا يقوله دعاة السُّوء والفتنة فإنَّ ذلك سوء ظنٌّ بوعده الله ومن ساء ظنُّه بربه كان من الخاسرين.

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٣٨).

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (٢٥٧٨).



روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»^(١)، وروى ابن ماجه أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم، عليهن جهاد، لا قتال فيه: الحج والعمرة»^(٢).

وروى البيهقي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا، وإن دعوا أجيبوا، وإن أنفقوا أخلف لهم، والذي نفس أبي القاسم بيده ما كبر مكبر على نسر^(٣)، ولا أهل مهل على شرف من الأشراف إلا أهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب»^(٤).

بلغني الله وإياكم حج بيته الكريم وغفر لي ولكم بمنه وكرمه، إنه غفور رحيم.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل

عمران: ٩٦-٩٧].

نبهني الله وإياكم من رقدة الغافلين.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٩٠١).

(٣) النسر: المرتفع من الأرض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٥٥).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٨٠٩).

وقلت في الثانية :

عباد الله، اتقوا الله، واسألوه من فضله وبادروا بأداء ما وجب عليكم ما دام في الأجل مهلة، فقد قال لكم نبيكم المصطفى ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك»^(١)، وقال: «حجُّوا قبل أن لا تحجُّوا»^(٢)، ومعناه: حجُّوا ما دمتم أقوياء قبل أن تضعفوا، وما دمتم في صحَّة قبل أن تمرضوا.

حجُّوا ما دام الأمن سائداً قبل أن يختلَّ النظام فتقطع بكم السُّبل.

حجُّوا ما دمتم موسرين فإنَّ هذا المال ظلُّ زائل وثمره مؤقَّتة.

حجُّوا ما دمتم أحياء قبل أن يأتاكم الأجل فتندموا ولات ساعة مندم.

فيقول المُقَصِّر: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]،

ويقول المُفْرَط: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:

٩٩-١٠٠].

هذا، وإن للحجِّ والزَّيَّارة آداب وسُنن على الحاجِّ والزَّائر اتِّباعها، وأن يتجنَّب فيها الزِّيادات كما يتجنَّب النواقص، ولا عيب في السُّؤال؛ لأنَّ الله

قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٤٣].

ففي عرفات رأينا كثيراً من النَّاس يقابلون الصَّخرات، وهذا خلاف

المشروع، إذ المشروع توجيهُ القبلة شطر المسجد الحرام.

(١) رواه النسائي، رقم: (١١٨٣٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم: (١٦٤٦).



وفي منى رأينا كثيراً من النَّاس يرمون الجمرات قبل الظُّهر، وهذا نقص تجب عليهم فيه الفدية، إذ لا جمرات قبل الظُّهر إلا جمر يوم النَّحر، أمَّا الأيَّام الباقية فوق الجمرات بعد الظُّهر ومن رماها قبل الظُّهر فعليه الفدية.

وفي المدينة يسُنُّ للزَّائر أن يبدأ بصلاة ركعتين تحية المسجد، إن أمكنه ذلك في الروضة الشَّريفة، وإلا فلا يزاحم، ثمَّ يأتي الحجرة الشَّريفة فيقف في المواجهة وظهره إلى القبلة فيسلم بأدب وخشوع ولا يرفع صوته؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢٠].

ولا يمسَّ الجدار ولا الشُّبَّاك ولا يقبلهما، إنَّما يسلم بأدب، ويشهد لله بالوحدانيَّة ولنبيه ﷺ بالرسالة وأداء الأمانة والتبليغ والنُّصح ثمَّ يسلم على صاحبيه ويدعو لهما.



الحج

(٤٣)

الحمد لله الَّذي أفاض علينا نعمه بأن هدانا للإسلام، والحمد لله نحمده على نعمه هذه ونسأله المزيد من فضله.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعدَّ لمن عمل بهذا الدِّين

طَيِّبَ الْحَيَاةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُمِرَ بِأَنْ يَبَشِّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾

[التحل: ١٢٨].

واعلموا - أيها المسلمون - أن الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة على تباعد ديارهم وتباين ألسنتهم وشعوبهم.

الإسلام يريد من المسلمين أن يشكّلوا وحدة تامة يذوب أفرادها فيها، فالحياة للجميع، يقول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١)، ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢).

والإسلام فرض على أمته عبادات نصلح بها حالنا على الأرض، ثم ننال بها من الله الثواب والمغفرة يوم الحساب.

والإسلام وضع حدودًا ليقف المسلمون عندها فيسلموا من الوقوع في الشرور فلا يهلكوا، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

والإسلام أمر أوامر يسعد بها متبعوها، فتتألف بها قلوبهم وتتحد بها كلمتهم حتى يكونوا خير أمة أخرجت للناس ألفة وقوة ورفعاً وتمكيناً في الأرض ورعاية للناس.

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٨١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).



وها نحن اليوم في موسم أمر من هذه الأوامر، إننا في موسم الحج، والحج عبادة وصلت بين الدنيا والآخرة، وليس غريباً على الإسلام أن يمزج الدنيا بالآخرة، وأن يصل أهل الأرض بأهل السماء.

وإن في الحج توطيداً لدعائم الإخاء والتآلف بين المسلمين ليكونوا كتلةً واحدةً ضدَّ كلِّ عدوٍّ أراد أن يكيد بهم كيداً أو ينال منهم نيل سوء.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾

[الحج: ٢٧-٢٨]•

ومنذ عهد الرسالة حتى يومنا هذا، في كلِّ عام يلبي نداء الله جمٌّ غفير، يشدُّوا الرِّحال إلى الحرم الَّذي مَنْ دخله كان آمناً؛ لِيَطَّوَّفُوا بِأَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، إلى الأرض المُطَهَّرَةِ الَّتِي أَشْرَقَ مِنْهَا نُورُ الْإِيمَانِ وارتفع منها صوت الإسلام؛ صوت مُحَمَّدٍ ﷺ يدعو النَّاسَ إلى توحيد الله في العبادة وتوحيد الصُّفوف وتوحيد الكلمة.

يترك النَّاسُ ديارهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم ومساكنهم إلى القبلة الواحدة الَّتِي يوجِّهون وجوههم إليها كلَّ يوم في صلواتهم ودعائهم يحفِّزهم إلى ذلك قلوب عامرة بالإيمان ونفوس أهلة بالحقِّ والعرفان، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً؛ لأنَّهم عَلِمُوا والله أنَّ «الحجَّ المبرور ليس له جزاء إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١)، والجنة دليل رضوان الله ولن يدخلها إِلَّا من رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فإذا كان اليوم الثامن من شهر ذي الحجة شدُّوا رحالهم من مكة إلى

(١) سبق تخريجه.

منى فيبيتون ليلتهم فيها، ثم في اليوم التاسع يسرون منها إلى عرفات.

وفي عرفات يجتمع الناس اجتماعاً لم تشهد البرية له نظيراً، تجتمع عشرات الألوف بل مئاتها على صعيدٍ واحدٍ، يدعون الواحد الأحد، مليون مهللين مكبرين، تساوى غنيهم وفقيرهم، وشريفهم ووضيعهم، وأميرهم ومأمورهم، وعالمهم وجاهلهم، وصغيرهم وكبيرهم.

إنه اجتماع يتلاقى فيه المسلمون بمختلف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم؛ لينهلوا من معينٍ واحدٍ، ويلتقوا على قبلة واحدة؛ ليستعرضوا مشكلاتهم ويتدارسوا أحوالهم ويعرف بعضهم بعضاً على هدى وبصيرة فتتقارب أفكارهم وتنتظم شؤونهم ويكونوا كما أراد الله لهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وما المؤتمرات والاجتماعات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية إلا صورٌ صغيرةٌ من الحج.

والحج بأعماله ومناسكه مظهرٌ من مظاهر المساواة، ورمز عمليٌ لتوحيد الوجهة والغاية، وهذا والله أعلم هو ما أشار إليه جل جلاله بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨].

إن الذين يذهبون إلى الحج صافية قلوبهم لهذه الفريضة يحكون عجباً ويحسون عجباً، إنها مشاعر عميقة تهزُّ الوجدان هزاً، وتصل إلى أعماق النفوس فتجدها خالصة لله، متوجهة إليه أن يتقبلها عابدة ويمنحها الرضوان والغفران.

أما ذلك الشعور الذي يشعر به المسلم وهو يقف حيث وقف رسول الله ﷺ ويسير حيث سار، ويصلي حيث صلى وحيث تنزل عليه الوحي



وحيث جاهد وصبر وحارب وانتصر، فإنه ذكرى تذكّر المؤمن بما كان عليه النبي ﷺ من إخلاص في دعوته وتأدية رسالته، وما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من إيمان به وإخلاص في نصرته ومحبته.

إنها ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين فتطهّرهم وتزكيهم وتحثهم على مواصلة السير في الطريق التي مهّدها ذلك النبي الكريم، وسار عليها من بعده أصحابه والتابعون لهم بإحسان.

يا عباد الله، أخبرنا الرسول ﷺ أن «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١)، والحج المبرور هو الذي يفتح أمام صاحبه أبواب الفضائل، فمن رجع من حجّه إلى غشّ الناس وبخسهم حقوقهم كان حجّه غير مبرور، ومن رجع من حجّه إلى ضلاله وفساده كان حجّه غير مبرور.

ومن رجع من حجّه إلى وظيفته فلم يؤدّ ما عليه لها ولم ينجز أعمال الناس ولم يعدل بينهم كان حجّه غير مبرور.

ومن رجع من حجّه إلى أولاده وأهله فأهملهم، وأهمل تربيتهم والإنفاق عليهم كان حجّه غير مبرور.

ومن رجع من حجّه ولم يطع الله ولم يتّق به بامثال أوامره واجتناب نواهيه كان حجّه غير مبرور.

ومن حجّ فلم يرفث ولم يفسق وأدّى المناسك بحق مقتفياً بها آثار الرسول ﷺ كان حجّه مبروراً.

أيها المسلم، يقول الرسول ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل»^(٢)،

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .



الله أكبر ما اشتاق قلب لزيارة ذلك البيت المطهَّر، الله أكبر.

الله أكبر ما باهى الله بأهل عرفة ملائكة السَّموات.

الله أكبر ما غفر الله لهم من خطايا وسيئات.

الله أكبر ما ذكر الله ذاكر واستغفر، الله أكبر.

الله أكبر ما تجلَّى الله في مثل هذا اليوم على عبده.

الله أكبر ما فرح مسلم بيوم عيده.

الله أكبر ما فاز حاجُّ بقضاء مناسكه وريح المتجَر، الله أكبر.

سبحان مبدع الأرض والسَّموات.

سبحان القادر على أن يبعث الأُمَّم بعد رفات.

سبحان القادر على أن يوحد هذه الأُمَّة بعد شتات.

سبحان من لو شاء نفخ فيها من روحه وأنشر.

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر.

الحمد لله الَّذي جعل الأعياد بعد أداء العبادة مواسم كرم وإحسان،
وجعل عيد الفطر موسم نزول رحماته على من صام رمضان، وجعل عيد
الأضحى لمن حجَّ بيته موسم عفوٍ وغفرانٍ.

نحمده ونشكره وهو الرَّؤوف الرَّحيم، شَرَعَ الحجَّ ودعا إليه من
استطاع فقصدوه من كلِّ فجٍّ ليشهدوا منافع لهم، وينالوا من خيري
الدَّارين مأمولهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نسأله الحماية من الزَّلزل،
والتَّوفيق لصالح العمل، والعون على مكافحة الظُّلم والظَّالمين، ومقاومة



الإلحاد والملحدين الَّذِينَ يريدون أن يطفئوا نور الإسلام بباطل أقوالهم وسموم أقلامهم، فيشوهون أحكامه ويستخفون بأوامره ويعيبون على من تمسك به وانتهى عن نواحيه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حقَّ الجهاد، فبشر النَّاسَ بالخير ودعاهم إلى البرِّ حتَّى دخل النَّاسُ في دينه أفواجا طائعين، واستنوا سننه راغبين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد الذي هديت به العباد، ورفعت به راية الرِّشاد، وعلى آله وأصحابه الَّذِينَ نشرت بهم الصَّلاح ومحوت بهم الفساد، أمَّا بعد:

عباد الله، فاتَّقوا الله حقَّ تقواه، واشكروه لنعمة وآلائه، فإنَّه أتمَّ عليكم نعمته ورضي لكم الإسلام ديناً، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

عباد الله، إنَّ المسلم أخو المسلم أينما كان، تجمعهما الأخوة الإسلامية، وتربطهما الرابطة الدِّينية، فالمسلمون أينما كانوا إخوان بمحبَّة جعلها النَّبِيُّ ﷺ شرطاً لكمال الإيمان، فقال ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتَّى تحابُّوا»^(١)، ولما لهذه المحبَّة من ثمار يانعة وفوائد عظيمة نافعة قرَّر الدِّين الإسلاميُّ تنميتها وأوجب على أتباعه اتِّباعها وتربيتها فشرع الجُمع والجماعات ليجتمع النَّاس فيها كلَّ يوم خمس مرَّات، ثمَّ شرع صلاة العيدين ليجتمع فيها أهل البلد في السَّنة مرَّتين فتراهم يتعانقون ويتصافحون ويتراحمون ويتعاطفون، ويحنو غنيُّهم

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٨٣٧٢).



على فقيرهم وسيدهم على مسودهم، فيسعدون بتألفهم وتقوى شوكتهم وتظهر عزَّتهم، فيخافهم من ناوأهم^(١) ويهابهم من عاداهم.

ولمَّا كانت هذه الاجتماعات لا تفي بالوصول إلى الغايات شرَّع الله الحجَّ على أهل الاستطاعة، ليتَّمَّ بذلك رابطة الجماعة فيفدون من سائر الأقطار ويجتمعون في مكان واحد أعدَّه لهذا الأمر، فيرشدون ويسترشدون، ويفيدون ويستفيدون، ويتألفون ويتناصرون، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨].

هنالك يعرف المسلم هيبة الإسلام، هنالك يشعر المؤمن بلذَّة دينه وطاعته لربه هنالك يعرف أنَّ دينه طبق الأرض شرقًا وغربًا، وأنَّ النَّاس دخلوا فيه طائعين راغبين، فكانوا إخوانًا في الدِّين عبيدًا لربِّ العالمين.

ولكنَّ حبَّ الدُّنيا والحياة، وموالاتة الأعداء مَرَّقَ هذه الأخوة وشَتَّت هذه الوحدة، فصَدَّقت قول الله حيث حذَّر عباده بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩].

عباد الله، أمَّا وقد علمنا كلَّ ذلك فلنعلم أنَّ سعادتنا في أن نكون بديننا متمسِّكين، وعزَّنَّا في أن نكون له ناصرين وبأوامره عاملين، ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

إخواني، إنَّ هذا اليوم يوم سعيد، وهو للمسلمين في جميع أوطانهم عيد يغفر الله فيه خطايا من حجَّ، وقَدِمَ إلى بيت الله من كلِّ فجٍّ ونهجٍ.

فما أهنأه عيدًا لو تأخينا، وما أسعده لو نبذنا الخلافات وتآلفنا، وما

(١) المُنَاوَأَةُ: المُعَادَاة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١/٤٧٦).

أكبره فرحًا لو اجتمعنا .

مرّت على المسلمين قرونٌ كانوا في الجهالة تائهين، وعن كلِّ ما يصلحهم معرضين، عضّهم العدوُّ بناب استعمارهِ، وأحرقهم بشرره وناره، وأذلّهم ببعيّه وظلمه، فسَلَطَ عليهم الجهلَ والجوعَ والعريَ، أكل خيراتهم واستثمر ثمارهم وصيّرهم عبيدًا له، حتّى إذا مسّهم الضُّرُّ وكاد يهلكهم الفقر انتبهوا، فخافهم عدوّهم وأقلقه اجتماعهم وخشي أن يلتفتوا للدين، فغيّر لهم وجهه وأظهر لهم ودّه وبسط لهم رفته، وابتسم فمالوا إليه مستسلمين، وظلموا متفرّقين، ووالله لن ينفعهم هذا الانتباه حتّى يعودوا إلى دينهم، ويسلكوا صراطه المستقيم فيعملوا به فهو لهم نجاة وبه لهم الحياة .

يقول ابن مالك رحمته الله: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها^(١)، كيف لا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تركت فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي كتاب الله وسُنَّتِي»^(٢) .

عباد الله، هذا يوم فرحٍ وتهانٍ، وراحةٍ واطمئنانٍ، فازوا والله من وقفوا بالأمس في عرفات، وحطّت عن ظهورهم أوزار السيئات وقصدوا الله بحسن النِّيَّاتِ وصفاء الطَّويَّاتِ .

هذا يوم عيد لمن هبُّوا لنصرة دينهم، وعملوا لما يرفع شأن أمّتهم .

هذا يوم عيد لمن أعزُّوا دينهم فعزُّوا، ونصروا الله فنصروا، ورفعوا من شأن الإسلام فرفع الله شأنهم، فما أبهاه من عيد لهم .

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٧٥ / ٢٠) .

(٢) سبق تخريجه .



فهل يا ترى يعود علينا ذلك العيد، ويسم لنا ذلك اليوم، فنرى للإسلام تلك المكانة السَّامِيَّة، ونرى للمسلمين الكلمة العليا؟ أجل، فقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النُّور: ٥٥]، والله لا يخلف الميعاد.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٥].

نبهني الله وإياكم لصالح الأعمال.

يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٥] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المُتَّحِنَةُ: ٥-٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن.

وقلت في الثانية:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله على إنعامه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في تنفيذ أحكامه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث لمحو الباطل وإعدامه.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه كافة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، فاتَّقوا الله وأحضروا في يومكم هذا السَّكِينَةَ والوقار،



وعظّموا شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب.

تقربوا إلى الله فيه بنحر الأضاحي، فإنّها سنّة أبيكم إبراهيم عليه السلام، وأيّدها وعملها نبيكم محمّد صلى الله عليه وآله، فقد قال في يوم أضحى: «ما عمِلَ ابنُ آدمَ في هذا اليوم، أفضلَ من دمٍ يُهْرَاقُ، إلّا أن يكونَ رَحِمًا مقطوعةً تُوصَلُ»^(١).

والأفضل أن يتولّى المسلم ذبح أضحيته بيده إن قدر، وليقل عند الذّبح: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمّد نبيك صلى الله عليهما وسلّم.

ويشترط سلامة الأضحية من كلّ عيب، فلا تصحّ الهزيلة ولا العوراء ولا العرجاء ولا المريضة ولا ما ذهب أكثر أذنها أو قرننها، ولا يصحّ ذبحها قبل الصّلاة، ولا يصحّ أن يبيع شيئاً من لحمها أو جلدها أو صوفها أو عظمها، ولا يُعطى الذّابح أجرته منها فإن فعل ذلك بطلت أضحيته.

وأوّل وقت الذّبح بعد فراغ الإمام من الصّلاة ويستمرّ إلى آخر أيّام العيد الأربعة، ويكره الذّبح ليلاً.

ويسنّ لمن ضحّى أن يأكل من أضحيته ثلثاً ويهدي ثلثاً ويتصدّق بثلث.

عباد الله، احتسبوا أضاحيكم لله، فإنّه يقول: «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحجّ: ٣٧]».



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٠٩٤٨).



عيد النَّحر

أَلْقَيْتَ فِي (١٠/١٢/١٩٥٨م)

(٤٥)

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الله أكبر ما اشتاق قلبٌ لزيارة البيت الحرام، الله أكبر ما حنَّ قلبٌ لزيارة سيّد الأنام، الله أكبر ما غفر للحاجِّ بعرفة كلَّ الذُّنوب والآثام.

الله أكبر ما ضجّت الأصوات إلى الله باختلاف اللُّغات، الله أكبر ما توجّه الحاجُّ من مكّة إلى عرفات.

الله أكبر ما أفاضوا إلى منى بإخلاصٍ وصفاءٍ نيّات، الله أكبر ما اتّحدت قلوبُ أبناء المسلمين اتّحادَ رجلٍ واحدٍ.

الله أكبر ما قاموا لنُصرة الإسلام وإذلال كلِّ جاحد.

الله أكبر ما انتبهوا من الغفلة ووحدوا المقاصد، سبحانك يا ذا العظمة والجلال، سبحانك يا من لا تخفى عليك الأحوال، سبحانك اللهمّ أسعدِ الأُمَّة الإسلاميّة، وألهمها العمل للاستقبال، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

الحمد لله يحيي العظامَ وهي رميم، الحمد لله يعيد العزَّ والمجدَّ

القديم، الحمد لله ينفخ من روحه في أمم الإسلام فيحيي ما رم^(١) من تلك العظام فيبعثها بعد موتها ويوقظها بعد غفلتها، فتقوى بعد ضعفها، وتجدُّ بعد تكاسلها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يؤاخذ الجبارين على ظلمهم، وينتقم للمستضعفين من ظالمهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جاهد الباطل بسيف الحق ففاز بالتأييد وذب^(٢) عن كلمة التوحيد فحصل على ما يريد، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد أفضل الخلق وعلى آله وصحبه الذين زادوا عن حمى الحق فأبدل ربهم ضعفهم قوَّةً، وقتلهم كثرةً وذلتهم عزَّةً فكانوا سادةً مصلحين وقادةً مرشدين وهداةً مهتدين.

له الحمد لا إله إلا الله، والله أكبر.

أيها المسلمون، إنَّ يومكم هذا غرَّة في تاريخ الإسلام أتَمَّ الله عليكم به نعمته، ورفع به لكم الأعلام، وأنزل على نبيه في أمسه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو يوم النحر والعيد الأكبر، إنَّه عيد لمن نال الحظَّ الأوفر، ففاز بالقبول وغفرت بالأمس خطاياهم، وأسبل الله عليه فضله ورضاه، إنَّه يوم انتشار الفرح والسُّرور في بلاد المسلمين يوم زيارة الإخوان لإخوانهم المؤمنين، يوم يُسرُّ فيه الخاصُّ والعامُّ في أوطان الإسلام جميعها، يوم يجتمع فيه

(١) رَمَّتْ عِظَامَهُ: إِذَا بَلَيْت. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨١/٣٢).

(٢) ذَبَّ عَنْهُ: دَفَعَ وَمَنَعَ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤١٩/٢).



الخلق بمنى من كلِّ فجٍّ ونهج يدعون عَلامَ الغيوب، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، يبتغون فيه لآخرتهم فضلًا من الله ورضوانًا، ويسألونه لدنياهم عزَّةً وأمانًا، فما أبهاه من يوم لو تطهَّرنا فيه من الآثام، ورجعنا بكلِّيتنا إلى الملك العَلام.

ما أبهاه من يوم لو اتَّقينا الله في عملنا، ما أبهاه لو عملنا إلى مستقبلنا، ما أهناه لو تمسَّكنا بشرع ديننا وحكَّمتنا كتابَ ربِّنا وسنَّةَ نبيِّنا، ما أسعده وأهنأه لو التفتنا إلى إصلاح أنفسنا، ما أسعدنا لو اتَّفقتنا فخلصنا من الذلَّة لعدوِّنا، ما أسعده لو طهَّرنا سرائرنا فأخلصنا لبعضنا.

يا قوم، إنَّ سعادتنا في أن نكون بهذا الدِّين عاملين، وشقاءنا إذا كنَّا عنه منحرفين، وذُلُّنا إذا كان الله علينا، وعزَّننا إذا كان الله معنا، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨].

يا قوم، توبةً إلى الله ورجوعًا إليه.

يا قوم، اعتصامًا بكتاب الله وسنَّة رسوله فقد حلَّ بنا عذاب لا يطاق، ونزلت بالمسلمين مصائبٌ ليس لها من دون الله واقٍ، فإنَّ الله حَكَمَ - ولا رادَّ لحكمه - أن يُنزلَ غضبه على من أعرض عن كتابه وحادَّ عن سنَّة رسوله وهدى أصحابه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

• [١٢٤]

أيُّها المسلمون، كفى ما نحن فيه من الذلَّة لغيرنا، والعبوديَّة لمن لا يدين بديننا، كفى ما نحن فيه من تفرُّق كلمتنا، وشتات شملنا، وانصداع وحدتنا، واختلاف أمرنا، كفى ما نحن فيه من تزلُّفٍ ونفاقٍ، وتنابدٍ وشقاقٍ، كفى إذلالًا للحقِّ وانتصارًا للباطل.

فمتى يا قوم ننتبه من هذه الغفلات ونصحو من هذا السُّبات؟ ألا وإنَّ ديننا دين أعمال لا دين أقوال، دين إخلاص وإنفاق لا دين رياء ونفاق، لا تهمة زينة الأثواب، بل تهمة نظافة الضمائر والألباب، لا تهمة أعياد هي مواسم فجورٍ وحمورٍ، إنما تهمة أعياد هي مواسم نعمٍ نشكرُ الله عليها، أو نَقَمٍ نستعيدُ به منها، ونستعينُ به على دفعها، مواسم طاعاتٍ نسألهُ التَّوفيقَ لأدائها، أو نهضةً لجلبِ خيرٍ أو دفعِ ضرِّ نرجوه العونَ عليها.

أيُّها المسلمون، هذا العيد عاد وكلُّ عام يعود، وقد عاد ونحن كما كنَّا ساهمون رقود، فمتى يعود علينا وقد اعتزَّ بنا الحقُّ وكَبَّرَ شأنه، وانتصر بنا ديننا وعاد مجده وسلطانهُ، وذللَّ الباطل وأعوانه، وانهدَّ بنيانه.

إنَّ دينكم يدعوكم إلى عيدٍ سعيدٍ، عيدٍ يرجفُ فيه من هيبة دينكم الظالمون ويرتعد من هيبة الجبارون ويفرح فيه أهل الحقِّ والنصر، ويكون لهم فيه الظفر^(١)، ذلك اليوم هو لأبناء الإسلام أعظم عيد، يوم يقولون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ثمَّ يهتفون فرحين: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده وأعزَّ جنده وهزم الأحزاب وحده.

فاتَّقوا الله عباد الله ولا تياسوا من روح الله، ولا تقنطوا من رحمة الله، وعليكم بالتَّوبة من الآثام، واغسلوا عن صدوركم أدران البغضاء وسوء الظنِّ بالسَّلام كما قال نبيُّكم ﷺ: «أولاً أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم»^(٢).

(١) الظفر: الفوز بالمطلوب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢/٤٧٣).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٥٤).



عباد الله، إذا اختلفتم فتفاهموا، ولا تكونوا ممن غضب الله عليهم فتنازعوا وتخاصموا، وتقرّبوا إلى الله هذا اليوم بإكثار الصدقات، وليجتهد غنيكم بأن يُيسّر للفقير الحاجات، وارحموا النساء والأطفال ولينوا لهم المقال، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وأحيوا سنة إبراهيم وسنة نبيكم محمدٍ عليهما الصلاة والسلام بنحر الأضاحي من سائر الأنعام، وسلوا عن أحكامها أهل العلم إن كنتم لا تعلمون، فقد قال تعالى: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:

٩٢].

وقال ﷺ: «من ضحى طيبة بها نفسه، محتسباً لأضحيته، كانت له حجاباً من النار»^(١)، وقال ﷺ: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من هراقه دم»^(٢).

يقول تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ

﴿٢٨﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

الله أكبر.



(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٣١٢٦).



عيد الفطر

(٤٦)

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، الله أكبر ما صَلَّى مُصَلِّ وكَبَّر، الله أكبر ما صَامَ صَائِمٌ وأفطَرَ، الله أكبر ما تصدَّقَ مُصَدِّقٌ على ذي المسكنة والمضطرِّ، الله أكبر ما نَهَضَ مسلم لنصرة الدين، الله أكبر ما قامَ مؤمن في نفع المؤمنين، الله أكبر ما هبَّ غَيُورٌ لإحياء مجد الماضي وشمَّر، الله أكبر كُلِّمَا ذُكِرَ مجد الإسلام، الله أكبر كُلِّمَا ذُكِرَت ملوكه العظام، الله أكبر كُلِّمَا تُلِيَت على المسامع سيرة النَّبِيِّ الأوقر، الله أكبر.

سبحان خالق البشر، سبحان مُصَوِّر الأشباح والصُّور، سبحان العالم بما خفي وظهر، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

الحمد لله الَّذِي سهَّل طريق العبادة للعباد، ومنَّ عليهم بأيَّام الأعياد؛ تسليَةً لألبابهم واستراحةً من أتعابهم وتوطئةً لتحابُّبهم، سبحانه من إله منَّ على عباده بعظيم منِّته، ووفَّاهم أجور أعمالهم من خزائن رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده هداية العبيد، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله دعا إلى التَّوحيد، ووضع لأُمَّته أُسُسَ التَّحَابُّبِ، وسهَّل لها طُرُقَ التَّفَاهُمِ؛ خوفاً عليها أن تبید، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على هذا النَّبِيِّ



الكريم؛ نبيِّ الرَّحمة وسَيِّدِ الأُمَّة الَّذِي هَدَى به إلى الصِّراطِ المُستقيم
وعلى آله وأصحابه الَّذين دافعوا عن كلمة الله أكبر، أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، فاتَّقوا الله ذي الجلال والإكرام، واعلموا أنَّ هذا
اليوم من أشرف الأيَّام، جعله الله يوم خيرات وإحسان وفرح وتهانٍ وقبول
ونيل مأمولٍ، فمن وجَّه وجهه إلى الله الغفَّار، وتطهَّر من أوساخ الذُّنوب
والأوزار نال المنى وفاز بقبول الملك الجبَّار.

قد أحلَّ الله لكم فطره وأعظم قدره، وحرَّم عليكم صومه وأفاض
عليكم فيه النِّعمة يعتق الله فيه من النِّيران بعدد من أعتق في شهر رمضان،
فتنبَّهوا - أيُّها الإخوان - ولا تتبَّعوا خطوات الشَّيطان فيضلِّكم عن سبيل
الرَّحمن، وطوبى لمن أنس فيه أبناءه وأحبابه، وفرَّح جيرانه وأصحابه،
ووسَّع صدره لفقراء المسلمين ولم يغلُق في وجوههم بابه.

فواجب علينا أن نحمد الله الَّذي منَّ علينا بهذه النِّعمة الكبرى،
وجعلنا من أتباع هذه الشَّريعة الفُضلى فاحمدوا الله بالقول والعمل،
واسألوه النَّجاة من الزَّلزل، ولا تكونوا ممَّن اتَّبع ناعق الشَّيطان، وحارب
رَبَّه بالعصيان، فإنَّ الله أكمل عليكم نعمته بإكمال دينكم وشرَّع لكم فيه ما
يفيدكم ونهاكم عمَّا يشينكم ولكن - ويا للأسف - نهاكم فخالفتكم،
وأمركم فعصيتكم، وأحلَّ لكم فأنكرتم، وحرَّم عليكم فحللتكم، وأنعم
عليكم فكفرتكم، أمركم أن تكونوا إخواناً متحابِّين وأصحاباً متناصرين
فخالفتكم الأمر وكنتم أعداء متنافرين يخاطبكم الملوك فتسمعون، ويناديكم
رَبُّ الأرباب فتُعْرِضون، فبأيِّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون؟

إنَّ الدِّين عند الله الإسلام من اعتزَّ به فقد عزَّ، ومن أعرض عنه فقد
ضلَّ وذلَّ، ومن استضاء بنوره هُدي إلى صراط مستقيم، دين عمَل به

أَبَاؤُنَا الْأَوْلَادُ وَأَسْلَافُنَا الْأَقْدَمُونَ، فَعَاشُوا عَيْشَةً رَضِيَّةً، وَحَيَا حَيَاةً طَيِّبَةً هَنِيئَةً، وَنَالُوا فِي الدُّنْيَا الرُّتْبَ الْعَلِيَّةَ، وَفِي الْآخِرَةِ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَلَكِنْ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ عَكَفُوا عَلَى كُلِّ مَشِينٍ وَأَضَاعُوا الدُّنْيَا وَالْدِّينَ، ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ [مَرِيَمَ: ٥٩-٦٠].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، بَرِهِنُوا عَلَى حَسَنِ إِسْلَامِكُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا آيَةُ الْإِيمَانِ الْكَبِيرِ، وَمَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا بِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ وَوَقْفٍ فِي الدُّنْيَا وَسَلَمٍ فِي الْآخِرَةِ، بَرِهِنُوا عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِكُمْ بِأَدَائِهَا فِي الْجَمَاعَاتِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»^(١) بَرِهِنُوا عَلَى حَسَنِ إِسْلَامِكُمْ بِأَدَاءِ زَكَاةِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا بِهِ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ أَعْطَاكُمْ الْكَثِيرَ وَطَلَبَ مِنْكُمْ الْيَسِيرَ عَوْنًا لِلْمَسْكِينِ وَالْفُقَرَاءِ، بَرِهِنُوا عَلَى حَسَنِ إِسْلَامِكُمْ بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ، وَبِاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَوْبِقَاتِ، بَرِهِنُوا عَلَى حَسَنِ إِسْلَامِكُمْ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكُمْ وَامْتِثَالِ أَوْامِرِ رَبِّكُمْ، بَرِهِنُوا عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِكُمْ بِسَلَامَةِ النَّاسِ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِاغْتِيَابِكُمْ وَتَعْدِيكُمْ، فَكُمُ مِنْ مُسْلِمٍ بَرِيءٍ جَعَلْتُمُوهُ فَرِيسَةً نَوَادِيكُمْ، بَرِهِنُوا عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِصِفَاءِ نِيَّاتِكُمْ وَحَسَنِ أَعْمَالِكُمْ، بِتَطْهِيرِ نَفُوسِكُمْ وَحَسَنِ أَخْلَاقِكُمْ، بِاسْتِحْلَالِ مَكَاسِبِكُمْ وَحَسَنِ مَعَامِلَاتِكُمْ بِحَسَنِ جَوَارِكُمْ وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِكُمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ أَمْرًا اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَيَّدَكُمْ بِجَنْدِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّومَ: ٤٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحْلُ: ١٢٨].

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٦١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما ذُكِرَ مجدُّ العربِ التَّليدِ في تاريخ الإسلام وذكِرت دولتهم.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما تألفت قلوبُ العربِ في شرقهم وغربهم واتَّحدت كلمتهم ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما تعاونوا على البرِّ والتَّقوى وتواصوا بالحقِّ والصَّبْر والوفاء.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما طردوا أعداءهم من أوطانهم، وقطعوا دابرَ الأذئاب والعملاء، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما رَفَعَ مسلمٌ كَفَّهُ بضراعةٍ إلى الله يستمطرُ رحماتِهِ.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ما اطمأنَّ قلبُ مسلمٍ لاستجابة دعواته. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الحمد لله جعل الأعياد في أعقاب الفرائض، ووفق كلاً منَّا لِمَا يَسِّرُه الله له فلنا أن نفرح بما منَّ الله علينا من عون على أداء فرض رمضان، وعلينا أن نسأله القبول فإنه يُحِبُّ أن يُسأل، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا



شريك له، جعل في تجديد الأيام وتعاقبها عبرة لأولي الألباب، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبدهُ ورسولهُ دعانا إلى الهدى والصَّواب اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّد؛ سيِّد الأُمَّة ونبِّي الرَّحمةِ وعلى آله وصحبه الَّذِينَ كَشَفَ اللهُ بِهِم عن الإنسانيَّة الغمَّة وأتمَّ بهم عليها النِّعمة ﷺ وأرضاهم أجمعين .

عبادَ الله، اتَّقوا الله، واعلموا أنَّ يومكم هذا يومٌ سرورٍ لمن صلحت نيَّته وطابت سريرته وقبلت توبته، وأدَّى ما وجب عليه، وآثر الطَّاعة ولم ينوِ الرُّجوع إلى المعاصي بعد رمضان .

يا عباد الله، لقد مضى رمضان وكأنَّه ما كان، وما رمضان إلاَّ أيَّامٌ معدودةٌ كتب الله صيامها على أُمَّتنا وجعله ركنًا من أركان الإسلام، واختصَّ لنفسه هذا الرُّكن وجعل جزاءه بغير حساب، فقال ﷺ: «كلُّ عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ، قال الله ﷻ: «إلا الصَّوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»^(١)، ذلك لأنَّ أعمال الإنسان مهما تنوعت يمكن أن يدخلها الرياء والاصطناع إلاَّ الصَّوم فكان لله وحده وكان جزاؤه منه بغير حساب .

واليوم نفرح بالعيد؛ عيد الفطر، «وللصَّائم فرحتان؛ فرحةٌ عند فطره وفرحةٌ عند لقاء ربِّه»^(٢)، وها نحن اليوم فرحون بعيد الفطر فقد صمنا رمضان، ونسأل الله القبول، وبقيت فرحة اللِّقاء، نسأل الله لها حسن الخاتمة، «فإنَّما الأعمال بالخواتيم»^(٣) .

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٩٢٧)، ومسلم، رقم: (١١٥١)، واللفظ لمسلم .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

يا عباد الله، نفرح اليوم بعيد الفطر ونحتفل به، ولنا إخوان عرب مسلمون نكبهم العدو الكافر وأعوانه في بلاد العرب شتى، وأغلب بلاد الإسلام أسر مشردة، وأمّهات ثكالي، ونساءً أرامل، وأطفال يتامى، وشيوخ عجزة، وجرحى مشوهون.

فمشردو فلسطين ما زالوا منذ اثنتي عشرة سنةً يقاسون بؤس العيش وكرَب الحاجة، وتقلبات الجو؛ مرض وفقر، وحر وقر، وجوع وعُري، وفي عمان والجنوب العربي تنكيل وتقتيل، وفي الجزائر مجزرة ضحاياها رجال ونساء، وهناك فتن سَعرت نارها في الحبشة وفي كشمير هلك فيها من هلك وشرد فيها من شرد، فكيف تتم الفرحة وهذه حال إخواننا في سائر أوطاننا؟! كيف تتم الفرحة والاستعمار يشاركنا في أراضينا، ويقطع اللقمة من فم إخواننا لنا ليضيفها قوّة إلى قوّة جنده وذخيرة في مخازن عتاده، ثم يعود بهذا الجند وهذا العتاد إلى ديارنا ليكسر من شوكتنا ويضعف من قوتنا ويقضي على البقية الباقية فينا؟!

كيف تتم فرحتنا وقد سُلت أيدينا عن أن نمدها لمعونة إخواننا في مشرق الوطن العربي ومغربه؟!

كيف تتم فرحة العيد وهذه التفرقة بين الشعوب المسلمة وحكوماتها قائمة على أشدها؟! وياليتها فرقة وكفى، وإنما هي فرقة وعداء ومصائب تنزلها فيهم الأعداء.

يا عباد الله، نريد عيداً نحتفل به في مشارق وطننا ومغاربه، عيداً يربط حاضرنا بماضينا، عيداً نتعاون به على البر والتقوى، وعلى خير العرب وخير المسلمين، وعلى خير الإنسانية عامّة كما فعله أسلافنا.

إننا نريد عيداً نحتفل به وقد نَعَمنا بالنصر وذقنا حلاوته ونعمنا بسعادته



وارتسم فرحهُ على وجوه الشُّيوخ والشُّباب والرِّجال والنِّساء، نصرٌ كامل وحرِّيَّة غير مسلوَبة، ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصَّف: ١٣].

إننا نريد عيدًا يفرح فيه المرء؛ لأنَّه أدَّى واجبه نحو وطنه، ونحو مواطنيه، ونحو نفسه، ونحو إخوانه من جميع المسلمين.

نريد عيدًا هنيئًا سعيدًا لا نشعر فيه أثرًا لكابوس مستعبد، ولا نسمع فيه صوتًا لأوامر مستعمر، حتَّى نقول جميعًا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فَاطِر: ٣٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

نريد عيدًا ليس فيه مظاهر جوفاء، أو أموال تضيع في الملاهي أو تبذَّر في الملاعب ويتعدَّى أهلها في صرفها الحدود ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

نريد عيدًا لا تضيع فيه الأخلاق ولا تذوب فيه الآداب ولا يهتك فيه شرف ولا تداس فيه عادات ولا تباع فيه أعراض ولا تطرح فيه حشمة ولا يهان فيه وقار، ولا تبخس فيه حقوق.

نريد - أيُّها العرب المسلمون - عيدًا نكون فيه سادة في بلادنا، أعزَّة في أوطاننا، وقوَّة ضدَّ أعدائنا، لنا حرِّيَّتنا وكرامتنا، لا نأتمر إلاَّ بأمر الله ولا نخضع إلاَّ للحقِّ.

يا عباد الله، خلق الله الإنسان وكرَّمه ووهبه العقل والقوَّة وسخَّر له بهما جميع الكائنات، وأعطاه الحياة ليقف منها وجهًا لوجه، مؤمنًا بالله الذي خلقه، ومؤمنًا بنفسه وقوَّته وعقله.

فكلُّ أُمَّة تقف أمام الحياة واعية قويَّة عزيزة النَّفس، تعاون أفرادها

على بناء المجتمع كلُّ حسب طاقته، هي أُمَّة عزيزة الجانب، ومجتمعها قويٌّ، ولها مكانتها بين الأمم لا يُداسُ لها كيان ولا يُهتَكُ لها حمى.

وكلُّ أُمَّة تضعف أمام الحياة هي أُمَّةٌ ضعيفة خسرت حياتها وخسرت مستقبلها، طمع بها عدوُّها وامتلكت حريَّتها، وذلك هو الخسران المبين.

وإننا في زمن الغلبة فيه للقوَّة، والنَّصر فيه للأقوياء المجاهدين من الرِّجال والنِّساء، إننا في زمن لا يجيز لنا الفرار من معركة الحياة ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

أيُّها المسلمون، يا أُمَّة مُحَمَّد، قال ابن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يَصْلُحُ آخِر هذه الأُمَّة إِلَّا بما صَلَحَ به أوَّلُها^(١).

وقد صَلَحَ أوَّلُها بالدين، فَجَمَعَ شملها وألَّفَ بين قلوبها ومدَّها بالإيمان، آمنوا بالله وبروح الله، وآمنوا بوعد الله وبنصره، فغلبت قَلَّتْهم كثرة أعدائهم، وكان سلاحهم الإيمان بأنَّ الله معهم؛ لأنَّهم مع الله، ومن كان مع الله كان الله معه.

وأما اليوم فلا دين ولا دعوة إلى دين، ولا ندري كيف نعيش بلا دين! وأيُّ فائدة تأتينا من حياةٍ خاليةٍ من دين.

يا عباد الله، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [٢] إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٣﴾ [العصر: ٢-٣]، وخير الأعمال الصَّالِحَات ما عمَّ نفعه الأُمَّة، وعاد خيره على المجتمع، وإنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثرواتكم ولا إلى رياستكم ولا إلى مظاهركم ولا إلى ظواهركم ولا إلى أقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيَّاتكم وأعمالكم، أصلحوا ذلك مع الله يصلح الله لكم

(١) سبق تخريجه.



أحوالكم، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

كونوا مع الله يكن معكم، واعتصموا بحبل الله يعصمكم عن كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقولوا واعملوا فإن ربكم يقول لكم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصَّف: ٢-٣].

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضِلٌ أَعْمَلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [مَحَمَّد: ٧-٨].



عيد الفطر

(٤٨)

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

الله أكبر ما انتصر مسلم لدينه ضد الكافرين، الله أكبر ما انتبه المسلمون في جميع أوطانهم لكيد المعتدين.

الله أكبر ما نهض غيورٌ ودعا لإعلاء منار هذا الدين.

الله أكبر ما ذُكرت الجزائر وجهاد أهلها ضد المستعمرين.

الله أكبر ما ذُكرت نكباتُ أبناء العرب في عمان وفلسطين.



الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، سبحان من منّ على أنصار دينه بتوالي نعمه، سبحان من عاقب الجبناء والمتخاذلين بإنزالِ نقمه .

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، الحمد لله يهدي من أحبّ الصّلاح إلى طريق الصّلاح، ويوفّق من رغب في الفلاح إلى سبيل الفلاح، هو الله لا إله إلا هو وبذكره تطمئنّ القلوب، وبفضله ورحمته تغفر الذنوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعزّو من يشاء ويذلّ من يشاء، وعدّ من نصر دينه بالتمكين، وأذلّ من تخاذل إلى أسفل السّافلين، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله جاء بالهدى ودين السّلام، ودعا إلى العلم النّافع وحذّر من الجهل الفاضح ونهى عن الخصام .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه دُعاة السّلام وهداة النّاس جميعاً إلى التّفاهم والوثام، الّذين جازوا الشّرف الأسمى والمقام الأعلى، ودافعوا مجاهدين عن الحمى المقدّس؛ حمى لا إله إلا الله والله أكبر، أمّا بعد:

أيّها المسلمون، فهذا العيد قد عاد كما عادت قبله أعياد، والأُمم المعادية الكافرة علينا جائرة تقاتل إخواناً لنا في الجزائر، وتقتل إخواناً لنا في عمان، وتعتدي على الحرّيات في كلّ مكان، وكأنا نيام، لا نتألّم لما يقاسيه إخواننا من آلام، ولا نشعر بما يقع عليهم من المصائب الجسام، تخاذلنا فخذلنا وتنازعنا ففشلنا، وإن بقينا على ما نحن عليه، فلن يكون مستقبلنا خيراً من ماضينا .

أيّها المسلمون، هذا العيد قد عاد وكلّ عام يعود، فما أسعده لو اتّقينا الله وأطعناه، ونصرنا ديننا وأيّدناه، ونهضنا لمجد أمتنا فجدّدناه،



ولمّا اندثر من معالمه فأحييناه، ما أسعدنا لو التفتنا لأخينا في عمان
فنصرناه، وأخينا في الجزائر فأعنّاه، ولأخينا اللّاجئ فأويناه، لكن ويا
للأسف الشديد أهينَ الدّينُ أمامنا فسكتنا، وطُعنَ فيه فتغاضينا، وهُتِكَ
العرضُ فأعرضنا، وسُلِبَتِ الحقوق فتخاذلنا، وهُتِكَتِ الحُرُماتُ ففقدنا،
فلا الدّينَ نصرنا ولا الأُمَّةَ أغثنا، وللمذلّةِ رقدنا وعن ما يصلح مآلنا
غفلنا، أحاط الجهل بنا من جميع جهاتنا، فأعمى بصائرنا وأبصارنا
وانطمست آثارنا، واغتصبت أوطاننا، وسلبت أموالنا.

إنّ الجهلَ كُلُّهُ يا عباد الله شرٌّ ولا يأتي بخير، جهلنا أمور ديننا ففقدنا
الهناء والسّعادة وخسرنا أحراننا، وجهلنا أمور دنيانا فخسرنا العزّة
والسيادة، وكنا كما قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

أيها المسلم، ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ
﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣١]، هكذا قال لك ربك، وقال أيضا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أيها المسلمون، إنّ الدّين عند الله الإسلام من اعتزّ به عزّ، ومن
أعرض عنه ضلّ وذلّ، ومن استضاء بنوره هُدي إلى صراط مستقيم.

دين يلزم المسلم أن يأخذ نصيبه من الدّنيا معتدلاً في الحياة فلا يترك
متعة من الطّيّبات فيها وأن يأخذ نصيبه من الحياة الأخرى معتدلاً فلا
يُفَرِّط في حقّه منها فهو دين الحياة والعمل، وهو الدّين الذي يفتح
البصيرة وينير السّبيل.

افتحوا عيونكم للحياة كما يرشدكم دينكم وسيروا بها على ضوئه، ولا
يغرّبكم أقوال من يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فيفرّقون بين الدّين

والحياة، ويجعلون من هذا الدين دينَ جمود، وقد افتروا على ديننا بهتاناً، وجاؤوا بإفكٍ عظيم.

إنَّ ديننا يا مسلمون دين حكومةٍ وسيادة، ومعاملات وحروب وقيادة كما هو دين تقوى وعبادة، وهذا كتاب الله بين أيدينا يدلُّنا على معنى الحياة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٩٧].

عبادَ الله، إنَّ دينكم كتابُ الله الَّذي تَقْرَؤُون وسُنَّةَ النَّبِيِّ الَّتِي تَعْرِفُونَ، وقد تركهما مُحَمَّدٌ ﷺ فينا، وقال لنا: «إِنِّي قد تركت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله وسُنَّتِي، ولن يتفرقا حتَّى يردا عليَّ الحوض»^(١)، فمتى نجدد العهد مع الله ونعود إلى كتابه وسُنَّةِ نبيِّه فنأتمر بأوامرهما وننتهي عمَّا نهيا عنه، هذا وإنَّ الشَّارِعَ ﷺ جَعَلَ أَيَّامَ الْعِيدِ أَيَّامَ زِيَارَاتٍ وَسَلَامٍ وَضِيَاةٍ وَإِطْعَامٍ، وَمَوْسَمًا مِنْ مَوْاسِمِ التَّفَاهِمِ وَإِزَالَةِ الضُّغَائِنِ مِنَ الصُّدُورِ، فانتهزوا هذه الفرصة رحمكم الله واغسلوا أدرانَ العداةِ بماءِ السَّلَامِ وَالزِّيَارَاتِ وَأزِيلُوا دَنَسَ السَّيِّئَاتِ بِفَعْلِ الْحَسَنَاتِ وَأَنسُوا أَوْلَادِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَاسْتَبَشِرُوا لَوَالِدِيكُمْ وَذَوِيكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى فُقَرَائِكُمْ وَمَحْتَاجِيكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ، نَبِّهِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ رَقَدَاتِ الْغَافِلِينَ، وَتَقَبَّلْ مِنِّي وَمِنْكُمْ إِنَّهُ الْغَافِرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ.

وقلت في الثانية:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

(١) سبق تخريجه .



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ الْقَوِيمِ وَبَيَّنَ لَنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ بِكِتَابٍ
نَاطِقٍ وَسُنَّةٍ بَيِّنَةٍ جَاءَنَا بِهِمَا رَسُولٌ كَرِيمٌ .

وأشهد أن لا إله إلا الله بيده الهداية، هو ربِّي لا إله إلا هو عليه توكلت
وإليه أنيب مستعيذاً به من الغواية، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبدهُ ورسوله المرسل
رحمةً للأنام وداعيةً للسلام، وطبيباً للأخلاق وماحياناً للشقاق والنفاق .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الْكَرَامِ .

عباد الله اتقوا الله، واسألوه القبول لِمَا تَقَدَّمَ يَوْمَكُمُ هَذَا مِنْ طَاعَةٍ،
فَإِنَّ الْقَبُولَ هُوَ الْأَمَلُ الَّذِي يَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ الصَّالِحُونَ .

اتَّقُوا اللَّهَ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، واسألوه الهداية لصالِح الأعمال، أدُّوا حقوق الله
المفروضة عليكم، وتعاونوا على البرِّ والتَّقْوَى، وتواصوا بالحقِّ وتواصوا
بالصَّبْرِ، حَتَّى تَوْدُّوا حَقُوقَ أُمَّتِكُمْ وَوَطَنِكُمْ، وأدُّوا الحَقُوقَ الَّتِي عَلَيْكُمْ
لأنفسكم، وتعلَّموا العلم للدين وللدنيا، فَإِنَّ الْعِلْمَ رَفَعَ قَدْرَ الْإِنْسَانِ فَلَا
يرضى لنفسه بالهوان، ولا يقبل حياة الذُّلِّ إِلَّا الْجَاهِلُونَ .

أصلحوا أنفسكم وأصلحوا بين إخوانكم وأتبعوا الإساءة بالإحسان،
واعفوا عند المقدرة وقوموا بواجب الإصلاح العامِّ وكونوا كما أراد الله
لكم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩-١٠] .



الدُّعَاءُ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمًا بِالْخَفَايَا، يَا مَظْلَعًا عَلَى النَّيَّاتِ، نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَعِيدَ
عَلَيْنَا أَمْثَالَ هَذَا الْعِيدِ، وَقَدْ جَمَعْتَ قُلُوبَ أَبْنَاءِ دِينِكَ عَلَى حَبَّةٍ وَوَحَّدْتَ
كَلِمَتَهُمْ عَلَى نَصْرَتِهِ، وَأَمَّنْتَهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ.

اللَّهُمَّ أَعِدْ عَلَيْنَا هَذَا الْعِيدَ وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، يُوْحِدُ الْقُرْآنُ
كَلِمَتَهُمْ وَيُوْاخِي بَيْنَ شُعُوبِهِمْ فِي مَخْتَلَفِ أَوْطَانِهِمْ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الْأَحْوَالَ، وَأَحْسِنِ الْمَالَ، وَاجْعَلْنَا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ،
هُدَاةً مَهْتَدِينَ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقِصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا
تُهِنَّا وَأَعْظِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تَوَثِّرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾
وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].





ذكرى المولد النبوي

عام (١٣٨٢هـ) (١)

(٤٩)

اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وبعد:

فإنَّ نِعْمَ اللَّهُ كَثِيرَةٌ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ، وَإِنَّ مِنْ أَتَمِّ النَّعْمِ أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ فَيَجْعَلُ لَهُ عَيْنًا بِهَا يَبْصُرُ، وَأُذُنًا بِهَا يَسْمَعُ، وَعَقْلًا بِهِ يَدْرِكُ.

ثمَّ يبعثُ اللَّهُ رُسُلًا مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ يَرشُدُونَ النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ وَإِلَى الْعِلْمِ فَيَرْبُتُونَ هَذِهِ الْحَوَاسَّ وَيَصْقِلُونَهَا مِمَّا قَدْ يعلِقُ بِهَا مِنْ جَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَظُلْمَةِ الضَّلَالِ، وَأَدْرَانِ الْأَوْهَامِ، وَرَيْنِ (٢) الْخِرَافَاتِ.

ويختتمُ اللَّهُ جَلَّ جلالُهُ رسالةَ الرُّسُلِ برسالةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ وُلِدَ ﷺ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْذَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشْرٍ قَرْنًا وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ قَدْ طَغَتْ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ، فَنَرَى الْفَوْضَى فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْعَنْتَ (٣) وَالطُّغْيَانَ وَالظُّلْمَ فِي الشَّامِ مِنَ الرُّومِ، وَالْبَطْشَ وَالْفَتْكَ وَالِاسْتِعْمَارَ فِي الشَّرْقِ مِنْ بِلَادِ الْفَرَسِ، وَالْعَالَمِ يَتُّنُّ مِنْ هَذَا وَذَلِكَ، وَالْجَهْلَ وَالْخَوْفَ وَالظُّلْمَ قَدْ

(١) أي: سنة (١٩٦٣م).

(٢) الرِّين: الطَّبَعُ وَالذَّنْسُ وَصَدَأٌ يعلو الشَّيْءَ الجَلِي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣٠/٣٥).

(٣) العنت: الفساد والإثم والهلاك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢/٥).

تحالف ضدَّ البشريَّة، فلا حرمةٌ تصون عرضاً، ولا حقٌّ يحفظ مالا، ولا عدلٌ يحقنُ دماً.

وعقلاء البشر في حيرة يريدون خلاص البشريَّة ممَّا هي فيه من ظلم وفوضى، لكنَّهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم حولاً ولا قوَّة.

حتَّى أذن الله تعالى بالفرج فبعث الله نبيَّه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فأنقذ الله به العرب من فوضاهم، وأنقذ به البشر من الظلم والعبوديَّة، والإنسانيَّة من الضلال والجهل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)

[الأنبياء: ١٠٧].

ويظهر النَّاس في هذه الأيام محبَّتهم لهذا النَّبيِّ الكريم فيتحدَّثون عنه ويتسامرون ويدَّعون التَّفاني في تعظيمه وتبجيله، وبيالغون في الحديث عنه، وينسبون لهذا المحبوب من الأقوال والأفعال ما لا يليق به ظناً منهم أنَّ في ذلك إكباراً له وتفخيماً، ويحتفلون بذكرى مولده ويبذلون في هذه الحفلات مالا حباباً لصاحب الذكرى، ويعدُّون هذا البذل عبادة، وذلك الحديث والحبُّ عبادة، وليس هذا البذل ولا ذلك الحبُّ من العبادة في شيء إذا لم يقتدوا بالمحبوب، ويجعلوا منه أسوة حسنة لهم في أقوالهم وأفعالهم.

إنَّ الحبَّ الصَّادق يعيش مع المرء في نفسه وله صورةٌ واضحةٌ في مخيلته؛ في إقباله وإدباره، وفقره وغناه، وحديثه وصمته، وقوله وفعله، وصحوته ونومه، وعبادته وعمله، ورضاه وغضبه، صورةٌ تشمل حياة المحبِّ في كلِّ شأنٍ من شؤونهِ حتَّى في حربهِ وسيلمِهِ.

يا أيُّها الإخوة، ليس الحبُّ أقوالاً تقال، ولا قصائد تنشد لتسمع، ولا أحاديث تردَّد، وإنما هو اتِّباعٌ واقتداء.



يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ

﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].





الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد أنعم الله عليّ بإكمال القسم الثاني من «المنبر» وهي خمسون خطبةً تقريباً، قيلت في مناسبات زمنيّة وسياسيّة ودينيّة، وإن مدّ الله في الأجل سنتبعه بالقسم الثالث، ولا أدري ماذا ستكون موضوعات خطبه.

أسأل الله التّوفيق لطاعته وأن يجعل هذا المطبوع وما تمّ قبله خالصاً لوجه الله الكريم، إنّه سميعٌ مجيبٌ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

عبد الله الثوري



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ٢٠١٩م) رحمه الله

الخطبة المنبرية

المنبرية الجزء الثالث

اعتق به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخمير والقمار

(١)

الحمد لله القريب من عبده، الصّادق في وعده، وعدّ من نصر دينه بالنصر المبين، وقهر من تجرّب بالذُّلّ المُشِين، لا يعزّب^(١) عنه مثقال ذرّة من عمل، فمن يعمل خيراً يُجزّبه، ومن يعمل سوءاً فقد خاب وفشل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يجزي بالسّيئة مثلها وبالْحسنة عشرة، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلق إحساناً وبرّاً، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى لهم أثراً^(٢).

أمّا بعدُ:

أيُّها النّاس، اتّقوا الله واعلموا أنّ المعصية إذا عمّلت بالخفاء لا تضرُّ إلا صاحبها، ومتى ظهرت للنّاس ثمّ لا ينهاون عنها اشترك في إثمها السّاكت والفاعل، وعمّ شرّها المجرم والغافل، وقد حدّرنا الله من ﴿فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وبين لنا أن العذاب أخذ قومًا كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، هذا وقد نهى الله

(١) لا يعزّب؛ أي: لا يغيب عن علمه شيءٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣/٣٦٢).

(٢) اقتفى أثره: اتبعه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٥/١٩٤).

تعالى عباده المؤمنين عن مسببات العداة والبغضاء: القمار والخمر، وأخبرنا: أنهما يصدان المرء عن الخير، ويقربانه من الشر، فالخمر أم الكبائر، والقمار بلاءٌ وضرٌّ، وأعظم أضرارهما ما بيننا لنا ربنا في الكتاب الكريم لمن تلاه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١]، ألا وإن الخمر مضيعة للعقل والحس، محرقة للكبد، مهلكة للنفس، مسببة للإملاق^(١)، مفسدة للأخلاق، مذهبة للفضيلة، مقربة للرديلة، فوا عجباً لرجل يشتري الجنون بعرق جبينه، ويفرغه في جوفه، ولو قيل له: يا مجنون، لعصب.

وما القمار بأقل من الخمر ضرراً؛ بل إن شرَّ عقباه أعظم أثراً، إنه المُفسد للتربية، والمعوِّد على البطالة المزرية، يقعد بالمقامر عن العمل، ويرغمه على الكسل، ويميت نفسه إن كانت له نفسٌ أبيّة، ويجعله ينتظر الرزق من الطرق الوهميّة، ويجعله لا يفكر في عمل من الأعمال الكونيّة التي شرعها الله للعمران، ويسرها لبني الإنسان، ألا وإن أضرار القمار عظيمة، ورزاياه جسيمة، فكم من غنيٍّ أفقره؟! وكم من عامرٍ دمّره؟! وكم من عائلة سوّدها الوفاق أنزلها القمار إلى الدرك الأسفل، وشتت شملها بالنزاع والشقاق؟! وكم من شابٍّ بَعُضَ له الحياة، وحُبِّبَ له الانتحار؟! وكم من سعيدٍ أشقاه بالخسار وأضناه بالبوار^(٢)؟!!

روى الإمام أحمد في حديث: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللَّهَ كَعَابِدِ وَثْنٍ»^(٣)، وروى البخاريُّ عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَالَ لِمَوْلَاهُ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ فليصدق»^(٤).

(١) الإملاق: الافتقار. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٤٨/١٠).

(٢) البوار: الهلاك. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨٦/٤).

(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٤٥٣).

(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٨٦٠)، ومسلمٌ، رقم: (١٦٤٧)، والترمذيُّ، رقم: =



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].



الثانية بـ (١)

الحمد لله معزُّ المؤمن ومجلِّه، وقاهر المتجبر ومُذِلِّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أقرب إلى العبد من ظله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم رسله، فضَّله على سائر الخلق بأفضل رسله، وبعثه لهدم الشرك ومحو الضلالة، اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أنصار الحق والعدالة.
أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، وَبَادِرُوا لِلتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ اللهَ تَوَّابٌ غَفَّارٌ، أَلَا وَإِنَّ الإِصْرَارَ عَلَى المَعْصِيَةِ يورث الدَّمَارَ، وَيُخْرِبُ الدِّيَارَ، وَيَسبِّبُ البَوَارَ وَالخُسَارَ، تَمَسَّكُوا بِالكِتَابِ الحَكِيمِ، وَاتَّبِعُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ الكَرِيمِ؛ فَإِنَّ مَن تَمَسَّكَ بِهِمَا كَانَ مِنَ النَّاجِينَ، وَمَن خَالَفَهُمَا كَانَ مِنَ المَهْلِكِينَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].



سبب البلياء الذُّنُوب

(٢)

الحمد لله الَّذِي وَفَّقَ لَطَّاعَةَ مَنْ شَاءَ، وَأَسْعَدَ مَنْ نَصَرَ دِينَهُ بِالْهِنَاءِ وَالرِّخَاءِ، وَجَعَلَ الْمَعْصِيَةَ مِنْ مَسَبِّبَاتِ الْبَلَاءِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يَمْهَلُ الظَّالِمِينَ وَلَا يَهْمِلُهُمْ، وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَلَا يَتْرَكُهُمْ، ثُمَّ لَهُمْ يَوْمٌ أَسْوَدَ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ، يَوْمَ يُمَكِّنُ فِيهِ الْمَظْلُومِينَ مِنْ رِقَابِهِمْ، حَتَّى يَسْتَوْفُوا جَمِيعَ حَقُوقِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، يَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيَغَيِّرُ الْأَحْوَالَ، وَبِيَدِهِ الشُّدَّةُ وَالرِّخَاءُ، قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَمُجَازِيهَا بِمَا عَمِلَتْ: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٣٠]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَنْتَصَرَ وَفَازَ بِنَصْرِهِ لِلدِّينِ؛ مَكَافَأَةً لَهُ عَلَى صَبْرِهِ وَعِزْمِهِ الْمَكِينِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَرُوا اللَّهَ فَنَصَرَهُمُ بِالْتَّمَكِينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الشُّكَاوَى كَثُرَتْ مِنْ تَتَابُعِ الْأَكْدَارِ وَالْمِصَائِبِ، عَمَّتِ الْأَشْرَارُ وَالْأَخْيَارُ، وَبَسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ كَثُرَتْ الْأَضْرَارُ، خَرِبَتْ^(١) الدِّيَارُ، وَبِانْتِشَارِ الْفُسَادِ عَمَّ الْبُورَارُ^(٢)، وَحُبِسَتْ عَنَّا الْأَمْطَارُ، شَبَابْنَا

(١) لَعَلَّ الصَّوَابَ: وَخَرِبَتْ.

(٢) الْبُورَارُ: الْأَرْضُ الْخَرَابُ الَّتِي لَمْ تَزْرَعْ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠/٢٥٣).



عكوف^(١) على السيئات، قلوبنا فاسدة ومعاملاتنا جائرات^(٢)، لا معروف يؤمر به ولا ينهى عن المنكرات، فكيف يستجيب دعاءنا ذو الجلال؟! وأساس استجابة الدعاء صلاح الأعمال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

أيها المسلمون، ما للأمم في تقدّم ونحن في انحلال؟! ما لهم في انتظام ونحن في اختلال؟! ما لهم في تآلف وتعاقد^(٣) ونحن في تباغض وتحاسد؟! ولم ندر ما الذي جرى وصار، حتّى عميت البصائر وأخذت الأبصار، جرى أنّا فرطنا في تربية أولادنا، وبخلنا بمالنا على مصالحننا، وآثرنا^(٤) أنفسنا على أخوتنا، وفضلنا دنيانا على ديننا، ولم نتباعد عن مصاحبة الأشرار، ولم نلتفت إلى قول الملك الجبار: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، فلا عجب أن يكونوا أذلاء خاملين^(٥)، من كانوا لأوامر النفس والشيطان مستمعين، وفي الشهوات منغمسين، ولربهم عاصين، وعن كتابه معرضين. فاتّقوا الله أيّها المسلمون، تيقّضوا^(٦) من رقدتكم، وأفيقوا من

(١) عكف على الشيء: أقبل عليه مواظبًا لا يصرف عنه وجهه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٥٥/٩).

(٢) الجور: نقيض العدل، جار عليه جورًا في الحكم؛ أي: ظلم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٧٧/١٠).

(٣) التّعاقد: التّعاون. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨٩/٨).

(٤) كُتبت في الأصل: آثر، ولعلّ الصّواب ما أثبت.

(٥) الخامل: الخفي السّاقط الذي لا نباهة له. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١/٢٢١).

(٦) قوله: (تيقّضوا) هكذا في الأصل، ولعلّ الصّواب: وتيقّظوا.

غفلتكم، واعلموا أنّ صلاح الزّمن بصلاح الأحوال، وكونوا في الله إخواناً تنالوا الخيرات وتبلغوا الآمال، وكفّوا النفوس عن المعاصي وتعاونوا على البرّ والتّقوى يعمّمكم ربّكم بفضله، يوسّع لكم الأرزاق، ويحفظكم من الأسواء، عن حذيفة رضي، عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونّه فلا يُستجاب لكم»^(١).

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].



الثّانية - (٢)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ومصطفاه، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن والاه، ورضي الله.

أمّا بعد:

أيّها المسلمون، اتّقوا الله، واعلموا أنّ آية الإيمان المحافظة على الصّلاة، من تمسّك بها جعل الله له من أمره يسراً، وكتب له النّجاة في الأخرى، ألا وإنّها ركنٌ هذا الدّين، وعماده القويّ وحبله المتين، قال رسول الله ﷺ: «الصّلاة عماد الدّين»^(٢) من أقامها فقد أقام الدّين ومن

(١) رواه التّرمذيّ، رقم: (٢١٦٩)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠) بلفظ: «من ترك الصّلاة فلا دين له، والصّلاة عماد الدّين».



تركها فقد هدم الدين»^(١)، وقال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].



الرِّبَا

(٣)

الحمد لله الذي أحلَّ البيع، وحرَّم الرِّبَا ولعن من كان له آكلًا ومؤكلاً
وشاهدًا وكاتبًا، الحمد لله جعل ارتكاب الذَّنْب مفسدةً للقلب، وقرن
المعصية بالمصيبة وأذن العاصي بالحرب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له خذل من خالف أمره، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الذي
رفع على سائر المخلوقين قدره، اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد
الدَّاعي إلى توحيد الله والعمل بكتابه، وعلى سائر آله وأصحابه.
أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، فاتَّقوا الله وأطيعوه، فإنَّه خلقكم لتعبده، ورزقكم
لتعرفوا حقَّه فتشكروه، وأوضح لكم حكم الإسلام في كتابه لتتبعوه،
وعلى لسان نبيِّه لتعتمدوه، أفصح لكم عن الحلال لتتبعوه، وعن الحرام
لتجتنبوه، فمن لزم أمره في تصرُّفاته واكتسابه، واستعان بالله على ما حرَّم
الله باجتنابه، وطلب الحلال في معاشه؛ وفقه الله في جميع أسبابه،

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/٣٥).

وسامحه يوم عرضه وحسابه، ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، و﴿اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلَمِيكَادَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٩]، «وَمَنْ نَبَتَ لَحْمَهُ مِنَ الْحَرَامِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١)، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الرَّبَّاءَ بِأَيِّ كِتَابِهِ، وَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ ارْتِكَابِهِ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٠]، وَلَكِنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا خَالَفُوا الْأَمْرَ بِوَقَاحَةٍ، وَجَعَلُوا النَّهْيَ إِبَاحَةً، وَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ قَبْلَ الرَّبِّاءِ، غَرَّتْهُمُ الْأَمَانِيُّ بِكَثْرَةِ مَا يَرْبِحُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَلَمْ يَبَالُوا بِمَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ حَرَامٍ أَمْ مِنْ حَلَالٍ! وَلَوْ أَحْسَنُوا لَغَنِمُوا، وَلَكِنْ بَسَّمَا صَنَعُوا، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَكْلَ الرَّبِّاءِ مَمْسُوكَةٌ يَدُهُ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، مَعْرَضٌ لِلنَّكَبَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، مَحْرُومٌ فِيهَا مِنَ الْمَلَذَّاتِ، مَطْرُودٌ فِي الْآخِرَى مِنَ الرَّحْمَاتِ، مُؤَذَّنٌ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَتَعَرِّضٌ لِعَذَابِ اللَّهِ وَتَنْكِيلِهِ؟! لِأَنَّ الْمَرَابِي ارْتَكَبَ كَبِيرَةً مُؤَبِّقَةً^(٢)، وَتَحَمَّلَ إِثْمًا زَادَ عَلَى إِثْمِ السَّرْقَةِ، الرَّبِّاءُ يَذْهَبُ الْبَرَكَةُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَيُوجِدُ بَيْنَ الْأَفْرَادِ الْعِدَاءَ وَالْبَغْضَاءَ، وَيُنْشِرُ بِسَبَبِهِمَا فِي الْأُمَّةِ الْمَصَائِبَ وَالْأَرْزَاءَ، فَلَعَنَ اللَّهُ الرَّبِّاءَ مَا أَكْثَرَ شَوْمَهُ، وَلَعَنَ أَكَلَهُ مَا أَعْظَمَ لَوْمَهُ، فَاتَّقِ اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - تَغْنَمَ، وَتَجَنَّبِ الرَّبِّاءَ أَكْلًا وَمُؤَكَّلًا تَسْلَمَ، وَتُبْ إِلَى رَبِّكَ وَلَكَ مَالُكَ لَا تَظْلِمَ وَلَا تُظْلَمَ، وَاسْتَمِعْ مَا

(١) رواه الترمذي، رقم: (٦١٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، بلفظ: «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»؛ وَالسُّحْتُ: الْحَرَامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُهُ؛ لِأَنَّهُ يَسْحَتُ الْبَرَكَةَ؛ أَي: يُذْهِبُهَا. انظر: النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ (٣/٣٤٥).

(٢) الموبقة: مفردُ الموبقات، وهي الذُّنُوبُ المَهْلِكَاتُ. انظر: تاج العروس، لِلزَّيْدِيِّ (٤٤٩/٢٦).



قاله ربُّك في الآيات البيِّنات: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فاحذر الرِّبا واجتنب تحصيله، فإنَّ النَّفَقَةَ منه خبيثة، والصَّدَقَةُ به مردودةٌ، وأبواب السَّلَامَةِ على مرتكبه مسدودةٌ، ألا وإنَّ الله تعالى فتح أبواب الأعمال، ومهَّدَ فيها طريق الاعتدال؛ مكسبةً للقتول الحلال، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) [البقرة: ١٧٢].

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آكلَ الرِّبا، ومؤكِّله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «هم سواء»^(١)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحدٌ أكثرَ من الرِّبا إلا كان عاقبةُ أمره إلى قلةٍ»^(٢).

الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَكم رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩) [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].



الثَّانِيَةُ لـ (٣)

الحمد لله ربِّ العالمين، أرحم الرَّاحمين، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له مالك يوم الدين، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله سيِّد المرسلين، أرسله بالدين القويم، وهدى به إلى الصِّراط المستقيم، فأرشد وبشَّر، وأنذر وحذَّر، فما أمر إلاَّ بما ينفع ويفيد، وما نهى إلاَّ عن

(١) رواه مسلم، رقم: (١٥٩٨).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٧٩).

الضَّارِّ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَزْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦١)
 وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢-١٠٣]، وَتَمَسَّكُوا
 بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]،
 شَرَعَ لَنَا فِيهِ الشَّرَائِعَ وَحَدَّ الْحُدُودَ، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾
 [الطَّلَاق: ١]، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي دَارِ عَمَلٍ تَسْتَلْمُونَ أَجُورَهُ غَدًا، فَمَنْ عَمَلَ خَيْرًا
 يَسْتَلِمْ أَجْرَهُ عَمَلَهُ غَدًا خَيْرًا، وَمَنْ عَمَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ
 ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) [الزَّلْزَلَةُ: ٦-٨].



فضائل دين الإسلام

(٤)

الحمد لله الذي جعل^(١) أمة محمد خير أمة للناس أخرجت، وجعلها
 أمةً وسطًا، لتكون شاهدةً على من سبقت، الحمد لله الذي جعلنا من
 أتباع محمد سيد البررة، وهدانا لاتباع شريعته المنورة، التي أقرَّ بفضلها
 وعدلها ذوو العقول النيرة، وأشهد أن لا إله إلا الله تعالى عما يقول
 الظالمون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الأمين المأمون، بعثه الله على
 فترة من الرُّسل والنَّاس في ظلمات الجهالة تائهون، فأنقذهم من

(١) قوله: (جعل) غير موجود في الأصل، ولعلَّ الصواب إثباتها.



الضَّلَالَةَ، وَخَلَّصَهُمْ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴿وَأَنْصُرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢٢٧].

أَمَّا بَعْدُ:

أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى مَتَى وَأَنْتُمْ فِي الْغَفَلَاتِ سَاهُونَ، وَفِي بَحَارِ الشَّهَوَاتِ مَنْغَمَسُونَ، وَعَنْ فُضَائِلِ دِينِكُمْ مَعْرُضُونَ؟ هَذَا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دِينَكُمْ دِينَ السَّمَاةِ وَالْعَدْلِ، دِينٌ أَقْرَبُ لَهُ عَدُوُّهُ بِالْفَضْلِ، وَلَوْ سَأَلْتُمْ: مَا الدَّلِيلُ؟ لَقُلْتُمْ: إِنَّ دِينَكُمْ دِينَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، دِينٌ عَمَّ بِسَمَاحَتِهِ فِي مَدَّةِ قَرْنٍ جَمِيعِ الْأَفَاقِ، ذَلِكَ أَنَّهُ ضَمِنَ السَّعَادَةَ وَالْعِزَّ لِمَنْ تَبِعَهُ، وَالسَّيْطِرَةَ لِمَنْ اعْتَنَقَهُ، وَالسِّيَادَةَ لِمَنْ نَصَرَهُ، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْمَنَافِقُونَ: ٨]، فَهُوَ دِينٌ عَمِلَ بِهِ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ وَأَسْلَافُنَا الصَّالِحُونَ، فَكَانَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ عِزٍّ رَفِيعٍ، وَسِيَادَةٍ سَائِدَةٍ، وَمَجْدٍ عَظِيمٍ، وَمَلِكٍ وَاسِعٍ، وَكَلِمَةٍ نَافِذَةٍ، وَسَيْطِرَةٍ عَظْمَى، قَوَى عِزَائِهِمْ حَتَّى زَلْزَلُوا عُرُوشَ الْمَمَالِكِ، وَقَوَّضُوا^(١) دَعَائِمَهَا، وَأَصْبَحَتِ الْكَلِمَةُ الْمَاضِيَةَ^(٢) لَهُمْ، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الْحَجَّ: ٤٠]، إِنَّهُ دِينٌ لَا تَطْلُبُ سَعَادَةَ إِلَّا لَاحَقَتْهَا فِيهِ، وَلَا مَنْفَعَةَ إِلَّا وَجَدْتَهُ أَمْرًا بِهَا، وَلَا مَضْرَّةَ إِلَّا وَجَدْتَهُ نَاهِيًا عَنْهَا، وَكَمْ كَشَفَتْ لَنَا الْأَيَّامُ مِنْ مَخْبِئَاتِ حِكْمَتِهِ مَا لَا يَدْرِكُهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

يَأْمُرُ بِالنِّظَافَةِ، وَمَا النَّظَافَةُ إِلَّا رُكْنُ الصِّحَّةِ، وَيَأْمُرُ بِالِاِقْتِصَادِ، وَمَا

(١) قَوَّضَ: نَقَضَ مِنْ غَيْرِ هَدْمٍ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/٢٢٤).

(٢) الْمَاضِيَةُ: النَّافِذَةُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٩/٥٣٨).

الاقتصاد إلا ركنُ الغنى والثروة، يأمر بالعمل والسعي وراء الكسب، وهما الركن الأعظم للعمران، يأمر بإفشاء السلام والمحافظة على الجماعات، وكلها أساس للاتفاق وتوحيد الكلمة وجمع الشمل.

إنه دين يؤمن بموسى وعيسى وكافة الأديان السماوية: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فيا أتباع هذا النبي الكريم، اتقوا الله، وعليكم بالتمسك بدينكم والاعتصام بحبله؛ لتنالوا السعادة في الدنيا بالعمة والرفعة والفوز بالأخرى في جنات النعيم.

روى عقيل عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

الآية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]



(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٢)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٠).



الثانية - (٤)

الحمد لله الذي خرَّ لهيبته أهل طاعته سُجَّدًا، مهين من أهان دينه بترك طاعته، وقد جعل لمهلكه موعدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله كفى من أحسن خلقه شرَّ الوقوع في الردى^(١)، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله شرع لنا سنن الهدى، اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أهل الصِّدق واليقين وبذل الندى.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المسلمون، اتَّقوا الله في أداء ما أوجب عليكم، وأقيموا الصَّلَاة؛ فإنَّها عمادُ دينكم، «من أقامها فقد أقام دينه»^(٢)، «ومن ضيَّعها فهو لِمَا سواها أضيَّع»^(٣)، ألا وإنَّ صلاتها في الجماعة تعدل صلاة المنفرد بخمس وعشرين درجة^(٤)، وآتوا الزَّكَاة؛ فإنَّها عصمةُ أموالكم، وفيها نماء محصولكم، واعتصموا بحبل الله هو مولاكم، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله وأولي أمركم؛ تنالوا السَّعادة في دنياكم، والفوز والنَّجاة في أُخراكم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٩٧].



(١) الردى: الهلاك. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣١٦/١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (٢٠٩٦).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٦٤٥)، ومسلم، رقم: (٦٤٩)، بلفظ: «صلاة الجماعة =

التَّكْبُرُ

(٥)

الحمد لله الَّذِي يتَحَيَّرُ العقل في أوصافه ويقف، ولا يجوز حملها على ما أُلْف، الحمد لله على نعمه العظيمة، ومِنه الوافرة الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دعانا بكتابه لمكارم الأخلاق، وحذَرنا على لسان رسوله من التَّكْبُر الَّذِي هو بذرة العداة والشُّقَاق، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله أُلْف به بين القلوب، وبعثه متممًا لمكارم الأخلاق داعيًا إلى الفضائل ناهيًا عن الرَّذائل والعيوب، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ما تعاقب الشُّروق والغروب.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، واشكروا نعمه، واحذروا نِقْمته، ولا تكونوا ممَّن غرَّهم الغرور فتجبروا، وعلى عباد الله تكبروا؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [قَمَان: ١٨]، أَلَا وَإِنَّ التَّكْبُرَ مفتاحٌ لكلِّ شرٍّ، وأساسُ كلِّ بلاءٍ ومنبَعُ كلِّ ضرٍّ، يُكْسِبُ^(١) المَقْتَّ^(٢) والعدوان، ويوغر صدور الإخوان، ويخفي الأعمال المبرورة، ويظهر المساوئ المستورة، ويُعمي

= تَعْدِلُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ مِنْ صَلَاةِ الْفَدَّ؛ وَالْفَدُّ: الْوَاحِدُ، وَقَدْ فَدَّ الرَّجُلُ عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا شَدَّ عَنْهُمْ وَبَقِيَ فَرْدًا. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/٥٠٢).

(١) نُقِطَتْ فِي الْأَصْلِ: بِكَسْبٍ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أُثْبِتَ.

(٢) الْمَقْتُّ: أَشَدُّ الْإِبْغَاضِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/٩٥).



صاحبه عن اتِّباع سبيل الحقِّ، ويجرُّه على أذية الخلق، فيتعالى على النَّاس ويظهر احتقارهم، ويعرض عن كبارهم، ويُهين صغارهم، فإذا تمكَّن منه هذا الخلق أغراه على ارتكاب الباطل، وجنَّبه الخصال الفضائل، فتصرف النَّاس عنه لما ظهر لهم فيه، فتعطل مصالحه، وتسوء حاله، ولا يجد مَنْ يقدره ويعظِّمه؛ لأنَّ الله تعالى خلق النَّفوس حرَّة تكره الذُّلَّ، وتأبى الظُّلم، كما قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأحد عماله: «متى استعبدتم النَّاسَ وقد ولدتهم أمَّهاتهم أحراراً؟!»^(١).

والكبرياءُ صفةٌ لا تليقُ إلاَّ بجلال الله وعظمته، صفةٌ له ﷻ في جبروته وقدرته، والمتكبرُّ ينازع الله تعالى هذه الصِّفةَ، ولو أنَّه عرف نفسه لانتبه، ألم يعلم أنَّ أصله نطفة مَذرة مهينة خرجت من مجرى الفضلات، واستقرَّت في الأرحام في تلك الظُّلمات، تستكمل أدوارها ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: هـ]، ثمَّ إلى عظام ليِّنة عارية، ثمَّ إلى مخلوق عاجز لا يقدر أن يلتقم غذاءه؟! أعمى أصمُّ لا يستطيع دفع عاديته، لا يقدر على غير البكاء والصُّراخ، ويتقلَّب بين الأقدار والأعدار والأوساخ، ألم يعلم أنَّ عاقبته جيفةٌ قدرة، ورؤية منكرة، وأنَّ حياته موضع دماء وعذرة؟! فعلام يتكبرَّ ابن آدم وهذه أدوار حياته؟! ولو تفكَّر في نفسه وفي عمره وفي آفاته لعرف أنَّ التواضع أليق به وأولى؛ وأنَّ خير صفاته الفضلى، قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: العزُّ إزارِي، والكبرياءُ ردائي، فمن نازعني منهما شيئاً عذَّبته»^(٢)، ثمَّ إنَّ

(١) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمال، رقم: (٣٦٠١٠)، بلفظ: «مذكم تعبدتم النَّاسَ وقد ولدتهم أمَّهاتهم أحراراً؟!».

(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٧٨٠٨).

الكِبَرِ يدعو صاحبه إلى مخالفة باريه، فلا يمثّل أمر ربّه في أوامره ومناهيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وإذا دعاه داعي الحقّ أعرض ونأى^(١) عن العلم.

كان رسول الله ﷺ - وهو من لنا فيه الأسوة الحسنة - يأكل على الأرض «ويحلب شاته»^(٢) «ويخصف نعله، ويخدم أهله»^(٣) ويعود المريض ويشيع الجنائز ويسلم على الصّغير والكبير ويجيب دعوة الغنيّ والفقير.

رُوِيَ في الحديث أنه ﷺ قال: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر أذله الله»^(٤).

﴿وَلَا تَصْعَرَ حَذَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) [لقمان: ١٨-١٩].



الثانية - (٥)

الحمد لله الذي أنزل الكتاب المكنون، وقدّر ما كان وما سيكون،

- (١) التّأبّي: البعد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٠٠/١٥).
- (٢) رواه أحمد، رقم: (٢٦١٩٤)، بلفظ: «كان بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه».
- (٣) رواه أحمد، رقم: (٢٥٣٤١)، بلفظ عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: سألت رجلاً عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئاً؟ قالت: «نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته».
- (٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٤٨٩٣).



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا تدركه الأبصار والعيون،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، اللهم صلِّ وسلِّم على
عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا بالحق
يعدلون، ورضي الله . . .

اتَّقُوا اللَّهَ، عباد الله، عليكم بتعلم العلم، وكثرة السؤال، وتجنبوا
ضيعة العمر في قيل وقال، ولا تكبروا على ما يجب عليكم أن تعلموه من
أصول الدين، فإنَّ العبد لا يعذر بسكوته على الجهل المشين، فالله تعالى
يقول: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحل: ٤٣]، قال رسول الله
ﷺ: «إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه علماً يقربني إلى الله تعالى فلا بُورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم»^(١)، ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ
يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المك: ٢٢].



في المولد الشريف

(٦)

الحمد لله الذي أنار الوجود بنور سيد الكائنات، وأنقذهم به من
الضلالات، أرسله بالهدى ودين الحق، داعياً إلى الله بإذنه إلى كافة
الخلق، فأنقذ الناس من الضلالة، وسلك بهم طريق الهداية، وأخرجهم
من الظلمات إلى النور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل
أمة محمد خير الأمم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العرب

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٦٦٣٦).

والعجم، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا طَرِيقَتَهُ، وَاتَّبَعُوا سُنَّتَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَمَا أَنْ لِلزَّمانِ أَنْ يَنْجَلِيَ عَنْهُ الصِّدَأُ، وَتَشْرِقَ عَلَيْهِ شَمْسُ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى، وَتَنْهَلُ عَلَيْهِ سَحَابُ الرَّحْمَةِ وَالنَّدَى؟! وَوَلَدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَالْحَبِيبِ الْأَمِينِ، وَالْهَادِي الْمُبِينِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَقَبْلَ أَلْفِ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا أَشْرَقَتْ عَلَى الْعَالَمِ شَمْسُ الْحَضْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَنُورِ الْهُدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَلَدَ مُحَمَّدَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِهَدَايَةِ الْعَالَمِ، فَأَنْقَذَنَا بِهِ اللهُ مِنْ أَرْجَاسِ الشَّرْكِ، وَدُنَايَا الْأَخْلَاقِ، وَبِاطِلِ الْعَقَائِدِ، أَنْقَذَنَا بِهِ اللهُ مِنْ عِدَاوَاتِ أَكَلَتِ الْأَمْوَالَ، وَحُرُوبِ أَهْلَكَ الرَّجَالَ، وَمَشَاحِنَاتِ مَا كَانَ يَفْرُغُ لَهَا بَالٌ، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَلَدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَكَانَ مِيلَادُهُ لِلْعَالَمِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَبِعَثَّتُهُ رَحْمَةً وَوِثَامًا، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَلَدَ ﷺ سَاطِعِ النُّورِ نَظِيفًا، ضَاحِكِ الْفَمِ شَرِيفًا، وَظَهَرَتْ لَوْلادَتِهِ خَوَارِقُ عَادَاتِ، لَمْ تَظْهَرْ لِمَوْلَدٍ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْبَرِيَّاتِ؛ فَكَانَتْ تَأْسِيسًا لِنَبْوَتِهِ، وَتَأْيِيدًا لِرِسَالَتِهِ، وَنَشَأَ ﷺ عَلَى جَمِيلِ الْخِصَالِ، مَعْرُوفًا فِي قَوْمِهِ بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، مَذْكُورًا فِيهِمْ بِحَسَنِ الْخِلَالِ^(١)، مُوحِّدًا لِرَبِّهِ ذِي الْجَلَالِ، مَشْهُورًا بِالْأَمَانَةِ، وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ، مُجْبُولًا عَلَى كَرَمِ السَّجَايَا، وَشَرَفِ الْمَزَايَا، وَالْعَدْلِ فِي الْقَضَايَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ سِنَّهُ الْأَرْبَعِينَ، أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً

(١) الخلال: الخصال. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢١٦/١١).



للعالمين، فبلَّغنا عن ربِّه كتابَه المبين، هدى به الضَّالَّ، وأرشد به التَّائه، وعَلَّمَ به الجاهل، به نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم هو الفصلُ ليس بالهزل، من تركه من جَبَّار قصمه، ومن ابتغى الهدى في غيره ضلَّ، هو حبلُ الله المتين، من تمسَّك به نجا، ومن تخلَّى عنه غوى، هو الذِّكر الحكيم، والصِّراط المستقيم، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس الألسنة ولا تخلق^(١) من كثرة التَّلاوة، من قال به صدق، ومن حكَم به عدل، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم، فخليقُ بنا - أيها المسلمون - أن نحیی ذکری میلاد هذا المرشد العظيم؛ بتلاوة سيرته، وأتباع سُنَّته، والسَّير على ما كان عليه من آداب وأخلاق وعقائد وأعمال، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فاتَّقوا الله - رحمكم الله - باتِّباع نبيِّكم لعَلَّكم تفلحون؛ فقد روى البخاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يدخلون الجنةَ إلَّا من أباي» قالوا: ومن أباي يا رسولَ الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أباي»^(٢).

الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].



(١) خلق الشيء: بلي. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨٨/١٠).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٢٨٠).

الثانية - (٦)

الحمد لله ولا نعبد إلا إِيَّاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، أرسله إلى النَّاسِ كَافَّةً ﴿...مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥]، [الأحزاب: ٤٦]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فِي أَخْلَاقِهِ وَخِصَالِهِ، وَفِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ سَيِّدُ الْمُتَّقِينَ، وَإِمَامُ الصَّالِحِينَ، بَيَّنَّ لَنَا أَخْلَاقَ مَنْ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «بَأَنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَحِيْفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، وَلَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُودِعَ، وَلَا يَحْسُدُ وَلَا يَطْعَنُ وَلَا يَلْعَنُ، وَيَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ وَإِنْ لَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهِ، وَلَا يَتَنَابَزُ بِالْأَلْقَابِ، فِي الصَّلَاةِ مُتَخَشِّعًا، إِلَى الزَّكَاةِ مَسْرِعًا، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورًا، فِي الرَّخَاءِ شُكُورًا، قَانِعًا بِاللَّذِي لَهُ، لَا يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا يَجْمَعُ فِي الْغَيْظِ، وَلَا يَغْلِبُهُ الشُّحُّ عَنْ مَعْرُوفٍ يَرِيدُهُ، يُخَالِطُ النَّاسَ كَيْ يَعْلَمَ، وَيَنَاطِقُهُمْ كَيْ يَفْهَمَ، وَإِنْ ظَلَمَ وَبُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ الرَّحْمَنُ هُوَ الَّذِي يَنْتَصِرُ لَهُ»^(١)، فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَانْتَهَجُوا هَذَا الْمَنْهَجَ؛ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].



(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٦٦٩).



الثانية - (٧) (١)

الحمد لله الذي جعل الليل لباساً، والنهار معاشاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغني الرزاق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حثاً على العمل وسلوك سبل الأرزاق، اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم وعلى كافة آله وصحبه الذين سلكوا سبل المحبة والوفاق. أمّا بعد:

فقد ورد في الحديث والسنة أن النبي ﷺ كان جالساً في أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى، فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال ﷺ: «لا تقولوا هذا إنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان» (٢)، وسبيل الله كما يفهم كل طريق يسلكه الإنسان لتحقيق ما به خيره وهناؤه، بشرط أن تكون نيته سالحة وقصده كريماً، «فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب» (٣).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].



- (١) هذه الخطبة بعنوان: (السعي وراء الرزق والعمل) ولم أجد الخطبة الأولى.
 (٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٢٨٢)، بلفظ: «إن كان يسعى على ولده صغاراً... إلخ».
 (٣) رواه ابن ماجه، رقم: (٢١٤٤).

الغرور

(٨)

الحمدُ لله القديم الجبار، القادر العظيم القهار، المنفرد بالعرز والقهر
والاقتدار، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز القهار، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله سيّد الأطهار، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك
سيّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه المهاجرين والأنصار.
أمّا بعدُ:

أيُّها المسلمون، إنَّ كلَّ حيٍّ إلى فناء، وكلَّ مدّةٍ لها انتهاء، وكلُّ نعيمٍ
لا محالةٍ زائل^(١)، فلماذا أنت - أيُّها المغرور - عن زوالك غافل؟ أو ما
تزوّدت لرحلتك؟ أو ما تيقّظت من غفلتك؟ أو ما انتبهت من سنّتك^(٢)؟ ألا
اتّعّظت^(٣) برحيل إخوتك؟ فاتّقوا الله أيُّها المسلمون، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

فيا خيبته من تشاغل عن مراقبة مولاه بلذّة دنيا زائلة، وتمادى في
فجوره ومفاسده القاتلة، فكم من ملذّاتٍ أمل المغرور دوامها فلم يشعر
إلا وهي ذاهبة! وكم من مالك افتخر بما يملك فجرّعه الزمان غُصصه

(١) هذا شطر من بيت يُقال إنّه أصدق بيت قالته العرب، وهو للشاعر لبيد. انظر:
العقد الفريد، لابن عبد ربّه (٦/١٢٢).

(٢) السّنة: الغفلة. انظر: تاج العروس، للزبيديّ (٣٦/٢٥٧).

(٣) رُسِمَت في الأصل: اتعّضت، ولعلّ الصّواب ما أثبت.



ومصائبه! فإلى متى هذه الفتنة والغرور؟ وإلى كم وأنت مفتونٌ مغرورٌ؟ فهل أطمعك بقاء حياة سريعة الذَّهاب، أم أمنت غضب شديد العقاب؟ ولو عوّدت قلبك الشَّقفة والرَّحمة على خلق الله، وروّضت نفسك على عملٍ يحبُّه الله ويرضاه، وتصدّقت على فقيرٍ أضعفه الفقر وأزراه^(١)، وقمت بكلِّ ما افترضه الله؛ لربحت تجارتك وكسبت من الله رضاه، ولكن غرَّك الأمل وطول مداه، عن اتِّباع أوامر الله، حتّى وقعت في الزَّلل وابتليت ببلواه، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا

﴿٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢].

إِنَّ المرءَ إذا استنارت بصيرته أبصر طريق الهدى، واجتنب الرّدى، وإذا قلَّ نوره اشتبه عليه الأمر، حتّى يقع في الشرِّ، فاغترَّ بأمر يظنُّه الصَّواب، وليس بصوابٍ ولكنَّه العذاب، قال رسول الله ﷺ: «الكيِّس من دَانَ نفسه وعمل لما بعد الموتِ، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله»^(٣).

أيُّها المسلم، إِنَّ الموفِّق من العباد، مَنْ عرف مداخل الآفات والفساد، فأخذ منها حذرَه، وبنى على الحزم والبصيرة أمره، أمّا من تراهم آمنين مطمئنِّين، غير خائفين ولا وجيلين^(٤)، مع انكبابهم على المعاصي والخطايا، وانهماكهم في الدّنيا، فأولئك من غرَّتهم أنفسهم وهواهم، وطمعوا في الباطل فأغواهم، فهم في الضَّلالة يهيمون، وفي

(١) أزراه: أعباه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢١٦/٣٨).

(٢) الكيِّس: العاقل. انظر: النّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢١٧/٤).

(٣) رواه الترمذيّ، رقم: (٢٤٥٩)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، بلفظ: «الكيِّس من دَانَ نفسه وعمل لما بعد الموتِ، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله».

(٤) الوجل: الفزع والخوف. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧٢٢/١١).

ظلمات الفسق والعصيان يتخبّطون، فرحم الله امرأً عَرَفَ حُدَّه فوقف عنده.

الآية، سورة: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].



الثانية ١- (٨)

الحمد لله الذي تعالى في كبريائه واحتجب، وتنزّه عن البين والبنات والأمّ والأب، فلا ينسب إليه شيء، ولا إلى شيء ينتسب، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجينا من العطب^(١)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد العجم والعرب، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وذريّته الذين فازوا بأعلى الرّتب، ورضي.

أمّا بعد:

أيّها النّاس، اتّقوا الله حقّ تقواه، وتقرّبوا إلى الله بفعل ما يرضيه، واغتنموا بقيّة الأجال، بفعل صالح الأعمال، ولا تجعلوا الغرور حاجزاً بينكم وبين أفضل الأفعال، أما كان الأولى بكم أن تتفكّروا فيمن مضى قبلكم، وتجعلوا من سيرة المصطفى أسوة لكم، ومن أخبار الصّالحين حديثكم وأسماركم، وتجعلوا في تاريخهم أفكاركم؟!

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ

(١) العطب: الهلاك. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٦١٠).



الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].



العضو عند المقدرة

(٩)

الحمد لله أمر باللين والإحسان، ونهى عن الظلم والعدوان، أمرنا بالطاعة ونهانا عن العصيان، وأخبرنا أن المعاصي مجلبة للبوار والخزي والحرمان، يحب من عبده محاسن الأخلاق، ويكره مساوئها، ويرضى عمن عفا عن المسيء إليه، بعداً من الظلم وتنزيهاً، وأشهد أن لا إله إلا الله، «عفو يحب العفو»^(١)، «رفيق يحب الرفق»^(٢)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرؤوف الرحيم، المبعوث رحمةً للخلق، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيّدنا محمد وعلى كافة صحبه وآله صلاةً وسلاماً دائماً بدوام أفضاله.

أمّا بعدُ:

أيها المسلمون، إن من أسباب دوام نعم الله على خلقه شكر نعمه، وإن شكر العبد ربّه على نعمه مزيل لنقمه، فأديموا شكر الله يمددكم بفضله الجسيم، ونواله العظيم، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ

(١) رواه أحمد، رقم: (٣٩٧٧). أحمد التل

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٩٢٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٩٣).

عَدَائِي لَشَدِيدٍ ﴿ [إبراهيم: ٧] ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] .

إنَّ من نعم الله على عبده أن يمدَّه بالمقدرة، ومع التَّمكين له في الأرض يوفِّقه لقبول المعذرة، فهذه نعمةٌ وفقَّ إليها من أحبَّه الله، ودعا إليها عباده وقد فاز من لبَّاه، فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، ﴿وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، فالعفو عند المقدرة من أخلاق المرسلين، اختصَّ الله به من شاء من عباده المؤمنين، وأخبرنا عليه الصَّلَاة والسَّلَام أنَّ: «العبد إذا عفا عمن أساء إليه زاده الله عزًّا وتمكينًا»^(١) ، وإنَّ الرِّفق يزيِّن الأمر، والعنف يكون له مشينًا .

أيُّها المسلمون، اتَّقوا الله، واعتصموا بحبل الله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذللوا، وأطيعوا الله ورسوله وأولي أمركم تجلُّوا، تعاونوا على البرِّ والتَّقوى، وما فيه صلاح الجماعة، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان فإنَّما هو هلاكٌ وبوار وإضاعة، وأطيعوا أولي أمركم لعلَّكم ترحمون، فإنه روى البخاريُّ ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خرج عن الطَّاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتةً جاهليَّةً»^(٢) ، ورُوي أيضًا عن أنس رضي الله عنه قال: «كنتُ أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بُردٌ

(١) رواه أحمد، رقم: (٩٦٤٤)، بلفظ: «ما عفا رجلٌ إلَّا زاده الله به عزًّا، ولا نقصت صدقةً من مالٍ ولا عفا رجلٌ قطُّ إلَّا زاده الله عزًّا» .

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٠٥٣)، ومسلم، رقم: (١٨٤٨)، واللفظ لمسلم .



نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيّ فجَبَذَهُ^(١) بردائه جبذةً شديدةً، فنظرتُ إلى صفحة عاتقه وقد أثرت بها حاشيةُ البرد من شدّة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثمّ أمر له بعتاءٍ^(٢).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠١﴾
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].



الثانية لـ (٩)

الحمد لله الواحد المحمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواجب الوجود، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليته، أرسله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهم صلّ على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم كثيراً.

(١) الجبذ: لغةً في الجذب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٢٣٥).

(٢) رواه البخاريّ، رقم: (٥٨٠٩)، بلفظ: «كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بُردٌ نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيّ فجَبَذَهُ بردائه جبذةً شديدةً، حتّى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشيةُ الرِّداء من شدّة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعتاءٍ».

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْأَلُوهُ التَّوْفِيقَ إِلَى الطَّاعَةِ، فَإِنَّ مَنْ وُفِّقَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ نَجَا وَفَازَ بِالْحَسَنِ، وَمَنْ حُرِمَ كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
عِبَادَ اللَّهِ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فَمَنْ خِصَّاهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْحِلْمَ وَالرَّفْقَ، فَلَمْ يَكُنْ فِظًّا، وَلَمْ يَكُنْ غَلِيظَ الْقَلْبِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»^(١)، وَقَالَ ﷺ: «يَسْرُوا وَلَا تَعْسُرُوا، وَبَشُرُوا وَلَا تَنْفُرُوا»^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣٥) [فُصِّلَتْ: ٣٤-٣٥].



العزُّ في العمل

(١٠)

الحمد لله الذي دلَّ أحبابه على طريق الهدى، ورمى من تعدَّى حدود شرعه بالردى، ومن أراد إسعاده فهو السعيد، ومن شاء شقوته فهو الشقيُّ الطريد^(٣)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد،

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٩٢)، بلفظ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ».

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٩)، ومسلم، رقم: (١٧٣٢).

(٣) الطريد: الإبعاد والتَّنجية، ورجلٌ طريدٌ: مُبعد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨/



حكيمته عالية، وإرادته ماضية، وهو الفَعَال لما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جدّ في الدّعوة إلى طاعة ربّه، حتّى جاء الحقُّ وزهق الباطل، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه دعاة الخلق إلى الفضائل .

أمّا بعدُ:

أيّها المسلم، فإلى متى تتشاغل باللذات؟ وإلى كم تتبّع الشهوات؟ وإلى كم تسعى في طاعة نفسك وتغفل عن مراقبة مولاك؟ نصحك الناصح وكأنّه يخاطب سواك، همت في بقاء هواك، إلى أن وقعت في الغرور، وتجاهرت في العصيان وفاخرت في الفجور، ونسيت من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، نسيت سؤاله يوم العرض الأكبر يوم يطول فيه الحساب، ولا ينفع فيه مال ولا بنون ولا أصحاب، وهيئات هيئات فيه السّلامة، لمن لا يتقي الله ولا يخشى انتقامه .

فيا أبناء الإسلام، يا أتباع محمّد عليه الصّلاة والسّلام، إنّ العزّ والسّعادة لا يُنالان بنوم وكسل، وقول بلا عمل، والسّير وراء الشهوات، واتباع الهوى والضّلالات، وترك كتاب الله ونبذته ظهرياً، وجعل سنة النبي ﷺ نسيّاً منسياً، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاهُ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

أيّها المسلم، إنّ العزّة لمن أدب نفسه بأداب دينه، واقتفى سنة نبيه، وجعل كتابه له إماماً .

أيّها المسلمون، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [التَّوْر: ٥٥].

فيا أيُّها المسلمون، لقد فتكت فيكم سيوف معاصيكم، وأهلكتكم سهام انحرافكم عن دينكم، ولقد كان التَّمَسُّكُ بالدين، حصنَ آبائكم الأولين، ودرعهم الأقوى في الميادين، وسلاحهم على من ناوأ الإسلام والمسلمين.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عباد الله، واعلموا أن لا نجاة لكم ممَّا أنتم فيه إِلَّا الاعتصام بحبل الله، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره، واتِّباع سُنَّةِ رَسُولِهِ وَالتَّمَسُّكُ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى، عروة الإخلاص والاعتصام بحبل الله، الائتلاف والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، فإن فعلتم نجوتهم، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ، قَالَ اللَّهُ تعالى: «وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُؤًا»^(١).

الآيَةُ: ﴿...فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].



الثَّانِيَةُ لـ (١٠)

الحمد لله الجواد الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٧٥).



الغفور الرَّحِيم، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله ذو القدر العظيم، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَزْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربِّه تبارك وتعالى أَنَّهُ قَالَ: «يا عبادي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يا عبادي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عبادي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمِكُمْ، يا عبادي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يا عبادي إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عبادي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مَلِكِي شَيْئًا، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِي شَيْئًا، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَةً مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ، يا عبادي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالِكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧)، بلفظ: «يا عبادي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يا عبادي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عبادي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمِكُمْ، يا عبادي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يا عبادي إِنَّكُمْ =

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمْرَكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ .
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
 اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨-١٩] .



يوم عرفة

(١١)

الحمد لله الملك القدوس السلام، فضّل يوم عرفة على سائر الأيام،
 لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام، نحمده ونشكره على مرّ الأزمان،
 ونعوذ به من الخزي والهوان، ونشهد أن لا إله إلا الله، شرع الشرائع،
 وعلم العاصي والطّائع، وعفا عمّن شاء، وعاقب من شاء، وأحسن لمن
 اتّتمرّ بالإحسان، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله أوضح المناسك، وبيّن

= تُخَطُّونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا
 عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
 أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ
 ذَلِكَ فِي مَلِكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى
 أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ
 وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ
 مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا
 عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ
 اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .



الطَّرِيقَ لِلسَّالِكِ، وَهَدَى أُمَّتَهُ لِلإِيمَانِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.
أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ فَازَ بِنَيْلِ الْمُنَى مَنْ وَقَفَ عَلَيَّ بَابِ رَبِّ الأَرْيَابِ،
وَاعْتَمَنَ الْفُرْصَةَ فِي أَيَّامِهِ السَّرِيعَةِ الذَّهَابِ، وَفِي عَمْرِهِ الَّتِي تَمُرُّ سَاعَاتُهَا مَرًّا
السَّحَابِ، فَإِنَّ مَنْ سَارَ عَلَيَّ الدَّرْبَ وَصَلَ، وَمَنْ شَمَّرَ عَنِ سَاعِدِ الْجَدِّ
عَلَى الْجَدِّ حَصَلَ، وَمَنْ فَرَّطَ فَقَدْ هَلَكَ وَخَابَ مِنْهُ الأَمَلُ، فَقَدْ - وَاللَّهِ -
فَازَ مَنْ وَقَفَ يَوْمَ عَرَفَةَ مَعَ الْوَاقِفِينَ، وَأَدْرَكَ بَقِيَّةَ هَذِهِ الأَيَّامِ مَعَ الْمُدْرِكِينَ،
وَأَحْرَمَ فِيهِ مَعَ الْمُحْرَمِينَ، فَإِنَّهُ - وَاللَّهِ - أَيَّامٌ يَزِيدُ فِيهَا عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ
يَقِينًا، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَوْمٌ أَتَمَّ اللَّهُ فِيهِ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَتَهُ وَرَضِيَ لَهُمْ
الإِسْلَامَ دِينًا؟! فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ نَسَكُ الْعِبْرَاتِ، وَتُقَالُ
الْعَثْرَاتُ^(١)، وَتَرْتَجِي الطَّلِبَاتِ، وَتَغْفِرُ السَّيِّئَاتِ، وَتَضْجُ الأَصْوَاتُ إِلَى اللَّهِ
عَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ بِمَخْتَلَفِ الدَّعَوَاتِ، يَوْمٌ يَتَجَلَّى اللَّهُ فِيهِ عَلَيَّ أَهْلَ
ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَكُلُّهُمْ قَدْ فَارَقَ لِذِيذِ الْمَعَاشِ، وَأَتَوْا مَا بَيْنَ رَاكِبٍ
وَمَاشٍ، وَفَدَوْا مِنْ فِجَاجِ الأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا، يَحْنُونُ حَنِينَ الطَّيْرِ إِلَى
أَوْكَارِهَا، قَدْ مَلَأُوا الْبِلَادَ^(٢) تَكْبِيرًا وَتَهْلِيلًا، وَاتَّخَذُوا الإِخْلَاصَ فِي
عِبَادَتِهِمْ سَبِيلًا، يَوْمَ يَبَاهِي اللَّهُ بِأَهْلِ أَرْضِهِ أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ:
«انظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتُونِي شَعْنًا غَبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، اشْهَدُوا يَا
مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ»^(٣)، فَمَا أعْظَمَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَمَا

(١) أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَكَ: صَفَحَ عَنْكَ. انظر: تاج العروس، للزَّيْدِيِّ (٣٠٦/٣٠).

(٢) كُنِّيَتْ فِي الأَصْلِ: الْبَلَاءُ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أُثْبِتَ.

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الإِيمَانِ، رَقْمٌ: (٣٧٧٤)، بَلْفِظَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ =

أكبرها منة من الكريم الديان، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وأنتم وإن بعد عليكم السبيل فعليكم بتقوى الله، وامتنال أوامره، واجتناب مناهيه وزواجره، وأكثروا في أيامكم هذه التكبير والتَّهليل في كلِّ مكانٍ، وتقرَّبوا لربِّكم بطاعته في كلِّ آنٍ، فإنه رُوِيَ في الحديث عن الإمام أحمد أنه روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من أيامٍ أعظم عند الله ولا أحبُّ إليه العمل الصَّالح فيهنَّ من هذه الأيام العشر، فأكثرُوا فيهنَّ من التَّسبيح، والتَّكبير، والتَّحميد»^(١).

فاتَّقوا الله عباد الله، وتقرَّبوا إليه في غدكم بنحر الأضاحي، فقد روى في الحديث أن: «مَنْ ضَحَّى طَيِّبَةً بِهَا نَفْسَهُ، مُحْتَسِبًا لِأُضْحِيَّتِهِ؛ كَانَتْ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»^(٢).

الآية: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَى اللَّهِ وَجِدًّا فَلَئِمَّا أَسْلَمُوا وَيَشِرُّ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]

٠ [٣٤



= تبارك وتعالى يُباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ضاحينَ من كلِّ فجٍّ عميقٍ، أشهدكم أنني قد غفرتُ لهم، قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: فما من يومٍ أكثرَ عتيقًا من النَّارِ من يومِ عرفة.

(١) رواه أحمد، رقم: (٥٤٤٦)، بلفظ: «ما من أيامٍ أعظم عند الله ولا أحبُّ إليه من العمل فيهنَّ من هذه الأيام العشر، فأكثرُوا فيهنَّ من التَّهليل، والتَّكبير، والتَّحميد».

(٢) رواه الطَّبْرانِيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٢٧٣٦)، بلفظ: «مَنْ ضَحَّى طَيِّبَةً بِهَا نَفْسَهُ، مُحْتَسِبًا لِأُضْحِيَّتِهِ؛ كَانَتْ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ».



الثانية لـ (١١)

الحمد لله الذي امتنَّ على عباده المسلمين فأصبحوا بنعمته إخواناً،
ونزع الغلَّ من صدورهم فعاشوا في الدنيا إخواناً، وفي الآخرة خلاناً،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجزيل الثَّواب، وأشهد أن
محَمَّدًا عبده ورسوله المرشد إلى طريق الحقِّ والصَّواب، اللَّهُمَّ صَلِّ
وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى كافَّة آله والأصحاب،
ورضي الله .
أمَّا بعدُ:

فإنَّ المسلم من تأدَّب بآداب هذا الدِّين، وأحبَّ ما يحبُّ لنفسه لجميع
إخوانه المسلمين، وعلم أنَّ مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنَّة، يوجه
عليه القرآن وتحتَّمه السُّنَّة، فالمسلم من أيَّد بأعماله آداب الإسلام، لا من
تركها وادَّعى إسلاميَّته بالكلام، فقد ورد في الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«المؤمنُ إلف مألوفٌ، ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف»^(١)، وقال أيضًا
عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «رأسُ العقل بعد الدِّين التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ، واصطناع
المعروف إلى كلِّ برٍّ وفاجرٍ»^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

(١) رواه أحمد، رقم: (٩١٩٨)، بلفظ: «المؤمنُ مألوفٌ، ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف».

(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٧٧٠٥)، بلفظ: «رأسُ العقل بعد الدِّين التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ، واصطناع الخير إلى كلِّ برٍّ وفاجرٍ».



سبب البلياء الذنوب

(١٢)

الحمد لله غافر الذنب قابل المتاب، شديد البطش شديد العقاب، المنتقم ممن خالفه بأليم العذاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحمن الرحيم، جل رباً وتعالى ملكاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث لمحق الباطل وإصلاح الفساد، فجاهد في الله حق الجهاد، حتى رفع الله به راية الرشد، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أهل اليقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، فلقد أكثرنا الشكوى من جور الأيام، وتألمنا من ظلم الأزمان، شكوتم قلة الأرزاق وشح المكاسب، وانتزاع البركة ونزول المصاعب، وكثرة الخسائر والمصائب، فكيف شكونا من الشدائد، وقد فتحنا أبواب المفاسد؟! ولو نظرنا إلى سيئات أعمالنا، ومنكرات أفعالنا؛ لعلمنا أن الأيام غير جائرة، والأزمان غير ظالمة، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]. لقد أصبح ذو الإيمان لا يرى إلا منكراً ولا يسمع إلا قبيحاً، فذو الفسق جاهر بفسقه، فمن عليه أنكر؟! وذو الفجور أعلن



فجوره وأظهر، وأكل الربا واستحلَّ القمار، وكثرت المنكرات ولا إنكار، وتبرجت النساء برضا الأولياء، وخرجن بأنواع العطور ومختلف الأزياء، وأصبحنا في عهد هو أشبه بعهد الجاهليَّة، بل إنَّ زماننا أعظم بليَّة.

أيُّها المسلمون، إنَّ الله قد أخذ آل فرعون بالسِّنِّين، ونقص من الثَّمرات لعلَّهم يذكَّرون، وها إنَّنا قد أخذنا بالنَّقْص في أموالنا، وبالضِّيق في أرزاقنا، وبانتزاع البركة من مكاسبنا، فأين المتذكَّر فينا؟! ومع هذا فإنَّنا على المنكر مصرُّون، ولربَّ العرش محاربون، شكونا ممَّا نزل بيننا، ولم ننظر إلى الأسباب مع علمنا أنَّ ذلك حاصل منكراتنا، ونتيجة سكوتنا على سيِّئات أفعالنا.

أيُّها المسلمون، أما تذكرون زماناً مضى يوم صفت نيَّاتكم، وصلحت أفعالكم، كيف كانت البركات تمطر عليكم أرباباً، والخيرات تنزل عليكم مساءً وصباحاً؟! فلمَّا عصينا الله بارتكاب منهيَّاته، وحاربناه بإتيان محرَّماته، وسكت الصَّالح على فعل الطَّالِح، ورضي الأخيَّار بفعل الأشرار؛ سلَّط الله علينا عدوًّا لنا، يخافه ولا يرحمنا، وأخذنا بنقص في الأرزاق والثَّمار وانتزاع البركة وذلَّ الخسار وقلة الأموال والمؤن، وسوء الحالة وبوار الرِّمَن، ووالله إنَّ لم نتنبه من هذه الفعلة ولم نصح من هذه السَّكرة ليحيقن بنا سوء أعمالنا، فإنَّه جرت سُنَّة الله في خلقه أن يعمَّ الشرَّ ويخصَّ الخير، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَصْلِحُوا فسادكم، وردُّوا جهَّالكم، فقد طما^(١) السَّيْلَ وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ^(٢).

فقد رُوِيَ في الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعلَنُوا بِهَا إِلَّا فشا فِيهِم الطَّاعُونَ والأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسلافِهِم الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا المَكِيالَ والمِيزانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ المَوْنَةِ وَجورِ السُّلطانِ عَلَيْهِم، وَلَمْ يَمْنَعُوا زكاةَ أَمْوالِهِم إِلَّا مَنَعُوا القَطْرَ مِنَ السَّماءِ، وَلولا البِهائمُ لَمْ يَمْطُرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رِسالِهِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضُ ما فِي أَيْدِيهِمْ، وَما لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتَهُمْ بِكِتابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا فِيما نَزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ»^(٣).

الآية: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانًا وَيَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].



(١) طما البحرُ أو النَّهْرُ أو البئرُ: امتلاً. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٥٠٨/٣٨).
(٢) الخَرْقُ: الفَرْجَةُ، ومنه قولهم: اتَّسَعَ الخَرْقُ على الرَّاقِعِ. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٢٣٢/٢٥).

(٣) رواه الطَّبْرانِيُّ في المَعْجَمِ الأَوْسَطِ، رِقْم: (٤٦٧١)، بلفظ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعلَنُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِم الطَّاعُونَ والأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسلافِهِم الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا المَكِيالَ والمِيزانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ المَوْنَةِ، وَجورِ السُّلطانِ عَلَيْهِم، وَلَمْ يَمْنَعُوا زكاةَ أَمْوالِهِم إِلَّا مَنَعُوا القَطْرَ مِنَ السَّماءِ، وَلولا البِهائمُ لَمْ يَمْطُرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَرِسالَهُ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ عَدُوٌّ ثُمَّ غَزَوْهُمْ وَأَخَذُوا بَعْضُ ما كانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَما لَمْ يَحْكُمُوا بِكِتابِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ».



الثانية لـ (١٢)

الحمد لله ذي القوّة القاهرة، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو النعم الظاهرة، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله صاحب الشّفاة العظمى في الآخرة، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك النّبىّ الأُمّىّ وعلى آله وأصحابه ومن قام في نصره دينه وآزره.

أيّها المسلمون، اتّقوا الله حقّ تقواه، فقد فاز بالنّعيم لمن اتّقاها، وخاب وخسر من أعرض عن النّصح وعصاه، ألا وإنّا في زمن كثرت فيه الفتن، وعمّت أهاليه الرّزايا والمحن، ولقد أنذرنا ولكن أين المعتر؟! وحذرنا ولكن أين اليقظ المُفتكر؟!

أخبرنا نبينا عليه الصّلاة والسّلام أن: «سيكون في آخر الزّمان خسف وقذف ومسح إذا ظهرت المعارف والقينات واستحلّت الخمر»^(١)، وروي في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سيكون رجال من أمّتي يأكلون ألوان الطّعام، ويشربون ألوان الشّراب، ويلبسون ألوان اللّباس، ويتشدّقون في الكلام، فأولئك شرار أمّتي»^(٢).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].



(١) رواه التّرمذى، رقم: (٢٢١٢)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، بلفظ: «رُويَ عنُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَارِفُ وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ».

(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، رقم: (٧٥١٢).

التَّقْوَى نَجَاة

والاعتصام بحبل الله سلامة

(١٣)

الحمد لله حمد عبدٍ إن هفا ندم وتاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ الأرباب، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والألباب، وأشهد أن سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله النَّبِيُّ الأَوَّابِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى كَافَّةِ الآلِ وَالْأَصْحَابِ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب .
أمَّا بعد:

عباد الله، اتَّقُوا الله، ففي التَّقْوَى النَّجَاة، ولا تكونوا كمن أشغله ماله وولده عن ذكر الله، وَضُمَّتْ عَنْ سَمَاعِ النَّصْحِ أذْنَاهُ، وقسا قلبه فكان كالصَّخْرِ الأَصْمِّ لا يلين، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ المَاءُ المَعِينُ، يا هذا هل عملت بمقتضى الدِّينِ؟ وهل وجدت محبة بينك وبين إخوانك المسلمين؟ وهل مال قلبك لرحمة المسكين؟ هل أقمت الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا؟ وهل أخرجت الزَّكَاةَ بتمامها إلى أربابها؟ وهل سمعت وعظ الواعظ وبنصحه انتصحت، أم هزئت به وعنه أعرضت؟ يا هذا إنَّها ذكرى والذُّكْرَى تنفع المؤمنين، والحقُّ يعرفه أهله فلا يسود إلا الحقُّ وسيبطل عمل المبطلين، فقد قال الله في كتابه المبين: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمَرِ: ١٧-١٨] .



عباد الله، لو تبصّرنا في أعمالنا لأسفنا على ما كنا؛ تفرقة وشتات، وارتكاب للسيئات، وابتعاد من الحسنات، وانهماك في اللذات، واتباع للشهوات، وترك للطيبات، واستحلال للمحرّمات، حديثنا تتبّع العثرات، وقذف المحصنات، وتزكية النفس من الهفوات، وغيبة المسلمين والمسلمات، وكلُّ منّا في بحار أطماعه عائم، وجلنا في صحارى أهوائه هائم، ولقد كان الأولى بنا أن نتيقّظ، وفي مستقبل أمورنا أن نتبصّر، وبكتاب ربنا نتمسك، وبآثار الصّالحين نتأثّر، لقد كان الأولى بنا أن تتألف قلوبنا، وأن يتمسك بالاتّحاد أفرادنا، وأن نرفع علم الإخاء والموادّة بيننا، وأن نزيل العداوة والاعتداء، حتّى نكسر بذلك شوكة العدا.

ما أحسن هذا لو كان! وليس ذلك بعيداً على أهل الإيمان، الذين يستمعون قول الرّحيم الرّحمان: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فاتّقوا الله، عباد الله، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، تمسّكوا بعري الوحدة والوئام، وطهّروا نفوسكم من دنس الأجرام، فقد أفلح من طهّر نفسه من الآثام، وتوبوا إلى ربكم وأنبيوا إليه تفلحوا، وأزِيلوا البغضاء من بينكم تربحوا.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدّنيا من يحبُّ ومن لا يحبُّ ولا يعطي الدّين إلّا من أحبَّ فمن أعطاه الدّين فقد أحبّه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتّى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتّى يأمن جاره بوائقه، ولا يكسب مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدّق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلّا

كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»^(١).

الآية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

٠[١٠٣



الثانية لـ (١٣)

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرَّحْمَن الرَّحِيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الإنس والجان، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أيها النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ يَرْشِدْكُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِهِ يَسْعِدْكُمْ، وَبِفَضْلِهِ يَمُدِّدْكُمْ، وَتَأَسَّوْا بِرَسُولِهِ يُوَفِّقْكُمْ، وَاقْتَدُوا بِالصَّالِحِينَ مِنْ سَلْفِكُمْ

(١) رواه أحمد، رقم: (٣٦٧٢)، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْلَمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ» قالوا: وما بوائقه يا نبيَّ الله؟ قال: غشمه وظلمه. ولا يكسب عبداً ما لا من حرام، فينفق منه، فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ».



يؤيدكم، وانصروا دينكم ينصركم، ولا تختلفوا فتخذلوا، ولا تنازعوا فتفشلوا، وأصلحوا ذات بينكم تسعدوا، ولا تختلفوا فتضطهدوا وتطردوا، وعظ رسول الله ﷺ أصحابه ذات يوم فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

[التيساء: ٥٩] •



العمل لله وحده

(١٤)

الحمد لله ربنا وملجئنا ومعاذنا، بمعونته نستمد، وعلى حوله وقوته نعتمد، ينصر من لدينه نصر، ويخذل من لدينه خذل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكوته، لا نخضع إلا لسلطانه ولا نذل إلا لجبروته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مصباح الهداية وعلم العدالة،

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، بلفظ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

ونور العرفان وماحي الجهالة، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
ورسولك رسول السَّلام، وعلى آله وصحبه والتَّابعين إلى يوم القيام.
أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ يُوصلُ إِلَى الغَايَةِ العَلِيَّةِ،
غير خالص العمل وإخلاص النِّيَّةِ، فَالسَّائِرُ لَا بَدَّ وَاصِلٌ، وَالوَاقِفُ مُحْرَمٌ
فَاشِلٌ، فَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ سَعِدَتْ أَحْوَالُهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ إِلَهُهُ، وَصَدَقَتْ آمَالُهُ،
وَمَنْ عَمِلَ لِدُنْيَا هَابَهُ عَدَاةً، وَمَنْ عَمِلَ لَهَا أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَكَانَ النَّجَاحَ
وَالتَّوْفِيقَ حَلِيفِيهِ، إِلَّا أَنَّ كَلَامَنَا كَثِيرًا، وَعَمَلُنَا قَلِيلٌ، وَذَلِكَ عَارٌ عَلَى قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ، بَلْ ذَلِكُمْ النُّفَاقُ.

ما لكم - يا معشر المسلمين - تقولون ما لا تفعلون، وتجاهرون بما
لا تضمرون، وتعدون ولا توفون، وتعاهدون وتخلفون، وبالمعاصي
تفاخرون، وبالسَّيِّئَاتِ تظاهرون، وبالمنكرات تجاهرون، وعن الصَّالِحَاتِ
تصدُّون، وعن المعروف تعرضون؟! صَمٌّ عَنِ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَمَنْ أَبَدَاهُ،
بُلْهُ عَنِ تَفْهَمِ آيَاتِ اللَّهِ، أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَمْتَثِلَ كَلَامَ رَبِّنَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟!
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٥].

فاعملوا - وفقكم الله - لدينكم تفوزوا برضا ربكم، وبعونه يمددكم،
واعملوا لديناكم تروج أعمالكم، وتأتيكم السَّعادة خاضعة لكم.
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَمْتَثِلَ أَمْرَ نَبِيِّنَا ﷺ وَأَصْحَابِهِ؟! فَقَدْ
ورد عن عمرو بن العاص أَنَّهُ قَالَ: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل
لآخرتك كأنك تموت غداً»^(١)، فاعملوا لدينكم - وفقكم الله - بما

(١) أورده أبو العباس الشَّافعيُّ في إتحاف الخيرة المهرة، رقم: (٧٢٦٥).



يسعدكم في الأخرى، ويُعظم لكم أجرًا، واعمَلوا لدنياكم بما يكسبكم نصرًا، ويخلد لكم ذكرًا، هناك تهللون وتكبرون وتقولون - ونعم ما تقولون - : «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده»^(١).

روى البخاريُّ ومسلم عن أبي ذرِّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله»، قلت: أيُّ الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا»، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعيين صانعًا أو تصنع لأخرق»، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»^(٢).

الآية: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧].



(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٧٩٧)، ومسلم، رقم: (١٣٤٤)، بلفظ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أيون تأيون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٥١٨)، ومسلم، رقم: (٨٤)، بلفظ: «عن أبي ذرِّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله. قلت: فأَيُّ الرقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعيين ضائعًا، أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع الناس من الشرِّ، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك».

الثَّانِيَةُ لـ (١٤) التَّوْبَةُ

الحمد لله الَّذِي جعل لكلِّ سيِّئةٍ حسنةً تمحو أثرها، وأعدَّ لكلِّ خطيئةٍ طاعةً تدفع ضررها، لا إله إلا هو جعل الحسنات مذهباً للسيِّئات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، جعل التَّوْبَةَ ماحيةً للخطيئات، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله دلَّنَّا على طريق الحسنات، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه مثال الكمالات.

أما بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وبادرُوا للتَّوْبَةِ عن الذُّنُوبِ، والرُّجُوعِ إلى سِتَارِ العِوَابِ، وتجنَّبُوا المعاصي فإنَّها مجلبة للنِّقَمِ، مذهبة للنِّعَمِ، تخرب الدِّيارَ، وتجلب البوارَ، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يُونُسُ: ٤٤]، حاسبوا أنفسكم على ما عملتم في الأزمان الماضية، وتداركوه بالتَّوْبَةِ في الأيَّامِ التَّالِيَةِ، وأجيبوا نداء ربِّكم في كتابه المبين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٢٢]، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوْبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوْبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].





أثر المعاشرة

(١٥)

الحمد لله الذي أمرنا بمعاشرة الأخيار، ومجاورة الأطهار، ونهانا عن مخالطة المجرمين ومقارنة الأشرار؛ لينمو الخير في نفوسنا، ويبعد الشر عن قلوبنا، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحمن الرحيم، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأوضح له طريق التربية، ووصف له أمراض النفوس والأدوية؛ لينهج المنهج المستقيم، ويتحلى بالخلق الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الدين القويم، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد على آله وصحبه أزكى صلاة وأتم تسليم.

أمّا بعد:

أيها المسلمون، لقد مرت على المسلمين قرون وهم يد على من سواهم، وسواهم لهم صاغرون، ذاك لأنهم نصرُوا الله فنصروا، وأعزوا دينهم فعزوا، وحكموا كتاب ربهم فحكّموا، وأيدوا سنة نبيهم فأيدوا، واحترموا علماء دينهم فاحترموا، وأخذوا على يد الظالم فأخذ الله بيدهم، خذلوا المفسد والفسق، والفاجر والمارق، فأمنوا من كيدهم، أقاموا حدود ربهم؛ تأييداً لشرعهم، وتشبيهاً لملكهم، فهابهم أعداؤهم، وأمنوا من شرهم، اتخذوا دينهم سلماً فأرقاهم إلى المعالي، واتخذوه حصناً فحفظهم من الدواهي، كانوا للدين فكان لهم خير سلاح، عظموا

القرآن فأرشدهم إلى الصَّلاح، وتمسَّكوا بالسُّنة النَّبويَّة فهدتهم إلى طريق الفلاح، نصرُوا الحقَّ فأيدَّهم، وصدقهم بما وعدهم، ووفَّقهم إلى سبل النَّجاح، فلماذا نحن غافلون عن هديهم؟! وما لنا لا نقتدي بهم؟! فقد دهمنا الشُّرُّ، وغشينا الضُّرُّ، غفلنا عن أوامر ديننا ونواهيه، وأهلكتنا الخلاف ودواهيته، وخذلنا العصيان ودواعيه، أصغينا لأقوال الأشرار، واقتدينا بالفسقة والفجَّار، وغفلنا عمَّا أمرنا به الله، ﴿وَلَا نُطِعَ مَنْ أَغْفَلَنَا قَبْلَهُ. عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، فإلى متى ونحن في هذه الغفلات؟! وحتى متى نئنُّ من أوصاب هذه الاختلافات؟! ألم يأن لنا أن نداويها بإكسير^(١) المحبَّة والوئام، وأن نغسل أدرانها^(٢) بصابون التَّفاهم وماء الوئام، ألم يأن لنا أن نحذَرَ أهل الشُّرِّ ومخالطتهم، ونترك معاشرتهم، ونهجر مجاورتهم؟! فإنَّهم يفسدون ولا يصلحون، ﴿وَلَا تَرَكَوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

روى البخاريُّ ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما مثل المجلس الصَّالح والمجلس الشُّوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يحذيك^(٣) وإمَّا أن تبتاع منه وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبةً، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثةً»^(٤).

(١) الإكسير: مادَّة مرَّكبة كان الأقدمون يزعمون أنَّها تحوِّل المعدن الرِّخيص إلى ذهبٍ وشراب في زعمهم يطيل الحياة. انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة (٢٢/١).

(٢) الأدران: جمع الدَّرَن، وهو الوَسَخُ. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٧/٣٥).

(٣) حذاه حذوًّا؛ أي: أعطاه، والحُدْيَا: العطيَّة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٧١/١٤).

(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٥٣٤)، ومسلم، رقم: (٢٦٢٨)، بلفظ: «إنَّما مثل =



الآية: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فإلى متى تحملون الأوزار؟! وإلى متى تبارزون بالمعاصي الملك الجبار؟! وحتى متى تعللون بالتسويق والآمال، وتطمعون بالخلود وقد دنا الانتقال؟! سيعلم هذا المقصّر ما هي العاقبة، إذا وقف للمحاسبة وقيل: دونكم هذا المذنب: ﴿حُدُوهُ فَعْلُوهُ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوَهُ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٢٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٢٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٢٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٢٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٢٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٢٧) [الحاقة: ٣٠-٣٧]، الَّذِينَ ﴿لَا يَنْتَاهُونَ عَن مَّنْكَرٍ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

قال رسول الله ﷺ: «لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً^(١)، ولتقصرنَّه على الحقِّ قصرًا^(٢)، أو ليضربنَّ بقلوب بعضكم على بعض، ثمَّ ليلعنكم كما لعنهم»^(٣).

= الجليس الصَّالح وجليس السُّوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك: إمَّا أن يحذيك وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد ريحًا خبيثة.

(١) تأطروه على الحقِّ أطراً؛ أي: تعطفوا عليه. انظر: النُّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٥٣).

(٢) قصر الشيء يقصره قصرًا: حبسه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/٩٨).

(٣) رواه أبو داود، رقم: (٤٣٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٠٢٦٧)، بلفظ: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يدي الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً، ولتقصرنَّه على الحقِّ قصرًا، أو ليضربنَّ =

وروي عن أبي بكر الصّدِّيقِ رضي الله عنه قال: إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ »^(١).

الآية: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].



الثَّانِيَةَ لـ (١٥)

الحمد لله الَّذِي جعل الرِّجال قَوَّامِينَ عَلَى النِّسَاءِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ألزمتنا المحافظة عليهنَّ وقايةً من الميل مع الأهواء، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله أمرنا بغضِّ النَّظرِ خوفِ الافتتان؛ وأخبرنا أن ذلك «حباله الشَّيطان»^(٢)، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد وعلى صحبه ومن تبعهم بإحسان.

أمَّا بعد:

فقد قال الله تعالى في كتابه المبين؛ إرشادًا لإمائه المؤمنات وعباده المؤمنين: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَصْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

= الله بقلوب بعضكم على بعض، ثمَّ يلعنكم كما لعن من قبلكم».

(١) رواه الترمذِيُّ، رقم: (٢١٦٨)، بلفظ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ».

(٢) رواه الدَّيْلَمِيُّ فِي الفِرْدَوْسِ، رقم: (٣٦٦٥)، بلفظ: «النِّسَاءُ حَبَالَةُ الشَّيْطَانِ».



فُرُوجَهُنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا
يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ
أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ
يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠-٣١].

فاتَّقوا الله حقَّ تقاته، وعليكم بالتزام الحشمة والوقار، واحذروا يوماً
تتقلب فيه القلوب والأبصار.



النهي عن المنكرات

(١٦)

الحمد لله يهدي إليه من أناب، ويبصّر دينه أولي الأبواب، يمدُّ بنصره
من نصر دينه ودعا إليه، وأمر بالمعروف وحثّ عليه، ونهى عن المنكر
من مال إليه، ويرفع من اعتصم بحبله المتين، وكتابه المبين، وسنة رسوله
الأمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله بعث الهداية والتّوفيق، وأشهد أن محمّداً
عبده ورسوله الدّاعي إلى أقوم طريق، اللهم صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمّد
عبدك ورسولك القائم لمحق الباطل، وعلى كافّة آله وأصحابه الأفاضل.

أمّا بعد:

عباد الله، عليكم بامثال أمره، واجتناب نهيه وزجره، فإنّه أمركم في

محكم كتابه الكريم، بأمرٍ كبيرٍ عظيم، هو ركن لهذا الدِّين، دعا إليه عباده الأتقياء الصَّالحين، فقال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤]، ولكن ممَّا تحزن له الألباب وتدمع له العيون، ويبكي لأجله المصلحون، أنَّه اندرس من هذا الواجب عمله، وقرب من العدم أجله، واستولت على القلوب المداهنة والتَّفَاق، وخشي المخلوق المخلوق ولم يخش الخلاق، واسترسل النَّاس في اتِّباع الهوى، والكلُّ منهم في مهاوي الفساد هوى، وصمَّ عن سماع الرُّشد آذان دنيهم وعليهم، ولم يلتفتوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، حتَّى فشت الضَّلالة، وشاعت الجهالة، وعمَّ الفساد، وهلك العباد، وضاع الدِّين وضعفت هيئته، وسقطت في القلوب منزلته.

كلُّ ذلك والنَّاس في الغفلات تائهون، وعن أوامر ربهم معرضون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.



الثَّانِيَةَ لِـ (١٦)

الحمد لله الَّذي لا تدركه الأبصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبَّار، يعلم ما كان وما ستجري به الأقدار، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله النَّبِيُّ الْمُخْتَار، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَدْبَرَ لَيْلٍ وَأَقْبَلَ نَهَارٍ.

أمَّا بعد:

اتَّقُوا الله عباد الله، فقد خاب والله من أشغلته دنياه عن آخرها، فالدُّنيا ظلُّ زائل، والكلُّ فيها عامل، فمن عمل فيها خيرًا نال ثوابه خيرًا، ومن



زرع شرًّا حصد غدًّا شرًّا.

أجل والله، إِنَّ الزَّرْعَ الْيَوْمَ، والحصاد غدًّا، ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْجِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وَمَنْ أوتي كتابه بيمينه نال الجوار، وَمَنْ أوتي كتابه بشماله سقط في الهاوية، وقال: ﴿يَلْبِنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ [٢٥] وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ [٢٦] يَلْبِتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ [٢٧]﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]، ولا ينفعه الندم وقد زلت في الجحيم القدم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١٨] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [١٩] لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ [٢٠]﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].



القمار

(١٧)

الحمد لله الذي أمرنا بالفضائل، ونهانا عن الرذائل، حرّم الميسر؛ لأنّه أكل مالٍ بالباطل، وشغل عن ذكر الله شاغل، سبب لبث العداوة والبغضاء، وطريق للوصول إلى العدم والشقاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرّم الميسر بنص القرآن؛ لأنّه شغل شاغل ولأنّه رجس من عمل الشيطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حذر من البطالة، وبرئ ممّن أتلف في المعاصي ماله، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا

محمّد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى كافة آله وصحبه الذين هم بنصّ القرآن عاملون.

أمّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، إِنَّ المعصية هلاك وبوار، ونذير الويل والدِّمار، متى جاهر النَّاسُ بها هلَكوا بأسبابها، وإذا عُمِلت في الخفاء لا تضرُّ إِلَّا صاحبها، وقد أخبرنا نبينا ﷺ أَنَّ الذُّنُوبَ ستظهر بانتشار، ويكثر في النَّاسِ الفسقة والفجَّار^(١)، ويؤخذ النَّاسُ بالبلاء والعذاب، بنشر الآلام والأمراض والأوصاب، وسنة الله في خلقه أَنَّ الشَّرَّ يعمُّ بلاءه والخير يخصُّ مَنْ أتاه.

وإنما تبعثون على نيّاتكم، فاجعلوا سلاحكم تقوى الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ١٢٨]، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يُونُس: ٤٤].

وشرُّ الذُّنُوبِ الَّتِي فشت القمار؛ رسول الفقر والبوار، ونذير الويل والدِّمار، الَّذِي إِذَا حَلَّ بِأُمَّةٍ دهمتها الويلات، وَإِذَا فشا في بلدة حلت بها النكبات، مرضٌ خبيثٌ سرت سمومه في عروق كثيرٍ من الرِّجال، فأضاع ثروتهم وصيرهم في أسوأ حالٍ.

القمار لُجَّةٌ^(٢) ليس لها قرارٌ، ونازٌ نعوذ بالله من لهب تلك النَّار، تأكل

(١) إِذْ قَالَ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»، رواه البخاريُّ، رقم: (٨٥)، ومسلمٌ، رقم: (١٥٧)، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

(٢) اللَّجَّةُ: الماء الكثير الَّذِي لا يرى طرفاه، وفي اللسان: لجة البحر: حيث لا يُدرِك قعره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦/١٨٠).



الأموال ما بين نقدٍ وعقار، وتنشر العداوة والبغضاء والأكدار، وما حَرَّمَ الله شيئاً إلا وفيه مصائب وأضرار، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١].
أيها المقامر، لقد أغضبت ربك، وأفرغت جيبك، وعجّلت شيبك، وأثقلت قلبك، وأثقلت ذنبك، أضعت مالك، وأفقرت عيالك، وأذهبت جمالك، أتلفت صحّتك، وهجرت زوجتك، وأسهرت عينك، وأثقلت دينك، وخرّبت دارك، وعجّلت دمارك، فهل بعد هذا كلّ أنت به ولهان، وإلى اللّعب به ظمآن؟! لقد ساء - والله - فعلك، وضاع - ويا للأسف - عقلك، تبصر الهاوية تحت قدميك وتسرع الخطأ، وتطلب في السراب النّجاة وهذا من الخطأ.

يا هذا، أشغل نفسك بما يفيد، فمن تجنّب الضّرر فهو السّعيد، فكّر في طرق الكسب التي هي أساس العمران، من زراعة أو صناعة أو تجارة أو علم يفيد الأوطان، قال ﷺ: «أكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»^(١)، وقد روي عنه ﷺ: «مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»^(٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].



(١) سبق تخريجه بلفظ: «إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ».

(٢) سبق تخريجه .

الثانية لـ (١٧)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه واتَّبِعْ هُداة.

عباد الله، عليكم بتقوى الله، تمسكوا بكتابه ترشدوا، اتَّبِعُوا أوامره واجتنبوا نواهيه تسعدوا، بسنة نبيكم اقتدوا، وبهداه اهتدوا، فإن فعلتم نصرتهم وأيدتم، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ [الأنعام: ١١٠-١١١].



أول رمضان

(١٨)

الحمد لله الذي أنعم علينا بالفضل الوافر المقيم، وهدانا بمنه إلى الصراط المستقيم، وحذرننا بلطفه من العذاب الأليم، ومنَّ علينا بالكتاب العزيز القديم، شرع لنا ما يكفل لنا المصالح في الأنفس والأموال، ويدفع عنا السوء والوبال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمجد، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا



مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الرَّكْعُ الشُّجْدُ.

أَمَّا بَعْدُ:

عباد الله، هذا شهر رمضان شهر الطَّاعات، شهر الخيرات والمبرَّات، شهر عَظَّمَهُ اللهُ بِأَنْ أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ، وَبَعَثَ فِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِنَ الرَّحْمَنِ، شَهْرٌ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتَغْلُقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّيْرَانِ، وَيُغْلِقُ فِيهِ الشَّيْطَانَ^(١)، فَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - بِالطَّاعَاتِ وَالْإِمْتِثَالِ، وَصُونُوا صَوْمَكُمْ فِيهِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَتَجَنَّبُوا فِيهِ كَثْرَةَ الْجِدَالِ، جُودُوا فِيهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَتَبَرَّعُوا لِلْمُحْتَاجِينَ، وَأَحْسِنُوا الطَّاعَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ، صُونُوا جَوَارِحَكُمْ فِيهِ مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ، أَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ فِي الْأَسْحَارِ، وَعَلَى الصَّائِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْجِدَالَ وَالْخِصَامَ، وَالْفَحْشَ فِي الْكَلَامِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»^(٢)، وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ اللَّهُ بِكَ حَاجَةً فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٣).

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»، رواه الترمذي، رقم: (٦٨٢).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٨٨٥٦) بلفظ: «رَبِّ صَائِمٍ حُظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ».

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٣)، وأبو داود، رقم: (٢٣٦٢)، والترمذي، رقم: (٧٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح. بلفظ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

يا ذا العظمة والجلال، أيّد الإسلام والمسلمين، واجمع على الحقّ كلمة المؤمنين، ووفّقهم لإحياء معالم هذا الدين، واجعل اللهمّ بلدنا هذا وسائر بلاد المسلمين عامرةً بالإسلام محفوظةً من كيد الظلام، ووفّق ولاتنا ولاة المسلمين إلى الحقّ وإلى الطّريق القويم.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[البقرة: ٢٠١].

عباد الله، اذكروا الله يذكركم، واشكروه يزدكم، وأقيموا الصّلاة إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكرُ الله أكبر والله يعلم ما تصفون. الحمد لله كما أمر، وأشكره وقد وعد بالزيارة لمن شكر.

ولا يُباح فيه الفطر إلا لعذرٍ مبيحٍ للإفطار، كالعجز والمرض والأسفار، فقد ورد عن النبيّ على الصّلاة والسّلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدّهر وإن صامه»^(١).

فاتّقوا الله - أيّها المسلمون - واسلكوا طريق السّلامة لعلّكم تسلمون، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

[٨٧]

هذا أوان العمل فأين العاملون؟! هذا وقت الإصلاح فأين المصلحون؟! هذا زمن التّوبة فأين التّائبون!؟

(١) رواه البخاريّ: (٣٢/٣)، والترمذيّ، رقم: (٧٢٣)، بلفظ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُحْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمَ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ»، وقال: حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه.



أَلَا وَإِنَّ الْمَرْحُومَ مَنْ فِي هَذَا الشَّهْرِ رُحِمَ، وَالْمَحْرُومَ مِنْ فِيهِ طُرِدَ وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ حُرِمَ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّيِّرَانِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهَا بَابٌ، وَفَتَحَتِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَغْلَقْ لَهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»^(١).

الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].



الثانية لـ (١٨)

الحمد لله المّطلع على سرّ العبد وقلبه وفؤاده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته ومراده، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله إلى كافة عبادِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَ مِنْهُجِ إِرْشَادِهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَتُوبُوا إِلَيْهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ، وَاحْفَظُوا صَوْمَكُمْ مِنَ الْأَجْرَامِ^(٢) لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ، احْفَظُوا صَوْمَكُمْ مِنْ مَقَارِبَةِ

(١) رواه الترمذي، رقم: (٦٨٢) بلفظ: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفَتَحَتِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ».

(٢) الأجرام: جمع الجرم، وهو الذنب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨٦/٣١).

الأجرام، وصونوا جوارحكم من فعل الآثام، وتباعدوا بكلِّيتكم عن السيئات، والحذر الحذر من مقاربة الموبقات، فإنه ورد في الحديث الشريف أن: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه»^(١)، وأخبرنا عليه الصلاة والسلام: «أن لله مائدةً عليها ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، لا يقعد عليها إلا الصائمون»^(٢).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾

[فُصِّلَتْ: ٤٦].

اللَّهُمَّ اجعل شهرنا هذا عائداً علينا بالبركات، ووفّقنا فيه إلى الطّاعات، ومجانبة السيئات.



آخر رمضان

(١٩)

الحمد لله الذي أنعم علينا بصيام شهر رمضان، ووفّقنا لطاعته ويسّر لنا من نعمته ما يستحقُّ الشكران، ضاعف لنا فيه الأعمال وأفاض علينا

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٠١٤)، ومسلم، رقم: (٧٦٠)، بلفظ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه».

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٩٤٤٣)، بلفظ: «الصّوم يُدبّلُ اللّحم، ويبعدُ من حرّ السّعير، إنّ لله مائدةً عليها ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، لا يقعد عليها إلا الصّائمون».



فيه الإحسان، فنسأله القبول، إِنَّهُ الرَّبُّ الْمَأْمُولُ، لمغفرة الذُّنُوبِ والعصيان، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُغَيِّرُ ولا يَتَغَيَّرُ، جعل في انقضاء الأزمان وتجديدها عبرة لمن تفكَّرَ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله دعا إلى الرُّشْدِ، فمن عصاه خاب وضلَّ، ومن اتَّبَعَهُ رَشِدًا، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ انْتَهَجَ مِنْهُجَةَ الرَّاشِدِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ شهر الصَّيَامِ آن رحيله، وهو شاهد لكم أو عليكم، والظَّافِرُ مِنْ أَطَاعِ رَبِّهِ فِيهِ وَاتَّقَاهُ، والخاسر الخائب من عصاه، أَلَا وَإِنَّهُ شَهْرٌ خَصَّهُ اللهُ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ، وجعله شهر طاعةٍ لعباده المسلمين، أنزل فيه القرآن المبين، وزينَ عشره الأواخر أحسن تزيين، زَيَّنَهَا بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [التكوير: ٢]، قيام ليلها وصيام نهارها أفضل من عبادة ألف شهر، فطوبى لمن طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِي أَيَّامِهِ، وأخلص لله النِّيَّةَ فِي صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، طوبى لمن أخلص لله المتاب، وسأل الله النَّجَاةَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، فهنيئًا لمن شهد له رمضان بصالح العمل وصدق الإيمان، وبعْدًا لِمَنْ فَاتَهُ الْفُوزُ وَالْفَلَاحُ، وَخَسِرَ الرَّفْعَةَ وَالنَّجَاحَ فِي أَوْقَاتِ الْعَمَلِ وَوَفْرَةِ الْأَرْبَاحِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ودعوا ما بقي من شهركم بصالح العمل، وصدق التَّوْبَةِ مِنْ مَقَارِفَةِ الزَّلَلِ، واسألوه التَّوْفِيقَ لِمَا يَسْعِدُكُمْ فِي الْحَالِ، ويحفظكم في المآل، اتَّقُوا اللَّهَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّكُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَلَا تَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا تَمْلِكُونَ لَهَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا، واعترفوا له بحقوق ربوبيته بالقيام بين يديه بواجب عبادته، واشكروه له

عظيم نعمه يمددكم بوسع فضله وكرمه، وتوكلوا عليه في جميع شؤونكم مع أخذ الحيطة لها يعنكم عليها، وتوبوا إليه حق التوبة؛ فقد أفلح التائبون، قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»^(١).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأحيوا ليلة العيد بالتكبير والتهليل، وأكثروا فيها من الدعاء وقراءة التنزيل؛ فإن قيامها من سنن النبي الجليل^(٢).

هذا وقد كتب الله عليكم زكاة الفطر، وهي تطهير للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين في يوم الفطر^(٣)، تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان، ويجوز تعجيلها قبله بيوم أو يومين، وهي صاع من غالب قوت البلد، ﴿مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، ومقدار الصاع أربعة أمداد؛ والمد ملء كفي الرجل المعتدل، أو أن هذا الصاع

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٤٠٥) ومسلم، رقم: (٢٦٧٥) بلفظ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

(٢) إذ قال الرسول ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». سبق تخريجه.

(٣) فعن ابن عباس، قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَّقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»، رواه أبو داود، رقم: (١٦٠٩).



في الوزن خمسة أرطال من الحبِّ النَّقِيِّ السَّلِيمِ في عرف الكويت، قال رسول الله ﷺ: «صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر»^(١).



الثانية لـ (١٩)

الحمد لله الدائم بلا زوال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرّد بالعظمة والجلال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المزيّن بأشرف الخصال، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه بالغدوّ^(٢) والآصال^(٣)، ورضي.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله، فإنّكم محتاجون إليه على الدّوام، لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضرّاً، ولا تملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اعترفوا لرّبكم بحقوق ربوبيّته، وقوموا بين يديه بواجب طاعته، وتقرّبوا إليه بحقوق عبادته، واسألوه رحمته بامثال مأموراته، واحذروا نقمه باحتساب منهيّاته.

(١) رواه الدّيلميّ في الفردوس، رقم: (٩٠١)، بلفظ: «إنّ شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يُرفع إلا بزكاة الفطر».

(٢) الغدوّ: أوّل النهار، وهو نقيض الرّواح. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٥/١١٨).

(٣) الآصال: جمع الأصيل: العشيّ وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب. انظر: تاج العروس، للزبيديّ (٤٤٩/٢٧).

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].



تدبر الكتاب وتعلم العلم^(١)

(٢٠)

الحمد لله مالك الملك رب العالمين، خالق الخلق الملك الحق المبين، بعث محمدًا ﷺ للناس رحمة، فأفاض عليهم به النعمة، وكشف عنهم به الغمة، بعثه يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويكشف عنهم بنور العلم ظلمات الجهل المدلهمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك منزل القرآن، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله دعا إلى العلم والعرفان، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.



نذير القرآن

(٢١)

الحمد لله الملك الوهاب، الذي أنزل على عبده الكتاب، أمر بالتوبة عباده وأخبرهم أنه غافر الذنب قابل المتاب، وأفصح لهم بكتابه أن

(١) هكذا وجدت في الأصل مختصرة.



العاقبة الحسنى لمن أناب، ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ
إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَكْثَرُ الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله النبي المختار، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد
عبدك ورسولك وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار.

أمَّا بعد:

عباد الله، لقد سبق إلى الطاعات الصالحون، وأنتم عنها متخلفون،
وفازوا بالنعيم المقيم وأنتم لاهون، ألهاكم حبُّ الدنيا عن حبِّ الله،
وألهتكم المادَّة عن الاشتغال بما يوجب لكم رحمة الله، هل أنساكم حبُّ
الحياة الممات، أم نسيتم أن وراءكم عقبات، لا يحوزها إلا ذوو الهمم
العاليات؟! ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، فيا طالبي النجاة في اليوم العصيب، تدبروا
القرآن المجيد، فقد هداكم إلى الصراط المستقيم ودلَّكم على الأمر
الرَّشيد، فاز والله مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ، وخاب من أعرض عنه
ولم ينته عن زواجه، فيه أخبار من مضى ومن هو آت، وفيه المرشد
والعظات، عظات عمل بها آباؤنا الأولون، وأسلافنا الصالحون، فهابهم
الملوك الجبابرة، من أكاسرة وقياصرة، فلما نحن عن هديه ملنا، وعن
تدبره أعرضنا؛ استبدلنا الله بالذلة بعد الرِّفعة، وعوَّضنا الهوان بعد
المنعة^(١)، وما ذلك على الغافلين ببعيد، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا
أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:

٤٦].

(١) المنعة: القوَّة والأنفة والعظمة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٢١٩).

أما أخبركم القرآن بإهلاك الأمم العصاة، وغضب الله على من خالفه وعصاه؟! فاتَّقوا الله واتَّعظوا - رحمكم الله - بعظاته، وائتمروا بمأمراته، وانتهوا عن منهيَّاته، وتدبَّروا آياته، فإنَّ المحروم من فهمه بعيد طريد، ومن اهتدى بهديه وتدبَّر آياته فهو السَّعيد.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [التَّحَلُّ: ٤٤]، فيا أيُّها الخائفون من العذاب، الطَّالِبون رضا الملك الوهَّاب، عليكم بالاعتداء بسلفكم الصَّالح، وتدبَّر كتاب الله من مواعظ وتذكير وزواجر ونصائح، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١].

عن أبي أيُّوب الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مرعوبٌ، فقال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أَجِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه»^(١).

الآية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [٩] وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإِسْرَاء: ٩-١٠].



الثَّانِيَة لِـ (٢١)

الحمد لله الَّذي هدانا لتوحيده، ووفَّقنا لتسبيحه وتحميده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ الأرباب، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده

(١) رواه الطَّبْرانِيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٦٥)، بلفظ: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بآيات الله، أَجِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه».



ورسوله سيّد الأحاب، اللّهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا
محمّد وعلى كافّة آله والأصحاب، ورضي.
أمّا بعد:

عباد الله، اتّقوا الله، ولا تكونوا ممّن أشغلهم الحطام الفاني وألهاه،
عمّا ينفعه في دنياه وأخراه، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وتمسّكوا بالعروة
الوثقى التي لا انفصام لها، ألا وهي القرآن العظيم، واحذروا البدع؛
«فإنّ كلّ بدعة ضلالةٌ وكلّ ضلالةٌ في النار»^(١)، وعليكم بالجماعة؛ فقد
قال رسول الله ﷺ: «يُدُّ اللهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّ إِلَى النَّارِ»^(٢).
﴿وَمَا ءَأَنكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].



مواظظ ونصائح

(٢٢)

الحمد لله العليم الكريم، الرّؤوف الوهّاب الرّحيم، غافر الذّنّب وقابل
المتاب، قويّ البطش شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلاّ الله إليه أدعو

(١) رواه أحمد، رقم: (١٧١٤٤)، بلفظ: «إيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة
بدعة، وإنّ كلّ بدعة ضلالةٌ».

(٢) رواه الترمذيّ، رقم: (٢١٦٧)، بلفظ: «إنّ الله لا يجمع أمّتي - أو قال: أمّة
محمّد ﷺ - على ضلالةٍ، ويُدُّ اللهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّ إِلَى النَّارِ»، وقال:
هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وإليه مآب، منه نسأل التوفيق والهداية، وبه نعوذ من الغواية، ومنه نستمد العون على طاعته ونرجوه من العصيان الحماية.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله النَّبِيُّ الأَوَّاب، دعا إلى الهدى، وحذّر من الرّدى، ورعّب ورهّب، وبشّر بالفلاح وأنذر من التّبَاب^(١)، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك سيّد الأحاب، وعلى آله الأطهار وصحبه الأطياب، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الحساب.

أمّا بعد:

أيّها النَّاس، اتّقوا الله تفوزوا، وتوبوا إليه قبل أن تموتوا، وبادروا إلى الأعمال الصّالحة قبل أن تعجزوا، وأحسنوا معاملاتكم ترحموا، وارحموا الخلق ترحموا، وتعاونوا على البرّ والتّقوى تُنصروا، ولا تفرّقوا فنذّلوا، وخفّفوا أثقالكم بفعل الحسنات، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ﴾ [هود: ١١٤].

• [١١٤]

أيّها المسلمون، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]؛ كتابٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكلُّ ما ينفعكم فيه مذكور، دعاكم إلى الجماعة والاتّحاد، وحثّكم على المحبّة والوداد، ونهاكم عن التّفرقة والابتعاد، ولكنّا خالفنا ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وافترقنا فكلُّ منّا عن أخيه لا، لا الجار منّا يرعى حقّ جاره، ولا القريب يداري حقّ قريبه، ولا الصّديق يؤدّي حقّ صديقه، ولا الرّفيق يقوم بحقّ رفيقه، كثرت فينا المعاصي، وقُدّم العاصي، وانتهكت الحرمات، وفشت السيّئات، وانتشرت المنكرات، وعمّت الضّلالات، وعُظّم الظّالم، وأُهينَ العابد والعالم، ودارى النَّاس السّففيه وقُدّموه،

(١) التّبَاب: الهلاك والخسران. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥٦/٢).



وعكفوا على المنكر وألفوه، وهجروا المعروف ومقتوه، وتفرقت القلوب، واسودت من ران^(١) الذنوب، ولم تخشَ علام الغيوب.

فما العذر أيها الإخوان، إذا وقفنا يوم الموقف أمام الملك الديان، ووزعت الصّحائف ووضِع الميزان؟! فما العذر إذا قيل لجهنّم ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]؟! فما العذر إذا وقفت يوم الموقف أمام علام الغيوب؟! ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] بما اقترفوا من الذنوب، فتنبهوا - رحمكم الله - من غفلتكم، وتيقظوا من رقدتكم، ما دام حبل الأجل ممدودًا، فإنَّ شهر الفضائل قد تنفّس فجره، وأقبل علينا خيره، ودنت منّا نفحات أوقاته، وبشائر بركاته، وجاء ليقيم فينا سوق حسناته، فاستقبلوه - رحمكم الله - بالتوبة الصادقة التي تمحو سالف الأوزار، وأكثروا من ذكر الله والاستغفار، واسألوه الفوز بالجنّات والنّجاة من النار، ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

[في] الحديث: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله»^(٢).

الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢٥٦]

[البقرة: ٢٥٦].



(١) الرّين: أن يسود القلب من الذنوب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣٠/٣٥).
 (٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٣٠)، بلفظ: عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: «من طال عمره، وحسن =

الثانية لـ (٢٢) في الإسراء

الحمد لله حثَّ على التَّقوى ووصَّى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاط بكلِّ شيء علمًا وأحصى، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ذو الفضائل التي لا تحصى، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مِثَالِ الْكَمَالِ، إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتِمِ سُلْسَلَةِ الْإِرْسَالِ، وَعَلَى كَافَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الدُّعَاةِ إِلَى الْفَضَائِلِ، وَالْمَنْزَهِينَ مِنَ الرَّذَائِلِ، وَالْمَتَحَلِّينَ بِأَشْرَفِ الْخِلَالِ.

أمَّا بعد:

فإنَّ الله اختار لكم هذا الدِّينَ، وخصَّكم به من جميع العالمين، واختار لكم من الأنبياء سيِّد المرسلين، محمَّدًا الرَّسُولَ الْأَمِينَ، شَرَفَهُ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِخَتَمِ الرَّسَالَةِ، وَمَحَا بِهِ الْجَهَالََةَ وَالضَّلَالََةَ، وَاخْتَصَّهُ ﷺ بِالْإِسْرَاءِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَبِالْمَعْرَاجِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، حَتَّى رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَدَخَلَ جَنَّةَ الْمَأْوَى، وَرَأَى مَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَشَاهَدَ النَّارَ وَعَايِنَ مَا فِيهَا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ يَصِلْهَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا قَلْبٌ مُقَرَّبٌ، فَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَلِمُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ نَاكِرٌ.

أثبت الله هذه المعجزة في كتابه الكريم في سورة النَّجْمِ وسورة الإسراء العظيم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾

= عمله، قال: فأبي الناس شرُّ؟ قال: «من طال عمره، وساء عمله»، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.



الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١]



دخول رمضان

(٢٣)

الحمد لله الذي اختصَّ رمضان بفضيلة الصَّوم، وجعل الصَّوم للصَّائم جَنَّةً تقيه وبال الإثم^(١)، فتح فيه أبواب الجنان لكلِّ موحد شكور، وزينها بمعدَّات الفرح والشُّرور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفور، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الدَّاعي إلى الخير، والمحدِّر من الشُّرور، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد أفضل الخلق وأتقاهم، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداهم.

أمَّا بعد:

عباد الله، اتَّقوا الله واعلموا أنه قد نزل بساحتكم شهر كريم، وموسم عظيم، خصَّه الله على سائر الشُّهور بالتَّشريف والتَّكريم، اختصَّه^(٢) لنفسه من بين الشُّهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور، وأنزل فيه القرآن الكريم، وفرض صيامه شكرًا له على هذا الفضل العظيم، والإنعام العميم، وجعل صيامه أحد مباني الإسلام، وسنَّ لكم النَّبيُّ فيه القيام، فهو شهر كلُّه بركات وخيرات، فيه تجاب الدَّعوات وتُقال العثرات،

(١) إذ قال النَّبيُّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه: «الصَّوْمُ جَنَّةٌ»، رواه البخاريُّ، رقم: (٧٤٩٢)، والجَنَّةُ: كلُّ ما وقى. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٣٦٨/٣٤).

(٢) رُسمت في الأصل: اخصته، ولعلَّ الصَّواب ما أُثبت.

وتضاعف الحسنات، ولا يعدل به سواه من الأوقات؛ الحسنات فيه بأضعاف الحسنات فيما سواه، والفريضة فيه بأفضل منها في غيره لمن تقبل منه مولاه^(١)، فطوبى لمن اغتنم الفرص قبل الفوات، وعزم على الجد وهجر المبطلات، قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ﴾ [الرَّؤْمَرُ: ٥٦]، وهل تنفعها يومئذ الحسرات!؟

فيا ذوي الهمم العالية، ويا ذوي المطالب السامية، هذا شهركم شهر الصيام، شهر الطاعة والقيام، شهر الصدقة والإطعام، شهر قراءة القرآن، شهر عبادة الديان، حافظوا فيه على طاعة الله، وأكثروا من قول لا إله إلا الله، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

روى مسلم عن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنَةُ بعشرٍ أمثالها إلى سبعمائةٍ ضعفٍ، قال الله تعالى: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يدع شهوته وطعامه من أجلي»^(٢)، «للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فيه لأطيب عند الله من ريح المسك»^(٣).

(١) ومنه قول النبي ﷺ آخر يوم من شعبان: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُّبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَفِيَّامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخُصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ»، رواه ابن خزيمة في صحيحه، رقم: (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٣٦).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١١٥١)، بلفظ: «كلُّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنَةُ عشرُ أمثالها إلى سبعمائةٍ ضعفٍ، قال الله تعالى: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يدع شهوته وطعامه من أجلي».

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٤)، ومسلم، رقم: (١١٥١)، بلفظ: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانُ =



الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

«من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شؤال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(١)، ومن صان نفسه فيه من الأوزار كُتِبَتْ له براءة من النَّار، فيا فوز من ابتعد عن سخط الله وعقابه، وطوبى لمن ابتعد عن مسببات غضبه وعقابه، وبُعدًا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، وخسرًا لمن تعمَّد فيه ارتكاب زلَّة، باء - والله - بالخسران من غضب عليه الملك الدِّيَّان، فأقصروا - رحمكم الله - أنفسكم في هذا الشَّهر عن المَلذَّات، وارتكاب الشَّهوات والمحرمات، واجعلوا أيديكم في سبيل الخير ممدودات، وأكثروا من إيصال المبرَّات، إلى المساكين والأيتام والأرامل المعدمات، فإنَّه شهرٌ «أوَّله رحمة للمحسنين، وأوسطه مغفرة للمذنبين، وآخره عتق من النَّار للموبقين»^(٢).

روى النَّسَائِيُّ عن عبد الرَّحْمَنِ بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الله تعالى افترض صوم رمضان، وسننْتُ لكم قيامه، فمَنْ صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا وبقينًا كان كالكَفَّارَةِ لما مضى»^(٣)، وقال صلى الله عليه وآله: «من

= يفرحهما: إذا أفطرَ فَرِحَ، وإذا لقي ربه فَرِحَ بصومه».

(١) رواه الطَّبْرَانِيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٨٦٢٢).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، رقم: (١٨٨٧)، والبيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٣٦)، بلفظ: «أوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النَّار».

(٣) رواه النَّسَائِيُّ في السُّنَنِ الكُبْرَى، رقم: (٢٥٣١)، بلفظ: «إِنَّ الله فرض صيام رمضان، وسننْتُ لكم قيامه، فمَنْ صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا وبقينًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(١).

الآية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١٨٥)

[البقرة: ١٨٥].



الثانية (٢) لـ (٢٤)

الحمد لله أحمده وأسأله التَّوْفِيقَ، وأعوذ به من الإعسار والضيق، وأستغفره من الذُّنُوبِ وأستهديه إلى الطَّرِيقِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله الَّذِي عَلَى جَمِيعِ الرُّسُلِ فَضَّلَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ انْتَسَبَ لَهُ.

عباد الله، اتَّقُوا اللَّهَ، وَتَجَنَّبُوا مَا يُوجِبُ عَلَيْكُمْ سَخَطَ اللَّهِ وَخُصُوصًا فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ، فَإِنَّهُ شَهْرٌ كَمَا يُضَاعَفُ فِيهِ الْأَجُورُ، يُضَاعَفُ فِيهِ الْوِزْرُ، تَعَرَّضُوا لِتَجَلِّيَاتِ اللَّهِ فِي الْأَسْحَارِ، وَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، أَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فِيهِ يَنَاجِي الْعَبْدَ رَبَّهُ الرَّحِيمَ، وَيَبْتَئُونَ نِيَّةَ الصَّوْمِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَتَحَرَّوْا

(١) رواه الترمذِيُّ، رقم: (٨٠٧)، بلفظ: «من فطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) هذه الخطبة الثانية، ولم أجد الخطبة الأولى.



أكل الحلال دائماً وخصوصاً هذا الشهر، فمن كان طعام من حرام لم يقبل منه صلاة ولا صيام؛ قال ﷺ: «من نبت لحمه من حرام فالنار أولى به»^(١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهُ وَلَتُنظَّرَ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ لِعَدِّ وَأَنفَقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وتحرروا الطيبات، وتجنبوا الشبهات، واجتنبوا قول الزور، فقد قال رسول الله ﷺ: «رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع والظم»^(٢).



فضل الصدقة

(٢٥)

الحمد لله ذاكر من ذكره، وشاكر من شكره، غافر من استغفره، كما سمى نفسه العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب للأسخياء جنة تجري من تحتها الأنهار، وجعل عقبى البخلاء النار، وحمى بعين حراسته من تمسك بدينه من الذلة والصغار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان للمعسرین منجداً، أكرم الناس خلقاً وأطولهم بالمعروف يداً، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد أكثر العرب بذلاً للندی، وعلى آله وأصحابه السعداء.

(١) سبق تخريجه بلفظ: «إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمٌ نَبَتْ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ».

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٨٥٦)، بلفظ: «رَبِّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرَبِّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ».

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ، عَلَيْكُمْ بِالتَّقْوَى؛ فَقَدْ فَازَ الْمُتَّقُونَ، وَتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ فَمَا رِبِحٌ إِلَّا الْمُتَصَدِّقُونَ، وَأَحْسِنُوا فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨]، اغتنموا ما عثتم قبل أن تعضوا، لِلنَّدَمِ كَفًّا^(١)، وَأَعِدُّوا عَمَلًا صَالِحًا لِيَوْمٍ تَتَمَزَّقُ فِيهِ الْقُلُوبُ خَوْفًا، وَاشْتَرُوا الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا وَلَا تَخْشَوْا فِي ذَلِكَ غَبْنًا^(٢) وَلَا حِيْفًا^(٣).

وهذا زمان غلاء وعسر، فاز فيه - والله - أهل الإحسان بالأجر، فاز فيه من جعل نفسه وماله على العمل الصالح وبقا، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى﴾ [٥] وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى ﴿٦﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ [الليل: ٥-٧]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ﴿... وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النَّازِعَات: ٤٠-٤١]. فيا مؤمل البقاء وهو للموت مجيب، ويا مغرورا بأمله وهو للهلاك قريب، يا معتدا بماله الكثير، يا مفتونا بمنصبه الكبير، إلى كم تتعب في جمع الحطام وتشقى، وتؤثر ما يفنى على ما يبقى؟! فهل أشبعت منه بطن فقير، أو علّمت فيه قريبك اليتيم الحقيق، أو عطفت فيه على جارك العسير، أو أنست فيه فليس منه قلب مسكين كسير؟! كَلَّا وَاللَّهِ، ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ [البالد: ١١-١٦].

• [١٦]

- (١) إن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»، رواه النسائي في السنن الكبرى، رقم: (١١٨٣٢).
- (٢) العَبْنُ: النَّسِيَانُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٠٩/١٣).
- (٣) الْحَيْفُ: الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧٦/٢٣).



يا هذا، هَلَّا كنت من عباد الرّحمن؟! فَإِنَّكَ آثرت الدُّنيا وآثروا الإحسان، وأطاعوا الله فأطعت الشَّيطان، فلا الفقير يخطر ببالك، وإذا جاءك السَّائل أغلظت له في مقالك، وإن أعطيته فحقيراً يسيراً من مالك، جمعت الحطام لغيرك، وسينسأك مَنْ يستولي على خيرك، الَّذي لم تتزوّد منه شيئاً لسيرك.

يا هذا، إِنَّه ليس لك من مالك إِلَّا ما أكلت فأفנית، ولبست فأبليت، وتصدّقت فأبقيت، وما بقي فلورثتك، وحسابه في رقبتك، روى ق عن أنس بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أَيُّكُمْ مال وارثه أَحَبُّ إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ماله أَحَبُّ إليه من مال وارثه، قال: «فإنَّ ماله ما قَدَّمَ، ومال وارثه ما أَخَّر»^(١).

الآية: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].



الثَّانِيَة ١- (٢٥)

الحمد لله الرّحيم الودود، وأشهد أن لا إله إِلَّا الله الملك المعبود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم كلِّ مولود، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٤٤٢)، وأحمد، رقم: (٣٦٢٦)، بلفظ: أَيُّكُمْ مال وارثه أَحَبُّ إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ماله أَحَبُّ إليه، قال: «فإنَّ ماله ما قَدَّمَ، ومال وارثه ما أَخَّر».

عبدك ورسولك الذي نسخ بملته الملل، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا سبيل الله ولم يتبعوا السبل.
أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، اتَّقوا الله، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]،
وأحسنوا إلى فقرائكم، وادفعوا عنهم البلوى، فإنَّ في ذلكم عروة
اتِّحادكم تقوى، أقبل الشتاء ببرده، وقوَّة برقه ورعده، فمن يمدُّ يده
باليسير؛ لإعانة الفقير، فيشبع منه جوعته ويرحم قلبه الكسير، ويكسو
عورته بما يردُّ غائلة البرد الزمهرير^(١)؟! فيا من يستمع القول فيتبع أحسنه،
يا من أكثر الله عليه مننه، أحسن إلى من يحتاج برك، يخلف الله عليك
ويكثر خيرك، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا
كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أحسنوا فإنَّ السيئة تمحوها الحسنه، ﴿وَذَكَرْنَا
الذِّكْرَىٰ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٥].

انتبه من الغفلة

(٢٦)

الحمد لله باري البريات، عالم الظواهر والخفيات، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وسع كل شيء رحمةً وحكماً، وأحاط بكل شيء
علماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرسل بالآيات البيئات، والخوارق
المعجزات، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد المبعوث بالرحمة

(١) الزمهرير: شدة البرد. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١١/٤٥١).



وعلى آله وأصحابه أعلام الأمة ذوي الفضائل والكرامات .

أمَّا بعد:

عباد الله، اتَّقوا الله، فقد فاز من أطاعه واتَّقاه، وخاب وخسر من كفر به وعصاه، اغتنموا العمل الصَّالح قبل زوال العمر وانقضاه، اغتنموا الفرصة، قبل أن تجيء الغصَّة، وقبل أن يقول المفرط: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، مالك - أيُّها المُفْرَطُ - أمضيت عمرك في تحصيل السيِّئات، وغفلت عن إقامة الصَّلَاة، وتركت الجمع والجماعات، وبخلت بالزَّكاة وحتى عن مديد المعونة بالصدقات؟! فإذا عذلك العاذل النَّاصح، ولامك الصَّديق الصَّالح، قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، وأنت تعلم أن عذاب الله أليم، ما عذرك إذا وقفت أمام الحاكم للحساب؟! يوم تخضع للرقاب، ويذلُّ كلُّ فاجر كذاب، يوم يرجع الخاسر الشَّقِيَّ بالتَّباب، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النُّور: ٢٤]، يوم يقول المقصِّر العاصي: ﴿...رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

أيُّها المؤمنون، كيف يرجو الخير مَنْ لم يعمل خيراً؟! وكيف يرجو النِّجاة مَنْ لم يدفع عن أخيه شراً، ولم يكشف عن جاره وصديقه ضرراً؟! فكم من حقٍّ منَعْتُمْ، وكم من فرض ضيَّعتم، وكم من مستغيث استغاث بكم! فهل اغتنمتم؟! ألستم على المُقِلِّ تكبَّرتُم؟! ولو أنصفتُم لتواضعتم، ألم تعلموا أن من تعاضم على عباد الله كبراً، زاده الله ذلَّةً وخسر الدُّنيا والأخرى؟! ومن تواضع لله زاده الله رفعةً، ومنحه عزَّةً ومنعةً^(١)، قال

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تواضع لله درجةً رفعه الله درجةً، حتى يجعله في عليين، =

رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ تَطْوَهُمُ النَّاسُ»^(١)، وروى البخاريُّ عن رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأذلَّ نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مالٍ جمعه في غير معصية، وخالط أهلَ الفقه والحكمة، ورحم أهلَ الذُّلِّ والمسكنة، طوبى لمن ذلَّ نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن النَّاسِ شرَّه، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله»^(٢).

الآية: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].



= وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَىٰ اللَّهِ دَرَجَةً، وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّىٰ يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ»، رواه أحمد، رقم: (١١٧٢٤).

(١) رواه الترمذيُّ، رقم: (٢٤٩٢)، بلفظ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالِ الذَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَابِقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ، يُسْقُونَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

والخبال في الأصل: الفسادُ، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول. انظر: النُّهْيَاةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، لابن الأثير (٨/٢).

(٢) رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي مَسْنَدِ الشَّامِيِّينَ، رقم: (٩١٢)، بلفظ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذلَّ في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهلَ الذُّلِّ والمسكنة، وخالط أهلَ الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن النَّاسِ شرَّه، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».



الثانية لـ (٢٦) في النصف من شعبان

الحمد لله ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأستغفره
وأسأله التوفيق والنجاة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، اللهم
صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك النبي الأواه، سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن والاه.

أمَّا بعد:

عباد الله، اتقوا الله، فإنه أوشك أن تقبل عليكم ليلة جديرة بالتعظيم،
حقيقة بالتبجيل والتكريم، فما أحسنها ليلة لو كان المسلمون في التمام،
متفقين على ما يرضي الملك العلام! ما أحسنها لو تواصلوا فالخير كله
في التواصل! ما أحسنها لو اتفقوا على نبد التخاذل، وأحسنوا فيما بينهم
التعامل! فطوبى لمن نبه فانتبه وذكّر فاذكر، و﴿الذكري نفع المؤمنين﴾
[الذاريات: ٥٥]، ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
[المنافقون: ٩]، ولا تغرّبكم الحياة عن العمل للأخرى، فكونوا - رحمكم
الله - في انتباه.

﴿...فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ

هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].



في الحذر من أهل البدع

(٢٧)

الحمد لله المحمود أزلاً وأبداً، الذي أضلَّ من ضلَّ وهدى من اهتدى، أعزَّ بعزَّته من أعزَّ هذا الدِّين، وأهان من أهان عباده المسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مقت أهل الباطل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله تبرأ من أهل الفجور والرذائل، اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أنصار المكارم والفضائل.

أمَّا بعد:

فإن الله أرسل محمداً ﷺ بالدِّين القويم، كتاب كريم، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، أرشدنا به إلى كلِّ فضيلة، ونهانا به عن كلِّ رذيلة، أرشدنا به إلى ما فيه عزُّنا ونجاتنا ونجاحنا وفوزنا، وحدَّرننا به من كلِّ ما يضرُّنا في ديننا وأحرانا، وأعراضنا وعقولنا ودينانا، فما لنا - أيُّها المسلمون - أهملنا هذا الدِّين، وركننا بكلِّيتنا إلى السُّفهاء والملحدِّين، والفسقة المبتدعين؟! نسمع منهم المرَّة بعد المرَّة حطًّا في ديننا، وتسفيهاً لعقولنا، فلم تتناثر منَّا الأعصاب، ولم تتحرَّك منَّا الأبواب! ولم يُردعوا منَّا بكلمة، ولم يُزجروا منَّا بقول، بل احترمهم عامتُّنا، وفسح لهم المجالس خاصَّتُّنا، وملَّكهم أغنياؤنا، وضاربهم تجَّارنا، فيا هل تُرى أين أهل الحمية الدِّينية، والغيرة الإنسانيَّة، والأنفة العربيَّة؟! ذهبوا تحت الثرى وذهبت معهم الغيرة، وتركونا في ضيق وحسرة؛ إذ خلف من بعدهم خلف أعماهم حبُّ الدرهم



والدينار، عن رؤية النَّافع والضَّار، لا يسمعون نصيحة ناصح، ولا يُعَوِّنَ صيحة صائح، أعماهم حبُّ مصلحتهم، عن منفعة إخوانهم.

[في] الحديث: «كلُّ نفسٍ تحشُرُ مع هواها، فمن هَوِيَ الكفرة فهو مع الكفرة، ولا ينفعه عمله شيئاً»^(١)، وسوف يندمون إذا أنكرهم المدين وخانهم الخائن، ولا بدَّ أن ذلك كائن، ومع هذا فالزَّمان أنذرهم، والمجرَّب حذرهم، ولكنَّ الطَّمع يصمُّ السَّميع ويعمي البصير.

أيُّها المسلمون، حوّلوا قلوبكم لشرعكم، وخالفوا أعداء نبيِّكم، دافعوا عن دينكم ولو بالقول فقد كفاكم الرُّكون، فقد حان حين الدِّفاع عنه، فما هذا السُّكون؟! فقد طفح الكيل والمكيال امتلاءً، وبلغ السَّيل الزُّبا وعلا^(٢)، وكلُّ ذنب نتيجة إهمالكم، وحاصل تجاراتكم، وحصائد أعمالكم، ولقد طُبِّقَ عليكم المثل القائل: سَمَّنَ كلبك يأكلك. فرحم الله امرأً سعى في قمع هؤلاء المارقين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بسافل أقوالهم ويحطُّوا بثرتهم من أقدار الصَّحابة وشرفهم.

يا مَنْ وهبه الله شرفاً وعقلاً، أنت المخاطب في ذلك فعلاً، واسمع - رحمك الله - ما يقوله لك ربُّ الأرض والسَّماء: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المُتَّحَنَّة: ١].

يا من وهبه الله حمية وإيماناً، وقوَّة وشرفاً وعرفاناً، اسمع قول ربِّك: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [التَّسَاء: ٨٩]،

(١) رواه الطَّبْرانِيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٨٩٧٨)، بلفظ: «كلُّ نفسٍ تحشُرُ على هواها، من هَوِيَ الكفر فهو مع الكفر، ولا ينفعه عمله شيئاً».

(٢) بلغ السَّيل الزُّبا وجاوز الحزام الطُّبيين؛ أي: اشتدَّ الأمر، وتفاقم؛ لأنَّ الحزام إذا انتهى إلى الطُّبيين فقد انتهى إلى بعد غاياته، فكيف إذا جاوز؟! انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٤٨١/٣٨).

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وِبْرَهِنُوا عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ، وَثَبَاتِ حَمِيَّتِكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَإِنَّكُمْ حِزْبُ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى - لَا شَكَّ - يَنْصُرُ حِزْبَهُ إِنْ نَصَرَ دِينَهُ، فَإِنَّهُ قَالَ - وَلَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [مَحْمَدٌ: ٧]، وَإِنْ سَكُتُمْ فَلَا شَكَّ أَنْ سَتَكُونُ سَوْءَ الْعَقَبَى لَكُمْ .

والله لكم نعم الموفق والمعين .

الآيَةُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾﴾ [المجادلة: ١٤-١٥] .



الثانية - (٢٧) في افتتاح العام

الحمد لله مقدر الشهور، ومجدد الدهور، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ٢]، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] منفردًا بالملكوت والبقاء والدوام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيّد الأنام، اللهم ص إلخ وعلى آله وصحبه السادة الكرام.
أمّا بعد:

أيها الناس، إنّه مضى عام، وأقبل عام، وأنتم على ما أنتم عليه من الذنوب والآثام، العام الجديد أقبل، وأوله الشهر المفضل، شهر مُحَرَّم الحرام، أول شهور السنة بالتحريم، وأحقتها بالتكريم، عظّمه الصالحون



والأخيار، ونطقت بفضلها الآثار، وقد سمّاه رسول الله ﷺ: شهر الله المحرّم^(١)، فاسلكوا فيه سبيل السّلام؛ لتنالوا الأجور العظام، فتفوزوا برضا الله الملك العلام، وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واحذروا، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التّغابُن: ١٢]، واسلكوا الصّراط المستقيم تسعدوا، ومُروا بالمعروف ترشدوا، وانهاوا عن المنكر تهتدوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذلُّوا، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].



ليلة القدر

(٢٨)

الحمد لله غافر الذنب وقابل التّوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم الغيب، لعزّته يعتزُّ المؤمنون، وبهدايته يهتدي الضّالّون، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله أرسله بدين الحقّ، إلى كافّة الخلق؛ ليظهره على الدّين كلّهِ، ماحياً للضّلال وأهلِهِ، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد المبعوث بالرّحمة، وعلى كافّة آله وأصحابه أنصار الحقّ وهداة الأُمَّة.

أمّا بعد:

(١) قال ﷺ في حديث صحيح: «أفضل الصّيام بعد رمضان شهر الله المحرّم»، رواه مسلم، رقم: (١١٦٣)، وأبو داود، رقم: (٢٤٢٩).

عباد الله، اتَّقُوا اللهَ، فَإِنَّ مِنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ شَقِيٌّ وَكَانَتْ الْجَحِيمَ مَأْوَاهُ، أَلَا وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ الْعُرْوَةُ الْوَثْقَى، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ لِلْمُتَّقِينَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

عباد الله، زحزحوا أنفسكم عن العذاب الأليم، وتمسكوا بدينكم القويم، واعتصموا بكتاب ربكم الكريم، واغسلوا قلوبكم عن أدران الذنوب، تناولوا رضا علام الغيوب، وتفوزوا بالنعيم المقيم، تمسكوا بهدي نبيكم ﷺ وأصحابه، تناولوا من الله عظيم ثوابه، فقد كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من هذا الشهر، يلتمس بذلك ليلة القدر، فكان كما ورد في الحديث: «يُحْيِي لَيْلَهُ، وَيُوقِظُ أَهْلَهُ، وَيَشُدُّ مِئْزَرَهُ، وَيَعْتَزِلُ نِسَاءَهُ حَتَّى يَنْسَلِخَ الشَّهْرُ»^(١)، يتحرى تلك الليلة التي هي «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر: ٣]، هي الليلة التي نزل فيها القرآن، وأشرق فيها بدر الإيمان، وأضاء بنوره جميع الأكوان، هي الليلة التي بدأ فيها محو الضلالة، وتخليص الناس من الجهالة، وبدء هلاك الأوثان، وحلت محلها عبادة الرحمن، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

عباد الله، هذا شهر رمضان قد قرب رحيله أو كاد، وهو شاهد على العباد، فالفوز لمن كان شاهداً له بالإحسان، وطاعة الرحمن، فكفوا -

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٠٢٤)، ومسلم، رقم: (١١٧٤)، بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ، وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ، وَجَعَلَ عِشَاءَهُ سَحُورًا»، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ، رَقْمٌ: (٥٦٥٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٥)، ومسلم، رقم: (٧٦٠)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.



رحمكم الله - عن المعاصي، قبل أن تُؤخذ العصاة بالنواصي^(١)، تمسكوا بطاعة الله فهي السبب الأقوى، وتزوّدوا للرحيل ﴿فَاِنَّ خَيْرَ الْاَزَادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، و«ارحموا تُرحموا»^(٢)، فيا أغنياء الأمة، ارحموا فقراءها، ويا أيها المتشدقون^(٣) بكلمة الإنسانيّة هذه أوقاتهما، ما كان المأمول أن تحرموا الفقراء في هذه الأيام من الصدقات، أو أن تحرموا أنفسكم في هذا الشهر من الحسنات، فاتق الله - أيها المسلم - وارحم أخاك الفقير، وُجد على أخيك المحتاج ولو باليسير، وفرّج عنه كرب الفاقة فالوقت عسير، قال رسول الله ﷺ: «والرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(٤).

الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].



- (١) النواصي: جمع الناصية، وهي فُصاوصُ الشَّعرِ في مُقَدِّمِ الرَّأْسِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩٠/٤٠).
- (٢) رواه أحمد، رقم: (٦٥٤١).
- (٣) المتشدقون: المتوسعون بالكلمة من غير احتياط واحتراز. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٧٣/١٠).
- (٤) رواه الترمذي، رقم: (١٩٢٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الثَّانِيَةُ لـ (٢٨) فِي ذِكْرِ اللَّهِ

الحمد لله الَّذِي بذكره تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، طَيَّبَ بذكره أرواحَ الْمُوَحِّدِينَ وعفا به عن الخاطئين وغفر لهم به الذُّنُوبَ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك كما قال هو فاعلم أَنَّهُ لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث بتوحيد الله، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ.

أَمَّا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّهُ لا إله إلا الله، ولا تقنطوا من رحمته، فرِّغُوا قلوبكم لتوحيده، فالتَّوْحِيدُ أساس كلِّ دين، وبه بعث الله المرسلين، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البَيِّنَةُ: ٥]، وليبْلَغُوا لِلنَّاسِ أَنَّهُ لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص، وهي للعبد خير مناص^(١)، هي الرُّكْنُ الأوَّلُ للإسلام، وبها نزل القرآن، وَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فليقل بصدق وإخلاص: لا إله إلا الله؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢).

الآية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].



(١) المناصُ: الملجأ والمفرُّ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٨/١٩٥).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٣١١٦).



العصيان يوجب الخسران

(٢٩)

الحمد لله الذي بيّن الأحكام وشرع الشرائع، وفضّل بين عباده في هذه الدنيا فجعل منهم العاصي والطّاع، لا تخفى عليه خافية، ولا تعجزه نفس عاصية، ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسِعَ كلَّ شيء علمًا ورحمة، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله كشف به الغمّة، وبيّن لنا أن الطّاعة سبب لنزول الرّحمة، وازدياد النّعمة، وأنّ المعصية تورث البوار وتنزل النّقمة، اللّهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد الذي بيّن لأمتّه طريق الهداية، وحذّره من الغواية، وفتح لهم باب التّوبة والرّشاد، ونهاهم عن الإفساد والفساد، وعلى كافّة آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حقّ الجهاد، حتّى جاء الحقّ وزهق الباطل وهلك أهل البغي والفساد.

أمّا بعد:

عباد الله، إلى متى تأكلون رزق الله ولا تشكرون؟! إلى متى تفسدون ولا تصلحون؟! تحاربونه بالمعاصي ولا تخافون، تخالفون أوامره وأنتم آمنون، أما كلّفكم باتّباع شرعه فخالفتموه؟! وأوصاكم بالمحافظة على دينكم فطرحتموه؟! نهاكم عن الخمر فشربتم، منعكم من الزّنا ففسقتم، أمركم بإقامة الصّلاة فتركتم، وبإداء الزّكاة فمنعتم، أوصاكم بصلة الأرحام فهجرتهم، حرّم عليكم الرّبا فاستحللتم، حذّركم من الفساد وبه اجتهدتم، وحرّم عليكم القمار وبه لعبتم، انشقت عصا وحدتنا من عدم اتّحاد الكلمة، حتّى تحكّمت بنا أيدي الأجنبيّات الظّلمة، وصرنا لهم في أفعالهم مقلّدين،

ولسلوك طرقهم سالكين .

فوا أسفا على المسلمين أهل الإسلام، ويا حسرتا على من فقدوا العدل في الأحكام، حَتَّى مَلَكَ الْعَدُوُّ نَاحِيَتَهُمْ، وَاسْتَوْلَى عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَعَمِلَ الْأَسْبَابَ لِلْفِتْكَ بِدِينِهِمْ، وَ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَتَنَبَّهُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَقَدْ سَاءَتِ الْأَحْوَالُ، مِنْ سُوءِ الْأَعْمَالِ، تَيَقَّظُوا فَقَدْ أَنْ أُوَانَ الْيَقْظَةَ، وَتَوَبُّوا فَقَدْ حَانَ حِينُ التَّوْبَةِ، رَاقِبُوا اللَّهَ فِي أَمْرِكُمْ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَتَوَخَّذُوا بِأَسْرِكُمْ، أَصْلِحُوا الْفَسَادَ؛ لِتَعْمُرَ الْبِلَادَ، وَمَهَّدُوا طَرِيقَ الرَّشَادِ، لِسُلُوكِ الْعِبَادِ، فَوَاللَّهِ لَا يَظْهَرُ هَذَا الدِّينَ إِلَّا إِذَا حَسُنَتِ الْمَقَاصِدُ، وَلَا يَنْتَظِمُ أَمْرُنَا إِلَّا إِذَا كُنَّا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، انْتَبَهُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - قَبْلَ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ﴾ [الزمر: ٥٦]، يَا وَيْلَنَا؛ قَدْ أَكْثَرْنَا مِنَ الذُّنُوبِ، فَأَفْرَطْنَا، ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَلْغَيْرِنَا ظَلَمْنَا، وَخَالَفْنَا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعْنَا الشَّيْطَانَ، فَصَرْنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ .

روى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»^(١)، كونوا - رحمكم الله - إخواناً متحابين، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُؤُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿١٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].



(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٥٨٥).



الثانية لـ (٢٩)

الحمد لله الذي بيده الهداية والضلالة، يعلم أحوال العبد وأقواله وأفعاله، وأشهد أن لا إله إلا الله حذّرنا الحساب وأهواله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله به ختم الرّسالة، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمّد وعمّ اللهمّ بهما صحبه وآله.

أمّا بعد:

أيّها المسلمون، لقد قست منكم القلوب، وتجلّدتم على الشّقاء والكروب، وصار كسب الدرهم والبخل به على إخوانكم المسلمين؛ أحبّ إليكم من امتثال أمر الدين، خلطتم الحلال بالحرام؛ من جهلكم بأحكام الإسلام، وغفلتم عمّا ستلاقونه عن قريبٍ من الآلام، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الرّوم: ٤١]، وانتشر البلاء وفشت الرّزايا وعمّ البأس، والله لمن عصاه بالمرصاد، فاتّقوا الله وأقلعوا - رحمكم الله - من هذه الجرائم، وتباعدوا عن جميع المحارم.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النّساء: ١١٠]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ثمّ اعلموا أنّ الله أمركم بالصّلاة على نبيّه، وحبّيبه وصفيّه، فقال تعالى قولاً كريماً، تعظيماً لقدر نبيّه وتكريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك وأنعم على سيّدنا محمّد عبدك ورسولك

وعلى كافة آله وصحبه ومن به يؤمنون، وارض اللهم عن السادة الخلفاء،
الراشدين الحنفاء، المميزين بالرعاية والاصطفاء، ذوي القدر العليّ،
أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعن العمّين العَلَمِينِ، وعن السَّبْطِينِ
الشَّهِيدِينِ، وعن بنات بيته الزَّاكِيَاتِ، وزوجاته الطَّاهِرَاتِ، أمّهات
المؤمنين، وعن بقيّة الصَّحَابَةِ والقِرَابَةِ والتَّابِعِينَ، ومن تبعهم إلى يوم
الدِّينِ.

اللَّهُمَّ ارحمنا فإنَّك رحيم، والطف بنا فإنَّك لطيفٌ كريم، اللَّهُمَّ عمَّنَا
بالرَّحْمَاتِ، وأنزل علينا البركات، وأجرنا من فعل الأشرار، واحشرنا في
زمرة الأخيار، اللَّهُمَّ انصر دينك دين الإسلام، وامحق بسيف غضبك
البغاة الظُّلَّامِ، وأذلَّ الكفر وأهله يا ذا الجلال والإكرام، واجعل بلدنا
هذا محروسًا عامرًا، رخيًّا^(١) رخيصًا ناضرًا^(٢)، ووفق ولاته لنصرة الحقِّ
وأتباعه، وإذلال الباطل وأتباعه، واهداهم لإعزاز العدل وسلوك الطَّريقِ
المستقيم.



(١) الرِّخَاءُ: سَعَةُ العَيْشِ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديّ (١٣٩/٣٨).

(٢) النَّضْرَةُ: النَّعْمَةُ والعَيْشُ والغِنَى والحسن والرَّوْنَقُ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديّ
(٢٣٦/١٤).



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ / ٢٠١٩م) رحمه الله

الخطبة المنبرية

القول السائد في خطبة الوالد الشيخ محمد نوري

اعتق به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي





الدُّعَاءُ بَعْدَ كُلِّ خُطْبَةٍ ثَانِيَةٌ

اللَّهُمَّ أَعْلِ مِنْارَ التَّوْحِيدِ وَشَرِيعَةَ الدِّينِ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمَشْرِكِينَ،
 وَانصُرْ جِيُوشَ الْمُؤَحِّدِينَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، وَاجْعَلْ وَلَايَتَنَا فِيْمْنِ
 خَافِكَ وَاتَّقَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا عَامرًا رَخِيًّا
 رَخِيصًا، وَاهِدِ اللَّهُمَّ أَمْرَاءَهُ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، ﴿رَبَّنَا ءَايُنَا
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٠١].
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ﴾ [التَّحَلُّ: ٩٠] ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنْكَبُوتُ: ٤٥]، ﴿وَاللَّهُ
 الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفُ: ١٨].
 (٩) مَحْرَمٌ (١٣٤٩هـ)^(١)



فِي الزَّكَاةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا وَاضِعَ لِمَنْ رَفَعَ، وَلَا رَافِعَ لِمَنْ وَضَعَ، وَلَا مَانِعَ
 لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ ذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ
 وَخَضَعَ، وَتَقَدَّسَ مِنْ مُحْسِنٍ كَرِيمٍ، مِنْهُ الْعَفْوُ يُرْتَجَى، وَفِي فَضْلِهِ الطَّمَعُ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

(١) أي: سنة (١٩٣٠م).



ورسوله، أكمل هادٍ، وأفضل مُتَّبِعٍ، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد
الَّذي أشادَ منارَ الإسلام ورفع، وعلى آله وصحبه أهل التَّقوى والورع.
أما بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقوا الله حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة
الوثقى، ولا تغرَّنكم الحياة الدُّنيا؛ فإنَّها متاعٌ قليلٌ يَفنى، ثمَّ إلى ربِّكم
المنقلب والرُّجعى.

أيُّها المسلم، إلى كم تتعب في جمع الحطام وتشقى، وتؤثر ما يَفنى
على ما يبقى؟! رحمة الفقير لا تخطر ببالك، وإن تصدَّقت فباليسير من
رديء مالك، أما سمعتَ يا مانع الماعون: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
مُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]؟! و«إنَّ الله قد افترضَ عليكم صدقةً في أموالكم
تُؤخذُ من أغنيائكم فتردُّ في فقرائكم»^(١)!

«فإذا كانت لك مئتا درهم، وحالَ عليها الحولُ، ففيها خمسةُ دراهمَ،
وليسَ عليك شيءٌ حتَّى يكونَ لك عشرونَ دينارًا، وحالَ عليها الحولُ
ففيها نصفُ دينارٍ، فما زادَ، فبحسابِ ذلك»^(٢)، و«من استفادَ مالًا فلا
زكاةَ عليه، حتَّى يحولَ عليه الحولُ»^(٣)، وكان ﷺ يأمر النَّاسَ أن يُخرجوا

(١) رواه البخاري، رقم: (١٣٩٥)، بلفظ: «إنَّ الله قد افترضَ عليهم صدقةً في
أموالهم تُؤخذُ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم».

(٢) رواه أبو داود، رقم (١٥٧٣)، بلفظ: «فإذا كانت لك مئتا درهم، وحالَ عليها
الحولُ، ففيها خمسةُ دراهمَ، وليسَ عليك شيءٌ - يعني في الذهب - حتَّى يكونَ
لك عشرونَ دينارًا، فإذا كان لك عشرونَ دينارًا، وحالَ عليها الحولُ ففيها نصفُ
دينارٍ، فما زادَ، فبحسابِ ذلك».

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٦٣).



الصَّدَقَةُ مِنَ الَّذِينَ يُعِدُّونَهُ لِلْبَيْعِ^(١).

وإيَّاكَ إيَّاكَ - أيُّها المسلم - أن تتهاون في أمر الزكاة؛ فإنَّها لازمة في الذمَّة، يطالبك الله عنها يوم لا دينار ولا درهم كما يطالبك على تفويت الصَّلَاة والصَّوْم والحجِّ، فإنَّ الزكاة ركن الإسلام، وعليها بناؤه.

قال ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، وإقام الصَّلَاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان»^(٢)، وقال ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة ولا يؤدِّي منها حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كُلَّمَا بردت أُعيدت له في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ حتَّى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار»^(٣)، إلى آخر الحديث.

فاتَّقوا الله عباد الله، ولا تبخلوا بمال الله على فقرائكم؛ فإنَّهم يطالبونكم بين يدي الله بحقوقهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، فمهَّدوا لأنفسكم في زمن الإمكان، وأحسنوا قبل أن تعجزوا عن الإحسان، فإنَّما الأعمار والأموال عوارٍ بيد الإنسان، ثمَّ منها تُسلبون، وعنهما تُسألون. نبهني.

أعوذ بالله: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا

(١) رواه أبو داود، رقم: (١٥٦٢)، بلفظ: «كان يأمرنا أن نخرج الصَّدَقَةَ مِنَ الَّذِي نُعِدُّ لِلْبَيْعِ».

(٢) رواه البخاري، رقم: (٨)، ومسلم، رقم: (١٦).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٩٨٧).

كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].
(٩) محرّم (١٣٤٩هـ) (١)



الثانية

الحمد لله الذي أسبل علينا جلايب نعمه وشآبيب (٢) كرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعزّنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هदानا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف به بين القلوب، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد الرؤوف الرحيم النبيّ الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، ورضي الله عن... إلخ.

خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً فقال: أيّها النّاس إيّاكم والعمل بالمعاصي وكفّر النعمة، فقلّمَا كَفَرَ قَوْمٌ بنعمته ولم ينزعوا إلى التّوبة إلّا سلبوا عزّهم وسلّط عليهم عدوهم. أيّها النّاس: إنّ الله قد أعزّ هذه الأمتة، وجمّع كلمتها وشرّفها، فاحمدوا الله على نعمه، واشكروه على آلائه (٣).

(١) أي: سنة (١٩٣٠م).

(٢) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، وجمعها شآبيب. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٤٧٩).

(٣) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (٤/١٥٤)، لعمر بن الخطاب بقوله: «خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال: الحمد لله الذي أعزّنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيّه صلى الله عليه وآله، فهدانا به من الضلالة، وجمّعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكّن لنا في البلاد، وجعلنا به إخواناً متحابين؛ =



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧].
اللَّهُمَّ.

(١٦) محرَّم (١٣٤٩هـ)^(١)



في تزكية النَّفس

الحمد لله الذي أوجدَ جميعَ الكائنات من عدم وأنشأها، وعَلِمَ جهرَ كلِّ نفس ونجواها، ورفع بقدرته سمك السَّماء فسوّاها، وبسط الأرض بحكمته ودحاها^(٢)، وأثبتها بالجبال وأرساها^(٣)، وأخرج منها ماءها ومرعاها.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله وحدهُ لا شريكَ له، جلَّ ربًّا وتعالى إلهًا، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ المبعوث بأشرفِ المِللِ وأزكاها، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمَّدٍ الذي ثبَّت قواعدَ الإسلام وشيَّد

= فاحمدوا الله على هذه النعمة، واسألوه المزيدَ فيها والشُّكرَ عليها، فإنَّ الله قد صدَّقكم الوعدَ بالتَّصر على من خالفكم؛ وإيَّاكم والعملَ بالمعاصي وكُفِّرَ النِّعمة، فقلِّمًا كَفَّرَ قومٌ بنعمةٍ ولم ينزعوا إلى التَّوبَةِ إلاَّ سَلَبُوا عزَّهم وسلَّطَ عليهم عدوُّهم. أيُّها النَّاس: إنَّ الله قد أعزَّ دعوةَ هذه الأُمَّة، وجمَعَ كلمتها، وأظهرَ فلاحها، ونصَّرَها، وشرَّفَها، فاحمدوه - عبادَ الله - على نِعَمِهِ، واشكروه على آلائِهِ؛ جعلنا الله وإيَّاكم من الشَّاكرين».

(١) أي: سنة (١٩٣٠م).

(٢) دحا الله الأرض: بسطها. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٣٨/٣٦).

(٣) رسا الجبل: إذا ثبت أصله في الأرض. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي (٣٨/١٥٣).



بناءها، وأزال ظلمة الشرك ومحاها، وعلى آله وصحبه خير الأمة وأتقاها.

أمّا بعدُ:

فيا أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ المعاصي تخرب الدِّيار العامرة وتُزيل نِعَمَها، وتُورث الخزيَّ والبوار^(١) في الدُّنيا والآخرة فاحذر سوء عقباها، ولا تغتروا بدار الغرور فقد آن - والله - فناؤها، وبادروا التَّوبة الصَّادقة قبل أن تؤخذ النفوس بطغواها، وزكُّوا النفوس بالأعمال الصَّالحة من دَرَنِ السَّيِّئَاتِ فقد أفلح والله من زكَّاهَا، وقد خَابَ من دنسها بالمعاصي ودسَّها^(٢)، أمّا والله لتحشرنَّ ليوم يُجمع فيه أولى الأمم وأخراها فينظر كلُّ منكم أيمن منه وأشأم منه أمامه فلا ترى نفسٌ إلَّا ما قدَّمت يداها، ولو كان لها يوم القيامة ملء الأرض ذهبًا ما نفعها ولا أجداها، وليوضعنَّ ميزان العدل الذي يطير بالخردلة^(٣)، وليوضعنَّ الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، فترون فيه الذرَّة والكلمة والخطرة والنظرة، ولتؤدَّن المظالم من الظلمة، ولتصيرنَّ إلى دار نعيم أبديٍّ يُنسي عناء الدُّنيا وشقاها، أو إلى دار عذاب سرمدٍ يُنسي نعيم الدُّنيا وحلاها.

فيا أيُّها المسلمون، اتَّقُوا اللهَ ولا تغتروا بدار الغرور وقد نهاكم ربُّكم عن الاغترار بها فترجعوا بخسران الدُّنيا والآخرة وسوء العقبى.

(١) البوار: الهلاك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠/٢٥٣).

(٢) دسَّها: جعلها خسيصةً قليلةً بالعمل الخبيث. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/٦).

(٣) الخردل: شيء ضئيل جدًا. انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، لأحمد مختار (١/٤٣٣).



عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتِلتَ أو حُرِّقتَ، ولا تُعقَّنَ والديك وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك، ولا تتركَنَّ صلاةً مكتوبةً مُتعمِّداً؛ فإنَّ من ترك صلاةً مكتوبةً متعمِّداً فقد برئت منه ذمَّةُ الله، ولا تشرب خمراً فإنه رأس كلِّ فاحشة، وإيَّاك والمعصية؛ فإنَّها تحلُّ سخطَ الله»^(١). نبهني إليه.

أعوذ بالله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

﴿آل عمران: ٣٠﴾

(١٦) مُحرَّم سنة (١٣٤٩هـ)^(٢)



الخطبة الثانية

الحمد لله الَّذي لا يجري في الملك والملكوت شيءٌ إلا بقضائه وقدرته، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [التحل: ٩٣] و﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن سادات ديننا.

خَطَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنَّ لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، إنَّ العبد

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢٠٧٥).

(٢) أي: سنة (١٩٣٠م).



المؤمن بين مخافتين؛ بين أجلٍ قد مَضَى لا يدري ما الله قاضٍ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله صانعٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دُنياه لآخرته، ومن الشَّيْبَةِ قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ وما بعد الدُّنيا من دارٍ إلاَّ الجَنَّةِ أو النَّارِ، أقول قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم^(١).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التَّحَلُّوْنَ: ٩٧].
اللَّهُمَّ.

(٢١) محرَّم سنة (١٣٤٩هـ)^(٢)



(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠٠٩٧)، بلفظ: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ لكم علمًا فانتهوا إلى علمكم، وإنَّ لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، فإنَّ المؤمن بين مخافتين؛ بين أجلٍ قد مَضَى لا يدري كيف صنَع اللهُ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري كيف صنَع اللهُ بَصَانِعٍ فيه، فليتزود المرء لنفسه، ومن دُنياه لآخرته، ومن الشَّبابِ قبل الهرَمِ، ومن الصُّحَّةِ قبل السَّقَمِ، فإنَّكم خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ والدُّنيا خُلِقَتْ لكم، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ وما بعد الدُّنيا دارٌ إلاَّ الجَنَّةُ والنَّارُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم».

(٢) أي: سنة (١٩٣٠م).



الأولى

في ذكر الماضي وذكر الموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بكمال الذات والصفات، المتقدس عن مشابهة المخلوقات، المتعالي في قدره وقهره وذاته فوق جميع الكائنات، أحمده وأشكر على سوابغ نعمه المتواترات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الأسماء والصفات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد السادات، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسوله وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرامات.

أمّا بعدُ:

أيها الناس، اتقوا الله وضمروا النفوس عن أثقال المعاصي لاقتحام العقبة الكؤود^(١)، واحذروا مظالم العباد قبل انتصاف الحاكم المعبود، وبادروا عدم الإمكان بانتهاز الفرص، وتحفظوا من تسطر الرقباء فإنهم عن الأيمان والشمائل عليكم شهور، قبل أن تشهد عليكم أليديكم وأرجلكم، وتيقظوا من سنة^(٢) غفلاتكم قبل رقدتكم الكبرى في ظلم اللُهود، وتفكروا فيمن سلف قبلكم من الأمم الخالية والجنود؛ أين الممالك وأربابها؟! أين الملوك وحجّابها؟! أين الوزارات وأصحابها؟!

(١) العقبة الكؤود: أي: الشاقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٣٧/٤).

(٢) السنة: شدة النوم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٥٥/٣٦).



أين المراتب العالية وطلّابها؟! جُمِعُوا في المقابر ورُدِمَت عليهم أبوابها، ألم يكونوا أقوى منكم استعدادًا، وأكثر أموالًا وأولادًا، فقصمتِ المنية عُرى أعمارهم، وهدمتِ المفيدَ من معاقلهم^(١) وديارهم، فأصبحوا أحاديث وعبرًا وصاروا بعد المعاينة والأخبار خبرًا؟! وأنتم واردون لِمَا وردوه، وشاربون من كأسٍ شربوه، فرحم الله امرأً اعتقَ نفسه من رِقِّ الآثام، وأطلقها بالتَّوبة من وثاق الإِجرام، والتمسَ لها مراض الأَخلاق، وألجمها بالتَّقوى عن سلوك سُبُل الهلاك، قبل أن يستبدل عن الحياة بالممات، ويسلك به المنون سبيلَ الهلاك، ويتخلَّى من جميع هذه اللذات. نَبَّهني.

أعوذ: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسَلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(٢) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزُّمَر: ٥٤-٥٥].

(٢١) محرَّم سنة (١٣٤٩هـ)^(٢)



الثانية

في بعضِ خصالِ أهلِ الإيمان

الحمد لله المنزّه بذاته عن إشارة الأوهام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدّس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام، وأشهد أن

(١) المعامل: الحصون. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١/٤٦٥).

(٢) أي: سنة (١٩٣٠م).



محمّداً عبده ورسوله المخصّص بعلوّ القدر وجليل المقام .
 اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِ دِينِنَا وَأُمَّتِنَا . . . إلخ
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن ورعاً تكن أعبداً
 للناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحبّ للناس ما تُحبُّ لنفسك تكن
 مؤمناً، وأحسن مجاورة من جارك تكن مسلماً وأقلّ الضحك فإن كثرة
 الضحك تُميت القلب»^(١).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
 سَلَامًا﴾ ^(٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].
 اللَّهُمَّ.

(١) صفر سنة (١٣٤٩هـ)^(٢)



ذكر الموت

الحمد لله الذي علا وقهر، وعزّ واقدر، لا إله إلا هو الحي القيوم،
 أحمدته على نعمه ما اختفى منها وما ظهر، وأشكره ولم يزل يولي إحسانه
 على من شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رغم أنف من
 جحد به وكفر، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله سيّد البشر، نبيّ أرسله الله
 إلى أقوام عبادتهم الأوثان والأصنام، ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا
 والآخرة فهداهم بهذا النبيّ الكريم إلى الصراط المستقيم، اللَّهُمَّ صَلِّ

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢١٧).

(٢) أي: سنة (١٩٣٠م).

وسلّم على عبدك ورسولك محمّد الذي قرّر قواعد الإسلام، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

أمّا بعدُ:

فيا أيّها النّاس، اتّقوا الله كما أمر، واتركوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واعلموا أنّ الحياة الدّنيا لعب ولهو، وأنّ الدّار الآخرة هي دار القرار، فاتّقوا الله عباد الله، واتّعضوا بما ترون وما تسمعون، فإنّ في ذلك أعظم معتبر، أمّا ترون كثرة الرّاحلين؟! أمّا أيقنتم أنّكم وراءهم على الأثر؟! أمّا سمعتم أخبار من مضى وغبر؟! ألم يحلّ بينهم وبين ما أمّلوه القضاء والقدر؟! دهمهم ريبّ المنون، وهم في غمرة ساهون، فاعملوا - رحمكم الله - لاخرتكم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أيّها النّاس، كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتِبَ، وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذين نُشِيعُ من الأموات سُفِرَ عمّا قليلٍ إلينا راجعون نُبوئهم أجدائهم ونأكل تراثهم، كأنّنا مُخلّدون بعدهم، نسينا كلّ واعظيّة، وأمنا كلّ جائحة، طوبى لمن شغله عيئه عن عيب غيره، وأنفق من مال كسبه من غير معصية، ورحم أهل الدّين والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن أدب نفسه وحسنت خليفته وصلحت سريره، طوبى لمن عمِلَ بعلم، وأنفق من فضل، وأمسك من قول، ووسعت السنّة فلم يُعدها إلى بدعة»^(١).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠٠٧٩)، بلفظ: «أيّها النّاس، كأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الموت على غيرنا كُتِبَ، وكأنّ الذي يشيع من =



نَبِّهْنِي اللَّهَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى ﴿٢٩﴾ [الرَّعد: ٢٨-٢٩].
(١) صفر سنة (١٣٤٩هـ) (١)



تحريم التشاؤم بصفر

الثانية

الحمد لله الذي ألبس من أطاعه أثواب القبول، وأنال من توكل عليه كل مأمول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك فتح باب له لقصاده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذ أوضح للناس طريق رشاده، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل العقول، ورضي الله .

أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله، وتوكلوا عليه ولا تبيعوا أهل البدع، وإياكم ومعاداة الأيام والشهور فإن كل شيء يأتي بقضاء وقدر، واحذروا

= الأموات سُفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، نَسِينَا كُلَّ مَوْعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ غُيُوبِ النَّاسِ، وَأَنْفَقَ مَالًا كَسَبَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَانِبَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَعْصِيَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَوَسَعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُعِدْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ» .

(١) أي: سنة (١٩٣٠م).



من ذمّ صفر، فإنّ رسول الله سمّاه صفر الخير، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة»^(١) ولا صفر ولا غول»^(٢)، ردّ به على من كان يعتقد أنّ صفر شهر نحس وضرر، و«كان النبي ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ»^(٣) «وهي الكلمة الصّالحة يسمّعها أحدكم ويكره الطّيرة»^(٤) والتّشاؤم»^(٥)، «فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٦).

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

﴿٦٥﴾ [النمل: ٦٥].

(٣٠) جمادى الثاني سنة (١٣٤٩هـ)^(٧)



(١) الهامة: طائرٌ من طير اللّيل صغير يألف المقابر، ويقال: هو الصّدى وقيل: البومة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣٠/٣٤).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٧)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٢).

(٣) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٥٣٦)، بلفظ: «كان النبي ﷺ يُعَجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطّيرَةَ».

(٤) الطّيرة: التّشاؤم بالشّيء وهو مصدر تطير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٥٢/٣).

(٥) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٥)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٣)، بلفظ: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصّالحة يسمّعها أحدكم».

(٦) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٩).

(٧) أي: سنة (١٩٣٠م).



الأولى

لباس التقوى

الحمد لله المبدئ المُعيد، الفَعَالِ لما يريد، ذي العرش المجيد،
والبطش الشَّدِيد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرَشِيد، والمسلك
السَّيِّد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو العزيز الحميد،
وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله أفضل العبيد، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على
عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ذوي الرَّأْيِ السَّيِّدِ.

أمَّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اجْتَبَى عَبْدَهُ، واختاره للإيمان، وجعل نوره
في قلبه فهداه لنوره وأحياه به، ثمَّ جعل للنُّور الَّذِي فِي قَلْبِهِ سِتْرًا من نور
لباسًا له، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]،
فالمؤمن في بهاء هذا السِّتْرِ يمشي على الأرض، والخلق ينظرون إليه بعين
الجلال والشَّرَف، فإذا همَّ بالمعصية وعزم على فعلها تجافى عنه السِّتْر،
فإذا عملها زال عنه وبقي عاريًا من ذلك النُّور والبهاء والجلال والشَّرَف،
فإن أصرَّ على المعصية لم يزد إلا ضعة وذنسًا واحتقارًا في عين
المخلوق وبعْدًا عن الخالق، فإذا ندم على فعله وتاب رجع إليه ذلك
السِّتْر وعاد له الجلال والبهاء.

فالتَّقِيُّ حَقًّا هو مَنْ أتعب نفسه لآخرته، وأراح النَّاسَ من نفسه؛ بَعْدَهُ
من النَّاسِ زهدٌ ونزاهةٌ لا تكبُّرٌ وعظمة، وقربه منهم لينٌ ورحمة لا مكر
وخديعة، فلا يخون أمانة، ولا يضرُّ جارًا، ولا يشمت بمصيبة، ولا

يدخل في باطل، ولا يخرج من حق، تلك صفات المتقين، تلك صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [٤٩] ﴿الأنبياء: ٤٩﴾ حفظوا ربهم فحفظهم، وأحبهم وألقى حبهم في قلوب عباده، فتراهم أجلاء عليهم الوقار والبهاء ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [١٢٨] ﴿التحل: ١٢٨﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يدعو به: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر»^(١).

فتجنبوا - رحمكم الله تعالى - المعاصي؛ إبقاءً لستر الله عليكم، ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [النور: ٣١] فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] الآية، ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَأُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، بارك الله. اللهم وفقنا لمصالحنا، وأقول: اعصمنا من شر ذنوبنا وقبائحنا ووفقنا للتوبة.

(٣٠) (جمادى الثاني) سنة (١٣٤٩هـ)^(٢)



(١) رواه مسلم، رقم: (٢٧٢٠).

(٢) أي: سنة (١٩٣٠م).



الثانية

من استكمل إيمانه

الحمد لله أحمده، وهو القديم فلا أول له، الأزلي فلا بداية له، المستمر الموجود فلا آخر له، الأبدى الثبوت فلا نهاية له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مانع لما وهب ولا معطي لما سلب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فضله على العجم والعرب، واختاره لإرشادهم وانتخب.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه الَّذِينَ استكملوا إيمانهم فسادوا على الخلق فعَلُوا على الرُّتب، والترضي. أيُّها المسلمون، إِنَّ «من صدق الله نجاً»^(١)، ومن أشفق على دينه سلم من الرَّدَى، وقد روي في الآثار الحِسان أن مَنْ كان فيه ثلاثُ خصالٍ فقد استكملَ الإيمانَ: مَنْ أمرَ بالمعروفِ وائتمَرَ، ونهى عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى^(٢)، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما أكثر ما يدخل النَّاسَ الجَنَّةَ؟ تقوى الله وحسن الخلق، أتدرون ما أكثر ما يدخل النَّاسَ النَّارَ؟ الأجوْفان: الفم والفرج»^(٣).

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٤٣٥٧٦).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٢٥/١).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٠٠٤)، بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن أكثر ما يدخل النَّاسَ الجَنَّةَ، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسُئِلَ عن أكثر ما يدخل النَّاسَ النَّارَ، فقال: «الفم والفرج»، وقال: حديث صحيح غريب.



وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠]،
الدُّعاء .

(٢٧) شعبان (١٣٤٩هـ) (١)



آخر شعبان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أوجد الخليقة من عدم، وقام بأرزاقهم وكفاهم،
وأبان لهم طريق الرُّشد، ومنَّ بفضله على من اصطفاهم، ولقربه وخدمته
ارتضاهم، فهم في مرضيه دائبون، وبطاعته يتباهون، وحكمَ بالطَّرد
والإبعاد على من سواهم فهم في ميادين الغفلات تائهون، وفي بحار
الشَّهوات غارقون.

نحمده ونشكره ونتوب إليه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ذو العظمة والجلال، والدَّوام والكمال، وأشهد أن محمَّدًا
عبده ورسوله أرسله إلى أُمَّةٍ اختارها فأرشدنا فبلغت بالإيمان أرفع مقام.
اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه
أبرِّ الأُمَّة السَّادة الأعلام.

أمَّا بعد:

أيُّها المسلمون، اتَّقوا الله، فقد دنت مواسم الطَّاعة، وراقبوه فقد

(١) أي: سنة (١٩٣١م).



قربت أوقات العبادة، يا من نشر بعد التفریط أثواب التخليط، يا من أطلق عنان نفسه في متابعة الهوى، وإن ذكره المذكر ولو بآية من القرآن تلاهى عنه، ولو كررها عليه ما انتهى عن فعله، أما أن لك أن تتيقظ من غفلتك وتنبه من رقدتك؟! هذه أوقات الفضائل أشرق نورها وسنا سناؤها، فهل من نفس استيقظت من سبتها وندمت على تفریطها؟! فيا طالب الخيرات، هذه أوقاتها أقبلت، ويا منتظرًا مواسم الأرباح، ها هي قد دنت واقتربت.

شهر رمضان قد دنت نفحات أوقاته، شهر الصيام جاء ليقيم سوق حسناته فاستقبلوه بتوبة صادقة تمحو عنكم سالف الأوزار، وأكثروا فيه من: لا إله إلا الله محمد رسول الله، واستغفروا فيه ربكم فإنه غفار، واسألوا الله الجنة واستعيذوا فيه من النار، فقد كان من دعائه ﷺ: «اللهم إنني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل»^(١)، واحفظوا أوقاته من التفریط والإضاعة وما يعود عليكم بالندم الخسار، فإن أوله رحمة للمحسنين، وأوسطه مغفرة للمذنبين، وآخره عتق لرقاب الموبقين من النار، فالفائز من حفظ أوقاته وقام باحترامه؛ لأن الله نوّه في كتابه بإعظامه فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والخاسر من ضياع أوقاته وأيامه، وصار شاهداً عليه يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده مرفوعاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شهر رمضان شهر الله فاحفظوا فيه أنفسكم»^(٢)، نبهني.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٨٤٦).

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٢٣٧٢٣).



الثانية

الحمد لله الذي أسبغ نعمه على عباده المؤمنين، ونور بتلاوة القرآن صدور العارفين، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نطقت بصدقها البراهين، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، أئمة الهدى والهدي والدين، ذوي القدر العلي والفخر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الستة البررة، ومن بايع تحت الشجرة، وعن الحسين والحسين، والعمين المحترمين، وعن بضعة^(١) الرسول؛ فاطمة الزهراء البتول، وأمهات المؤمنين، وعن بقية الصحابة والقراة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أنه روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين

(١) البضعة بالفتح: القطعة من اللحم، وقد تكسر؛ أي: أنها جزء مني. انظر: النهاية في الغريب والأثر، لابن الأثير (١/١٣٣).



فريضةً فيما سواه، وهو شهر الصَّبر، والصَّبر ثوابه الجنَّة، وشهرُ
المواساة، وشهرٌ يُزَادُ فيه رزق المؤمن، من فَطَّرَ فيه صائماً كان له مغفرةٌ
لذنوبه، وعتق رقبتَه من النَّار، وكان له مثلُ أجره من غير أن يُنْقَصَ من
أجره شيءٌ» قلنا: يا رسول الله، ليس كلُّنا يَجِدُ ما يُفَطِّرُ به الصَّائِمَ، قال
رسول الله ﷺ: «يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَى مَذْقَةٍ لَبَنٍ^(١)
أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرِبَةِ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً سَقَاهُ اللهُ مِنْ حَوْضِي شَرِبَةً لَا
يُضْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ
عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ
النَّارِ»^(٢).

(١١) رمضان



في فضل رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة؛ إذ جعل الصَّوم حصناً لأولياءه
وجنَّة، وفتح لهم أبواب الجنَّة، وعرفهم أن وسيلة الشَّيْطَانِ إلى قلوبهم
الشَّهَوَاتِ الْمُسْتَكْنَةِ^(٣)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنعم
على عباده بإتمام إحسانه، وجعل شهر رمضان مخصوصاً بعموم غفرانه،

(١) المذق: المزج والخلط. يقال: مذقت اللبن، فهو مذيق، إذا خلطته بالماء. انظر:

النهاية في الغريب والأثر، لابن الأثير (٤/٣١١).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٣٣٦).

(٣) استكنَّ الشيء: استتر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦٧/٣٦).



وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الذي هجر في الطّاعة منامه، حتّى بلغ منها مرامه، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ذوي الفضل المبين .

أمّا بعدُ:

فيا أيّها الغافل، هذا شهر النُّور وأنت سائر في الظُّلمات، هذا شهر الإقلاع عن الذُّنوب وأنت تزيد في الخطيئات!

كيف يصومُ من يأكلُ بالغيبة لحومَ الإخوان؟! كيف يُصليّ من قلبه في مكان وجسمه في مكان؟! أم كيف يرجو العطاء والنَّيل من يصوم النَّهار ويفسق بالليل؟! أم كيف حال من يمتنع نهاره من الشُّراب والطَّعام وإفطاره على تناول الحرام؟! فمثل هذا مطرود، وباب الرِّحمة في وجهه موصود^(١)؛ لما رُوِيَ في الحديث عن سيّد البشر أنّه قال: «كلُّ لحمٍ نبتَ من حرامٍ فالنَّار أولى به»^(٢)، وقاله: «والَّذي نفسي بيده، إنّ العبد لتقذف اللُّقمة الحرام في جوفه ما يُتقبَّل منه عمَل أربعين يوماً»^(٣).

أيُّها النَّاس، ما صام - والله - من لم يتطهَّر من الأدناس، ولم يمنع يده ولسانه عن ظلم النَّاس، فاتَّقوا الله العالم بما بطن وظهر، واستمعوا قول سيّد البشر: «رُبَّ صائمٍ حُظَّه من قيامه وصيامه الجوع والسَّهر»^(٤)،

(١) أوصد الباب وأصدّه: أغلقه فهو موصدٌ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/٤٦٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٥٣٧٦)، بلفظ: «أيُّما لحمٍ نبتَ من حرامٍ فالنَّار أولى به».

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٦٤٩٥)، بلفظ: «والَّذي نفسُ محمّدٍ بيده، إنّ العبد ليقذف اللُّقمة الحرام في جوفه ما يُتقبَّل منه عمَل أربعين يوماً».

(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (١٦٩٠)، بلفظ: «رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع»، =



فالشَّقِيُّ من أبصر الحقَّ فأرخى الحجاب، والسَّعيد من سمع النداء وأجاب، واستغفر الله من ذنبه وتاب.

اعلم أنَّ رمضان شهرٌ سَعِدَ مَنْ اتَّقَى الله فيه ونجا، ونال مأمولَ الغفران مَنْ رجا، فصَحَّح - رحمك الله - فيه الفروض والنوافل، واحترس من منباعة الهوى فإنَّه السُّمُّ القاتل، وعليك فيه بتلاوة القرآن، كتاب ربِّك الرَّحْمَن، اقرأه بتفكُّر وتدبُّر واعتبار وإمعان، فإنَّه حبل الله المتين ودينه القويم، من اعتصم به هُديَ إلى صراط مستقيم، فاعملوا بمحكّماته، وآمنوا بمتشابهاته، واعتبروا بأمثاله، وقفوا عند حرامه وحلاله، ورتّلوه ترتيلاً، واجعلوا لبيوتكم حظاً من قراءته بكرةً وأصيلاً.

روى البخاريُّ ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا حَسَدَ إِلَّا في اثنتين؛ رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(١).

وروى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اقرأوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه»^(٢).

فيا أيُّها المسلمون، أقلعوا عن الذُّنوب، وارجعوا إلى ربِّكم كي تظفروا بالمطلوب، وقولوا: اللَّهُمَّ طهِّرنا من الذُّنوب والأوزار، وتب علينا يا غَفَّار، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨].

= ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إِلَّا السَّهْرُ.

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٥٢٩)، ومسلم، رقم: (٨١٥)، بلفظ: «لا حَسَدَ إِلَّا في اثنتين؛ رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

(٢) رواه مسلم، رقم: (٨٠٤).



روى الطبراني في «الأوسط» عن ؟؟؟؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا رمضان قد جاء، تُفْتَحُ فيه أبواب الجنة وتُغْلَقُ فيه أبواب النار وتُغْلَى فيه الشياطين، بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، إذا لم يُغفر له فمتى؟»^(١).

أعوذ به: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِرْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [التيساء: ١١٠].
(١١) رمضان (١٣٤٩هـ)^(٢)



الثانية

الحمد لله اللطيف المنان، الكبير الديان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القويُّ السلطان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، ورضي الله.
أمَّا بعد:

فإنَّ الصَّوم ربع الإيمان؛ بمقتضى قوله ﷺ: «الصَّوم نصف الصَّبر»^(٣)، و«الصَّبر نصف الإيمان»^(٤)، ثمَّ هو متميِّز عن سائر العبادات

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٧٦٢٧)، بلفظ: «هذا رمضان قد جاء، تُفْتَحُ فيه أبواب الجنة وتُغْلَقُ فيه أبواب النار وتُغْلَى فيه الشياطين، بعداً لمن أدرك رمضان ولم يغفر له، إذا لم يُغفر له فيه فمتى؟».

(٢) أي: سنة (١٩٣١م).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٥١٩)، وقال: حديث حسن.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٧).



بنسبته إلى الله ﷻ؛ حيث يقول: «كلُّ عمل بن آدم له إلا الصّوم؛ فإنّه لي وأنا أجزي»^(١)، ثمّ إنّ الصّائم موعود بلقاء الله ﷻ في جزاء صومه، وإنّه في عبادة في كلّ حالاته، قال رسول الله ﷺ: «للصّائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه»^(٢)، وإنّ «نوم الصّائم عبادة»^(٣).

الآية: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

• [السّجدة: ١٧]



في الصلّاة لوقتها

الحمد لله الذي خلق عباده ليعبدوه، وبعث إليهم رسله ليطيعوه، لا حاجة منه إلى عبادتهم، ولا افتقار فيه إلى طاعتهم، بل لينفعهم بعبادته في الآخرة بالجنّات، ويقيهم بطاعته السيّئات، لينتظم معاشهم في هذه الحياة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من أطاعه أطاعه كلّ شيء، ومن عصاه مقته كلّ ميّت وحيّ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله أوصانا بالمحافظة على الصلّاة، وحذرنّا من الغفلات المهلكات، صلّى الله عليه وسلّم، ومجّد وعظّم، وعلى آله وصحبه إلى يوم الحشر الأعظم.
أمّا بعد:

أيّها النّاس، اتّقوا ربّكم فإنّ تقواه نعم الذّخر لمن وعى، وخير سعي

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٩٢٧)، ومسلم، رقم: (١١٥١)، بلفظ: «كلُّ عمل بن آدم له إلا الصّوم؛ فإنّه لي وأنا أجزي به».

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٩٠٤)، ومسلم، رقم: (١١٥١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٦٥٢).



لمن سعى، واعلموا أن أفضل ما خلف فيكم نبيكم محمد ﷺ «الصلاة لوقتها»^(١)، وحصّكم على الإحسان في إقامتها، «فإن من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين»^(٢)، ألا وإن «صلاتها بالجماعة تعدل صلاة المنفرد بخمس وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخرجُه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رُفعت له بها درجة، وخط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث، تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه»^(٣)، «ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة»^(٤)، واعلموا - رحمكم الله تعالى - أن «الصلوات الخمس عهد بين الله وبين عبده، من أحسن وضوءهن وصلأهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»^(٥).

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٥٣٤)، ومسلم، رقم: (٨٥).

(٢) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (١٦٢١)، بلفظ: «فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين».

(٣) رواه البخاري، رقم: (٤٧٧)، ومسلم، رقم: (٦٤٩)، بلفظ: «صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد، لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وخط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحسبه، وتصلي - يعني عليه الملائكة - ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه».

(٤) رواه البخاري، رقم: (٦٤٧)، بلفظ: «ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة».

(٥) رواه أبو داود، رقم: (٤٢٥)، بلفظ: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى من أحسن وضوءهن وصلأهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد =



قال الله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فاعتنموا حياتكم بالمحافظة على هذه الصَّلوات، ومُرُوا بها أولادكم وأهليكم، فإنها خير أعمالكم وأوّل ما تسألون عنها^(١)، «ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع»^(٢)، قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصَّلَاة إذا بلغوا سبعًا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا»^(٣). نَبَّهني.

ومعنى القنوت: الخشوع، ومن شروط إكمال الصَّلَاة: إقامة الصُّفوف في الجمعة والجماعة، وتسويتها، والترصُّص فيها، فإنه قد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أمر بسدِّ الخلل وتسوية الصُّفوف وإكمالها^(٤)، وقال: «لا يزال أقوامٌ يتأخَّرون عن الصَّفِّ الأوّل حتّى يؤخِّرهم الله تعالى في النَّار»^(٥)، فاحذروا أيُّها الإخوان أن تكونوا فيهم.

الآية: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].



= أن يَغْفِرَ له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهدٌ، إن شاء غَفَرَ له وإن شاء عَذَّبَه». (١) رواه النسائي في السنن الكبرى، رقم: (٣٤٣٩)، بلفظ: «أوّل ما يُحاسبُ به العبدُ الصَّلَاة». الصَّلَاة».

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (٢٠٩٦).

(٣) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٥)، بلفظ: «مروا أولادكم بالصَّلَاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرِّقوا بينهم في المضاجع».

(٤) رواه أبو داود، رقم: (٦٦٦)، بلفظ: «أقيموا الصُّفوف وحاذوا بين المناكب وسدُّوا الخلل».

(٥) رواه أبو داود، رقم: (٦٧٩)، بلفظ: «لا يزال قومٌ يتأخَّرون عن الصَّفِّ الأوّل حتّى يؤخِّرهم الله تعالى في النَّار».

الثانية

الحمد لله المحمود بكل لسان، الموجود علمه في كل مكان، الذي لا يجري عليه زمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليّ التوكل وبه المستعان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الخلق من إنس وجان، اللهم صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان، ورضي.
أمّا بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى، فإنه قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك موثيقكم، وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحووا بكتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون.

«ثمّ اعلموا عباد الله أنّكم تغدون وتروحون في أجل قد غيّب عنكم علمه، فالنجاة النجاة، فإن من ورائكم طالباً حثيثاً^(١) أمره سريعاً سيره»^(٢).

(١) الحثيث: الحادّ السريّع في أمره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/٢٠٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠١٠٩) عن أبي بكر الصديق، بلفظ: «اعلموا عباد الله أنّكم تغدون وتروحون في أمل قد غيّب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا تنقضوا آجالكم إلا وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله عز وجل، فسارعوا في مهل إياكم قبل أن تنقضوا آجالكم فتردّكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا ثمّ النجاة النجاة، فإن من ورائكم طالباً حثيثاً مره سريع، يعني الموت».



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].
اللَّهُمَّ.



في الزكاة

الحمدُ لله الذي أسعد وأشقى، وأمات وأحيا، وأضحك وأبكى، وأوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرّد بوصف الغنى، ثم خصّ بعض عبادَه بالحسنى، فأفاض عليهم من النعم والوجدان، وقَيِّضَ^(١) على مَنْ شاء رزقه فأوقعه في الحرمان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه إلى يوم البعث والنشور.

أمّا بعدُ:

عباد الله، اتّقوا الله، واعلموا أن ربّكم جلّ وعلا قد جعل الزكاة لهذا الدين أساساً ومبني، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَفَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٥-١١]، ثمّ اعلموا أن الله تعالى جعل الزكاة أحد أركان الإسلام، وأردف بذكرها الصلوة التي هي أعلى الأعلام، فقال تعالى: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال

(١) قَيِّضَ اللهُ له قريناً: هبّاهُ وسبّبه من حيث لا يحتسبه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/١٩).

ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ، وعدَّ منها إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة»^(١)، وقد شدَّد الوعيد على المقصِّرين والمانعين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ومعنى الإنفاق في سبيل الله هنا: إخراج الزكاة، وليحرص أحدكم على إخفاء صدقته، وليحذر من إبطالها بالمن والأذى، ولينفق من ماله أجوده وأحبه إليه، فإنَّ الله يقول: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وليطلب بصدقته من تزكو به الصدقة؛ فقد ورد في الحديث عن نبيكم ﷺ: «أطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين»^(٢)، وقال أيضاً: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتَّمرتان، واللُّقمة واللُّقمتان، إنّما المسكين المتعفف»^(٣).

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].



(١) سبق تخريجه، بلفظ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

(٢) رواه أحمد، رقم: (١١٥٢٦).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٤٥٣٩)، ومسلم، رقم: (١٠٣٩)، بلفظ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتَّمرتان، ولا اللُّقمة ولا اللُّقمتان، إنّما المسكين الذي يتعفف».



الثانية

الحمد لله العالم بجميع الموجودات، المحيط علمه بكلّ المخلوقات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو بكلّ شيءٍ عليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي العربي الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع سبيلهم القويم.

أمّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، «من كان يحبُّ أن يعلم منزلته عند الله تعالى فليُنظر كيف منزلة الله تعالى عنده، فإنَّ الله ﷻ ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه»^(١).
ألا وإنَّ لكلِّ منكم أجلٌ قد غاب عنه علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأن تتمَّ في عمل الله ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فاتَّقوا في مهلِ بأعمالكم وأصلحوها بتطهير سرائركم قبل أن تنقضي أيَّامكم فتردُّكم إلى سوء العاقبة^(٢).

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦].



(١) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، رقم: (١٨٢٠).

(٢) سبق تخرجه.

في محبة النبي ﷺ

الحمد لله إله الأولين والآخرين، قِيوم السموات والأرضين، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي إذا أُطيع شكر، وإذا عصي تاب وغفر، وإذا دُعِيَ أجاب، وإذا عُوْمِلَ أثاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله على فترة من الرُّسل، فهُدِيَ به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي سُدَّتْ دون جنَّته الطرق فلم تُفْتَحْ إلا من طريقه، وجُعِلت الذَّلَّة والصَّغار على من خالف أمره، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، واعلموا أنَّ اللهَ فرضَ عليكم طاعةَ نبيِّكم محمدٍ ﷺ، والانقيادَ لما أمر، والاجتنابَ عمَّا نهى، وأوجبَ عليكم محبَّته بكلِّ قلوبكم، فقال ﷺ: «والَّذي نفسُ محمدٍ بيده لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه التي بين جنبيه»^(١)، وهو أهلٌ لذلك؛ فإنَّ اللهَ قد فتحَ به أعينًا عميًّا، وفتحَ بشريعته آذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا^(٢)، وقال عزَّ من قائل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [التَّيْسَاءُ: ٨٠].

ثمَّ أمرنا بالصَّلَاةَ والسَّلَامَ عليه فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فيا أيُّها المؤمنون، أكثرُوا من الصَّلَاةِ والسَّلَامِ عليه ﷺ خصوصًا في ليلة الجمعة ويومها، فقد رُوِيَ عنه ﷺ أنه

(١) رواه أحمد، رقم: (١٨٠٤٧)، بلفظ: «والَّذي نفسُ محمدٍ بيده لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه».

(٢) قلوبًا غُلْفًا: مُعْشَاةٌ مُعْظَاةٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٤/٢٢٥).



قال: «أكثرُوا الصَّلَاةَ على نبيِّكم في اللَّيْلَةِ الغرَّاءِ واليومِ الأزهَرِ؛ ليلةَ الجمعةِ ويومَ الجمعةِ»^(١)، وقال ﷺ: «أكثرُوا الصَّلَاةَ عليَّ يومَ الجمعةِ؛ فإنَّه مشهودٌ»^(٢)، وقال ﷺ: «فإنَّ «أولى النَّاسِ به يومَ القيامةِ وأقربهم منه منزلًا في الجَنَّةِ أكثرهم عليه صلاةً»^(٣)، و«من صَلَّى عليه صلاةً واحدةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشرَ صلواتٍ»^(٤)، «وحُطَّتْ عنه بها عشرُ خطيئاتٍ ورُفِعَتْ له بها عشرَ درجاتٍ»^(٥).

عن أبي بن كعبٍ رضي الله عنه قال: «قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُكثِرُ الصَّلَاةَ عليك فكم أجعلُ لك من صلاةٍ؟ فقال: «ما شئتَ»، قلتُ: الرُّبْعُ؟ قال: «ما شئتَ فإنَّ زدتَ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: النِّصْفُ؟ قال: «ما شئتَ فإنَّ زدتَ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: فالثُّلثينِ؟ قال: «ما شئتَ فإنَّ زدتَ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: أَجْعَلُ لك صلاتي كلِّها؟ قال: «إِذْنُ؛ يَكْفِي هَمَّكَ وَيَكْفِرُ لك ذَنْبُكَ»^(٦).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٢٧٧٢).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (١٦٣٧).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٤٨٤)، بلفظ: «أولى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أكثرهم عليَّ صلاةً»، وقال: حديث حسن غريب.

(٤) رواه مسلم، رقم: (٤٠٨)، بلفظ: «من صَلَّى عليَّ واحدةً صَلَّى اللهُ عليه عشرًا».

(٥) رواه النسائي، رقم: (١٢٢٠)، بلفظ: «من صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عشرَ صلواتٍ وحُطَّتْ عنه عشرُ خطيئاتٍ ورُفِعَتْ له عشرَ درجاتٍ».

(٦) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٥٧)، بلفظ: «قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُكثِرُ الصَّلَاةَ عليك فكم أجعلُ لك من صلاةٍ؟ فقال: «ما شئتَ»، قلتُ: الرُّبْعُ؟ قال: «ما شئتَ فإنَّ زدتَ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: فالثُّلثينِ؟ قال: «ما شئتَ فإنَّ زدتَ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: أَجْعَلُ لك صلاتي كلِّها؟ قال: «إِذْنُ؛ تَكْفِي هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لك ذَنْبُكَ»، قال: حديث حسن.

الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].
بارك الله .



الثانية

الحمد لله الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا غنى إلا في الافتقار إلى
رحمته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي افترض على العباد طاعته
وتوقيره ومحبته، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع
شريعته، ورضي الله عن سادات .
أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، واسعوا في مرضاته، وأكثرُوا من
ذكرِ اللَّهِ، فقد أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيُّها النَّاسُ إنَّ لله سرايا من الملائكة تحلُّ وتقف
على مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكرِ اللَّهِ في الأرض ألا فارتعوا
في رياض الجنَّة»، قالوا: وأين رياض الجنَّة يا رسول الله؟ قال:
«مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكرِ اللَّهِ واذكروه أنفسكم»^(١)، ولقد
قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «سبق المُفَرِّدون»^(٢)، وهم الذَّاكرون الله كثيراً،
يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً .

(١) رواه الحاكم في المستدرک، رقم: (١٨٢٠).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٧٦).



الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا

﴿٤١﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

اللَّهُمَّ.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله وسعت رحمته جميع مخلوقاته فاجراً وبراً، وشملت نعمته عبداً وحرّاً، وحمل عباده برّاً وبحراً، وأوسع عليهم أرزاقهم فضلاً منه وبرّاً، أخرج لهم من البرّ قوتاً ومن البحر دُرّاً، فعاشوا بنعمته دهرّاً، فمنهم من صرف نعمة ربّه في طاعته شكراً، ومنهم من صرفها في المعصية واستبدل بالشُّكر كفرّاً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له تقدّس ربّاً وتعالى إلهّاً، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله فضّله على خلقه رفعة وجاهّاً، اللَّهُمَّ صلِّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدّين.

أمّا بعدُ:

يا عباد الله، اتّقوا ربّكم وعظّموه فإنّ تعظيمه من ثمرات الإيمان، ومن عظّمه واستشعر خوفه امتثل أوامره وتجنّب عن العصيان، ومن ظلّ عن الصّراط المستقيم وارتكب الفجور والذنوب صار من حزب الشّيطان، ثمّ اعلّموا أنّ الله معكم أين ما كنتم، يعلم سرّكم وجهركم، وهو الذي تدعون في ضرّكم إذا مسّكم، وهو الذي أعطاكم وأرضاكم، ولمعرفته وعبادته هداكم، ولو شاء لم يفعل ما فعل، لا هادي لمن أضلّ ولا مُضِلّ لمن هدى، فاتّقوه في البرّ والبحر، وأطيعوه في المنشط والمكروه والعسر

واليسر، ولا تجعلوا نعمته عليكم وسيلة لمعصيته، فإن كفر النعمة توجب الحرمان.

مُرُوا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، ولا تسكثوا عليه فإن السكأت شريكٌ للفاعل، إلا أن تخاف الضرر على نفسك أو مالك، واعلموا أن هذا الدين ما قام إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يستقيم إلا بهما، وإن رحمة الله وعزّه وحمايته ورضاه فيهما، وإن غضبه وعقابه وإذلاله بتركهما، وما رفع الله أمة محمد وأعرّها على الأمم إلا بهما؛ لذلك قال ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولقد ذمّ قوماً بتركهم هذا الركن الركين بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، رواه أبو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرّون على أن يغيّروا عليه ولا يغيّرون، إلا أصابهم الله بعقابٍ منه قبل أن يموتوا»^(١).

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].



(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٣٣٩)، وابن ماجه، رقم: (٤٠٠٩)، بلفظ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرّون على أن يغيّروا عليه فلا يغيّروا، إلا أصابهم الله بعذابٍ من قبل أن يموتوا».



الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
الفعال لما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير الشهيد،
اللهم صل على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة العدل
والتوحيد.

أما بعد:

أيها الناس، قد مضى زمان على دين الإسلام وهو أقوى من جميع
الأديان، وملكه وسطوته عامة مستولية على كل مكان، وما ذلك إلا
لتمسك أهله بشرائعه واعتناقهم لأعماله؛ نوافله وفرائضه، أما وقد خوت
القلوب من احترامه، ولم يعمل أهله بكتابه، كان ما كان وقد سبقت سنة
الله أن من يغير دينه يعزّه الله ومن يذله يذله الله كان ما خفناه يكون، فإننا
الله وإنا إليه راجعون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].



في الإقبال على القرآن

الحمد لله رب العالمين المنعم الوهاب الولي الحميد، والحمد لله
بجميع محامده وكما ينبغي له من التّحميد والتّمجيد، والحمد لله الذي أمر
بشكره ووعد عليه المزيد، والحمد لله الذي أنعم علينا بنبينا محمد ﷺ،
وأنزل عليه القرآن المجيد، أحمده على نعمه الوافرة، وأشكره على منحه



المتواترة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبى الرحمة وكاشف الغمة، اللهم صل
وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ذوي الرأي السديد.
أما بعد:

أيها الناس، إن ربكم تبارك وتعالى قد أرسل لكم رسولا هو خير
الرسل، فاشكروه أن جعلكم من أمته التي هي خير الأمم، وأنزل عليه
خير الكتب وأفضلها، وهو القرآن؛ ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا عَائِيَتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وهم أهل العقول.

أمركم فيه بما يحبه ويرضاه؛ وهو ما ينفعكم، ونهاكم عما يكرهه
ويقلاه^(١)؛ وهو ما يضركم، فداوموا على قراءته، وتدبروا آياته، واهتدوا
بهديه، ففيه الشفاء من أسقام القلوب، به شرح الحق الذي أمركم فيه
بالتواصي، وبيّن الباطل الذي نهاكم عنه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذا مآدبة الله فاقبلوا مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن
حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة
لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا
يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر
حسان^(٢)»، فتدبروا ما فيه، ولا تغفلوا عن معانيه؛ فإن الله وبخ قوما لم

(١) فلا زيدا قلا: أبغضه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٣٩/٣٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، رقم: (٢٠٤٠)، بلفظ: «إن هذا القرآن مآدبة الله
فاقبلوا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء
النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج
فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على
تلاوته بكل حرف عشر حسان».



يتدبروه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ [محمد: ٢٤-٢٥].

في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصَدُّ كَمَا يَصْدُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ»، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: «كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن»^(١).

الآية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء: ٩-١٠].



الثانية

الحمد لله المرید لأفعاله، فلا موجود إلا وهو مستند لمشيئته، وصادر عن إرادته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اللطيف الخبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السراج المنير، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع طريقه المنير.
أمَّا بعدُ:

أيُّها النَّاسُ، روي عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه أنه خطب النَّاسَ ذات يوم، فقال: أمَّا بعد: فإنَّ الدُّنيا قد أذنت بوداع، وإنَّ الآخرة قد أقبلت وأشرقَت باطِّلاع، وإنَّ المضمَار اليوم

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٨٥٩).



والسِّبَاقُ غَدًا^(١)، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ عَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ أَخْلَصَ فِي أَيَّامِ أَجَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَمَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضُرَّهُ أَمَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا لِلَّهِ فِي الرَّغْبَةِ، كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ فِي الرَّهْبَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَمْ أَرَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(٢) وَدُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ^(٣).

الآية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ

﴿٤٦﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦].



فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الزُّنَا

الحمد لله المبدئ والمعيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد، ومن أظله فهو الطريد، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووقَّفه فهو الرشيد، ومن أساء وتعرَّض لسخطه فاليعلم أنَّ ربَّه ذو البطش الشديد، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله المبعوث لمحاربة الرذائل، وإحياء الفضائل، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين وردوا من علمه فكانوا من أهل المزيد.

(١) أراد أن اليوم العمل في الدنيا للاستباق إلى الجنة، كالفرس يُضَمَّرُ قَبْلَ أَنْ يُسَابِقَ عَلَيْهِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٠٣/١٢).

(٢) ظَعَنَ: ذهبَ وسارَ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٧٠/١٣)، ويقصد في سياق الخطبة: الرَّحِيلَ عَنِ الدُّنْيَا.

(٣) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٤٤٢٢٥).



أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ الْعَظِيمَ، واحذروا عذابه الأليم، ولا تتعرضوا لسخط ربكم؛ فَإِنَّ مِنْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ رَبِّهِ أَلْقَاهُ فِي عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَعَ لَكُمْ النِّكَاحَ الطَّهْرَةَ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الزَّانَا وَالْفَجُورَ وَشَدَّدَ فِيهِ النَّكَالَ^(١)، ولقد قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢)، أخبرنا عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ الزَّانِي وَالْأَيْمَانَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَالْأَيْمَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَحْلَهُ فِي صَدْرِ زَانٍ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ زَنَى وَهُوَ ثَيِّبٌ فَقَدْ حَلَّ دَمَهُ»^(٣)، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ «الزَّانَا يُورِثُ الْفَقْرَ»^(٤)، «وَإِذَا ظَهَرَ الزَّانَا وَالرَّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»^(٥).

وقد ظهر فيكم من أسباب الزنا الداء العياء الذي لم يكن في آبائكم [وهي أمراض متنوعة منها الداء الإفرنجي المعروف بالقرحة والداء الزهري وداء السيلان، وقد أجمعت الأطباء أنها متكوّنة من نجاسة الزنى، وعاقبة أثره، فمن أصيب بها فعلاجه شديد، وإنها أدواء نجسة معدية مستقدرة عاقبتها الفقر والموت، وإن سلم فلا بدّ وأن ينال خللاً في صوته أو صحته] وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿طه: ١٢٧﴾، لا وإن.

(١) النكال: العقوبة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٣٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٨١٠)، ومسلم: (٥٧).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٦٨٧٨)، ومسلم، رقم: (١٦٧٦)، بلفظ: «لا يجلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزَّانِي، والمارق من الدِّين التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ».

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٥٠٣٤).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک، رقم: (٢٢٦١).

وربما عجل الله سبحانه وتعالى للزاني العقوبة في الدنيا، ولذا قال رسول الله ﷺ: «من زنى زني به ولو بحيطان داره»^(١)، فمن خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله، وقال ﷺ: «البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، وكما تدين تدان»^(٢) [٣].

وهو المرض الإفرنجي، والداء الزهري الذي أجمع الأطباء أنه متكوّن من نجاسة الزنا، فمن أصيب به فعلاجه شديد وهوداء معدوم ولا بدّ، وقد تحصّل العدوى من لمس فم سليم لفم مصاب، وقد يكون موروثاً من أحد الأبوين، وقد يكون من المرضعة لمرضها، وإن أزمّن هذا الداء نشأ عنه سقوط الأنف، وثقب سقف الحنك، وتشوّه الوجه تشويهاً يستقذره الناس، بل يصير المريض يستقذر نفسه، وإن دامت الأعراض ينحف نحافةً مفرطة، ثمّ يعتره إسهالٌ ينتهي بالموت على أشنع حالةٍ وأشقاها **﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾** [طه: ١٢٧].

ألا إن صاحب هذا الداء كالبعير الأجرّب؛ من خالطه لوثه وأعداه، فهذا الزاني اللئيم جنى على نفسه بهلاكها، وجنى على أهله وذريته، وجنى على من يخالطه، وذبح نفسه باختياره من أجل لذة قصيرة وشهوة حيوانية بلغت به أن سلّبتة نعمة الصّحة التي هي من أعظم النعم، وجلبت عليه نقمة من أفظع النقم، وعذاب الله له بالمرصاد.

الآية: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** [الفرقان: ٦٨].



(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (١٢٩٩٨).

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٤٣٧٢٤)، بلفظ: «البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان».

(٣) لعل ما بين معقوفتين أراد الكاتب حذفه وعدّل عليه في فقرة لاحقة.



الثانية

الحمد لله أحمده وأعترف له بالتقصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المقدّس عن الشّبّه والنّظير، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله السّراج المنير، اللّهم صلّ عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم البعث والنّشور.

أمّا بعدُ:

فإنّ الله سبحانه وتعالى سلّط على الخلق شهوةً اضطرّتهم إلى الحرّاة، وخلق لهم من أنفسهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعل بينهم مودةً ورحمةً؛ ليعمر هذا الكون، وليحفظ النّسل من الضّياع، وقد قضت سنّة الله تعالى في خلقه بالنّكاح، فمن رغب عنه إلى السّفاح^(١)، فقد خالف أمر الله وسنّة نبيّه وأحلّ بنفسه عذاب الله، فاتّقوا ربّكم، وعليكم بسنّة نبيّكم، قال رسول الله ﷺ: «النّكاح من سنّتي، ومن رغب عن سنّتي فليس منّي»^(٢).

الآية: ﴿وَمَنْ ءَايْتَهُۥٓ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرّوم: ٢١].



في النّظافة الشّرعيّة

الحمد لله الذي تلّظف بعباده فتعبّدهم بالنّظافة، وأفاض على قلوبهم -

(١) السّفاح: الزّنا. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٧٦/٦).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (١٨٤٦).



تزكية لسرائرهم - أنواره وألطافه، وأعدّ تطهيراً لبواطنهم الأيمان ولظواهرهم الماء المخصوص باللطافة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك المعبود في كل مكان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الموصوف بالبر والإحسان، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أمّا بعدُ:

فيا عباد الله، اتقوا الله، واعلموا أن الطهارة من شعب الأيمان، وقد قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الأيمان»^(١)، وقال أيضاً: «بني الإسلام على النظافة»^(٢)، وقد مدح الله تعالى أهل مسجد قباء فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ثمّ اعلموا أن الطهارة أقسام؛ أعلاها تطهير السرائر، يليها تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة، يليها تطهير الجوارح عن ارتكاب الجرائم وفعل الآثام، وأدناها تطهير الأعضاء عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات.

ومن جهل سيرة السلف الصالح توجه إلى تنظيف الظاهر، وأسرف المياه الكثيرة ظناً منه - بحكم الوسوسة - أن الطهارة المطلوبة هي هذه، وغفل وإن سيرة الأولين جمع الهمة والفكر في تطهير القلب عن الغل والحسد والحقد والخيانة وأمثالها من الصفات المذمومة، وأن الوضوء بمُدٍّ - وهو ربع الصّاع - والغسل بصاع من الماء، مع ذلك والإسباغ، وقد «توضأ رسول الله فغسل أعضاءه مرّةً مرّةً، ومرّتين مرّتين،

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٢٣).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٧٩٩)، بلفظ: «إن الله طيبٌ يحبُّ الطيب، نظيفٌ يحبُّ النظافة»، وقال: حديث غريب.



وثلاثاً ثلاثاً»^(١)، وقال: «فمن زاد على هذا فقد ظلم وأساء»^(٢).
وقد اغتسل هو وزوجته عائشة من إناء واحد يغتر فان منه جميعاً^(٣)،
وكان ﷺ يقول: «على كلِّ رجلٍ مُسلمٍ»^(٤) في كلِّ سبعة أيَّام غسل يوم وهو
يوم الجمعة^(٥).

الآية: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].



الثَّانِيَّة

الحمد لله الوليِّ الحميد، الفَعَّال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، المبدئ المعيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع
راية التَّوْحِيد، اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آله وأصحابه ذوي العقل
الرَّاجِح والرَّأْي السَّديد.
أَمَّا بَعْدُ:

- (١) رواه الترمذي، رقم: (٤٥)، بلفظ: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً، وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَثَلَاثًا ثَلَاثًا».
- (٢) رواه أحمد، رقم: (٦٦٨٤)، بلفظ: «هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم».
- (٣) رواه البخاري، رقم: (٢٧٣)، ومسلم، رقم: (٣٢١)، بلفظ: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحدٍ، نغرف منه جميعاً».
- (٤) رواه البخاري، رقم: (٨٩٧)، ومسلم، رقم: (٨٤٩)، بلفظ: «حقُّ على كلِّ مُسلمٍ أن يغتسل في كلِّ سبعة أيَّام يوماً يَغْسِلُ فيه رأسه وجسده».
- (٥) رواه مسلم، رقم: (٨٤٦)، بلفظ: «الغسل يوم الجمعة واجبٌ على كلِّ مُحتَلِمٍ».



أيها الناس، إنكم لم تُترَكوا سدى، وإنَّ مع اليوم غدي^(١)، وإنَّكم واردوا هوة^(٢) أعدوا لها ما استطعتم من قوَّة، ولا عذرَ فقد بيَّنت لكم المَحَجَّة^(٣)، وأخذت عليكم الحجَّة، وإنَّ الذي بدأ الخلق عليماً يُحيي العظامَ رميماً، وإنَّ الدُّنيا قنطرةٌ؛ مَنْ عبرها سلِّم، ومن عمَّرها ندم^(٤).
قال رسول الله ﷺ: «الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلاَّ ذكُرُ الله وما والاه وعالمًا ومتعلِّمًا»^(٥).

الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].



في الصَّلَاة

الحمد لله المتفرِّد باختراع الكون وإيجاده، المتصرِّف فيه بمحض مشيئته ووفق مُرادِه، وافق مَنْ شاء لطاعته وألهمه طُرقَ رشاده، ونبَّهه من سِنَةِ غفلته وأيقظه من رُقاده، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، من يهديه

(١) إنَّ مع اليوم غداً: أي إنَّ مع الزَّمن الحاضر زمناً مستقبلاً. انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور التونسي (١٩٨/٢٧).

(٢) الهوةُ: ما انهبط من الأرض، أو الوهدة الغامضة منها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢٣/٤٠).

(٣) المَحَجَّة: الطريق، وقيل: جادة الطريق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/٤٥٩).

(٤) انظر: مقامات بديع الزمان الهمداني، لبديع الزمان الهمداني (١/١٦٠).

(٥) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٢٢)، بلفظ: «الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلاَّ ذكُرُ الله وما والاه وعالمٌ أو متعلِّمٌ»، وقال: حديث حسن غريب.



فهو المهتدي، وَمَنْ يُضِلِّهِ فلن تجد له وليًّا لإرشاده، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله المخصوص بتقرير قواعد الإسلام وإقامة عماده، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وراقبوه ولا تعصوه، فَإِنَّ أَوْلِيَاءَهُ هُمُ الْمُتَّقُونَ، عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ قَدْ وَهَبِي^(١) جَانِبُهَا، وَكَثُرَ مَجَانِبُهَا، وَثَقُلْتُ عَلَى فَاعِلِهَا إِقَامَتُهَا وَمَطَالِبُهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَالَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، أَلَا وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، وَإِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ، أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ إِذَا دَعَاكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ هِيَ الْعِمَادُ الْأَقْوَى لِهَذَا الدِّينِ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»^(٣)، ثُمَّ أَمَا يَكْفِي تَارِكُ الصَّلَاةِ مِنْ

(١) الوُهَيْ: الشق في الشيء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٦٦/٤٠).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٢٠)، بلفظ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٤١٣)، بلفظ: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ» وقال: حديث حسن غريب.

التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]!؟

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حَافِظُوا عَلَى صَلَوَاتِكُمْ، وَأَقِيمُوا أَرْكَانَ
دِينِكُمْ، وَأَصْلِحُوا مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ، يُصْلِحِ اللَّهُ أَحْوَالَكُمْ، الْآيَةُ: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ] [المؤمنون: ١-٢].

مَاذَا كَانَ مِنْ أَثَرِ تَرْكِ الصَّلَوَاتِ؟ فَشَتِ الْمُنْكَرَاتِ، وَشَاعَتِ
الصَّلَاةَاتِ، وَانْتَزَعَتِ الْبَرَكَاتِ، وَعَمَّ الْفَسَادُ، وَهَلَكَ الْعِبَادُ، فَيَا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، احْذَرِ مَنْ أَنْ تَلْحَقَكَ النَّدَامَةُ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي تَقْوَاهِ
السَّلَامَةِ، وَدَعْ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَلَهَى عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِيمَا هُوَ
لَاهِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَلَمْ يَشْفِقْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَالْأَنْكَالِ، وَلَمْ
يَحْذَرِ سَلْسَلَهَا وَالْأَغْلَالَ، وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ وَإِنْذَارَهُ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

عِبَادَ اللَّهِ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، حَافِظُوا عَلَيْهَا فِيهَا النَّجَاةُ، وَلَا يَشْغَلْكُمْ
عَنْ أَدَائِهَا شَاغِلٌ يُذَكِّرُ، فِ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
[العنكبوت: ٤٥].

هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ رُكْنُ الْإِيمَانِ، أَضَاعَهَا أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَذَا
الزَّمَانِ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ عَذَابَ تَارِكِهَا شَدِيدٌ؛ خَلُودٌ فِي النَّارِ وَتَأْيِيدٌ، فَمَنْ
شَاءَ النَّجَاةَ مِنْ هَذَا التَّهْدِيدِ، فَلْيَمْتثلْ أَمْرَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ
نَجَا وَفَازَ بِالْحِطِّ الْأَوْفَرِ.





الثَّانِيَةُ

الحمد لله المتَّصِفِ بالألوهيَّةِ قبل كلِّ موجود، الباقي بالتُّعوتِ
السَّرمديَّةِ بعد كلِّ محدود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]،
وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله النَّبِيُّ الكَرِيم، اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد
وعلى آله وصحبه ومن تبعَ طريقهم المستقيم، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، أَكثِرُوا ذَكَرَ غَمْرَاتِ المَوْتِ وَكُرْبِهِ، وما هو نازلٌ بكم
منه، وما أنتم موقوفون عليه بعدَه من العرضِ على الله تعالى، ثمَّ
الحساب، ثمَّ الخلود؛ إمَّا إلى جنَّةٍ يدوم نعيمُها، وإمَّا إلى نارٍ لا ينفدُ
عذابُها، واعلموا أنَّ الدُّنيا دارٌ من لا دارَ له، ومآلٌ من لا مآلَ له، ولها
يجمع من لا عقلَ له، وعليها يُعادي من لا علمَ له، وعليها يَحْسُدُ من لا
فهمَ له، ولها يسعى من لا يقينَ له، فخاصموا أنفسكم على مهلٍ قبل أن
يتولَّى اللهُ حسابَها، وتوبوا إلى الله جميعًا - أيُّها المؤمنون - لعلَّكم
تفلحون، قبل أن لا تقدرُوا على صرف المَكروه عنكم، قال
رسول الله ﷺ: «التَّائِبُ عَنِ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١).

الآية: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٧].



(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥٠).

التقوى

الحمد لله الذي نصب أعلام الحق ورفعته، وأوضح برهانه وأسمعه، وخفض الباطل ووضعته، ورمى مؤثره بالذلة والضعة^(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف الحق واتبعه، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي حاز متفرق الفضل ومجمعه، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واتبعه.

أمَّا بعد:

أيها الناس، اتقوا الله تعالى ربكم، عباد الله، نجا المتخفقون فتحققوا من الذنوب تلحقوا، وفاز المتقون فاتقوا ربكم ترقوا، وجاءت البشارة للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فكونوا منهم تسعدوا.

عباد الله، الإرشاد ضائع ما لم يصحبه من العمل رقيق، والعمل حابط ما لم يقومه الإخلاص على الطريق، والمخلصون على خطر ما لم يساعدهم التوفيق، فعليكم - إخواني - بالجد واستدراك ما فات من التواني والتقصير، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، ولا كالذين أشغلتهم أموالهم وأهلؤهم عن ذكر الله وإقام الصلاة في أوقاتها، وألهتهم دنياهم عن مراتب حبات فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين، وأصحابها فيها متنعمون بحورها، متكئون على فرش قد بسطت في غرفاتها، يُقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الزحرف: ٧٠]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزحرف: ٧٢]،

(١) الضعة: خلاف الرفعة في القدر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٣٣٦).



فانصفوا من أنفسكم قبل انتصاف الحاكم العدل القدير، وصححوا العمل قبل عرضه على الناقد البصير، وامحوا بالتوبة الصادقة والحسنات المكفرة للذنوب سيئاتكم فإنه يحصي عليكم منها الفتيل والنقير^(١)، واحذروا عواقب الذنوب فإن خطرها كبير، قبل أن يصبح أحدكم وهو في قبضة الموت أسيراً، فيقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، ومن ورائه عذاب السعير، حاسبوا أنفسكم قبل مناقشة الحساب، قبل افتراق الخلق؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان. الآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]»^(٢).



الثانية

الحمد لله الذي لا معز لمن أذل، ولا مدل لمن أعز، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) الفتيل: ما كان في شق النواة، والنقير: التكتة في ظهر النواة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤٤/٣٠).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٠٩٣)، بلفظ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]»، وقال: هذا حديث حسن غريب.

شهادة من أسلم وجهه لله وأحسن العمل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذي شرف بملّة خصّته بالسّماحة من بين الملل، اللهم صلّ على سيّدنا
محمّد وعلى آله وأصحابه أهل التقوى والورع.

أمّا بعد:

أيّها النّاس، اتّقوا الله فقد فاز المتّقون ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، روي
في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا أدلكم على
ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله،
قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار
الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ الْيُنْفِرُونَ﴾ [١٤] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ [١٥] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ [١٦] [الرُّوم: ١٤-١٦].
الشيخ أحمد بن سليمان بن عثمان السبخري.



القمار

الحمد لله القريب من عبده، واعد من نصر دينه نصراً مبيناً، وقاصم
من تجبر قهراً مهيناً، لا يعزب^(٢) عنه مثقال ذرة من عمل خيراً أو شراً،

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥١)، بلفظ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى
المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط».

(٢) العزوب: الغيبة، لا يعزب؛ أي: لا يغيب عن علمه شيء. انظر: تاج العروس، =



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي بالسّيئة مثلها وبالحسنة عشراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الخلق إحساناً منه وبراً، اللهم صلِّ وسلِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى له أثراً.

أمّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، إِنَّ المعصية إذا عُمِلت في خفاءٍ وتسُّرٍّ لا تضرُّ إلاَّ صاحبها، ومتى ظهرت للنَّاسِ ثمَّ لا يَنْهَوْنَ عنها اشترك في إثمها الفاعلُ والسَّاكتُ؛ إذ السَّاكْتُ على الإثمِ راضٍ بفعله، والراضِي كالفاعل، وأنتم يا أهل الكويت فيكم - والله الحمدُ - بقیةٌ من دين، فحافظوا عليها بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وقد انتشر وفشا فيكم من جهَّالٍ وسفهاءٍ اللَّعب بالقمار على أنواع كثيرة، وقد حرَّم الله القمارَ وسَمَّاه الميسرَ وقرنه بالخمير؛ لِعَظَمِ ضرِّه، وبيِّن من مضرَّاتهما ما عَظَمَ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]، فهذه أربع خصالٍ من مراضى الشَّيطان تنشأ من استعمال الخمر والميسر:

الأولى: العداوة تقع بين المتخامرين والمتقامين.

(٢) البغضاء تنشأ بينهم بسببهما.

(٣) صدُّ المُخَامِرِينَ والمقَامِرِينَ عن ذكر الله.

(٤) عن الصَّلَاة فلا يذكرونها.

ومن مضرَّات الميسر: أنَّه طريقٌ لأكل أموال النَّاسِ بالباطل من غير عوضٍ، زدَّ على ذلك أنَّه مُفسِدٌ للتَّربية؛ لأنَّه يعوِّد النَّفسَ على البطالة

والكسل وانتظار الرزق من طريق وهمية، زد على ذلك أنه يُضعف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة، وعدم التفكير في طرق الكسب التي هي أساس العمران من زراعة وصناعة وتجارة.

وأشهر مضرّات القمار الدنيوية: تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة، فكم من عشيرة عظيمة نشأت في الغنى والعزّ انحصرت ثروتها في رجلٍ أضاعها في ليلة واحدة فأمست غنيّة وأصبحت فقيرة لا قدرة لها أن تعيش على ما تعودته من سعة! فاجتهدوا - رحمكم الله - وأزِيلُوا هذه المضرّات من بينكم لعلكم تفلحون.

الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].



الثانية

الحمد لله مُعَزِّزُ الْمُؤْمِنِ وَمُجَلِّه، وقاهر المتجبر ومُذِلُّهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القريب من عبده وهو أقرب إليه من ضلّه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المفضلُّ على سائر الخلق بأشرف رسالة، المبعوث لتهديم الشرك ومحو الظلالة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ



الصَّلواتِ على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لَأَتَيْتُمُوهُمَا ولو حَبْوًا على الرُّكْبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الأوَّلَ على مثلِ صفِّ الملائكةِ، ولو علمتم ما فضيلتُهُ لابتدرتُمُوهُ وَإِنَّ صلاةَ الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ أَزكى من صلاتِهِ وحده، وصلاتُهُ مع الرَّجُلَيْنِ أَزكى من صلاتِهِ مع الرَّجُلِ، وما كَثُرَ فهو أَحَبُّ إلى الله»^(١).

الآية: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أيها المسلمون، مضى عامٌ وجاء عامٌ؛ مضى عامكم الأوَّلُ وقد ملئى بالذنوب والآثام، لا الجارُّ يرعى حقَّ جاره، ولا الصَّدِيقُ يفي حقوق صديقه، ولا الغريبُ يؤدِّي حقَّ قربه؛ الضَّعيفُ مُهانٌ والفَقيرُ مُحْتَقَرٌ، وكلُّ يسعى في منافع نفسه وإشباع أطماعها وإن كان في ذلك ضررٌ الغير، وهذا ممَّا ينافي الإيمان؛ لأنَّ المؤمنَ يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ألا وإنَّ ذلك ركن الإيمان، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُّ أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(٢)، وهذه سنتكم الجديدة قد أقبلت عليكم نسأل الله خيرها، ونعوذ به من شرِّها وخيرها، فقابلوها - أيها المسلمون - بطاعة ربِّكم، قابلوها بامثالِ أمره، واجتناب نهيه، وأحسنوا فيها نيَّاتكم، وقد قيل: إِنَّ النِّيَّةَ مطيِّةٌ، فَإِنْ حَسَنْتَ حَسَنَ حَالِكِ، وَإِنْ ساءتْ فأنت من الخاسرين، ألا وإنَّ حسن النِّيَّةِ من مُجَلِّباتِ البركة، ومُرضياتِ الرِّبِّ، فأحسِنُ نيَّتَكَ تكن من المفلحين.

(١) رواه أبو داود، رقم: (٥٥٤).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).

أيها المسلمون، إياكم والغش في معاملاتكم؛ فإن الغش مذهب للبركة، ومُتْلَفٌ للأموال، وشرُّ أنواعه بَخْسُ الكيل والميزان والذراع الذي نهى الله عنه في عدَّة مواضع من القرآن، ألا وإنَّ بَخْسَ الكيل والميزان والذراع شرُّ السرقات، ومضيعةٌ للبركات، لا يفعله إلا منافق، ولا يتجاسر^(١) على إثباته إلا غاشٌّ: «ومن غشنا فليس منا»^(٢).

حقاً إنَّها خصلة شنيعة خالف من يعملها أمر ربّه ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، الآية.

ولقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى المتَّصف بهذه الصِّفة الرذيلة بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ [الذين إذا أكلوا على الناس يستوفون] وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: ١-٦]، فيا أيُّها المسلم، اتق الله ربك وأوف وزنك وكيلك وذرعك، ولا تظلم نفسك بظلم غيرك، فإنَّ من يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [المهطعين: ٤٤] مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

التَّقَاعُ وَالنَّفَاقُ

الحمد لله الذي ألَّف قلوبَ المسلمين بالإخاء، وأزاح من بينهم

(١) تجاسر عليه: إذا اجتراً وأقدم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٢٩/١٠).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٠١).



التَّبَاغُضَ والعَدَاءَ، فَقَالَ مَمْتَنَّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَتَفَرِّدُ بِكَمَالِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، الْمَنْزُوعُ عَنْ مِشَابَهَتِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ، وَصِفْوَةُ الْأَصْفِيَاءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ الَّذِينَ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ مِنْ دَاءِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ فَعَاشُوا مَتَمِّتِينَ بِنِعْمَةِ الْأُلْفَةِ وَالْإِخَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ دِينُ سَلَامَةِ الْقَلْبِ وَالتَّالْفِ، دِينُ الْاجْتِمَاعِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَقَدْ جَمَعَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ لِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، وَجَمَعَكُمْ فِي الْأَسْبُوعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَجَمَعَكُمْ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ؛ فِي عِيدِ الْفِطْرِ وَعِيدِ الْأَضْحَى، وَجَمَعَكُمْ فِي الْعَمْرِ لِحَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِلتَّعَارُفِ مَعَ بَعْضِكُمْ وَمِيلِ قُلُوبِكُمْ لِلْمَحَبَّةِ وَإِزَالَةِ الشَّحْنَاءِ وَالبَغْضَاءِ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَلِأَنَّ يَكُونُ بَعْضُكُمْ عَوْنًا لِبَعْضٍ وَمُسَاعِدًا لَهُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَمْرٍ أُخْرَاهُ، وَلِيَتَصَدَّقَ غَنِيَّتُكُمْ عَلَى فُقَيْرِكُمْ، وَلِيَعُودَ صَحِيحُكُمْ مَرِيضُكُمْ، وَلِيَتَعَلَّمَ جَاهِلُكُمْ مِنْ عَالِمِكُمْ، وَلِيُسَلِّمَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلِيَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلِتَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى تَزُولَ مِنْ بَيْنِكُمْ الشَّحْنَاءُ وَالعِدَاوَةُ، فَيَأْتِيَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ نَدَبِكُمْ^(١)، وَبِهَا طَالِبُكُمْ، وَعَلَيْهَا حَرَضُكُمْ وَحَرَصُكُمْ، وَلِأَجْلِهَا سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ، «فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢)، «وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَ النَّاسُ بِوَأْتِقَهُ وَشُرُورِهِ»^(٣).

(١) نَدَبُهُ إِلَى أَمْرٍ: وَجَّهَهُ إِلَيْهِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٢٥٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١١)، ومسلم، رقم: (٤١).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٢٧)، بلفظ: «وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ =



فيا عبادَ الله، اتَّقوا الله، لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً^(١)، وليكفَّ أحدكم غضبه على أخيه، فقد قال ﷺ: «فإنَّ من كَفَّ غضبه عن أخيه المسلم كَفَّ الله عنه عذابه يوم القيامة، ومن اعتذر إلى أخيه فقبل عذره قبل الله عذره يوم القيامة»^(٢)، و«لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيَّام، ثم يلتقيان؛ فيعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهم الَّذي يبدأ بالسَّلام»^(٣)، والبادئُ بالسَّلام سابق إلى الجنَّة.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَانصِرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا، إِلَهَ الْحَقِّ، آمِينَ.

الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿١٠﴾ [الحجرات: ١٠].



= وأموالهم»، وقال: حديث حسن صحيح.

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٠٦٤)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٨)، بلفظ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيَّام».

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٧٩٥٨)، بلفظ: «من خزن لسانه ستر الله عورته، ومن كَفَّ غضبه كَفَّ الله عنه عذابه يوم القيامة، ومن اعتذر إلى الله ﷻ قبل عذره».

(٣) رواه البخاري، رقم: (٦٢٣٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٦٠) بلفظ: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان؛ فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الَّذي يبدأ بالسَّلام».



الثَّانِيَّة

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعودُ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى والنبيين، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا، فَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ فِيكُمْ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ، وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «الْمُفْلِسُ مَنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ وَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

الآية: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].



(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨١)، بلفظ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».



عشر ذي الحجة

الحمد لله مُشرفِ الأيامِ بعضها على بعضٍ، ومصرفِ الأحكامِ بالإبرامِ والنقضِ، وموقضِ القلوبِ الغافلة بالتذكيرِ والوعظِ، العالمِ بالأشياءِ فلم يتقدم علمه جهالة، الربِّ المالكِ الذي ليس لربوبيته تغييرٌ ولا إزالة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وليست الألوهية إلا له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فضله بأشرفِ رسالة، اللهم صلِّ وسلِّم على محمدٍ عبدك ورسولك سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن اتبع أقواله وأفعاله.

أمَّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ تعالى، وشمِّروا لطلبِ الخيراتِ في أوقاتها، فإنَّ التَّشْمِيرَ بالإدراكِ ضمِينٌ، وإيَّاكم والتَّفْرِيطَ فَإِنَّ التَّفْرِيطَ بالهلاكِ قَمِينٌ^(١)، فيا ذوي الهممِ العالية، ويا طالبِ التَّجَارَةِ المربحة، اغتنموا الأعمالَ الصَّالِحَةَ في هذه الأيَّامِ العشر؛ فإنَّهِنَّ الأيَّامُ المعلوماتُ المخصوصةُ بالتَّعْظِيمِ في مُحْكَمِ الآياتِ، فعنه ﷺ أنه قال: «ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأيَّامِ العشر» قالوا: ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلاَّ رجلٌ خرَجَ بماله ونفسه، ولم يرجع من ذلك بشيءٍ»^(٢).

(١) القَمِينُ: الخليق الحريُّ الجديرُ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٨/٣٦).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٩٦٩) بلفظ: «ما العمل في أيَّام أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلاَّ رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيءٍ»، والترمذي، رقم: (٧٥٧)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.



عباد الله، هذه الأيام المعلومات التي أقسم الله بهنّ في مُحكم الآيات، هذه أوقات مضاعفة الحسنات، هذه أوقات إجابة الدعوات، هذه أوقات الإفاضات والنّفحات، هذه أوقات عتق الرّقاب الموبقات، هذه أيّام الثّجّ والعجّ^(١) والوقوف في المشاعر المفضّلات، هذه أوقات الاستقالة من الخطايا والسيّئات، هذه أيّام الاعتذار ورّفح الحوائج والشّكايات، هذه أيّام الطّواف بالبيت الحرام وضجيج الأصوات بالدّعوات، هذه مواسم الأرباح عند ذوي التّجارات، هذه مواسم عظام يربح فيها من سار إلى البيت الحرام وأقام فيها على فعل الطّاعات، العمل المفضول فيها أفضل من العمل الفاضل، والعمل الصّالح فيها أفضل عند الله وأحبّ إليه من كثير من العبادات، فإذا دخلت العشر فعلى من أراد أن يضحّي أو يضحّي عنه ألا يأخذ شيئاً من شعره ولا من ظفره ولا من بشرته حتّى يضحّي.

الآية: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].



الثانية

الحمد لله على ما أولاه من إحسانه وأفضاله، وأشكره على جزيل برّه ونواله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في صفات كماله،

(١) العجّ: رفع الصوت بالتلبية، والثجّ: صب الدم. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣١٨/٢).



وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بعظيم الخلق وكماله، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى جميع أصحابه وآله.
أمّا بعد:

أيها الناس، روي في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل الصالح فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتكبير والتحميد»^(١)، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في الأيام العشر فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما^(٢).

وقد أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم «أن صيام كل يوم فيها يعدل صيام سنة أجراً، وقيام كل ليلة فيها بقيام ليلة القدر ثواباً»^(٣)، فاتقوا الله وأخلصوا أعمالكم لله، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].



(١) رواه أحمد، رقم: (٦١٥٤)، بلفظ: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

(٢) رواه البخاري، (٢٠/٢).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٧٥٨)، بلفظ: «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبّد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر»، وقال: حديث غريب.



عشرُ ذي الحِجَّة

الحمدُ لله الَّذي فضَّلَ يومَ عرفةَ على سائرِ الأيامِ، وأكملَ فيه الدِّينَ، وأتمَّ فيه الإنعامَ، ورضي الإسلامَ لعباده المؤمنين دينًا مُوصِلًا إلى دارِ السَّلامِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له، ذو العظمة والجلالِ والكمالِ والدَّوامِ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدهُ ورسولُه أفضلُ مَنْ صَلَّى وصامَ، وأتقى من وقفَ بالمشاعرِ وطافَ بالبيتِ الحرامِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على عبدك ورسولك سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه هُدَاة الأنامِ، ومصاييح الظَّلامِ.

أمَّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهُ، وشمِّروا لطلبِ الخيراتِ قبلِ فواتها، واغتنموا الأعمالَ الصَّالحاتِ في أوقاتها، فمنها الأيامُ المفضَّلاتُ المخصوصةُ بالتَّشريفِ في محكمِ الآياتِ، وهنَّ الأيامُ المعلوماتُ، وفيهنَّ اليومُ التَّاسعُ المخصوصُ بالفضلِ العظيمِ الواسعِ؛ وهو الوترُ والشَّاهدُ والشَّافِعُ، فاغتنموا فضلَه واحذروا الموانعَ، فعن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خيرُ يومٍ طلعت فيه الشَّمسُ يومَ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبِيُّونَ قبلي: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»^(١).

وعنه أيضًا ﷺ: «ما رُئِيَ الشَّيْطَانُ أصغرَ، ولا أَدحرَ، ولا أغيضَ منه

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٨٥)، بلفظ: «خير الدُّعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبِيُّونَ من قبلي: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، وقال: حديثٌ غريبٌ.

يومَ عرفة، لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»^(١).
وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً من كل فج عميق»^(٢)، قد فارقوا لذيد المعاش، وأتوني ما بين راكب وماشي، يحنُّون إليَّ حنين الطير إلى أوكارها، ويقدون إليَّ من فجاج الأرض وأقطارها، قد ملؤوا البلاد تكبيراً وتهليلاً، واتخذوا الإخلاص في عبادتي دليلاً، يرجون مغفرتي، ولو كانت ذنوبهم عدد الرمل لغفرتها لهم، أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت لهم، أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه.

يا إخواني: أنتم وإن شطَّ بكم عن مقامهم بُعد المكان فقد شاركتموهم في الإسلام والإيمان، وشرع لكم الاجتماع بصلاة العيد يقارب اجتماعهم، وشرع لكم ذبح القربان وإنما هو عيد لمن فاز من الله بالمغفرة والرضوان، ووعيد لمن رُمي بالإبعاد والحرمان.

الآية: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].



(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٧٧٥)، بلفظ: «ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدر، ولا أحقر، ولا أعظم منه يوم عرفة، وما ذلك إلا ممَّا يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر».

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٣٧٧٤)، بلفظ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله تبارك وتعالى يباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أنني قد غفرت لهم».



الثانية

الحمدُ لله الإله العظيم الذي لا يُماثل ولا يُظاهى ولا يُضام، أحمده على إحسانه العام، وأشكره على التوفيق للإيمان والإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من الشرك والشُّكوك والأوهام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص برفيع المقام، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام.

أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس، اتَّقوا الله في هذه الأوقات الفواضل، واعمَلوا فيها ما يُقربكم من الحَكم العادل، واسألوا الله أن يدخلكم في عباده الصَّالحين، وعليكم بصوم يوم عرفة فإنه يومُ المقبولين، فقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه وزن ذرَّةٍ من إيمانٍ إلا غفر له»^(١)، وقال أيضاً عليه الصَّلَاة والسَّلَام في صيام يوم عرفة: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ، وَالسَّنَةَ الْآتِيَةَ»^(٢).

الآية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ

﴿فُصِّلَتْ: ٤٦﴾



(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (١٢٠٩٤)، بلفظ: «لا يبقى يوم عرفة خلقٌ من خلقِ الله ﷻ في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من الإيمانِ إلا غفر الله له، قيل: يا رسول الله، لأهل عرفات أم للنَّاسِ عامَّة؟ قال: لا بل للنَّاسِ عامَّة».

(٢) رواه مسلم، رقم: (١١٦٢)، بلفظ: «ثلاثٌ من كلِّ شهرٍ، ورمضانُ إلى رمضان، فهذا صيامُ الدهرِ كلِّه، صيامُ يومِ عرفة، أحتسبُ على الله أن يُكفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ،



في تجنّب أخلاق المنافقين

الحمد لله الذي ميّز الإنسان بالعقل واللّسان، وجعل العقل وسيلة إلى معرفة العبد ربّه وإلى معرفة العبد نفسه، فمن عرف نفسه بالتقصان عرف ربّه بالكمال، ومن عرف نفسه بالافتقار عرف ربّه بالاستغناء، ومن عرفها بالفناء عرفه بالبقاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الحيّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدّين.

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله الذي جمع به بعد الفرقة، وكثّر به بعد القلّة، اللهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه ذوي الأخلاق الفاضلة والمزايا الحميدة، ورضي الله عنهم أجمعين.

أمّا بعد:

عباد الله، اتّقوا الله - رحمكم الله - واعلموا أن ربّكم أمركم بالإيمان بالله وحده، وقد علّمنا نبينا ﷺ ما هو الإيمان فقال: «الإيمانُ الإخلاصُ»^(١)؛ «أخلصُ دينك يكفيك العمل القليل»^(٢)، ونهاكم عن الرّياء والنّفاق، فقال عليه الصّلاة والسّلام معلّماً مبلغاً: «من تحبّب إلى

= والسّنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفّر السّنة التي قبله».

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٦٤٤١)، بلفظ: نادى رجل، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «الإخلاص».

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم: (٧٨٤٤)، بلفظ: «أخلص دينك يكفك العمل القليل».



النَّاسُ بِمَا يَحْبُونُ، وبارز الله بما يكرهون، لَقِيَ اللهُ وهو عليه غضبان»^(١).
ومن النِّفاق قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢)، ومنه الكذب، وإخلاف
الوعد، وخيانة الأمانة، وفي الحديث عن الصَّادقِ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ
ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٣)، «وتجدون
شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينَ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بُوْجِهٍ، وَهَوْلَاءَ بُوْجِهٍ»^(٤)، و«مَنْ
كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»^(٥).

فاتقُ اللهُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ تُعَاشِرُ بِالْتَّرْحِيبِ وَتُتَلَقَّى بِوَجْهِ
الْمَحَبَّةِ وَإِذَا غَبَتِ أَسْرَفْتَ فِي الْغَيْبَةِ، وَأَضْمَرْتَ الْغِشَّ وَالْمَسْبَبَةَ؛ فَإِنَّ
الرَّجُلَ لَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَأْمَنَهُ عَدُوُّهُ وَلَا يَخَافُهُ صَدِيقُهُ، قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا
يُؤْلَفُ»^(٦).

الآية: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللهُ عَلَى مَا
فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾» [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].



- (١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٢٨١٧).
- (٢) رواه الترمذي، رقم: (١٣١٥)، وقال: حسن صحيح.
- (٣) رواه البخاري، رقم: (٣٣)، ومسلم، رقم: (٥٩).
- (٤) رواه البخاري، رقم: (٧١٧٩)، ومسلم، رقم: (٢٥٢٦)، بلفظ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ
ذُو الْوَجْهِينَ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بُوْجِهٍ، وَهَوْلَاءَ بُوْجِهٍ».
- (٥) رواه أبو داود، رقم: (٤٨٧٣).
- (٦) رواه أحمد، رقم: (٢٢٨٤٠)، بلفظ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا
يُؤْلَفُ».



الثانية

الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال، المتوحد باستحقاق نعوت الكمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن النضير والمثيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بمعجز التنزيل، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين، ورضي.

أمّا بعد:

أيها الناس، عليكم بتقوى الله وأتباع القرآن والافتداء بسنة سيّد المرسلين، فمن تمسك بهما فهو الناجي ومن خالفهما كان من المهلكين، هما دين الله وما سواهما بدعة، «وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٍ في النار»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٢)، وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(٣).

(١) رواه النسائي، رقم: (١٧٩٩)، بلفظ: «وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٍ في النار».
 (٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٧٤)، بلفظ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».
 (٣) رواه مسلم، رقم: (١٤٥)، بلفظ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء».



الآية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التحل: ٩٧].
اللهم.



التَّقْوَى

الحمدُ لله الَّذي افتتح بحمده الكتاب، الحمد لله الَّذي يُنال بحمده مزيد الثواب، الحمد لله على ما منح فهو المنعم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عليه توكلت وإليه متاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحقّ وفصل الخطاب، نبيُّ شوقٍ له القمرُ ورُدَّت له الشمس وقد كادت تتواري^(١) بالحجاب، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه ما أفل نجمٌ وطلع شهاب.

أمَّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ حقَّ تقايتِه كما أمرُكم في مُحكم الكتاب، وأكثرُوا ذكرَه فإنَّ ذكرَه يعدل عتق الرِّقاب، واحذروه كما حذركم نفسَه فإنَّه شديد البَطْش سريع الحساب، وتوبوا إليه واستغفروه كما أمركم فإنَّه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، وتأدَّبوا بأداب نبيِّكم فإنَّها أكملُ الآداب، وتخلَّقوا بمحاسن أخلاقه فأحسنكم أخلاقاً أقربكم يوم القيامة من ربِّ الأرباب، وراقبوا الله تعالى فهو المظَّلَع على ما ظهر وما أرخيت عليه السُّتور وأوصدت عليه الأبواب، واحذروا الدُّنيا فإنَّها

(١) تواری: استتر واختفی. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٩٢/٤٠).

ظلُّ زائل وبادروا بالأعمال الصَّالحة فإنَّ الأوقات تمرُّ مرَّ السَّحاب، فواأسفًا لقلوبٍ ضُربَ عليها من الغفلة بباب، وعقولٍ ذاهلةٍ عن المعاد لاهيةٍ عن أمرٍ لا شكَّ في لقائه مشغولةٍ عن خُطبٍ لا يُدفع بالقوَّة ولا يُردُّ بالكثرة ولا يُمنع بالحجاب، غافلةٍ عن قبرٍ مظلمٍ وسأده اللَّبن وفراشه التُّراب، ومحشِّرٍ تشخُّصٍ فيه الأبصار^(١) وتخضع الرِّقاب، وعرضٍ عظيمٍ تظهر فيه الخطايا وينكشف الحجاب، وجزاءٍ على الحسنات بالثَّواب، وعلى المعاصي بالعفو والعقاب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أما رأيت المأخوذِينَ على الغرَّة^(٢)، والمُزعَجِينَ بعد الطَّمانينة الَّذِينَ أقاموا على الشُّبهات، وجنَّحوا إلى الشَّهوات، حتَّى أتتهم رسل ربِّهم فلا ما كانوا أمَلوا أدركوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قدموا على ما عملوا وندموا على ما خلفوا، ولم يغنِ النَّدم، وقد جفَّ القلم، فرحم الله امرأً قدَّم خيرًا، وأنفق قصدًا، وقال صدقًا، وملك دواعي شهواته ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه»^(٣).

نبهني.

الآية: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۗ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].



(١) شَخَّصَ بصره: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧/١٨).

(٢) الغرَّة: الغفلة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/٢٢٤).

(٣) انظر: التذكرة الحمدونية، للبغدادي (١/٤١)، روي بلفظ: «أما رأيتم المأخوذِينَ =



الثانية

الحمد لله الذي خلق الخلق وصنعهم، وأوجد قدرتهم وحركتهم،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب سواه، ﴿اللَّهُ خَلِقُ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وأشهد
أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، اللهم صل على محمد وعلى كافة
آله وأصحابه، ومن كان لهذا الدين خير نصير، ورضي.

أمَّا بعد:

أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أنه روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، فقال: «توبوا إلى الله قبل أن تموتوا،
وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين
ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا»^(١)، فأمروا بالمعروف تُخصبوا،
وانهوا عن المنكر تُنصروا.

= على الغرّة، والمزعجين بعد الظمأنينة الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى
الشهوات، حتى أتتهم رسل ربهم فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا، ولا إلى ما فاتهم
رجعوا، قدموا على ما عملوا وندموا على ما خلفهم، ولم يغن الندم، وقد جفّ
القلم، فرحم الله امرأً قدّم خيرًا، وأنفق قصدًا، وقال صدقًا، وملك دواعي شهواته
ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه».

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (١٠٨١)، بلفظ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن
تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم
بكثره ذكركم له، وكثرة الصدقة في السرّ والعلانية ترزقوا وتُنصروا وتُجبروا».

أيها الناس، «إن أكيسكم أكثركم ذكراً للموت، وأكرمكم أحسنكم استعداداً له»^(١).

وإن من علامات العقل: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.

الآية: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].



الصلاة

الحمد لله الذي غمر العبادَ بلطائفه، وغمر قلوبهم بأنوار الدين ووضائفه، الذي أمرهم بعبادته، ووفّقهم لخدمته، ثم أدخلهم في رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة شهد الله بها لنفسه في محكم الكتاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أيده الله بالحكمة وفصل الخطاب، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك سيّدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأطياب.

أمّا بعد:

أيها الناس، اتّقوا الله، واعلموا - رحمكم الله - أن الصلاة أعظم

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٣٥٣٦)، بلفظ: عن ابن عمر قال: أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة، ف جاء رجل من الأنصار، فقال: يا نبي الله، من أكيس الناس وأحزم الناس؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأشدّهم استعداداً للموت قبل نزول الموت أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة».



أركان الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، فرضها الله على هذه الأمة خمس صلوات في أوقات معيَّنة، وهي في الأجر خمسون؛ لأنَّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهي من المتقين المخلصين تزيد إلى سبعمئة ضعف، وكان آخر ما أوحى به نبينا محمد ﷺ المحافظة على الصلاة، حتَّى إنه كان يرددها في صدره، وما ينطق بها لسانه^(١).

هي عماد الدين^(٢)، «فمن أقامها فقد أقام دينه»^(٣)، «ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع»^(٤)، وإنَّ مَنْ حافظ على هذه الصَّلوات الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورًا يستضيء به في ظلمات يوم القيامة، ومن ضيعها حُشِرَ مع المهلكين وكانت عاقبته النار وبئس القرار.

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذَمَّةِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان»^(٥).

اتَّقُوا اللَّهَ - عباد الله - في غضبه، وعذابه، ومقتته، وداوموا على الصَّلوات، وأمروا أهليكم بها، واصبروا على أدائها ابتغاءً رضوان الله، و﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٦٤٨٣)، بلفظ: عن أم سلمة، قالت: كان من آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصَّلَاة الصَّلَاة، وما ملكت أيمانكم»، حتَّى جعل نبي الله ﷺ يُجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانَهُ.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠)، بلفظ: «الصَّلَاة عماد الدين». (٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (١٦٢١)، بلفظ: «فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أحمد، رقم: (٢٧٣٦٤)، بلفظ: «لا تترك الصَّلَاة متعمدًا، فإنه من ترك الصَّلَاة متعمدًا فقد برئت منه ذمَّة الله ورسوله».

الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٦﴾

[التحرير: ٦٦].



الثانية

الحمد لله الملك الجليل الذي طمست سبحات جلاله الأبصار، المتكبر العظيم الذي أزاحت سطوات كبريائه الأفكار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما أضلم ليل وأسفر نهار، ورضي الله.

أما بعد:

أيها الناس، عليهم بتقوى الله وطاعته، فإن تقوى الله نعم زاد الأبرار، واعلموا أن نبيكم محمداً ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، في يسمع، وبى يبصر، وبى يبطش، وبى يمشي، ولئن سألتني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه»^(١).

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٥٠٢)، بلفظ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته =



الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].
اللَّهُمَّ.



معرفة الله

الحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه، الذي أعطى ومنع، وضرر
ونفع، وأمات وأحيا، وأضلّ وهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، هدى من شاء لطاعته واتباع أوامره، وقضى على من شاء
بظلاله وارتكاب موبقاته وزواجره، فمن عصمه عن المعاصي فاليشكره
لعصمته إياه، ومن وقفه للطاعة فليحمده، فإنه لا محمود إلا الله، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله نبى الرحمة، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه مصابيح الأمة.

أمّا بعد:

أيها الناس، اتقوا الله حقّ ثقافته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون،
واعرفوا ربكم بما يليق به، فإن معرفته رأس العلم، واعرفوا أنفسكم بأنّها
فقيرة إلى كلّ شيءٍ، ناقصة في كلّ شيءٍ، أولها عدم، وحياتها ندم،

بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال
عبدي يتقرب إليّ بالتّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعته الذي يسمع به،
وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني
لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس
المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته.



وآخرها موتٌ وعدم، وهي فيما بين العدمين في هوى مُطاع وشهوةٍ غالبية، لا تبالي بما نقص من دينها إذا أحسنت دنياها، ولكن ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشَّمْس: ٩]، وقد خاب مَنْ دَنَسَهَا بالمعاصي، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^(١).

فيا أيُّها المسلمون، انتبهوا - رحمكم الله - وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، واعلموا أن معرفة ربكم تُوجب السعادة الأبدية، فإنه تعالى غني عن كل شيء، عالم بكل شيء، كامل في كل شيء، لا تضره معصية عاصٍ، ولا تنفعه طاعة مطيع، واعلموا أنكم إلى ربكم راجعون، وعن أعمالكم مسؤولون، فلا تُهملوا أنفسكم وأنتم في مهل، فإن لم تُرد أن تكون من السابقين فالأقل أن تحترز لتكون من الناجين؛ فإن الله لم يتكفل لك بمغفرته كما تكفل لك برزقه، فكن على بصيرة في أمرك، وتوق الحرام؛ فإنه الحجاب بينك وبين النار، واعلم أنك إن اقتحمته ولجت النار به.

سأل أعرابي رسول الله ﷺ، فقال: يا، علّمني غرائب العلم يا رسول الله، قال ﷺ: «ماذا علمت في رأس العلم» فقال: وما رأس العلم؟ قال: «هل عرفت الله تعالى؟» قال: وما معرفة الله تعالى؟ قال عليه الصلاة والسلام: «أن تعرف الله تعالى حق معرفته بلا ند ولا شبه ولا مثل وأنه واحد ظاهر باطن أحد لا كفؤ له ولا نظير فذاك حق معرفته»^(٣).

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (٢٥٣٢).

(٢) ولج: دخل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦/٢٦١).

(٣) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، للكناني (١/٢٧٧)، بلفظ: أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علّمني من غرائب العلم، قال: «ما فعلت في رأس العلم فتطلب الغرائب؟» قال: وما رأس العلم؟ قال: «هل عرفت الرب؟» قال: نعم، =



الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].



الثانية

الحمد لله الذي ليس من دونه احتراز، ولا لذهابٍ عنه مَجَاز^(١)،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البصير السَّميع، ذو الجلال
الرَّفيع، الذي تفرَّد بكمالِ الذاتِ والصفاتِ، وتنزَّه عن مشابهته
المخلوقات، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله سيِّدُ الكائنات، اللَّهُمَّ صلِّ
على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومَن به يؤمنون، ورضي.
أمَّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، إنَّما الدُّنيا دارٌ ممرٌّ، لا دارٌ مقرٌّ، وإنَّه لم يستفد أحدٌ
منكم يومًا من عمره إلا بفراق آخر من أجله، فاستصلحوا لأنفسكم ما
تُقَدِّمون عليه بما تَضَعُونَ^(٢) عنه، وراقبوا مَن ترجعون إليه، فإنَّه لا قوِيَّ
أقوى من خالق، ولا ضعيف أضعف من مخلوق، ولا مهربَ من الله إلا
إليه، وكيف يهرب مَن في يدي طالبه؟!!

الآية: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ

= قال: «فما صنعت في حقِّه؟» قال: ما شاء الله، قال: «عرفت الموت؟» قال:
نعم، قال: «ما أعددت له؟»، قال: ما شاء الله، قال: «انطلق فأحكم ما ههنا، ثمَّ
تعال أعلمك غرائب العلم».

(١) المجاز: الطَّرِيق والمسلِك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧٨/١٥).

(٢) ضَعِنَ إليه وعليه: مال واشتاق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٥/٣٣٠).



وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]،
 ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
 الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٠-٣٢].
 اللَّهُمَّ.



الجنة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلًا، ويسرهم
 للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها سُغُلًا، وسهّل لهم
 طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له يُدني ويُبعد، ويُشقي ويُسعد، وربك يخلق ما يشاء ويختار،
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صلِّ وسلِّم على
 محمد وعلى آله وأصحابه ما طلع فجرٌ واستنار.

أمّا بعد:

أيها الناس، اتقوا الله حقُّ تقاته، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، غرسها الله تعالى بيده،
 وجعلها مقراً لأحبابه، وملاًها من رحمته، ووصف نعيمها بالفوز العظيم
 والملك الكبير، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كلِّ عيبٍ ونقصٍ
 وآفة.

إن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن
 سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ



والجوهر^(١)، «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر ذكره على قلب بشر»^(٢)، ثمارها ألين مما يكون، وأعذب مما يكون، وأوراقها أحسن ما صيغ من رقائق الحلل، وطعامها ﴿وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾^(٣) ولحم طير مما يشتهون ﴿٢١﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١]، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٤) وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴿٢٢﴾ [محمد: ١٥]، وأزواج رجالها ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٥) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿٢٤﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٤].

روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة بدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب»^(٤).

نُبْهِي .

الآية: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِينَ الْغَيْظِ

- (١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية (١/٢٨٠).
- (٢) رواه البخاري، رقم (٧٤٩٨) بلفظ: «قَالَ اللهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، ومسلم، رقم: (٢٨٢٥).
- (٣) أسن الماء: تغير، غير أنه شروب. انظر: تاج العروس للزبيدي (١٧٦/٣٤).
- (٤) رواه الترمذي، رقم (٢٥٣٨)، بلفظ: «لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَ فَبَدَأَ أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ»، وقال: حديث غريب.

وَأَلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].
بارك.



الثانية

الحمد لله ذي الجلال والجمال والمن والأفضال، المقدس عن مضاهاة الأمثال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم سلسلة الأرسال، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه خير صحبٍ وخير آل، ورضي.

أمّا بعد:

أيها الناس، إن بعد الحدث جدثاً^(١)، وإنكم لم تُخلقوا عبثاً، وإن الفقر حلية الغافل، والغنى حلة الطغيان، كذبت ظنون الملحدين، الذين جحدوا الدين، وجعلوا القرآن عِضِينَ^(٢)، فاتَّقوا الله واحذروا حرَّ النار، ألا وإن العلم أحسن على علاته، والجهل أقبح على حالاته، والناس بأئمتهم؛ فإن انقادوا بأزمتهم^(٣) نجوا بذمتهم، والناس رجالان؛ عالم

(١) الجدث: القبر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٩٦/٥).

(٢) مقتبس من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]؛ أي: فرَّقوا عن المشركين أقاويلهم في القرآن فجعلوه كذباً وسحراً وشعراً وكهانةً. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥١٦/١٣).

(٣) أَرَمَةٌ: جمع زَمَام، وزمام الأمر: ملاكته. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٢/٣٣٣).



يرعى ، ومتعلِّمٌ يسعى ، والباقون أنعام^(١) ، وربِّما كانت الأنعامُ أهدى منهم سبيلاً .

قال رسولُ الله ﷺ : «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً إنَّما ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذَه بحظِّ وافرٍ، إنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها لطالبِ العلمِ رضا بما يصنعُ»^(٢) .

الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] .
اللَّهُمَّ .



بخسُ الكيل والميزان

الحمد لله الذي بعث محمداً ﷺ بالرِّسالة، وأزال بدعوته الظلالَةَ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وجاهد من صدَّ عنه وخالف وكفر، فمن اتَّبعه واتَّبَع هداة نجا، ومن خالفه واستبدَّ بشهواته هوى، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) انظر: مقامات بديع الزمان الهمداني (١/١٦٣).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٨٢)، بلفظ: «مَن سلكَ طريقاً يبتغي فيه علماً سلك اللهُ به طريقاً إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رِضاً لطالبِ العلمِ، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له من في السَّمواتِ ومن في الأرضِ حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً إنَّما ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذَ به أخذَ بحظِّ وافرٍ» .



له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك
ورسولك النبي الأمي محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا في دين الله كما
أمر، وطهروا نفوسهم من كلِّ كدر.

أمَّا بعد:

أيُّها النَّاسُ، أوصيكم بتقوى الله، وأحثُّكم على طاعة الله، فإنَّه مَنْ
يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى، وسعد في الآخرة
والأولى، ومن يعصي الله ورسوله فقد ظلَّ ظلالاً بعيداً، وخسر خسراناً
مبيناً، واتَّقوا المظالم وأكل أموال النَّاس بالباطل، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَّتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فيا أيُّها الظَّالم لنفسه، الغاشُّ لها، الباخسُ الكيل والميزان، كم من
قيراطٍ اكتسبته ببخسك الميزان تغلُّ به يدك إلى عنقك! وكم من درعٍ
أخسرته ونقصته تُكسى به من دروع جهنم! وكم من كيلٍ طففته تُؤخذ به
على وجهك في النار!

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:

٢٤].

أمَّا إنَّك لو أخلصت إيمانك وصدقت باليوم الآخر لبرأت ذمتك،
وحاسبت نفسك قبل أن يتولَّى الله حسابها حين لا تملك من أمرك شيئاً،
إنَّك تموت وتبعث وتُحاسب عمَّا فعلت بالدُّنيا، يقول الله جلَّت عظمته:
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال
رسول الله ﷺ: «لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة



الجلحاء^(١)، من الشاة القرناء^(٢)»^(٣).



الثانية

الحمد لله الحليم السّتار، المتفضّل بالعطاء المdrار، النّافذ فضاؤه بما تجري به الأقدار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مكور النهار على اللّيل، ومكور اللّيل على النهار، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه ما طلع فجرٌ واستنار.

أمّا بعدُ:

أيّها النّاس، روي في الخبر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه خطب في أهل الشّام، فقال: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتقولون ما لا تدركون، إنّ الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا، وأمّلوا بعيدا، وجمعوا كثيرا، فأصبح أمّ لهم غرورا، وجمعهم بُورا^(٤)، ومساكنهم قبورا^(٥).

(١) الجلحاء من الشاء والبقر: التي لا قرن لها. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦/٣٤٢).

(٢) كبش أقرن: كبير القرنين، وكذلك التيس، والأنثى قرناء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٣١/١٣).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٢).

(٤) الثبور: الهلاك والخسران. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠٧/١٠).

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي (١٢٣/١)، بلفظ: ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، إنّ الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا، وأمّلوا =

إلى أن قال: وإنما يلقيان غداً ندمك، وقد زلت بك قدمك وأسلمك
أهلك وحشمك وتبراً منك لقرب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت في
عملك زائد ولا إلى أهلك عائد^(١).

الآية: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].



في التوقي من الحرام

الحمد لله خالق الخلائق، وباسط الرزق كما وصف نفسه بأنه الرازق،
دل كل شيء على وجوده، ووحدانيته أقوى دليل صادق، إن أضاء الفلق فهو
الفالق^(٢)، وإن أظلم الغسق^(٣) فهو الذي أسبل الغاسق، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ولا إله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه،
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه.

= بعيداً، وجمعوا كثيراً، فأصبح أملمهم غروراً، وجمعهم ثبوراً، ومساكنهم قبوراً.
(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ (١١٤/٣)، قال الجاحظ: وقال الجاحظ: وجد
في حجر مكتوب: يا بن آدم، لو أنك رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في
طول ما ترجو من أمملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، ولقصرت في حرصك
وحيلك، وإنما يلقيان غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك
وحشمك، وتبراً منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك بعائد،
ولا في عملك بزائد.

(٢) فالق الإصباح: شاق الإصباح. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٠٨/٢٦).

(٣) العسق: ظلمة أول الليل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٤٩/٢٦).



أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْفَنَاءِ، وَالْآخِرَةَ لِلْبَقَاءِ، وَخَلَقَكُمْ فِيهَا لِتَزْرَعُوا فِيهَا الْعَمَلَ وَتَحْصِدُوا فِي الْآخِرَةِ الْجِزَاءَ؛ فَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ خَيْرًا فَالْجِزَاءُ خَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ شَرًّا فَالْجِزَاءُ شَرٌّ، وَإِنْ قَلِيلًا فِي الْآخِرَةِ يَبْقَى؛ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَفْنَى، أَلَا وَإِنَّ أَلْسِنَةَ النَّاسِ شَهَوْدُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ؛ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - فِي أَيِّ الْأَلْسِنَةِ تَحَبُّ أَنْ تُذَكَّرَ فِي حَيَاتِكَ وَبَعْدَ مَوْتِكَ، فَلَا تَلْهَيْتَنِي الدُّنْيَا عَنْ آخِرَتِكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمَعَامَلَةَ وَطَلِبُوا الرِّزْقَ مِنْ أَبْوَابِ الْحَلَالِ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ لَا يُبَالُونَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبُوا، وَلَا مِنْ أَيْنَ صَرَفُوا وَأَنْفَقُوا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُبَالِي اللَّهُ بِهِمْ مِنْ أَيِّ بَابٍ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ، فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَحُقُوقَ النَّاسِ وَاسْتِغْثَالَ ذَمِّكُمْ بِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهَا إِلَّا أَنْ يَسَامَحَ بِهَا الْمَظْلُومُ^(١)، وَإِنَّكُمْ لَا تَمْلِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئًا إِلَّا أَعْمَالَكُمْ الْمَقْبُولَةَ الَّتِي لَا شَرِكَ بِهَا وَلَا رِيَاءَ، فَهِيَ رِوُوسُ أَمْوَالِكُمْ وَمِنْهَا يَكُونُ الْوَفَاءُ، فَإِنْ وَفَّتْ بِمَا عَلَيْكَ أَصْبَحْتَ مَفْلَسًا، وَإِنْ لَمْ تَفِ حُمِلَ عَلَيْكَ مَعَ سَيِّئَاتِكَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ بِقَدْرِ ظُلَامَتِهِ^(٢).

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٦٠٣١)، بلفظ: «الدَّوَّابُّ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ ثَلَاثَةٌ: دِيْوَانٌ لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ: فَالشَّرْكَ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ﴾ ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمٍ يَوْمَ تَرَكَهُ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ».

(٢) الظُّلَامَةُ: هُوَ اسْمٌ مَا أُخِذَ مِنْكَ، وَاسْمٌ مَظْلَمَتِكَ عِنْدَ الظَّالِمِ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٦/٣٣).



فَاتَّقُوا اللَّهَ، عباد الله، «وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»^(١)، «وَمَنْ كَانَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِهِ وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مَعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنَّ أَبْوَابَ وَأَنْصَفَهَا»^(٢).

رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله فإنما للقتل الحساب غداً على الذين جازفوا الأمور أتوها من محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذرِّ ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]»^(٣).

نبهني.

الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٥٥-٢٥٧].

بارك.



- (١) رواه مسلم، رقم: (١٧٣٢)، بلفظ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا».
- (٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٩٩)، بلفظ: «وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».
- (٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٥٩)، بلفظ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخفُّ الحسابُ يومَ القيامةِ على مَنْ حاسبَ نفسه في الدنيا».



الثَّانِيَةُ

الحمد لله الَّذِي مَنْ اتَّقَاهُ رَقَّاهُ ووقاه شرَّ عِداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنتقم ممَّن عصاه، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الَّذِي مَنْ اتَّبَعَهُ هَدَاهُ، وَمَنْ خَالَضَهُ أَرَادَهُ وَأَخْزَاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ خُصُوصًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فيا أَيُّهَا المسلم، صاحت في نفسك مواعظُ الخطباء فلعلَّها سُمِعَتْ ووعت، ودعاها لسانُ الإرشاد إلى المتاب فعساها أن تكون تابت وعلى التَّوْبَةِ ثَبَّتَتْ، نَبَّهْتُكَ الحِوَادِثُ أَنْ قِيَمَةَ الأُمَّمِ فِي عِلْوِّ الهِمَمِ فَهَلْ تَنَبَّهْتَ؟! وقد عَلِمْتَ أَنَّكَ فَرْدٌ مِنَ الأُمَّةِ فعلى مقدارِ هَمَّتِكَ تكون أُمَّتُكَ فَهَلَّا تَحَمَّسْتَ؟!

يا أخا العقلِ انظرُ واعتبرْ، وأيقظْ نفسك من هذا السُّبَاتِ المُسْتَمِرِّ، فما بِالْكَ لا تُصْغِي لدعاءٍ ولا تهتمُّ لخطابٍ؟! أنت وحدك المأمور بإقامة دين الإسلام، والمُلْزَم بالتزام عروته الوثقى التي ليس لها انفصامٌ، فما بِالْكَ هدمتَ هيكله الجميل، بمعاول البدع والأباطيل، وقوَّضت منه مُحْكَم البناء؟! أين غيرتُكَ على الدِّين، وصدقُ عبوديتك لربِّ العالمين؟!
الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:

١٥٩].

اللَّهُمَّ.





في الخشية من الله وذكر الموت

الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، نَحْمَدُهُ ونشكره على نِعْمِهِ الباطنة والظاهرة، ونستغفره لذنوبنا فهو يغفر كبائر الإثم وصغائره، ونسأله من فضله العميم فهو الذي لا يُخَيَّبُ سائله ولا ينسى ذاكِره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شَهِدَتْ بتوحيده الآيات، ونَطَقَتْ بِتَحْمِيدِهِ الأفواه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جمع الله به بين القلوب المتنافرة، اللَّهُمَّ صلِّ على عبدك ورسولك سيِّدنا محمداً وعلى آله وصحبه المُقْتَدَى بهم والمُهْتَدَى بهديهم.

أمَّا بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، ما للهممِ عن العمل الصَّالِحِ فاترة؟! وما للنفوسِ لا تتزوَّدَ لعمل الآخرة، وهي لا محالة مسافرة؟! فالخجلة لمن سُئِلَ يومئذٍ فَعَدِمَ الجوابَ، والحسرةُ لمن نُوقِشَ الحسابَ ثمَّ أُمرَ به إلى دارِ العذابِ، والخيبةُ من أُمرَ به إلى النَّارِ دارِ الخِزيِّ والبوارِ، والوحشةُ لمن غَضِبَ عليه الملكُ الجَبَّارُ.

أيُّهَا المسلمون، أَقْبِلُوا على الله بِصدقِ القلوبِ، وانتهوا عن مقارفةِ الذُّنُوبِ، وعودوا قلوبكم على الإخبات^(١) والخضوعِ لربِّكم، ولتخشعِ قلوبكم عند سماعِ القرآنِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَّشَهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا

(١) أختبَّ الرجلُ لله: إذا خشعَ وتواضعَ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٥٠٢).



لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

فيا عبادَ الله، بادروا بالتَّوْبَةِ قبل خروج وقت الاختيار، وقبل أن تُزَعَّجُوا^(١) للرَّحِيلِ وتنفدَ الأعمار، وتُخْلَى من سَكَّانِهَا الدِّيَارِ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَرَ عَشْرَةٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ وَأَحْزَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَكْثَرُهُمْ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ»^(٢)، ف «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»^(٣)، و«خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا»^(٤).

فَاتَّقُوا اللَّهَ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ اتَّقَاهُ، وَاَعْمَلُوا مَا دَمْتُمْ فِي دَارِ الْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمُوا وَلَا يَنْفَعُ النَّدَمَ، فَإِنَّمَا الزَّرْعُ الْيَوْمَ وَالْحَصَادُ غَدًا.
أَلَا وَإِنَّ أَلْسِنَةَ النَّاسِ شَهُودٌ عَلَى النَّاسِ فِي أَرْضِ اللَّهِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ذَكَرَهُ النَّاسُ بِخَيْرٍ فِي حَيَاتِهِ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ لَمْ يُذَكَّرْ فِي أَلْسِنِ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا بِالشَّرِّ.
نُبَّهِنِي.

الآية: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإِسْرَاء: ١٩].

- (١) زعجه: ألقه وقلعه من مكانه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/٦).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (١٣٥٣٦)، بلفظ: «أكثرهم ذكراً للموت، وأشدُّهم استعداداً للموت قبل نزول الموت أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة».
(٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن.
(٤) رواه أحمد، رقم: (٩٢٣٥)، بلفظ: «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أخلاقاً».



بارك.



الثانية

الحمد لله ذي الجلال الأكبر، والبهاء الأنور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو البهاء الأنور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد الخلائق والبشر، اللهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر الأكبر، ورضي.

أمّا بعد:

أيها الناس، عليكم بتقوى الله تعالى في السرّ والعلانية، وتقرّبوا إلى ربكم بالنوافل، ف ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾ [هُود: ١١٤]، وإنّ خير ما تقرّبون به من ربكم ويرفعكم في عين عدوكم تطهير قلوبكم من الغلّ والحقد والحسد، فقد نهانا ديننا عن ذلك، وأمرنا بطهارة القلوب وصفاء النيّات، فقال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فقال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تقاطعوا»^(١).

وأخرج البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحللّه منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٠٦٤)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٨)، بلفظ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيّام».



من سيئات صاحبه فحمله عليه»^(١).

الآية: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَ بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
اللَّهُمَّ.



سَوْمُ الْبَائِعِ

الحمد لله ذي الجلال والجمال والمن والأفضال، المقدس عن مضاهاة الأمثال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي حثنا على فعل المعروف ونهانا عن دنيء الخصال، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما أفل هلالاً وطلع هلالاً.

أما بعد:

أيها الناس، عليكم بتقوى الله في جميع أموركم، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، فإنه لا يحل للمسلم أن يأكل من مال أخيه ما ليس له فيه حق، ومن ذلك أن يستام^(٢) البائع على المشتري بأكثر مما يريد أن يبيع، وربما كان المشتري سمح الشراء فيدفع في ذلك الثمن،

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٤٩)، بلفظ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلل منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمله عليه».

(٢) السوم: أن تجشم إنساناً مشقة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٣١/٣٢).



وهذا ممّا يمحقُّ البركة، وقد استدخل البائع ما ليس له فيه حقٌّ، والله يحبُّ سهْلَ البيعِ سهلَ الشُّراءِ^(١).

وقد روي في الحديث عن قَيْلَةَ أُخْتِ بَنِي النَّمَارِ رضي الله عنها، قالت: «كنتُ امرأةً أشتري وأبيعُ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ، فأتيته وهو عند المروة، وقلت: يا رسول الله، إنِّي امرأةٌ أشتري وأبيع في السوق فيأتييني الرَّجُلُ يريد أن يشتري مِنِّي الشَّيءَ فأستامَ عليه بأكثر ممَّا أريد أن أبيعَه، فلا أزال أنقص وأنقصُ حتَّى أبيعَه بالَّذي أريد، وكذلك في الشُّراءِ، قال: «فلا تفعلِي يا قَيْلَةُ، إذا ارتدى أن تبِيعي شيئًا فاستامي بالَّذي تُريدين أن تبِيعيه به أعطيتِ أم منعتِ، وإذا أردتِ أن تشتري شيئًا فاستامي بالَّذي تُريدين أن تشتريه به أعطيتِ أم منعتِ»^(٢)، والزيادة في سَومِ البائع تعدُّ خيانةً، وأيُّ خيانةٍ والله ورسوله حذرانا من الخيانة؟!!

فيا معشر البائعين، اتَّقوا الله في بيعكم وابتِباعكم، ولا تكونوا من اللذين إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا اتُّمَّنوا خانوا، وإذا اشتروا ذمُّوا، وإذا باعوا مدحوا، واحذروا اليمين وقت البيع والشُّراءِ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمَّى

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٠٧٦)، بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ رجلاً سَمَحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى».

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٤)، بلفظ: «رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عند المَرْوَةِ يَحِلُّ من عُمْرَةٍ، فجلستُ إليه، فقلتُ: يا رسول الله، إنِّي امرأةٌ أشتري وأبيعُ، فربَّما أردتُ أن أبيعَ السَّلعةَ فأستامَ بها أكثر ممَّا أريد أن أبيعَها به، ثمَّ أنقصُ حتَّى أبيعَها بالَّذي أريد، وإذا أردتُ أن أشتري السَّلعةَ أعطيتُ بها أقلَّ ممَّا أريد أن آخذها به، ثمَّ أزيدُ حتَّى آخذها بالَّذي أريد، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا تفعلِي يا قَيْلَةُ، إذا أردتِ أن تبِيعي السَّلعةَ فاستامي بها الَّذي تُريدين أن تبِيعيه به أعطيتِ أو منعتِ، وإذا أردتِ أن تشتري السَّلعةَ فأعطي بها الَّذي تُريدين أن تأخذها به أعطيتِ أو منعتِ».



هذا اليمين يمين الغموس؛ لأنه يغمس صاحبه في نار جهنم كما يغمس أحدكم يده في الماء.

في الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطيب الكسب؛ كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اتُّمِنُوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يمتطوا، وإذا كان لهم لم يعسروا»^(١).

نبهني.

الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

بارك.



الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز المجيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاء بالدين الحميد، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل التقوى وأنصار التوحيد، وارض اللهم عنهم أجمعين، خصوصاً.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (٤٥١٣)، بلفظ: «إن أطيب الكسب؛ كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اتُّمِنُوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يمتطوا، وإذا كان لهم لم يعسروا».

أما بعد:

أيها الناس، اتقوا الله، وكونوا - عباد الله - إخواناً كما أمركم، و«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١)، واحذروا الشحناء والعداوة؛ فإن الله بنى هذا الدين على نظافة القلوب والأبدان، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا»^(٢) هذين حتى يَصْطَلِحَا»^(٣)، وقال أيضاً: «وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].
اللهم.

عباد الله، اتقوا الله، ثم اعلموا أن الله أمركم في مُحْكَمٍ تنزيله بالصلاة على رسوله، فقال تعالى قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) رواه البخاري، رقم: (٥١٤٣)، ومسلم، رقم: (٢٥٦٣)، بلفظ: و«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا».

(٢) الإنظار: التأخير والإمهال. انظر: تاج العرس، للزبيدي (٢١٩/٥).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٥٦٥).

(٤) رواه أبو داود، رقم: (٤٨٨١)، بلفظ: «وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».



اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَمَنْ بِهِ
يُؤْمِنُونَ، وارضَ اللَّهُمَّ عن السَّادَةِ الخلفاء، الرَّاشِدِينَ الحنفا، ذوي القدرِ
العَلِيِّ، والفخرِ الجَلِيِّ؛ أَبِي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وَعَلِيٍّ، وارضَ اللَّهُمَّ عن
بَقِيَّةِ العشرة، وَعَمَّنْ بايَعَ النَّبِيَّ ﷺ تحت الشَّجَرَةِ، وعن السَّبْطِينَ الحسن
والحسين، وعن عَمِّي نبيِّك الحمزة والعبَّاس، وعن بناتِ نبيِّك وزوجاته
الطَّاهراتِ من الأَدْناس، وعن بَقِيَّةِ الصَّحابةِ والقِرابَةِ والتَّابعين، وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ يا ذا الجلالِ والإكرام، أَلْفَ بين قلوبِ أبناءِ الإسلام، وامحِقْ
بسيفِ غضبكِ البِغاةِ والظُّلَّام، اللَّهُمَّ انصرْ مَنْ نصرَ هذا الدِّينَ، ووفِّقه
بتوفيقكِ وَأَعِنُّهُ يا خيرَ معين، اللَّهُمَّ انصرْ ملوكَ المسلمين على القومِ
الكافرين، اللَّهُمَّ أَلْفَ بين أمرائهم، وانصرهم على مَنْ عاداهم، واجعل
قطرنا هذا محروسًا عامرًا رخيًّا آمنًا ناضرًا بدوامِ دولةِ ملكنا الأفضلِ
غازيِ الأوَّلِ.

اللَّهُمَّ اهده لنصرةِ دينك الحنيف، ومُعاضدة^(١) شرعك المنيف^(٢)،
وانصره وانصرْ مَنْ ناصرَه مِنْ جنوده على مَنْ عاداه، ومكِّنْ سيوفهم فيمن
ناواه، وأيده بنشرِ رايةِ الأمنِ على البلاد، واخذلْ كلَّ مُفْتِنٍ ومُفْسِدٍ
ومحتالٍ.

اللَّهُمَّ وفقْ مَلِكَنَا غازيَ لِنُصرةِ الحقِّ واتِّباعه، ومكِّنْهُ من إذلالِ الباطلِ
واتِّباعه.

﴿رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(١) عَضَدُهُ: أعانه ونصره؛ مجازًا. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨/٣٨٥).

(٢) المُنِيفُ: يُقالُ لكلِّ مشرفٍ على غيره. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٩/٣٤٢).



[البقرة: ٢٠١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التحل: ٩٠] .
اذكروا الله يذكركم، واشكروه يزدكم، واسألوه يعطكم، واستغفروه
يغفر لكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .





فهرس الموضوعات

المنبر المجلد الأول

٧	المقدمة
٩	الإهداء
١١	المقدمة
١٥	سبب نشر هذه الخطب
١٧	سوء الخلق يسبب الفرقة (١)
٢٣	الدين أمن للحياة (٢)
٢٩	القرآن (٣)
٣٥	التعاون (٤)
٤٣	الذنب يغضب الرب (٥)
٥١	المرأة في الإسلام (٦)
٥٧	دسائس الاستعمار (٧)
٦٥	الدين عماد المدينة (٨)
٧١	الإسلام أمة وهو للأمة دنيا ودين (٩)
٧٧	مكارم الأخلاق (١٠)
٨١	بالعمل الصالح نسلم (١١)
٨٧	طريق النجاح وطريق الخيبة (١٢)



٩١	المسلم بين المعصية والطاعة (١٣)
٩٥	الإلحاد والملحدون (١٤)
١٠١	اعملوا وكلُّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له (١٥)
١٠٥	مكارم الأخلاق (١٦)
١١١	الوظيفة أمانة (١٧)
١١٧	الإسلام حسن الخلق (١٨)
١٢٥	صنائع المعروف دليل الشكر (١٩)
١٣١	بالتعاون تسعدُّ القلوب (٢٠)
١٣٩	ما هو الإسلام (٢١)
١٤٥	الشكر (٢٢)
١٥١	الكسب (٢٣)
١٥٧	شهادة الزور (٢٤)
١٦٣	غربة الإسلام (٢٥)
١٧١	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٢٦)
١٧٥	وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا (٢٧)
١٨١	الغيبة (٢٨)
١٨٥	السنة السيئة والسنة الحسنة (٢٩)
١٩١	الرياء والنفاق (٣٠)
١٩٧	التواصي بالحق وبالصبر (٣١)
٢٠٣	نجاحك تمسكك بدينك (٣٢)
٢٠٧	الدين يريد الرجال مقتبسة من مجلة لواء الإسلام، بتصرف (٣٣)



٢١٢	العمل الصالح نجاح (٣٤)
٢١٧	من هو المسلم الحق (٣٥)
٢٢٣	كل شأن المسلم دين وجهاد (٣٦)
٢٢٧	جهلنا بديننا سبب فشلنا (٣٧)
٢٣٣	العروبة والإسلام (٣٨)
٢٣٩	أركان الإسلام والعمل بها (٣٩)
٢٤٥	التقليد الأعمى (٤٠)
٢٥١	الإسلام قوة (٤١)
٢٥٧	الإسلام نور الحياة (٤٢)
٢٦٣	سكتنا عن المنكر فعاقبنا الله بما ننكر (٤٣)
٢٦٩	خاتمة



فهرس الموضوعات

المنبر المجلد الثاني

٢٧٥	وَا دِينَاهُ!
٢٧٨	موتُ عالم
٢٨٢	في مشروعِيَّة التَّدَاوي
٢٨٧	بمناسبة انتهاء الحرب في أوربَّة
٢٩٠	بمناسبة انتهاء حرب اليابان
٢٩٣	بمناسبة قدوم مسافر
٢٩٥	الذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرُ ثَان
٢٩٨	بمناسبة افتتاح مسجد الأمن في الأحمدِي
٣٠٢	بمناسبة أسبوع الجزائر
٣٠٩	الفرقة مهلكة، أو بين الماضي والحاضر
٣١٤	الوحدة نعمة
٣١٩	بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين عام (١٩٥٨م)
٣٢٣	بمناسبة ثورة العراق
٣٢٧	الألفة طريق النَّصْر
٣٣٣	بمناسبة صدور قانون الجزاء في الكويت
٣٣٨	عزَّة الإسلام



٣٤٢ الاعتراف بالفضل فضيلة
٣٤٢ في الأسبوع الأول (١٩٦١/٦/٣٠ م)
٣٤٨ نكران الجميل جريمة والجماعة رحمة
٣٥٣ يدُ الله مع الجماعة
٣٥٧ بمناسبة أسبوع المرور
٣٦١ استقلال الجزائر
٣٦٤ بمناسبة أسبوع الصّحة
٣٧١ بمناسبة الذكرى الأولى للاستقلال
٣٧٤ الذكرى الأولى للعيد القوميّ
٣٧٨ الجزائر
٣٨٤ بمناسبة ذكرى بداية عام (١٩٥٨ م)
٣٩١ بمناسبة ذكرى الهجرة
٣٩٧ في ذكرى المولد
٤٠٢ المولد
٤٠٧ للمولد أيضًا
٤١٣ ذكرى الإسراء والمعراج
٤١٧ بعثة النبي ﷺ
٤٢٣ نصف شعبان
٤٣٢ مشروعية الصّوم
٤٣٧ لأوّل رمضان
٤٤٣ سرُّ الصّوم



٤٤٩	ليلة القدر
٤٥٤	في نهاية رمضان
٤٥٩	بعد رمضان
٤٦٥	يوم عرفة
٤٧١	الحجّ
٤٧٥	الحجّ
٤٨١	الحجّ
٤٨٦	عيد النّحر
٤٩٣	عيد النّحر
٤٩٨	عيد الفطر
٥٠١	عيد الفطر
٥٠٧	عيد الفطر
٥١٢	الدّعاء
٥١٣	ذكرى المولد النبويّ
٥١٦	الخاتمة



فهرس الموضوعات

المنبر المجلد الثالث

٥١٩ الخمر والقمار (١)
٥٢١ الثَّانِيَة لِـ (١)
٥٢٢ سبب البلايا الذُّنُوب (٢)
٥٢٤ الثَّانِيَة لِـ (٢)
٥٢٥ الرُّبَا (٣)
٥٢٧ الثَّانِيَة لِـ (٣)
٥٢٨ فضائل دين الإسلام (٤)
٥٣١ الثَّانِيَة لِـ (٤)
٥٣٢ التَّكْبُرُ (٥)
٥٣٤ الثَّانِيَة لِـ (٥)
٥٣٥ في المولد الشَّريف (٦)
٥٣٨ الثَّانِيَة لِـ (٦)
٥٣٩ الثَّانِيَة لِـ (٧)
٥٤٠ الغرور (٨)
٥٤٢ الثَّانِيَة لِـ (٨)
٥٤٣ العفو عند المقدرة (٩)



٥٤٥	الثانية لـ (٩)
٥٤٦	العز في العمل (١٠)
٥٤٨	الثانية لـ (١٠)
٥٥٠	يوم عرفة (١١)
٥٥٣	الثانية لـ (١١)
٥٥٤	سبب البلايا الذنوب (١٢)
٥٥٧	الثانية لـ (١٢)
٥٥٨	التقوى نجاه والاعتصام بحبل الله سلامة (١٣)
٥٦٠	الثانية لـ (١٣)
٥٦١	العمل لله وحده (١٤)
٥٦٤	الثانية لـ (١٤) التوبة
٥٦٥	أثر المعاشرة (١٥)
٥٦٨	الثانية لـ (١٥)
٥٦٩	النهي عن المنكرات (١٦)
٥٧٠	الثانية لـ (١٦)
٥٧١	القمار (١٧)
٥٧٤	الثانية لـ (١٧)
٥٧٤	أول رمضان (١٨)
٥٧٧	الثانية لـ (١٨)
٥٧٨	آخر رمضان (١٩)
٥٨١	الثانية لـ (١٩)



٥٨٢	تدبر الكتاب وتعلم العلم (٢٠)
٥٨٢	نذير القرآن (٢١)
٥٨٤	الثانية لـ (٢١)
٥٨٥	مواعظ ونصائح (٢٢)
٥٨٨	الثانية لـ (٢٢) في الإسراء
٥٨٩	دخول رمضان (٢٣)
٥٩٢	الثانية لـ (٢٤)
٥٩٣	فضل الصدقة (٢٥)
٥٩٥	الثانية لـ (٢٥)
٥٩٦	انتبه من الغفلة (٢٦)
٥٩٩	الثانية لـ (٢٦) في النصف من شعبان
٦٠٠	في الحذر من أهل البدع (٢٧)
٦٠٢	الثانية لـ (٢٧) في افتتاح العام
٦٠٣	ليلة القدر (٢٨)
٦٠٦	الثانية لـ (٢٨) في ذكر الله
٦٠٧	العصيان يوجب الخسران (٢٩)
٦٠٩	الثانية لـ (٢٩)



فهرس الموضوعات

القول السائد في خطب الوالد

الشيخ محمد نوري

٦١٣	الدُّعاء بعد كلِّ خطبة ثانية
٦١٣	في الزَّكاة
٦١٦	الثَّانية
٦١٧	في تزكية النَّفس
٦١٩	الخطبة الثَّانية
٦٢١	الأولى في ذكرِ الماضي وذكر الموت
٦٢٢	الثَّانية في بعضِ خصالِ أهل الإيمان
٦٢٣	ذكر الموت
٦٢٥	تحريم التَّشاؤم بصفر الثَّانية
٦٢٧	الأولى لباس التَّقوى
٦٢٩	الثَّانية من استكمل إيمانه
٦٣٠	آخر شعبان
٦٣٢	الثَّانية
٦٣٣	في فضل رمضان
٦٣٦	الثَّانية



٦٣٧	في الصَّلَاة لوقتها
٦٤٠	الثَّانِيَة
٦٤١	في الزَّكَاة
٦٤٣	الثَّانِيَة
٦٤٤	في محبَّة النَّبِيِّ ﷺ
٦٤٦	الثَّانِيَة
٦٤٧	الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر
٦٤٩	الثَّانِيَة
٦٤٩	في الإقبال على القرآن
٦٥١	الثَّانِيَة
٦٥٢	في التحذير من الزُّنَا
٦٥٥	الثَّانِيَة
٦٥٥	في النَّظَافَة الشَّرْعِيَّة
٦٥٧	الثَّانِيَة
٦٥٨	في الصَّلَاة
٦٦١	الثَّانِيَة
٦٦٢	التَّقْوَى
٦٦٣	الثَّانِيَة
٦٦٤	القِمَار
٦٦٦	الثَّانِيَة
٦٦٨	التَّقَاطَع والنَّفَاق



٦٧١	الثانية
٦٧٢	عشر ذي الحجة
٦٧٣	الثانية
٦٧٥	عشر ذي الحجة
٦٧٧	الثانية
٦٧٨	في تجنب أخلاق المنافقين
٦٨٠	الثانية
٦٨١	التقوى
٦٨٣	الثانية
٦٨٤	الصلاة
٦٨٦	الثانية
٦٨٧	معرفة الله
٦٨٩	الثانية
٦٩٠	الجنة
٦٩٢	الثانية
٦٩٣	بخس الكيل والميزان
٦٩٥	الثانية
٦٩٦	في التوقي من الحرام
٦٩٩	الثانية
٧٠٠	في الخشية من الله وذكر الموت
٧٠٢	الثانية



٧٠٣	سَوْمُ البائع
٧٠٥	الثَّانِيَة
٧٠٩	فهرس الموضوعات

قَبْسٌ مِنْ مُقَدِّمَةِ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

لبنةٌ مُباركةٌ، تحتوي الأعمالُ الجليلةُ لعالمٍ مِنْ عُلَمَاءِ النَّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي كُوَيْتِ الْخَيْرِ... الْأَعْمَالُ الْكَامِلَةُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ اللَّهِ النَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، هِيَ: نِتَاجُ حَيَاةٍ مُبَارَكَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ، وَالِاجْتِهَادِ وَالْمَثَابِرَةِ، وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ؛ فَجَاءَتِ الْأَعْمَالُ ثَرِيَّةً مَتْنُوعَةً بَيْنَ عِلْمِيَّةٍ مُتَمَكِّتَةٍ، وَأَدَبِيَّةٍ مُشَوِّقَةٍ، وَثَرَايِيَّةٍ مُدَقِّقَةٍ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ مُتَمَكِّتَةٍ، فِيهَا خُلَاصَةُ الْفِكْرِ، وَزُبْدَةُ الْمَخْضِيِّ، وَحُلِيَّةُ الْأَدَبِ، وَرَوَائِعُ مِنَ التَّارِيخِ.

تَأْتِي هَذِهِ الْأَعْمَالُ الْمُبَارَكَةُ ضَمَنَ سِلْسِلَةٍ جَمَعَ تَرَاثِ عُلَمَاءِ الْكُوَيْتِ؛ لِحَفْظِ تَرَاثِ الْأَجْدَادِ، وَإِثْرَاءِ الْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَمُومًا، وَالْمَكْتَبَةِ الْكُوَيْتِيَّةِ خُصُوصًا؛ لِتَكُونَ مَنَارَةً لِلْقُرَّاءِ وَالْبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِهَا بِمَخْتَلَفِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، لِيَصْدُقَ فِيهِمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وإني وإياكم لكالنحلِ نَصْطَفِي رَحِيْقَ مَجَانِيهِ لِأَلْسِنِنَا شَهْدًا

د. عَبْدِ الْمُحْسِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَارِ اللَّهِ الْخَزْفَانِي

